

الوَلَايَةُ

بِحَوْلِ الْوَلَايَةِ
مِنْ وَحْيِ الْقُرْآنِ

«مَقْدَمُهُ لِعِلْمِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»

تَأَلِيفُ

سَمَاعَةَ آيَةَ اللَّهِ الْمُظَلَّمِ الْمَسْكُومِ
الْحَاجِّ بَهْرُزَادِ عَبْدِ الرَّسُولِ الْوَالِدِيِّ الْكُفَيْطِيِّ

(١٣٤٧ - ١٤٢٤ هـ)

تَعْقِيبُ

الْحَاجِّ عَلِيِّ الْعَيْسِيِّ الْبَسَامِيِّ

٢-١

بِمَكْتَبَةِ مَجْمَعِ تَهْمَانِ

بِمَكْتَبَةِ مَجْمَعِ تَهْمَانِ
تَهْمَانُ - اَبْشَانُ

الإِلايَّة

بَحْثٌ حَوْلَ الإِلايَّةِ
مِنْ وَحْيِ الْقُرْآنِ

الأَوْحَادِ

موقع الأوحاد

Awhad.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوَلَايَةُ

بِحَمْدِ حَوْلِ الْوَلَايَةِ
مِنْ وَحْيِ الْقُرْآنِ

«مقدمة لعلم تفسير القرآن»

تأليف

سماحة آية الله العظيمة المولى
الحاج ميرزا عبد الرسول الخايري الكاظمي

(١٣٤٧ - ١٤٢٤ هـ)

تحقيق

الحاج علي العسيلي العاملي

الجزء الأول

اسم الكتاب: الولاية
المؤلف: آية الله المعظم المولى
الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الإحراقي
المحقق: الحاج علي العسيلي العاملي
الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع
مؤسسة شمس هجر
الطبعة: الثانية
التاريخ: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة شمس هجر

مؤسسة البلاغ

للطباعة والنشر والتوزيع



المكتب بنو العبد سنتر الإنماء ١ - ط ٣ - المستودع : حارة حريك - شارع الشيخ راضب حرب - مقابل نادي السلطان
ص.ب. ١١ - ٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧ - ٢٢٥٠ - هاتف : (٠١/٥٤١٨٥٤) - (٠٣/٥١٤٩٠٥) - فاكس : ٠١/٥٥٢١١٩ لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسين (ع) - هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤

الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com

E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ .

المائدة: ٥٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ :

وَلَايَةٌ عَلَيَّ حِصْنِي فَمَنْ
دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي .

مشارك انوار اليقين : ص ٢٤

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

« مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ »

منتخب كنز العمال : ٣٠/٥

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ »

مُسْتَدْرَأُ أَحْمَدَ ١/٢٣١

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يَا عَلِيُّ! أَنْتَ صَاحِبُ حَوْضِي، وَصَاحِبُ لِقَائِي، وَحَبِيبُ قَلْبِي
وَوَصِيِّي، وَوَارِثُ عَلِيِّي، وَأَنْتَ مُسْتَوْدِعُ مَوَارِيثِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي
وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى أَرْضِهِ، وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى بَرِيئِهِ، وَأَنْتَ رُكْنُ الْإِيمَانِ، وَعَمُودُ
الْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ مِصْبَاحُ الدُّجَى، وَمَنَارُ الْهُدَى، وَالْعَمَامَةُ الْمَرْفُوعَةُ لِأَهْلِ
الدُّنْيَا. يَا عَلِيُّ! مَنْ اتَّبَعَكَ نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ هَلَكَ، وَأَنْتَ الطَّرِيقُ
الْوَاضِعُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَأَنْتَ قَائِدُ الْفِرَاطِ الْمُجَلِّينِ، وَنِعْسُ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَنْتَ مَوْلَى مَنْ أَنْامَ مَوْلَاهُ، وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، لَا يُحِبُّكَ إِلَّا
طَاهِرُ الْوِلَادَةِ، وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا خَبِيثُ الْوِلَادَةِ، وَمَا عَرَجَنِي رَبِّي
عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَلَّمَنِي رَبِّي الْإِقْتَالَ:

يَا مُحَمَّدُ! اقْرَأْ عَلَيَّ مِنَ السَّلَامِ، وَعَرِّفْهُ أَنَّهُ إِمَامُ أَوْلِيَائِي
وَنُورُ أَهْلِ طَاعَتِي، وَهِنِيئُكَ هَذِهِ الْكَرَامَةُ!

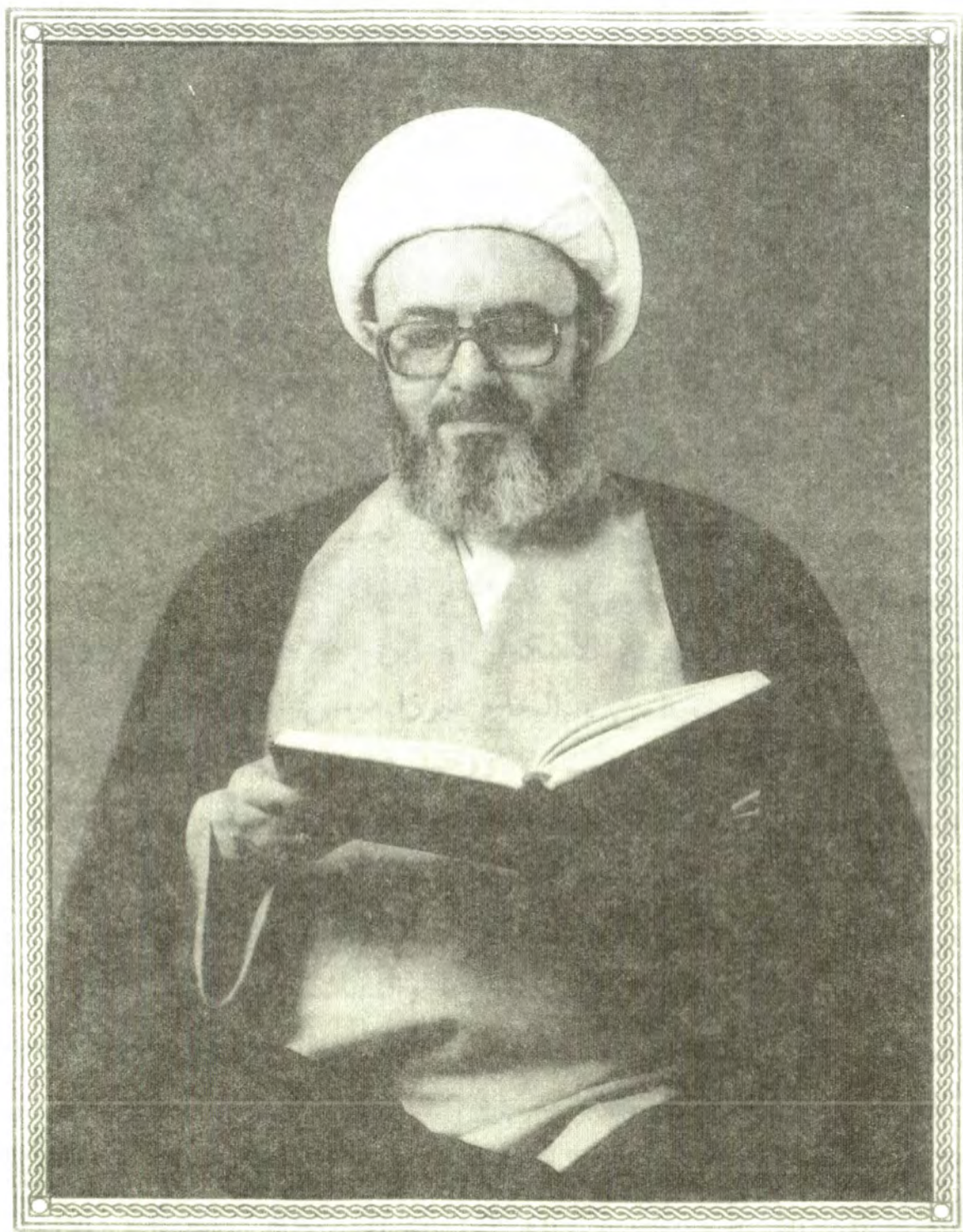
اللَّهُمَّ

إِلَى رُوحِ أُمِّي الطَّاهِرَةِ ...
إِلَى الَّتِي رَبَّتَنِي فِي أَحْضَانِ الدِّينِ ...
إِلَى الَّتِي مَكَزَجَتْ رُوحِي وَجِسْمِي بِمَجْلِيَا الْمَحَبَّةِ وَالْوَلَايَةِ ...
إِلَى الَّتِي أَنْارَتْ حَيَاتِي بِحَمْدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَوَّدَتْ
لِسَانِي عَلَى ذِكْرِ الْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ، أَصْحَابِ الْفَضْلِ،
وَالْفَخْرِ وَالْعِظَمَةِ .

إِلَى الَّتِي عَصَمَتْ رُوحِي بِمَجْلِ مَحَبَّتِهِمْ وَوَلَائِهِمْ ...
إِلَى الَّتِي مَاعَرَفَتْ أَنْفَاسَهَا الْمُبَارَكَةَ إِلَّا حُبَّهُمْ ،
وَهُوَ آخِرُ مَا أَخَذَتْهُ مِنَ الدُّنْيَا ...
إِلَى الَّتِي فَارَقْتَ الْحَيَاةَ، وَشَوَّقْتَ عَظِيمٌ، وَحَنِينٌ
دَافِقٌ يَسُدُّانَهَا إِلَى لِقَائِهِمْ ، فَكَانَتْ مَعَ مَنْ أَحَبَّتْ ،
مُبَارَكَةً مَعَ الْأَنْبَارِ وَالصَّالِحِينَ ...

إِلَى يَا أُمِّي الطَّاهِرَةَ أُمِّي مَا كُنْتُ، رَاجِعًا
فَضْلَ الْمَشَارَكَةِ فِي الْأَجْرِ وَالشَّوَابِ !

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ



سَيَأْتِيَنَّ اللَّهُ الْمُعْظِمَ الْفَقِيهَ الْمُؤْتَمِرَ الْحَاجَّ أَمِيرَ زَاوِيَةِ الْعَبْدِ الشُّرُوكِ الْحَمْرِيِّ لِأَحْقَافِي

نَبذة من حياة المؤلف

١ - نسبه :

هو الميرزا عبد الرسول ابن العبد الصالح ، والإمام المصلح ، آية الله العظمى ، المرجع الديني الكبير ، الحاج ميرزا حسن الإحقاقي الحائري الأسكوئي ، ابن العلامة الكبير والمرجع الديني ، آية الله العظمى ، الحاج ميرزا موسى الإحقاقي الحائري الأسكوئي ، ابن فقيه عصره ، ووحيد دهره ، وسلمان زمانه ، الجامع للمعقول والمنقول ، والحاوي للفروع والأصول ، الحكيم الإلهي ، والمرجع الديني ، المولى الميرزا محمد باقر الأسكوئي ، ابن العالم العالم ، والفقيه الكامل ، المجاهد في سبيل الدين ، والمروج لأحكام سيد المرسلين ، والناشر لفضائل الأئمة المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، الأخوند محمد سليم الأسكوئي ، أعلى الله مقاماتهم .

عُرف علامتنا ، واشتهر باسم : عبد الرسول الحائري الإحقاقي الأسكوئي ، خادماً الشريعة الغراء ، وناشراً لفضائل الأئمة

الميامين الأطهار ، صلوات الله عليهم في الأدوار والأكوار .
وهكذا نرى أن سماحته تسلسل من والد ماجد ، وعم كبير ،
وأجداد سابقين ، كانت حياتهم مليئة بالفخر والشرف ، والعلم ،
ونخص بالذكر ، زعيم الأسرة الأكبر ، سماحة العالم العامل ،
المجاهد في سبيل الدين ، الأخوند محمد سليم الأسكوئي (قدس
سرّه) .

٢ - ولادته :

ولد ، حفظه المولى ، في (العشرين من مهر عام
١٣٠٧ هـ. ش / الموافق للثاني عشر من شهر تشرين الأول عام
١٩٢٨ م) ، في مدينة الكويت ، وسط أسرة تميزت بالعلم
والتقوى ، وولاية ومحبة أهل بيت العصمة (ع) ، واختار والده
اسمه (عبد الرسول) على أمل أن يكون مستقبلاً من خدّمة الدين
المقدس للرسول الأكرم (ص) .

● إلى (كربلاء) :

وحمله والده عبر طريق الخليج ، وشط العرب ، إلى كربلاء
المقدسة ، وهي محل التقاء أهل الولاية ، ولم يكن آنذاك ، قد
اجتاز العشرين يوماً من عمره ، فألفت مشامه وحواسه عطر التربة
الحسينية المقدسة ، وترعرع وجوده وكيانه في تلك التربة
الطاهرة ، إلى جانب ماء الفرات .

كان والده الجليل دائم السفر بسبب مهماته التبليغية الدينية ،
لذلك فإنّ والدته تكفلت بتربيته ، وأشبعته جسمه وروحه بحنانها
الداق ، وعطفها الزائد ، ولبن محبة أهل البيت (ع) وولايتهم ،

منذ لحظات حياته الأولى .

● إلى (أسكو) :

انتقل مع والده الجليل (عام ١٣١٢ هـ . ش / ١٩٣٣ م) إلى (أسكو) إحدى مناطق (آذربيجان) لأن والده كلف من قبل سماحة العلامة ميرزا محمد باقر المشهور بـ (ميرزا آغا) للتبليغ الديني في المنطقة المذكورة انطلاقاً من (أسكو) . وكان علامتنا في الخامسة من عمره ، وما أن بلغ السادسة ، حتى عين له والده ، السيد أحمد مدرس فسقنديسي ، ليعلمه القرآن الكريم ، وبعض المقدمات ، وقد وُفق العلامة ، وخلال عدة أشهر ، إلى تعلم قراءة القرآن الكريم ، ومعرفة جوانب من أصول الدين والمذهب ، والواجبات والمنهيات ، والضرورات من الشرع المطهر ، بفضل جهود ذلك الأستاذ الجليل ، رحمة الله عليه .

● الطفولة البريئة :

ولقد تميّز سماحة العلامة بحبه للأذان ، حيث كان يصدق فيه في الأوقات الشرعية المحددة . ومن ذكرياته الجميلة ، عن تلك الفترة التي كان يقيم فيها الأذان ، وعمره لم يكن يتجاوز السادسة ، أنه في إحدى المرات ، وعندما وصل إلى الشهادة الثانية ، وبدلاً من أن يقول : «أشهد أن محمداً رسول الله» ، قال : «أشهد أن محمداً كاظمُ الله» !

وبعد أن سمع والده الجليل هذه الفقرة ، خاطبه معترضاً ومستغرباً :

- لماذا تقيم الأذان اليوم بهذا الشكل ؟

ولماذا قلت (كاظمُ الله) بدلاً من أن تقول (رسولُ الله) ؟
فأجابه علامتنا - حفظه المولى :-

- أبي العزيز ! ليس من الإنصاف أن يرد إسمي (رسول) في الأذان دوماً ، فأردت هذه المرة أن أذكر اسم أخي (كاظم) .

لقد كان يرغب بتفكيره الطفولي البريء ، أن يشيع المساواة بينه وبين أخيه ، ويواسيه بهذا الشكل ، علماً أن أخاه العزيز الحاج أحمد ، كان يعرف بـ (كاظم) !!

● تلميذ في المدرسة :

إجتاز الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى في مدرسة (شابور) في (أسكو) ، مكان إقامة والديه . وبعد أن أنهى تلك الصفوف ، دخل في درس خاص آخر ، ومن نوع آخر ، تحت إشراف جدته لأمه ، وكانت سيدة جليلة عالمة ، حنونة ، مفكرة ، مثقفة ، ولها إلمام كامل وتام بقراءات القرآن الكريم ، وتفاسيره ، وآثار وأخبار أهل بيت سيد المرسلين (ص) . كما كانت تحفظ تفاصيل تاريخ الأنبياء الماضين . هذه السيدة كانت تستقبل علامتنا ، وتلقنه مختلف العلوم والمعارف ، بلغة فارسية فصيحة ، كما كانت تضمن أحاديثها تلك مبادئ الواجبات والمحرمات لأحكام الشريعة المقدسة ، مما ترك أثراً بالغاً في أسسه العقائدية ، وكانت توصيه دائماً بالحدز من الوعاظ المزيفين ، والمتلبسين برداء علماء الدين من العاطلين اللاهثين وراء الفتن والمصالح الشخصية البغيضة .

● إلى (كربلاء) :

في السنة العاشرة من عمره ، وفق برفقة والده وأفراد

الأسرة ، في السفر إلى كربلاء المقدسة في العراق ، حيث أقاموا عند جده الجليل سماحة آية الله الحاج ميرزا موسى ، وأنهى الصف الابتدائي الرابع في المدرسة (الحسينية الإيرانية) ، في كربلاء .

وكان بالإضافة إلى ملازمة دروسه والجد والإجتهاد فيها ، يقضي أوقات فراغه عند سماحة جده الأجد ، يحضر مجالسه المباركة ، حيث كان آنذاك مرجعاً وصاحب التقليد الواسع بين أبناء الشيعة من العرب والعجم ، وكان يحفظ الشيء الكثير من ينابيع حكمته وفضيلته .

● إلى (أسكو) :

وفي أوائل عام (١٣٢٠ هـ . ش / ١٩٤١ م) انتقل من كربلاء المقدسة إلى (أسكو) في إيران ثانية ، ولما كان في (گرگان) مع والده ، شهد هجوم الروس على إيران ، وذلك نهار الثالث من شهري ود عام (١٣٢٠ هـ . ش / ٢٥ آب ١٩٤١ م) ، حيث قصفت الطائرات الحربية مدينة (تبريز) ، وعدداً آخر من مدن (آذربيجان) ، واحتلت قواتهم جميع طرق المواصلات والقواعد العسكرية ، والمعسكرات في المنطقة ، مما أدى إلى قتل وإصابة العديد من أبناء البلد الأبرياء والمظلومين ، وذلك ترك أثراً عميقاً في أنفاس علامتنا الطيبة .

فعاد الجميع من (گرگان) عبر طرق ومسالك وعرة ، ومرحلة شاقة ، إلى (أسكو) وكان قد احتلها الروس ، ومارسوا فيها أبشع الجرائم ، وبالطبع كان يسمع علامتنا ببعضها ، كما كان يشهد فصول بعضها الآخر .

● إلى (مشهد) :

لم تستطع العائلة البقاء في هذا الجو الموبوء بالجرائم والأعمال الوحشية المختلفة في (أسكو) حيث أقاموا في زقاق (كُبندسبز) . وكانت بداية الحرب العالمية الثانية .

وفي تلك الأثناء اجتاز العلامة الصفيين الخامس والسادس الابتدائي ، بتفوق كبير في مدرسة (ابن يمين) الابتدائية ، في (مشهد) ، وكان يرغب كثيراً في دخول المرحلة الإعدادية الثانوية ، ويواصل تحصيله العلمي ، للوصول إلى الشهادات الجامعية .

● إلى (الكويت) :

ولكن في عام (١٣٢٢ هـ . ش / ١٩٤٣ م) ، أصراً ، جمع من الزائرين للمدينة المقدسة على والده الماجد ، أن ينتقل معهم إلى الكويت ، فلبى دعوتهم قبل افتتاح المدارس ، وتركت العائلة الطاهرة مجدداً مدينة (مشهد) المقدسة ، تحت ظروف قاهرة ، متجهين إلى الكويت .

استقبل العالم الكبير وعائلته المبجلة ، في الكويت ، استقبالاً حافلاً ، وراح يمارس والده مهماته التبليغية الدينية على أكمل وجه ، وبعد ذلك توجه إلى الحج برفقة مجموعة من الكويتيين والأحسائيين الذين دعوه إلى زيارة الأحساء ، بل الانتقال إليها ، والإقامة فيها رغبة منهم في الانتفاع بدعواته ، وتبليغاته ، وعلومه .

● إلى (الأحساء) :

وانتقلت العائلة مجدداً ، سالكين طريقاً صحراوية قاسية ،

حيث وصلوا إلى الأحساء ، فاستقبلتهم جموع المشتاقين والمحبين في بلدة (عين نجمة) ثم إلى (الهفوف) في منطقة (الهجر) إحدى المناطق الرئيسية الثلاثة في المملكة العربية السعودية . والجدير بالذكر أن (الهفوف) تجاور قرية (مطيرفي) مسقط رأس سماحة الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي - أعلى الله مقامه - .

وعلى الرغم من أن علامتنا كان آنذاك ، وفي تلك الفترة ، منشغلاً في دراسة المقدمات ، إلا أنه بسبب حبه وتعلقه بالموضوعات المرتبطة بأهل بيت العصمة (ع) ، ورغبته في كسب المعارف الدينية ، فقد دأب على حضور مجلس الدرس في الحوزة العلمية التي أنشأها والده في (الهفوف) ، والتي كانت تدرس السطوح ، والبحث الخارج في الفقه ، والأصول ، ونصوص الحكمة لآل محمد (ع) .

وعين والده الماجد - حفظه المولى - حضرة الشيخ الأجل أحمد أبي علي الأحسائي ، مدرساً لعلامتنا ، فانشغل بتحصيل العلوم الدينية ، والمعارف الإسلامية ، تحت إشراف هذا الأستاذ الجليل ، وأبرز تقدماً ملحوظاً في مراتب التحصيل العلمي ، بحيث لم تمض سوى فترة وجيزة على دراسته ، حتى اقترح أستاذه الجليل الأحسائي على سماحة والده الماجد ، أن يشرفه بزي علماء الدين .

● الشيخ عبد الرسول :

وفي ليلة الثالث من شعبان (عام ١٣٢٣ هـ . ش) ، ليلة ولادة خامس آل الكساء ، عليه آلاف التحية والثناء ، حيث كان أهالي الأحساء قد أقاموا في تلك الليلة حفلاً بالمناسبة السعيدة ،

حضره عدد كبير من العلماء ، والفضلاء ، وعموم الناس ، بادر سماحة والده الماجد ، وأمام تلك الجموع ، إلى تشریفه العلني بالزبي المقدس لعلماء الدين .

● إلى (الكويت) :

لبثت العائلة في بلدة الأحساء عاماً واحداً ، تعلم خلالها علامتنا وأخوته ، اللغة العربية الفصيحة ، وأتقنوها ، ثم بعد هذه السنة تركوا البلدة الطيبة ، متجهين إلى الكويت ، حيث أكمل تحصيله لعلوم المقدمات ، والصرف والنحو ، والمنطق .

● إلى (كربلاء) :

بعد مدة ليست طويلة ، عادت العائلة إلى بلدة كربلاء الطيبة ، وواصل علامتنا تحصيله العلمي هناك ، على يد والده الماجد ، وعلامة آخر هو الشيخ محمد علي الخراساني ، في (المدرسة الهندية) في كربلاء ، كذلك كان يدرس على يد السيد جعفر التبريزي في (مدرسة الترك) ، حيث انشغل بإكمال الدورة الأولى من مقدمات الأدب العربي ، مع طالب فاضل ، آخر ، هو الشيخ محمد جواد خسروشاهي .

● إلى (مشهد) :

بعد فترة من الإقامة في كربلاء المقدسة ، عزم سماحة والده الماجد ، على السفر إلى إيران مجدداً ، وإلى (مشهد المقدسة) بالتحديد ، وكان ذلك بالفعل ، حيث درس علامتنا في (مدرسة خيرات خان) عند العلامة الجليل أديب نيشابوري ، كتاب (مغني اللبيب) ، في علم النحو ، وكتاب (المطول) ، في علم المعاني

والبيان والبديع . وكذلك فقد درس في (مدرسة نواب) ، عند العلامة الكبير سماحة آية الله ميرزا جعفر زاهدي ، حيث درّسه (شرح المنظومة) ، للحاج ملا هادي سبزواري ، فضلاً عن دراسة علم المنطق والحكمة . كما درس تفسير القرآن الكريم عند المفسر القدير محيي الدين مهدي الهي قُمشه إي ، صاحب (خلاصة التفاسير) المعروف . وكذلك درس علم العرفان عند الخطيب ، والعارف الفريد ، كمالی سبزواري ، ودرس الأصول ، والفقه ، وحكمة أهل البيت (ع) مجدداً ، عند سماحة والده الماجد .

وفي تلك الأثناء ، أثمرت دراسته تلك عن كتاب صنفه وطبع مستقلاً باللغة الفارسية ، ووزع في أنحاء إيران بعنوان (نامه شيعيان / رسالة الشيعة) ، وأعيد طبعه ثلاث مرات ، ثم ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ، كما أنه طبع طباعة فاخرة في (أمريكا) ، كما أنه عُرب وطبع في بيروت ، ووزع بإسم (رسالة الإيمان) ، ويعتقد أنه طبع أيضاً باللغة الأردية في (باكستان) .

● إلى (تبريز) :

بعد مرور عامين على إقامة علامتنا مع عائلته في مدينة (مشهد المقدسة) ، وحضوره الدائم في مجالسها وحوزاتها العلمية ، واستفادته من دروس العلماء الأعلام ، والأساتذة الأجلاء ، أصر أعيان (تبريز) على عودة والده الماجد معهم ، من أجل إحياء مسجد (جهل سُتون حجة الإسلام) ، الذي كان قد أُغلق من فترة ، والعمل على تنشيط مدرسة (صاحب الأمر العلمية) التي كادت أن تفرغ من الطلاب ، إضافة إلى معالجة المشاكل

العلمية والدينية التي كانت تواجه الناس هناك .

وصل الوالد مع العائلة المباركة إلى مدينة (تبريز) ، وتسلم رعاية مسجد (جهل سُتون حجة الإسلام) ، وهو أكبر مسجد في المدينة ، وقد شرح علامتنا قصة المسجد المذكور في مقدمة كتاب (صحيفة الأبرار) للمرحوم محمد تقي حجة الإسلام المتخلص بـ (نير) .

رُفِّمَت مدرسة (صاحب الأمر عليه السلام) بمساعدة بعض القادرين من الفضلاء الأخيار ، وفتحت أبوابها لاستقبال الطلبة من جديد ، وكلف سماحة العلامة المعظم ميرزا حسن الإحقاقي ولده علامتنا ، بمهمة إدارة المدرسة ، والإشراف عليها ، فانشغل في تدريس وإعداد ذلك الشباب المؤمن ، طبقاً لنظام ومخطط علمي مدروس ، وفي الوقت نفسه واصل دراسته العلمية :

٣ - دراسته :

● تابع دراسة علم المعاني ، والبيان ، والبديع ، في (المطول) ، على يد الشيخ علي أكبر النحوي التبريزي .

● كما أنه أنهى دراسة علم التفسير ، وكتاب (شرح الفوائد) ، و (شرح الزيارة الجامعة) للأحسائي .

● ودورة كاملة في الفقه والأصول لدى المحضر المبارك لوالده الماجد .

● ودرس كتاب (معالم الأصول) ، و (شرح اللمعة الدمشقية) ، في محضر سماحة آية الله ثقة الإسلام .

● أتم دراسة كتاب (مغني اللبيب) ، و (شرح منظومة

السبزواري) ، في محضر سماحة العالم الرباني ميرزا محمد جواد عميد الإسلام .

● ودرس كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري ، في محضر سماحة آية الله السيد مهدي آنكجي ، وسماحة آية الله ميرزا عبدالله مجتهدي سرايي .

● ودرس كتاب (شرح منظومة السبزواري) مرة أخرى ، و(رسائل الشيخ الأنصاري) ، وقسماً من البحث الخارج في (العروة الوثقى) للسيد كاظم يزدي (قدس سره) ، و(جامع المعقول والمنقول) في محضر العلامة السيد مرتضى المستنبت الغروي .

● ودرس كتاب (قوانين الأصول) ، و(شرح الباب الحادي عشر) ، في محضر سماحة الشيخ ميرزا جعفر شيخ الأئمة .

● ودرس كتاب (الأسفار الأربعة) لملاً صدرا ، والبحث الخارج في (تبصرة العلامة) ، في محضر سماحة السيد إبراهيم العلوي الخوئي .

● ودرس كتاب (كفاية الأصول) للأخوند الخراساني ، في محضر سماحة السيد مرتضى المستنبت الغروي .

● وكان يحضر في الحوزة العلمية ، لسماحة الحاج ميرزا فتاح شهيدي ، وسماحة العلامة ميرزا زنوزي ، للإستفادة من درس البحث الخارج في أصول الفقه .

ومن الجدير بالذكر أن الأساتذة الكبار الذين نال شرف التلمذ على أيديهم ، كانوا من العلماء الذين درس معهم في

(النجف الأشرف) ، وفي (قم) ، حيث سبقوه في التحصيل العلمي ، كما أن الدروس التي كان يتلقاها منهم ، كان يعيد تدريسها لأعداد كبيرة من طلبة العلوم الدينية في مدرسة (صاحب الأمر عليه السلام) ، ومسجد (حجة الإسلام) في مدينة (تبريز) .

● وخلال (٤٥ يوماً) راجع الجبر ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والتاريخ ، والجغرافيا ، واللغة الفارسية ، واللغة الأجنبية ، وباقي الدروس . . . واشترك مع جمع آخر من المتقدمين للإمتحان النهائي ، وكان من عداد المتفوقين الممتازين ، المتميزين في إنهاء الامتحانات النهائية بنجاح ، وكان يستغرق ما درسه في تلك المدة القصيرة جداً ، ثلاث سنوات !!

● بعد هذه الظاهرة تسجل في (مركز آذار الثقافي) ، وهو مؤسسة علمية متخصصة ، وكان يحضر في المساء دروس الصنفين العاشر والحادي عشر من المرحلة الثانوية حيث أنها ما بنجاح تام ، ولم يترك خلال دراسته الحديثة تلك ، مهماته الأخرى التي ألقى على عاتقه ، فراح يبلغ مهماته الدينية في (تبريز) ، و(أسكو) ، و(ميلان) ، و(خسروشاه) ، و(فسقنديس) ، و(خسرق) ، و(باويل) ، و(گوگان) ، و(دستجرد) ، و(فيروز سالار) ، و(ديزج) ، و(شيرامين) ، و(كجاباد) ، وغيرها .

● زواجه :

● وفي عام (١٣٢٩ هـ . ش / ١٩٥٠ م) ، وباقتراح من والديه المحترمين ، اقترن بامرأة صالحة تنتسب إلى أحد أخيار وسادات تلك الديار ، وهي ابنة السيد آقا فرقاني أسكوئي ، من

لسادة الأجلء الأسكوٲيين .

● إلى (العراق) :

● وفي عام (١٣٣١ هـ . ش / ١٩٥٢ م) تحرك برفقة والدته المرحومة ، من (تبريز) نحو العراق ، لزيارة كربلاء المقدسة ، وباقي العتبات المشرفة هناك ، وقد مكث حوالي خمسة عشر يوماً في (طهران) ، لإعداد بعض مقدمات الرحلة ، فعلم أن امتحانات الدخول إلى (كلية علوم المعقول والمنقول) في (جامعة طهران) ستقام بعد عدة أيام ، فاشترك في تلك الامتحانات ، وغادر إلى كربلاء المقدسة .

وأثناء إقامته القصيرة في كربلاء المقدسة ، بقصد الزيارة ، أجازة عمه سماحة آية الله ميرزا علي آقا الحائري الإحقاقي ، أعلى الله مقامه ، بإجازة الإجتهد ، والدخول في سلسلة رواة أحاديث أهل البيت الأمجاد ، عن طريقه ، وذلك بعد أن امتحنه في علوم الأصول ، والفقه ، والحكمة الإلهية ، وباقي المعارف الإسلامية ، والمصادر الدينية ، والمذهبية .

● إلى (إيران) :

وبعد المكوث القليل نسبياً في كربلاء المقدسة ، والإستفادة من مجالس وأحاديث عمه الجليل ، ومجالس درس البحث الخارج للمرحوم السيد عبد الهادي الميلاني ، عاد ثانية إلى (إيران) ، وما أن وصل إلى (طهران) حتى أخبره ابن عمه السيد رائد بالبشرى ، وهي قبوله بدرجة (ممتاز) في (كلية علوم المعقول والمنقول) ، وسجل في تلك الكلية .

● أمضى العلامة ميرزا عبد الرسول الإحقاقي ، مدة ستة أعوام متنقلاً بين (طهران) ، و(تبريز) ، حتى تمكن من إنهاء المرحلة الجامعية ، ونال الشهادات العلمية في الوعظ ، والتبليغ الإسلامي ، واللغة والأدب العربي ، والعلوم القضائية ، وعلم النفس ، وتفسير القرآن الكريم ، والطبقات الكبرى من علم الحديث ، والمعقول والمنقول ، على يد علماء ومفكرين كبار في إيران آنذاك ، أمثال : العالم والمفسر حسين علي راشد ، وسماحة العلامة الشيخ مرتضى الحائري ، ونجله المرجع الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي ، وسماحة آية الله حليم شيرازي ، وسماحة آية الله ميرزا يحيى نصيري نوري ، والعالم الجليل الشيخ محمد عبده ، والأستاذ القدير بديع الزمان نروزانفر ، ومدون الحقوق المدنية في إيران المرحوم صدر الأشراف ، والدكتور ناظر زاده كرمانى ، والدكتور مهدي حميدي ، والدكتور ناصر الدين صاحب زمانى ، والدكتور أمير حسين آريانبور ، والدكتور شهريار باكستاني ، والدكتور محمود شهابي ، والدكتور محمود نجم آبادي ، ومير جلال الدين حسيني محدث أرموي ، والدكتور مهدي جلالى ، والدكتور عبد الحميد بديع الزمان ، والدكتور عبد الحسين زرین كوب ، والدكتور فرديد ، والسيد محمد باقر سبزواري ، والدكتور گونيلي ، والدكتور إسلامي ، وغيرهم . . .

٤ - إجازاته :

وهكذا بعد تتلمذه على كبار العلماء ، حصل على الإجازات الشاهدة بفضله ، وعلمه ، وبلوغه مرحلة استنباط الأحكام الشرعية ، من أدلتها التفصيلية ، فأجازه كل من العلماء :

(أ) سماحة الإمام المصلح المرجع المعظم الحاج ميرزا حسن الحائري الإحقاقي .

(ب) سماحة آية الله المعظم الحاج ميرزا علي الحائري الإحقاقي .

(ج) سماحة آية الله المعظم الحاج ميرزا فتح الله ثقة الإسلام .

(د) سماحة آية الله المعظم الحاج زين الدين جعفر الزاهدي .

(هـ) «سماحة آية الله المعظم الحاج السيد إبراهيم علوي الخوئي .

(و) سماحة آية الله المعظم الحاج ميرزا عبد الله ثقة الإسلام .

(ز) سماحة آية الله المعظم الحاج السيد مرتضى المستنبط .

(ح) سماحة آية الله المعظم الحاج ميرزا خليل كمرهئي .

٥ - نشاطاته العامة :-

وفي عام (١٣٤٠ هـ . ش / ١٩٦١ م) غادر والده الماجد مدينة (تبريز) بشكل نهائي إلى الكويت ، وفوض علامتنا المؤلف ، إدارة أمور تلك المنطقة الواسعة ، وحمّله عبء مسؤوليتها طوال أربعين عاماً ، فاستطاع تأدية الكثير من المهمات ، والقيام بالكثير من الأعمال ، أهمها :

١ - تأسيس مجلس تفسير القرآن الكريم ، ونشر فضائل وآثار آل محمد (ع) ، وكان هذا المجلس يعقد مرة واحدة في الأسبوع (عصر يوم الجمعة) وبدأ العمل بهذا المجلس منذ عام (١٣٢٤ هـ . ش / ١٩٤٥ م) .

٢ - تأسيس مجلس درس حكمة آل محمد (ص) ، وكان يقام صباح كل يوم جمعة في مسجد (حجة الإسلام) المبارك في مركز مدينة (تبريز) .

٣ - تأسيس مجلس تفسير القرآن الكريم ، ونشر أحكام وفضائل أهل بيت النبوة ، وكان خاصاً بسيدات (تبريز) ، وكان يعقد في عصر يوم الخميس .

٤ - تأسيس مجلس تفسير القرآن ، ويختص بنساء مدينة (أسكو) ، ويقام عصر يوم الأربعاء في (مسجد حاج قربان) في مدينة (أسكو) .

٥ - تأسيس مجلس تفسير القرآن الكريم ، ونشر أحكام وفضائل أهل بيت النبوة (ع) ، وكان يقام في ليلة الخميس من كل أسبوع .

٦ - درس خاص لقراءة وتجويد وحفظ وتفسير القرآن الكريم ، وشرح المسائل الفقهية ، ويقام صباح يوم الجمعة من كل أسبوع (قبل تشكيل مجلس الدرس في مسجد حجة الإسلام) وكان يقام في منزله - حفظه المولى - ويشارك فيه عدد من سيدات (تبريز) .

٧ - تأسيس مجلس متنقل لقراءة وتفسير القرآن الكريم ،

ونشر أحكام ومناقب أهل بيت العصمة (ع) ، ويقام ليلة الإثنين في المناطق المختلفة في ضواحي (تبريز) ، والقرى المحيطة .

٨- برنامج خاص لعلماء وفضلاء الحوزة العلمية ، ومدرسة (صاحب الأمر) المباركة ، وكان هذا البرنامج ينفذ مرة في كل شهر ، ويقام في إحدى القرى المحيطة بمدينة (تبريز) ، ويشارك فيه جمع من علماء ، وخطباء ، وفضلاء الحوزة العلمية .

٩- البرامج الدينية الواسعة التي كانت تقام في شهر رمضان المبارك في مدينة (تبريز) وضواحيها .

١٠- البرامج الواسعة والعظيمة التي كانت تقام خلال أيام شهر محرم الحرام ، وتستمر حتى اليوم الثاني عشر منه ، وتقام يوماً عند العصر في مسجد (جهل ستون حجة الإسلام) ، في مدينة (تبريز) .

١١- إقامة مراسم صلاة الجماعة في مسجد (جهل ستون حجة الإسلام) ، وكانت هذه المراسم تقام يومياً بإمامته - حفظه المولى - في أوقات الفرائض .

١٢- تدريس طلاب العلوم الدينية في مدرسة (صاحب الأمر) المباركة ، ودروس الأدب العربي ، وعلوم : الأصول ، والفقه ، والمنطق ، والتفسير ، والحكمة ، وغيرها . . . وكانت هذه الدروس تقام يومياً من الصباح وحتى الظهر .

١٣- دروس بحث الخارج في الفقه والأصول التي كان يعطيها بين أعوام (١٣٥٥ - ١٣٥٧ هـ . ش / ١٩٧٦-١٩٧٨ م) في مسجد (حجة الإسلام) العظيم .

● نشاطاته الثقافية :

أنشأ مؤسسة باسم (مكتب شيعيان تبريز) ، وكان يتعهد بالإجابة على المسائل الشرعية للناس ، وتأليف ، وطبع ، ونشر الكتب الدينية المختلفة ، والرسائل الدينية والمذهبية ، وقد صدر عن المؤسسة تلك :

١ - طبع الرسالة العملية المباركة (منهاج الشيعة) : تأليف سماحة عمه الجليل الحاج ميرزا علي آقا الإحقاقي الحائري الأسكوئي - أعلى الله مقامه - .

٢ - طبع ونشر كتاب (نامه شيعيان / رسالة الشيعة) ، وهي رسالة استدلالية : تأليف سماحة والده الماجد الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن آقا الإحقاقي الحائري الأسكوئي - حفظه المولى - وأعيد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات .

٣ - طبع ونشر (شرح منظومة القدوسي) : تأليف العالم مير فتح قدوسي تبريزي .

٤ - الرسالة الحجتية : تأليف العلامة ميرزا محمد حسين حجة الإسلام ، وألفها تلبية لطلب أهالي وشيعة (القفقاز) ، وجواباً على مسائلهم .

٥ - حقائق الشيعة : من تأليف علامتنا آية الله ميرزا عبد الرسول الإحقاقي الحائري الأسكوئي - حفظه المولى - .

٦ - كتاب نداء الشيعة ، في رجحان ذكر الشهادة الثالثة : من تأليف علامتنا .

٧ - كتاب برهان الشيعة : تأليف الحاج ميرزا غلام حسين

معتمد الإسلام (ره) .

٨ - إعادة طبع الرسالة المباركة (منهاج الشيعة) .

٩ - كتاب عِلْمُ الْمُحِجَّةِ : تأليف ميرزا محمد حسين حجة الإسلام ، وطبع ونشر بناء على طلب المرحوم ناصر الدين شاه القاجاري .

١٠ - رسالة الحكمة البالغة : تأليف علامتنا .

١١ - رسالة توضيح الواضحات : وهي أيضاً من تأليف علامتنا .

١٢ - رسالة كلمة من ألف : تأليف ميرزا غلام حسين معتمد الإسلام .

١٣ - إعادة طبع ، ونشر كتاب (كلمة من ألف) : تأليف حجة الإسلام ميرزا غلام حسين معتمد الإسلام ، رحمة الله عليه .

١٤ - طبع ونشر كتاب (نهج المحجة في إثبات إمامة الأئمة الإثني عشر (ع) : تأليف الشيخ علي نقى . والمجلد الثاني باللغة العربية ، ويذكر أن المجلد الأول طبع في كربلاء المقدسة .

١٥ - طبع ونشر كتاب (منهاج السالكين) : تأليف الشيخ علي نقى ، باللغة العربية .

١٦ - شرح حياة الأرواح : تأليف ميرزا حسن الشهير بـ (گوهر) ، باللغة العربية .

- ١٧ - طبع ونشر الرسالة المباركة (خير المنهج إلى مناسك الحج) : تأليف عمه الجليل ميرزا علي آقا الإحقاقي الحائري الأسكوئي .
- ١٨ - إعادة طبع ونشر كتاب (صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار) : تأليف ميرزا محمد تقي حجة الإسلام ، المتخلص بـ (نير) ، باللغة العربية .
- ١٩ - طبع ، ونشر كتاب (الإثنا عشريات) : تأليف العلامة بحر العلوم ، وترجمه إلى الفارسية السيد زين العابدين بن يوسف الحسيني الأسكوئي .
- ٢٠ - مقدمة كتاب (صحيفة الأبرار) ، وشرح حياة أسرة (حجة الإسلام) الجليلة : تأليف علامتنا ، وطبعت ونشرت مع ذلك الكتاب باللغة العربية .
- ٢١ - إعادة طبع وكتابة الهوامش والمقدمة لديوان أشعار سماحة العلامة ميرزا محمد تقي حجة الإسلام : تأليف علامتنا .
- ٢٢ - مقدمة لديوان أشعار سماحة العلامة محمد تقي حجة الإسلام .
- ٢٣ - إعادة طبع ، ونشر ديوان أشعار سماحة العلامة ميرزا محمد تقي حجة الإسلام ، مع مقدمة وهوامش بقلم علامتنا .
- ٢٤ - إعادة طبع ونشر ديوان أشعار العلامة ميرزا محمد تقي حجة الإسلام ، مع مقدمة وهوامش بقلم علامتنا .
- ٢٥ - المجلد الأول من كتاب (ولاية أزيدگاه قرآن/ بحث حول الولاية من وحي القرآن) : تأليف علامتنا .

- ٢٦ - المجلد الثاني من كتاب (بحث حول الولاية من وحي القرآن) : تأليف علامتنا .
- ٢٧ - إعادة طبع المجلد الأول من كتاب (بحث حول الولاية من وحي القرآن) : تأليف علامتنا .
- ٢٨ - إعادة طبع المجلد الثاني من كتاب (بحث حول الولاية من وحي القرآن) .
- ٢٩ - كتاب (أحكام الشيعة) ، المجلد الأول والثاني والثالث .
- ٣٠ - رسالة (دليل أعمال الحج) : تأليف علامتنا .
- ٣١ - الطبعة الثانية من رسالة (دليل أعمال الحج) .
- ٣٢ - رسالة (كشف سفينة نوح في جبال أرارات) : تأليف علامتنا .
- ٣٣ - طبع ونشر كتاب (رسالة الإنسانية) : تأليف سماحة الإمام المصلح والد علامتنا - حفظهما المولى تعالى - (المجلد الأول) .
- ٣٤ - طبع ونشر (المجلد الثاني) من كتاب (رسالة الإنسانية) .
- ٣٥ - الطبعة الثانية من (المجلد الأول) لكتاب (رسالة الإنسانية) .
- ٣٦ - ترجمة ، وطبع ، ونشر (المجلد الأول) من (أحكام الشيعة) ، باللغة العربية .

٣٧ - ترجمة وطبع ، ونشر (المجلد الثاني) من (أحكام الشيعة) ، باللغة العربية .

٣٨ - إعادة طبع ، ونشر (توضيح الواضحات) : تأليف علامتنا .

٣٩ - طبع ، ونشر المجلدين الأول والثاني من (أحكام الشيعة) .

٦ - مؤلفاته :

له مؤلفات ورسائل عديدة ، والمطبوع منها :

١ - رسالة (دليل أعمال الحج) .

٢ - رسالة (كشف سفينة نوح (ع) في جبال أراارات .

٣ - حقائق الشيعة .

٤ - نداء الشيعة .

٥ - رسالة الحكمة البالغة .

٦ - توضيح الواضحات .

٧ - مقدمة كتاب (صحيفة الأبرار) .

٨ - مقدمة وهوامش ديوان أشعار ميرزا محمد تقي حجة

الإسلام .

٩ - بحث حول الولاية من وحي القرآن (الولاية) .

١٠ - أحكام الشيعة .

تنبیه هام

الجدير بالذكر أنه بعد وفاة سماحة عمه الجليل الحاج ميرزا علي الحائري الإحقاقي الأسكوئي (أعلى الله مقامه) ، تحول الناس إلى تقليد والد علامتنا سماحة المرجع المعظم الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن الحائري الإحقاقي الأسكوئي ، دام ظله ، الذي لم يكن قد ألف رسالته العملية بعد ، وبناء على طلبات الناس إليه ، وإلحاحهم عليه ، ولكون سماحته مشغولاً بإدارة شؤون الناس الدينية ، وبالأخص مسألة الإصلاحات العامة في الشؤون الإجتماعية ، فقد كُلف علامتنا من قبل والده المعظم ، أن يدون كتاباً في المسائل والأحكام الفقهية ، بالاستفادة والإستنباط من مصادر الكتب الإمامية ، لكي يقوم سماحة الإمام المصلح بمطالعتة ، بعد الإنتهاء منه ، ومن ثم تهميشه ، وإضافة ما يرتثيه طبقاً لفتاواه ، وبالتالي وضعه تحت تصرف ومتناول المقلدين والمحبين .

ولذلك فقد أُلّف علامتنا حفظه المولى كتاب (أحكام الشيعة) ، ويتضمن دورة كاملة في الفقه ، وبإذن من والده سماحة المرجع المعظم ، الإمام المصلح ، وبعد تطابق مسائل الكتاب مع فتاوى سماحته ، تمّ ولأول مرة طبعه في (تبريز) باللغة الفارسية ، ومن ثم طبع ، ونشر باللغة العربية في (الكويت) ، واللغة الأردية في (باكستان) .

● مؤلفاته المخطوطة :

- ١ - الدر الفريد في علم التجويد .
 - ٢ - الأدب العربي (الجملة ، وأقسامها ، وأحكامها) .
 - ٣ - شرح وتفسير آية الوصية المباركة .
 - ٤ - شرح (الزيارة الجامعة الكبيرة) بـ (الفارسية) .
 - ٥ - تفسير سورتي الحمد والإخلاص .
 - ٦ - حكمة أهل البيت (ع) .
 - ٧ - ألف موضوع وموضوع .
 - ٨ - ترجمة كتاب (الدين بين السائل والمجيب) .
 - ٩ - كتاب (قرنان من الإجتهد والمرجعية) .
 - ١٠ - ديوان شعر .
- ولعلامتنا الكثير من المقالات التي كتبها حول مختلف المواضيع الدينية والأخلاقية ، والإجتماعية^(١) .

(١) إن المعلومات التي أدرجناها حول هذه الترجمة الشخصية لعلامتنا المؤلف ، حفظه المولى ، قد استلنا مضمينها من كتاب لسماحته بعنوان (قرنان من المرجعية) معرباً عن الفارسية ، وهو قيد الطبع .

يقول سماحة المؤلف نفسه - حفظه المولى تعالى - :

«... ومن الأعمال الأخرى التي أنجزتها في طريق خدمة الوجود المبارك لولي العصر - أرواحنا فداه - وتشيداً لمقام العلم ، وتسهيلاً لشؤون طلبة ومحصلي العلوم الدينية : تأسيس مدرسة (حجة الإسلام العلمية) المباركة إلى جوار مسجد (جهل ستون حجة الإسلام) ، حيث شيدت هذه المدرسة من الأساس ، لأنها لم تكن موجودة سابقاً ، وبعد الإنتهاء من بنائها ، سكن في حجراتها عدد من طلاب ومحصلي العلوم الدينية المحترمين ، وراحوا ينهلون من ينابيع المعارف الإسلامية فيها .

«وكان البعض من الأحبة يصرون على تسمية المدرسة باسم (مدرسة الإحقاقي العلمية) ، إلا أنني بالرغم من كوني شيدتها بنفسني ، واحتراماً للمقام الشامخ لأسرة (حجة الإسلام) المعظمة التي أكن لها كل الإحترام والتقدير ، أقدمت على تسميتها باسم هذه الأسرة الخيرة والبارة (مدرسة حجة الإسلام العلمية) .

«وسأشير أدناه إلى أسماء عدد من العلماء والفضلاء الذين حضروا في درس سماحة الوالد الماجد ، وكذلك في درسي ، في مدرسة (صاحب الأمر عليه السلام) العلمية ، ومدرسة (حجة الإسلام العلمية) ، والذين أصبحوا على الأغلب اليوم من العلماء البارزين ، والمبّلّغين المتمكنين في خدمة الدين الإسلامي المقدس ، ومذهب الإمامية الإثنا عشرية الحقّ ، ونشر فضائل ومناقب أهل بيت العصمة ، عليهم السلام وأحكامهم وآثارهم المباركة .

«ولكي لا أقع في تكرار المكررات ، لذا سأمتنع عن ذكر ألقابهم العلمية مثل حجة الإسلام ، والعلامة ، وغيرها ، قبل أسمائهم ، وسأورد أسماء هؤلاء الأعمام بشكل مجرد من أي لقب ، رغم أنهم على الأغلب يستحقون مثل هذه الألقاب ، بل وأكثر منها . . .

«أما أسماء عدد من هؤلاء العلماء الكبار الذين يمثلون ثمرة أتعاب سماحة الوالد الماجد - روعي فداه - وجهودي أيضاً ، التي استمرت أربعين عاماً ، والذين هم مصدر فخرنا وافتخارنا ، وذخيرة أيام حياتنا ، وبعد وفاتنا ، فهي بالشكل الآتي :

أصحاب السماحة حجج الإسلام :

- ١ - الحاج ميرزا غلام حسين من ألف) ، في الرد على كتيب معتمد الإسلام كندجاني ، (عملاء الإستعمار) .
- ٢ - الحاج ميرزا علي مثل (برهان الشيعة) ، و(كلمة كجابادي .

- ۳- الحاج ميرزا علي إلهي كجابادي .
- ۴- الحاج ميرزا علي كمالی دستجردي .
- ۵- الحاج ميرزا إسماعيل آقابیگی دستجردي .
- ۶- ميرزا عبد القدیر آقابیگی دستجردي .
- ۷- ميرزا جعفر حقيقي دستجردي .
- ۸- الحاج مصطفى داداشي دستجردي .
- ۹- الحاج حيدر منافي گوگاني .
- ۱۰- الحاج ميرزا محمود طلوعي گوگاني .
- ۱۱- الشيخ عباس علي مسلمي گوگاني .
- ۱۲- الحاج ميرزا غلام علي قربان پور فيروز سالاري .
- ۱۳- رضا قُلي عيوضي فيروز سالاري .
- ۱۴- الحاج ميرزا أيوب آقا محمدي أمقاني .
- ۱۵- الحاج ميرزا محمد أمقاني .
- ۱۶- ميرزا محمد محمدي أمقاني .
- ۱۷- الحاج علي أكبر طريقت أسكوئي .
- ۱۸- الحاج سيد علي صميمي أسكوئي .
- ۱۹- سيد أحمد توحيدى أسكوئي .
- ۲۰- الدكتور محسن خليجي أسكوئي .
- ۲۱- الدكتور المهندس بهروز صالح پور أسكوئي .
- ۲۲- الدكتور محمد آبادي باويلي .
- ۲۳- محمد عابدي ميلاني .
- ۲۴- الحاج مير يوسف علوي ميلاني .
- ۲۵- كريم صابري خسروشاهي .
- ۲۶- الحاج ميرزا محمد عيدي خسروشاهي .
- ۲۷- الحاج عزت الله

أوحدي ممقاني .

۲۸ - الحاج ميرزا محمود

فاضل شيراميني .

۲۹ - ميرزا عباس نجيبى

خسرقى .

۳۰ - الحاج ميرزا عباد الله

زاله اى ايرانقى .

۳۱ - مشهدى ملا علي

ايرانقى .

۳۲ - ميرزا نوروز علي

ايرانقى .

۳۳ - الحاج ميرزا عباس

مولائى ايرانقى .

۳۴ - ميرزا محبوب بابائى

ايرانقى .

۳۵ - ميرزا حبيب غلامى

ايرانقى .

۳۶ - ميرزا إبراهيم نجيب

ايرانقى .

۳۷ - الحاج ميرزا علي

أصغر أبهرى ايرانقى .

۳۸ - ميرزا علي مباركى

بارنجى .

۳۹ - الحاج ميرزا حسين

واعظى بارنجى .

۴۰ - ميرزا حسن إسحقى

كجابادى .

۴۱ - الحاج ميرزا علي

أصغر اعتمادى كجابادى .

۴۲ - ميرزا علي أكبر

اعتمادى كجابادى .

۴۳ - ميرزا محمد نقشى

كجابادى .

۴۴ - الحاج إبراهيم حسنى

إسگندانى .

۴۵ - الحاج ميرزا أحمد أسد

اللّهى اسفنجانى .

۴۶ - ميرزا محمد أمينى

خسرقى .

۴۷ - سيد مصطفى حائرى

اسكوئى .

۴۸ - مير يعقوب سيد زاده

خسروشاهى .

۴۹ - ميرزا محمد اژدرى

اهرى .

۵۰ - مشهدى مير حسين

موسوى گوگانى .

۵۱ - الحاج مير علي أصغر

- موسوي گوگاني . ۶۲ - الحاج سيد محمد
 موسوي تبريزي . ۵۲ - سيد جواد موسوي
 گوگاني . ۶۳ - ميرزا مهدي فرشلاف
 خسروشاهي . ۵۳ - الحاج مير عبد الله
 موسوي گوگاني . ۶۴ - الحاج ميرزا علي
 اشرف مددي كجابادي . ۵۴ - محمد حسن علي زاده
 گوگاني . ۶۵ - ميرزا علي نقوي
 رواينخش گوگاني . ۵۵ - مير علي اصغر فرقاني
 گوگاني . ۶۶ - الحاج ميرزا احمد
 احقائي . ۵۶ - مير علي اصغر حسيني
 اسگنداني . ۶۷ - الحاج ميرزا احمد
 مشتاقوي خسروي . ۵۷ - الحاج ميرزا غلام
 صادق امقاني . ۶۸ - مير محمود حسيني
 اسكوئي . ۵۸ - اصغر عبد اللهي
 خسروي . ۶۹ - الحاج ميرزا مختار
 بكائي اسكوئي . ۵۹ - ميرزا حسن ذاكر
 خسروي . ۷۰ - ميرزا عبد الحسين
 حجابي خسروي . ۶۰ - الحاج سيد محمد
 عماد الإسلام اسكوئي . ۷۱ - الحاج محمد تقوي
 صابري خسروشاهي . الباقيين .

«ويذكر أن عدداً من هؤلاء الفضلاء الذين ذكروا أعلاه ،

أدركوا مجلس درس سماحة الوالد الماجد - روجي فداه - مجدد (مدرسة صاحب الأمر (ع) العلمية) في (تبريز) ، ومؤسس الحوزة العلمية لدراسة العلوم الدينية لتلك المدرسة المباركة . كما أن البعض من المذكورين أعلاه نالوا ، والله الحمد ، المقامات العالية في العلم والتقوى ، وكل منهم يُدير في محل إقامته مجالس تفسير القرآن الكريم ، ونشر فضائل وآثار أهل بيت العصمة - عليهم السلام - فضلاً عن اعتلائهم المنبر ، وإمامة المصلّين في محراب الصلاة والجماعة .. والبعض الآخر منهم سلكوا طريق الجامعة ، وتقلّدوا مناصب جامعية عالية كرئاسة الجامعة ، أو عمادة الكلية ، أو معاون العمادة ، أو أستاذ في الجامعة ، وفي ذات الوقت لم ينسوا واجبهم في خدمة مدرسة أهل بيت النبوة ، عليهم السلام .

«والبعض الآخر سلكوا سبيل الكسب الحُر ، والزراعة ، غير متناسين واجبهم لخدمة الدين المقدس ، وإرشاد الناس ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ونشر فضائل وآثار أهل بيت العصمة ، عليهم السلام ، وفقهم الله لمرضاته ، بحق محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وصلوات الله عليهم أجمعين .

«في ختام بحثي هذا رأيت . . . إنه ليس من العدل أن لا أذكر هنا أسماء ثلاثة من العلماء العاملين ، والأتقياء البارعين ، والمبْلِغين المخلصين ، وهم : الحاج السيد آقاموسوي گوگاني ، والحاج ميرزا محمد حسين علمي كجابادي ، والحاج ميرزا محمد علي معتمد الإسلام كندجاني ، رحمة الله عليهم .. حيث كان لكل من هؤلاء العظام خدمات تبليغية ودينية كبيرة ، في المحيط الذي نشط فيه ، وكانوا كالمصابيح المنيرة للمؤمنين ، وقادة أمناء

لهم ، فضلاً عن أنهم كانوا ممثلين ووكلاء لسماحة الوالد الماجد
- زوحي فداه - .

«ومن الواجبات والمهام الخطيرة والمهمة ، التي اضطلعت
بها ، هي مسؤولية دعوة المبلّغين ، والخطباء ، وأئمة الجماعة إلى
المناطق المحيطة بمدينة (تبريز) ، وضواحيها العديدة ، خلال
الشهور المباركة ، والمناسبات الدينية السنوية ، مثل أشهر محرم
الحرام ، وصفر المظفر ، ورمضان المبارك ، وغيرها ، تلبية
لطلبات سكان هذه المناطق ، وإصرارهم ليكسبوا فضلاً أكبر من
الشعائر الإلهية ، والأعمال الدينية ، والإستماع إلى أحاديث وآثار
وفضائل المعصومين ، عليهم السلام ، فضلاً عن إقامة صلوات
الجماعة .

«وكنت أسعى في أداء هذا الواجب العظيم بشكل جاد ،
وأجهد نفسي لاختيار أفراد صالحين ، وأمناء وعدلاء من العلماء
العاملين ، والموثقين لهذه المهام العظيمة ، وإرسالهم إلى هذه
المناطق للتبليغ الإسلامي . .

«وفي الواقع إن أداء هذا العمل ، وقبول هذه المسؤولية
العظيمة ، كان عبئاً كبيراً وثقيلاً على كاهلي الضعيف ، من الناحية
الروحية والمعنوية والضمير ، وكنت دوماً في مثل هذه الأمور أتوكل
على الله الكريم ، وأتوسل بالمعصومين ، عليهم السلام ، والحمد
لله فقد كنت موفقاً دائماً بفضل هذا التوكل والتوسل .

«وفي عام (١٣٥٥ هـ . ش الموافق لعام ١٣٩٧ هـ . ق
١٩٧٦ م) ، وتلبية لطلب مجموعة من فضلاء وطلاب المدرسة
الطالبة ، وباقي المدارس العلمية ، في مدينة (تبريز) ، أقدمت

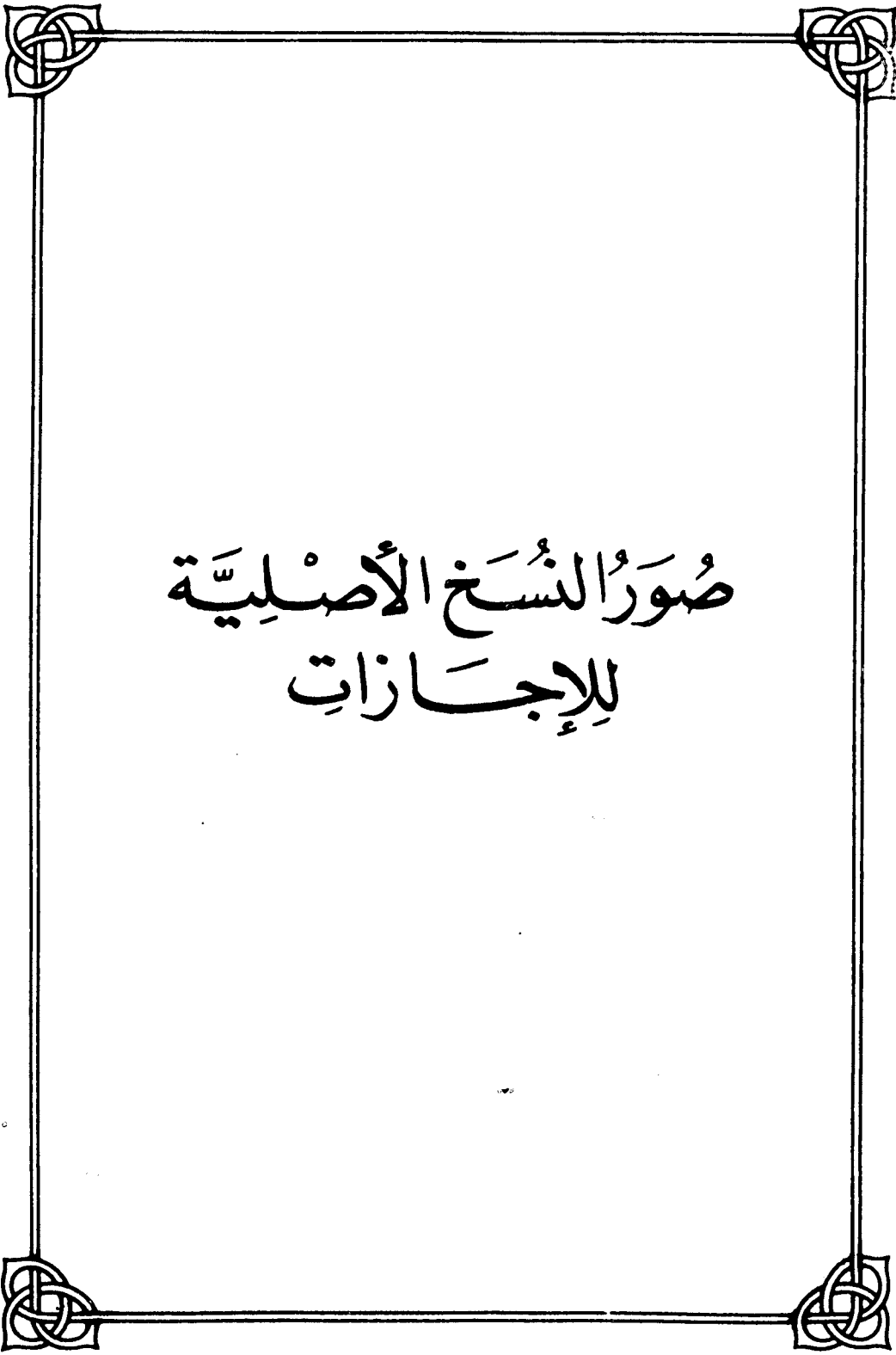
على تأسيس درس بحث الخارج في الفقه والأصول ، في مسجد (حجة الإسلام) العظيم ، وكنت أقيه في كل يوم في ذلك المسجد الشريف ، وبحضور أعداد كبيرة من فضلاء مدينة (تبريز) .

«واستمرت هذه الدروس ، وكذلك الدروس الأخرى ، بشكل منظم ، وترتيب خاص ، حتى بداية شهر رمضان المبارك (عام ١٤٠١ هـ . ق الموافق لعام ١٣٥٩ هـ . ش (١٩٨٠ م) ، حيث تم تعطيل هذه الدروس مؤقتاً ، كما تفعل باقي الحوزات العلمية ، في غرة شهر رمضان المبارك (عام ١٤٠١ هجري قمري) ، بسبب انشغال الناس بالصيام والعبادة ، وكذلك انشغال السادة العلماء والفضلاء ، بالتبليغ والإرشاد الديني ، واستمر ذلك حتى نهاية ذلك الشهر المبارك .

«وأذكر أن مسجد (جهل ستون حجة الإسلام) الواسع ، كان مليئاً من الباب وحتى المحراب ، بالناس والفضلاء المحترمين ، وأعيان وشخصيات مدينة (تبريز) الموقرين ، في اليومين الأول والثاني من هذا الشهر المبارك ، حيث كانت جموع المؤمنين تموج في المسجد كالبحر الهادر ، حيث حضرت إلى هذا المكان المبارك لأداء صلاة الجماعة ، والإستماع لخطبتي .

«وقد أقمنا في ذلك اليوم صلاة الجماعة ، باشتراك جموع المؤمنين والمؤمنات الغفيرة ، وخطبنا خطبة تاريخية ومثيرة ، كانت مسك ختام مراسم ذلك اليوم ، والحمد لله رب العالمين ...»^(١) .

(١) مقتبس من كتاب (قرنان من المرجعية) تحت الطبع .



صُورُ النُّسخِ الأَصْلِيَّةِ
لِلإِجَارَاتِ

صورة إجازة والده سماحة الإمام المصلح المرجع المعظم
المولى الحاج ميرزا حسن الحائري الإحفاقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فضل العلماء على ما يزيداه فضل النعم على الكواكب
وجعل تقاضاهم بقدر استقامتهم على الطريقة وتعلمهم من الأثار
والمراتب . ورتب مدارجهم على دماء الشهداء المجاهدين ، كما فضل
المجاهدين على القاعدين .

والصلاة والسلام على معلم العالم وأشرف اولاد آدم ، وخاتم الأنبياء
وتائد الأمم محمد سيد العرب والحجم . وعلى الدواهلبيبة معادن
الحكم ومصايح الظلم واولياء النعم . ولعنة الله على اعدائهم
اعداء العلماء الابرار ، والقائدين اصحابهم الى النار من الكفار والنجار كما
تكور النهار على الليل وتكور الليل على النهار .

وبعد فمن مواهب الكرم عز وجل على هذا العبد الضعيف المسكين
المتكين ، ان شرح صدرى ، وانا ربى . ومن ثبات صرنا صح ، وساعد
صالح ، وعالم عامل ، وعارف كامل ، مروج الأحكام ، دنا شرفنا نل
المعصومين الكرام ، قوة عيني ووز بصري وثمة فؤادى ، وارشد
اولادى ، ذخرى وذخيري في حياتى وبعد ماتى ، جناب الحاج
الميرزا عبد الرسول الأحفاقي حفظه الله وابقاه وجعلنى من صل
مكروه وقاه . وقد تصديت بنفسى لتربيتة وصرفت شطراً من
عمري في تربيته ومراقبته . فقرأ على الفقه والأصول وحكمة
آل الرسول عليهم السلام . بعد ما نل المقدمات عند علماء الأدبيات .
وحضر أيضاً عند اجلاء الفقهاء والمجاهدين ، وقرأ عليهم فى الأصول
الفقهية الفرعية والحكمة الالهية الشرعية قرانه تحصى وتدقيق .

وكان حريصاً للدرس نشيطاً في العمل قوياً في الروح . فبلغ مبلغ
الرجل ووصل رتبة الكمال . واستأهل للتبليغ والأرشاد واللقاء
المغلب بين العباد ، وترويج احكام الدين ، والدعوة الى شريعة
سيد المرسلين صلى الله عليه والداجمين .

فظهرت منه سلمة الله صبات شرعية واصلاحات دينية ملا يمكن
عليها الاعتدال ، ولا يقدر على اتقانها الا قوت جليل ، ولما
رايته مصداقاً للاية الشريفة فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذرو قومهم اذا رجعوا اليهم ، وقابلاً لاخذ الحديث
وادائه بادرت بهذه الاجازة تاسياً لمن اجازته من الاعلام و
المجتهدين العظام حفظاً لسلاسل مشايخ الاجازة عن الأهل ، وصوناً
للسانيد الأضداد عن الأرسال .

فاجزته وفقده الله لمراضيه وجعل مستقبله خيراً من ماضيه
ان يروى عنى عن مشايخي كلما احتجى لى روايته « جازلى اجازته
من رواية الأخبار الساطعة الانوار من الكتب المعروفة المشهورة
المتداولة بين العلماء الأخيار ، خصوصاً الكتب القديمة الأربعة التي
عليها المدار وهي الكافي والفضيه والتهذيب والاستبصار
والأربعة الأخرى الحديثية وهي العوالم والوافى والمسائل و
البحار ، وسائر كتب الحديث والتأليفات وما خرج من قلمي من
التفريعات والمؤلفات . وغيرها من تصانيف مشايخي واساتدي
اعلى الله مقامهم ورفع في الهدى اعلامهم .

وقد جعلته حفظه الله ذكياً عنى في الأمور الحسبية كأنما مالان وفي


وفي استلام الحقوق الشرعية وبرد المظالم والصدقات وليصالحها
الى مستحقها.

واوصيه بالتمسك بجبل الاحتياط وملازمة اقوم الصراط و
ممارسة كتب الأخبار واحاديث الانبياء الطاهرين عليهم صلوات
الملك الجبار . وان لا ينافي من صالح الدعوات في ارباب
المصلوات واوقات الخلوات والله خليفتي عليه وهو حبيبنا
ونعم الوكيل

ولتختم الاجازة بذكر طريق واحد من طرق ومشايع اجازاتي
وهو شيخني واستاذي والدكم وسندي حجة الاسلام والمسلمين
ايداه في الارضين العلامة الكبير مؤلف كتاب احقاق الحق
ساحة الحاج الميرزا موسى الحائري الاسكوفي والذي له ماجد
اعلى الله مقامه ورفخ في الخلد اعلامه . عن مشايخه المشروحة
في اجازته للأحقر .

منهم والده العلامة وجدنا المقام جامع المعقول والمنقول
وحادي الفروع والاصول ، صاحب الكرامات وقدوة الاكابر
المرحوم الاخوند الميرزا محمد باقر الحائري الاسكوفي قدس الله
رحمه وانا مرقد .

وكان له اعلى الله مقامه استاذان ممتازان . بجزان عميقان
احدهما الفقيه الزاهد ، والعارف العابد . جناب الشيخ مرتضى
الانصاري عن مشايخه .

والتأني في العلماء و ذخر العلماء ، النور الازهر الميرزا حسن
الشهير بكوهر. عن اساتيد و مشايخه سلسلا عن الائمة الأطهار عليهم السلام
و انا الاحقر الحاج ميرزا حسن الجباري الاحقائي 
ف ٣٠. شوال المكرم سنة ١٣١١ هجيرة قمرية

صورة إجازة عمه سماحة آية الله المعظم الحاج ميرزا
علي الحائري الإحفاقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل المعرفة غاية للضع والإيجاد وجعل العلم طوق السعادة
للرفق إلى أعلى مدارج الرشاد وهو الرادع عن الهبوط والتمويج
إلى حضيض أودية الشوب والفساد والمنجاة عن أهوال المياد
البرزخ ومثلات يوم المعاد وجعل جاملها سائسا للعباد
ومنازل للملاد والصلوة والسلام على عملة الوجود والأركان و
نقطة دائرة الأكوان فمهر اشرف الأنبياء وسيد ولد عنان و
علي أخيه وصهر أمير المؤمنين علي فؤاد العلوم وشار كل اثنين
من جانب الرحمن وإلهامنا الملك المنان وأولياءه في جميع
العلوم والأزمان وجميع علوم كافة الراس والجان ولغة الله
أعدائهم وغلبى حقوقهم وظالمهم مصاهر الجهل والطغيان و
مبارك المشهود والعصيان والخرى والخسران وتعدت آثار
ولادته المعززة وفتح أصلنا الحزب الفاضل الساب التقي المحفل
البر الصفي جامع العلوم الثابتة القديمة والحديثة والتارة للرسوم
المجسدة للفننية صاد الناطقة القوية والخط النافعة الدرسية
نتيجة العلماء والحكام الفحول نوب جبرنا وفخر عن صرنا الحاج ميرزا
وعبد الوكيل سلم الله وأبقاه وحرسه ووداه ولدنا في مقتضى
العلم العلم والفاضل الجليل الفهم مثيل الدين والأسلام والمؤيد من
عند ملوك الملوك عماد منادى الممتقن والمعتد المؤمن الحاج
انما في أحسن الأوقات الحائري داعيتنا بركاته ومقتضى الله الرحمن
يطول حياته وأترافه م عينه وعينى بتوفيق هذا الولد العزيز للضعف
إلى ذروة صابح السعادة والأوج إلى المرتبة القصوى من العلم والرياسة

قد استجازني حفظه اقدم لدى نشره بلثم عتبة سيد شباب اهل الجنة
 لزيارة الزبيرين التي هي من الائمة المؤمنين في هذه السنة وهي
 سنة الاثنين والتين بعد الالف والتلاتة من الهجرة النبوية
 وابتداء اهلا لذلك لما فيه من الورع والتقوى وعبادة الذهب والفضة و
 الحزن لكب المجد والعلو فاجتهد المهدي كسب العادة ووقفه ^{لنفسه}
 وصوباته ان يروي عني ما فتح لي روايته وتاريخه في ابدانته من
 اماه بيت المكتبة اربعة الساطعة الانوار الخاف ومن الحاضرة الفقيه
 والرهني في الاثر بصار المهرين الثلاثة الكرامين الزرار والكتب
 الجاسقة العلية المنار من الواح والورائل والبخار وبسائر ^{الاشياء}
 والاذكار وابوسيه وقفه كغيره بالتقوى وصلاحه ^{بالنوازل}
 وصلوة الليل بيلة القران سيات في الاسفار وار ينزل الدنيا
 عنده منزلة الجنة ويقوم من اهلها فراره من الاوسد ويقرب
 اليها ويحفظ اموالهم ويحاسب الفقراء والضعفاء ويتبع من
 الاغنياء وينصاع للمطلوع ويأخذ حقه من الظالم مما امكنه ويتطلب
 مواقع الرخصة ويتقوى بوضع التهمة وان لا يناله وبالذي
 طلب الرخصة والدعاء في الصياح والمساء يتفكر كسب اماله والله
 خليفتي عليه وانا الاحقر المأ على ^{من يراهم من اهل الجاهل}

١٤٥/١٥
 ١٣٧٤

صورة إجازة سماحة آية الله المعظم الحاج ميرزا فتح الله ثقة الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم رت
 الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 اشرف الانبياء والمرسلين والفضل انفراد قائم الانبياء محمداً ومصطفى صاحب الشريعة الناصح
 واهيات الكائنات والنباتات الظاهرة وبمعاصيق الطاهر والنجوم الزاهرة وجمع الله اباهة
 وبعد فقد استبان في الفضل الفوق والعالم الزك والموال الرضى صاحب الفهم الجلي والطقن القوي
 الطماء والفرق الحاج ميرزا عبد الرسول خف جاح العقول والنعول الملامح حضرت الحاج ميرزا
 عن الاحاطة الحاشية مع الله عيني بله بقائه عمارته عباد في تحصيل الامانة من كل لب العلم لشان
 ثابته في محبة ائمة الاطهار آل الرسول المنتجبين الاخير عليهم صلوات الله الملك اليمام اهلاً للدخول في
 زمرة حملة الامم وسلسلة مودات الاخبار مستعداً على شتات الاحكام الشرعية من ادائها
 فاجزته وفقص الله واقامه ان يروى عن كمال صحت له من روايته وجاهاته على اجابته من طرف
 عن مثا يرضى النظام وسانيد الكرام من الكتب المساطعة الانوار الكافي والفقهي
 والا شتاهم اهرقة الاخرى بما تمتد العاليية النام العالم والراف ولو سائل والبهامد سار
 السيت واذا من طبر وحن ما شاء وامراده الكاسيل الحزم والخيال ونسأل الله بدوام
 كما يليت ويجعل له الترفيق خيس رفيع حتى يكون ملاذاً للدين وضاماً بيتهدي به اهل
 واليقين وان لا يسانف من الدعوات في الدسار ومطنة اجابة الدعوات ليرتاض الحاج
 وولت الخيرات ونظم الاجابة بذكر طرف من مثا يرضى النظام وسانيد الكرام
 لهم المقام في جنان الخلد فمنهم شيخ واستاذ وسيد وسند في تفسير عصر
 رئيس الكلمة والدين آية الله السيد ابو الحسن الاصمغوني من مثا يرضى الله مقامهم
 ومنهم سند الامام واستاذ فقهاء الاسلام حجة الاسلام آية الله الشيخ حله الحسين
 تدنى الله من حرم الزكية وحنهم حين الفقراء والمجاهدين واستاذ العلماء
 فقيه العصر العلامة الشيخ ضياء الدين العراقي طب لواء وصل الله على محمد وآله الطاهرين
 صلوات الله عليهم اجمعين في تاريخ محال تاريخ شهر رضانة المباركة ١٢٩٧ هـ

صورة إجازة سماحة آية الله المعظم الحاج ميرزا
عبد الله ثقة الإسلام

٨ رمضان ١٢٩٩
١١ ربيع الأول ١٣٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مفيض العلم والبركات ومفضل الآلاء والبركات والعلوَّة والاسلام على محمد
فضل الرسل وخاتم النبوات وعلى آله وعترته الكرام السليمة وعلى جميع الخبيات
بعد. فقد تحققت الآن العالم البصير والفاضل الجليل والفضل البليغ والسر الفخر
الحاج ميرزا عبد الرسول الانصافى الاستاذ العلم بالله علامه بطرف من فضل
من عمره واخفى منه من دهره في تحصيل العلوم الدينية والحالات النبوية بلذات
جده وانفس جهده في المعارف الالهية والعلوم الشرعية حتى نال بحاله المراد وبلغ
فيها رتبة سامية بين الامثال والاولاد. فطرب لمن سمعوا طربا وفتابوا رجا
محبه لمن يلقون ان يحكيوا لا يجازوه. فلا مثاله امره الشريف قد اجرت له الامارة عملا و
سموه ووثقه لما يجب من رضاه ان يروى عنى ما جازت له رواية عن مشايخنا العظام
عن مشايخهم قدس الله اسرارهم من جميع ما استفادوا القراءات كتاب الاحاديث
والاشهد الشريفه خصوصا الكتب الاربعة للمحدثين الثلاثة قدس الله ذراهم. وانتم سواد
دار صبيه موقوتى الله والافاض له في العلم والعمل وان الانسانى من صالح الدعاء
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وميرزا عبد الله نعم الرسل والاعية مع ميرزا عبد الله الكلى
الذو ٩٤٦ بحواله الكفاية


صورة إجازة سماحة آية الله الممّظم الحاج زين الدين جعفر الزاهدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله واهب العقل واليقين، منور السموات والأرضين، مبدئ العقيدة والسريعة والدين،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد حاتم النبيين وأشرف السعراء المرسلين الذي بعثه بحكمة رحمة
للعالمين، ومعلما لكتابه المبين ومبلغا لأحكامه المنبئ صلى الله عليه وعلى أولاده الطيبين وخلفائه
الاثني عشر العصوميين، الذين هم أولياء الله وأمازه على الخلق اجمعين، وعلى من احبهم وتبعهم
الى يوم الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

اتق بعد لقد من الله على مندرسين، بصاحبة العالم المبين، العاقل الامين، مروج احكام الدين
سنتين شريفة سيد المرسلين، ثقة الاسلام والمسلمين الحاج ميرزا عبد الرسول الاحقاق الامتوثة
ادام الله انوار افاداته، وهو مع علو قدره وسموه قام له جسر طينة به طلبه ما تقي بحضرة والده العلامة
جامع العقول والمنقول، حاوي المنزوع والاصول سماحة الحاج ميرزا حسين الاحقاق الامتوثة
الحاسري متع الله المسلمين بطول بقائه الشريف ان اجيزه في رواية الاحاديث المروية عن
السيد المصطفى واهل بيته المجتبي، وحملة العلم الاذكياء، ورايت ان اجابته على تفرض
فبقول ربنا الله التوفيق وهو خير رفيق: قد اجزيت اخي المعظم وصديقي المكرم وفضه الله لما يحب
ويرضاه وبلغه منتها رغبتة ومنه ان يزوي عنى جميع ما صححت لى روايته وحازت لى اجازته فى
العقول والنقول عن مشايخي العظام وهم حجج الاسلام وامناء الملك العلام المجاورين للعبات
العاليات او مشهد المقدس الرضوى، او البلدة الطيبة قم، او عاصمة طهران، او العاطنين فى القاهرة،
او المغرب الاقصى (فاس) او دمشق الحضراء، او حلب الشهباء، او مدينة المنورة، او البيت
الحرام زادها الله شرفا بجميع طرفهم واسانيدهم وان كانت كثيرة كما ان طروق روايتى عن
العامّة والمخاصة فى العلم والدراسة، والعمل والرياضة تربو على نائى وعشرين طريقا، ولا سيما
ما رويته عن شيخنا العلامة شيخ الفقهاء والمحدثين مولانا محمد محسن بن على الرازى السهمير
بالشيخ اغا بزرك الطهرانى صاحب كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة وتاليفات المنفعة الاثر
وشهرته كالشمس فى رابعة النهار، وكان عمره رحمة الله تعالى ٩٨ عن شيخه المبرم من كل
مين وشين. الحاج ميرزا حسين النورى الطبرسى عن العلم النقى الشيخ مرتضى بن محمد امين الاضار
الذرفولى عن التحريير العلامة المولى احمد بن محمد هدى بن ابي ذر المزارى صاحب المسند عن والده
النهاسه صاحب جامع السعادات ومشكلات العلوم وعن آية الله بحر العلوم السيد هدى بن مرتضى
الطباطبائى البروجردى عن شيخه الوحيد وعلم النوحيد استاذ الاكبر افا محمد باقر بن محمد اكل الههشا

عن والده المعظم واستاده المكرم مولانا محمد اكل الاصبهانى مدرس سرها عن شيخه العظام ، مرمم
 العليمة مولانا ميرزا محمد الشيرازى والعلامة الشيخ جعفر القاضى ، ومولانا محمد شجاع الاسترابادى
 والمحقق جمال الدين الخوارزمى ، والعلامة عبد الرحمن محمد تقي المجلسى الاصبهانى رحمهما الله عن
 والده المكرم عن شيخه العلامة بهاء الدين محمد بن حسين العاملى ، عن والده المعظم عز الدين حسين
 بن سيد الصمد المازنى والسيد نور الدين على بن فخر الدين الهاشمى عن السيد الشهيد زين الدين
 على بن احمد نور الدين الجبجى الدمشقى ، عن شيخه الاجل نور الدين على بن عبد الطالى الميلى
 عن الشيخ شمس الدين محمد المؤذن الهزنى ، عن الشيخ ضياء الدين على بن شيخنا محمد بن جمال
 الدين بكى الشهير بالشهيد الاول ، عن والده المحترم قدس سرها عن الشيخ فخر المحققين محمد بن جمال الدين
 العلامة الحلى عن والده الفاضل حسن بن يوسف بن المطهر ، عن والده المكرم يوسف بن مطهر الحلى قدس
 استوارهم عن شيخه السعيد محمد بن جعفر بن حسن بن يحيى المشهور بالمحقق الاول صاحب الترايع عن
 السيد الجليل شمس الدين فخر بن محمد الموسوى ، عن الشيخ الجليل ابي الفضل شاذان بن جبرئيل
 الصفي رة عن الشيخ الفقيه ابي جعفر محمد بن ابي القاسم الطبرى وشيخ الطائفة محمد بن محمد بن حسن الطوسى
 عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادى التلعكبرى عن الشيخ الامجد والمحدث الاكبر
 ابي جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى الملقب بالصدوق عن ابيه قدس سرها عن سعد بن
 عبد الله الاسفهرى عن محمد بن عيسى بن عبد الله اليقطينى عن يوسف بن عبد الرحمن بن الحسن بن زياد العطار
 عن سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة قال قال امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام : تعلموا العلم
 فان تعلمه حسنة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لاجل الله صدقة ، وهو حجة الله
 لاهله قربة ، لانه معالم الحلال والحرام ، وسالك بطالته سبل الجنة ، وهو انيس الوحشة ، وصاحب
 في الوحدة وسلاح على الاعداء ، وزين الاخلاء . ورفع الله به اقواما يجعلهم في الخيراتمة ليعتدى بهم وترقى
 اعمالهم وتمتسب آثارهم ، وترغب الملائكة في خلقهم ، يستحبونهم باجنحتهم في صلاتهم ، لان العلم حياة
 القلوب من الجهل ونور الانصار من العمى وقوة الايدى من الضعف ، ينزل الله حامله منازل الابرار ويمنحه
 محالسة الاخير في الدنيا والاحزة ، وبالعلم يطاع الله ويعبد ، وبالعلم يعرف الله ويوجد ، وبالعلم توصل
 الارحام وبه يعرف الحلال والحرام ، والعلم امام العقل والعقل تابعه ، يلهمه السعداء . ومحرمه الاشقياء
 فالحمد لله على ما انعم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وعلى تابعيهم من العرب والعجم . ثم ان ارجو من الشيخ انه يعلم
 والاخ المكرم ان لا ينساي من الدعاء في مطان الاجابة كما لا ينساي ان شاء الله تعالى في الحياة
 والممارة كته السيد الاحمر زين الدين جعفر الراهدى عن عمه ثالث رجب المرجبل ٢١٣٠ الهجرة النبوية

للاستاذ 

الولايات

بِحَثِّ حَوْلِ الْوَلَايَةِ
مِنْ وَجْهِ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلَّفِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين
والآخرين ، وأشرف الأنبياء والمرسلين ، أبي القاسم محمد ،
وعلى آله الطيبين ، الطاهرين ، المكرمين ، المعظمين ، الذين
أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، ولعنة الله على أعدائهم
أجمعين ، آمين يا رب العالمين .

والسلام على أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وسيد
الوصيين ، وأبي الأئمة المعصومين .

يا إلهي العظيم ! ويا خالق العقل والقلم ، ويا لطيفاً بما
يشاء ، وكيف يشاء ! أحمداك اللهم على خلقك المخلوقات ، بنور
أول مخلوقك ، وآخر أنبيائك ، وكشفك لظلمات الجهل
والضلال ، بإشراقه أنوار القرآن ، والولاية اللامتناهية .

وأشكرك اللهم على نعمتك عليّ بأن نورت قلبي بشعاع
ذلك النور المحمّدي ، وأحييت روحي بقطرة من محيط الولاء

العلوي ، واخترتني لذلك من بين الملايين من مخلوقاتك العارفة لك ، والجاهلة إياك .

وبذلك اقتدرت على أن أمسك القلم بيدي العاجزة ، لأكتب بعض الصفحات من فضائل أصحاب الولاية الكلية المطلقة ، محمد (ص) ، وآله ، عليهم الصلاة والسلام اللامتناهية ، مقتبساً مضامينها من كتابك العظيم ، وقرآنك المجيد ، مسمياً إياها : (الولاية من وحي القرآن) ، وأضعها بين أيدي شيعتهم ، ومحبيهم المخلصين .

يا إلهي ! ولاني لأعترف بأني قاصر عن تعريف وبيان فضائل محمد (ص) ، وأهل بيته (ع) ، الذين اخترتهم من بين خلقك ، وكنت أنت معرفهم ومادحهم .

ولكن بياني هذا رشفات من حبهم العميق في قلبي ، وشعلة من أشواقهم الكامنة في صدري وروحي ، وأنت الذي جعلت حبهم وولاءهم ، في الحياة الدنيا ، وسيلة للفوز والنجاة .

وكلي أمل بلطفك وكرمك ، أن تتقبل مني هذه البضاعة المزجاة ، بجاههم ومنزلتهم عندك ، وأن تجعلها ذخيرة لي ، لدنياي وآخرتي ، آمين ، آمين .

وقد طبع (الجزء الأول) ، من الكتاب ، بعون الله ، عز وجل ، ورعاية صاحب الولاية الإلهية الإمام المهدي الموعود ، صاحب العصر والزمان ، عجل الله تعالى فرجه الشريف ، باللغة الفارسية ، قبل حوالي عشرين عاماً ، وما أن نُشر في الأسواق ،

حتى كان الإقبال عليه كبيراً ، من العلماء والفضلاء ، والطلاب
والمثقفين ، وكلهم غمرني بلطفه ، وتشجيعه ، وشكره ، مشافهة ،
أو عن طريق البريد والهاتف ، وهذا ما حملني على المضي
لإنجاز الجزء الثاني من هذا الكتاب .

وحيث أن عدداً من الشبان المثقفين ، الطالبين فهم
القرآن الكريم ، ومضامينه العميقة ، يحضرون لدي في حلقات
التدريس ، فقد طلبوا مني أن تكون مباحث (الجزء الثاني) من هذا
الكتاب ، مدخلاً لعلم التفسير ، مُسهلاً لهم الخوض في القرآن
وعلومه ، لذلك فقد خصصت هذا الجزء لشرح وتبسيط
المصطلحات القرآنية ، على ضوء ما جاء عن أهل البيت ، عليهم
الصلاة والسلام ، وجعلت هذا الجزء من كتاب (الولاية من وحي
القرآن) ، مدخلاً لعلم التفسير ، لعلني أكون قد قدّمت بذلك خدمة
للعلم والعلماء ، مقبولة عند القرآن ، وأهل البيت ، عليهم
السلام .

والآن ، إذ أقدم الكتاب بحلته الجديدة ، مترجماً إلى اللغة
العربية ، أرجو من القراء الكرام ، أن يغضوا النظر عن بعض
الأخطاء المطبعية العفوية ، وأن يرشدوني إلى الخطأ الموضوعي ،
إن ورد في مواضيع الكتاب ، أو وقفوا على مثله .

ولا بد من الشكر والتقدير لمن ساهم في طبع هذا الكتاب
بلغتية الفارسية ، والعربية ، سائلاً المولى العلي القدير ، أن يتقبل
منهم خير قبول ، وأن يوفقهم للمزيد من الأعمال الصالحة ،
والخدمات الجليلة للعلم والعلماء ، وأن يوفقني لطبع ما تبقى من
أجزاء هذه المجموعة من بيان فضائل ومناقب أصحاب الفضل

والمنقبة ، محمد (ص) وأهل بيته الأطهار (ع) ، إنه سميع
مجيب ، وهو مولانا ، فنعم المولى ، ونعم النصير .

خَادِمُ الشَّرِيعَةِ الْفَرَّاءِ
مِيرزا عَبْدِ الرَّسُولِ الْخَائِرِيِّ الرَّاهِقَانِيِّ

مِيرزا عبد الرسول الراهقاني

القرآن الكريم
الظاهرة السماوية الأبدية

بِسْمِ اللَّهِ الْقَادِرِ الْمَتَعَالِ

القرآن الكريم الظاهرة السماوية الأبدية :

تلك الظاهرة السماوية الأبدية ، والمبتدأ الذي كان خبره
يزلزل الدنيا . . . إليك مختصراً من ذلك الخبر الكبير ، معدن
العلم والنور ، الذي راح يشغل فكر العظماء من المفكرين ، عبر
القرون الأربعة عشرة، ويشدّ إليه أنظارهم ، وبصائرهم . . .

ها نحن وتاريخ التمدن البشري . . . اليوم ، عصر العلم
والتقدم العلمي ، الذي عمّت البلاد والأمم جميعاً أخباره . . .

فاليوم عصر الكتب والمطبوعات . . . التي زينت ممرات
الطرق ، والشوارع ، إضافة إلى البيوت والغرف . . .

فما عليكم إلا أن تواكبوا هذا التقدم والتطور العلمي
لل بشرية ، بالقراءة والمطالعة ، ومن ثم التفكير والتعمق ،
والإستدلال الصحيح ، والتجرد ، بالحكم العادل . . . لتقفوا على
الحقيقة الجليلة التي توضح :

أنه ليس في العالم ، معجزة وأعجوبة ، أعظم من معجزة

القرآن العظيم^(١) ، لأنه بتجلياته السماوية ، استطاع ، وفي أقل من

(١) ● قال أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) في كتابه (الإعجاز والإيجاز :

ص ١٥) : «من أراد أن يعرف جوامع الكلم ، ويتنبه على فضل الإعجاز والإختصار ، ويحيط ببلاغة الإيماء ، ويفطن لكفاية الإيجاز ، فليتدبر القرآن ، وليتأمل علوه على سائر الكلام . . .» .

● وقال الإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز : «إحداها : وهو قول النظام ، إن الله صرف العرب عن معارضته ، وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم ، لكن عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات» وهو قول فاسد . . . والثاني : إن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به ، لا مطلق التأليف ، وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة ، وعلت مركباته معنى ، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا ، في اللفظ والمعنى . . . والثالث : ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، ولم يكن ذلك من شأن العرب ، . . . ورد هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها ، وهو باطل ، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها . الرابع : ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين ، وسائر المتقدمين ، حكاية من شاهدها وحضرها . . . وهو مردود بما سبق ، نعم هذا والذي قبله من أنواع الإعجاز ، إلا أنه منحصر فيه . الخامس : إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول ، أو فعل . . . وإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبداً . السادس : إنه الذي عليه الجمهور والحذاق - وهو الصحيح في نفسه - وأن التحدي إنما وقع بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه ، ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن ، علم بإحاطته ، أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ، ويتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره . والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك ، وبهذا جاء نظم =

نصف قرن فقط ، أن يسخر أكثر العالم المتمدن ، وأن يزلزل

= القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النطق ، يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فلما جاءهم النبي (ص) صرفوا عن ذلك ، وعجزوا عنه . . . السابع : إن وجه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب ، وغير ذلك ، مقترناً بالتحدي . . . وهو قريب لما سبق . . . الثامن : ما فيه من النظم والتأليف والترصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ومباين لأساليب خطاباتهم . . . ولهذا لم يمكنهم معارضته . . . التاسع : إنه شيء لا يمكن التعبير عنه . قال السكاكي : واعلم إنَّ شأن الإعجاز عجيب يُدرك ، ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تُدرك ، ولا يمكن وصفها ، . . . ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علميِّ المعاني والبيان ، والتمرن فيهما . وقال أبو حيان التوحيدي في (البصائر) : لم أسمع كلاماً ألصق بالقلب ، وأعلق بالنفس من فصل تكلم به بندار بن الحسين الفارسي - وكان بحراً في العلم - وقد سئل عن موضع الإعجاز من القرآن ، فقال : هذه مسألة فيها حيف على المفتي ، وذلك أنه شبيه بقولك : ما موضع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان ، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ، ودلت على ذاته ، كذلك القرآن لشرفه ، لا يُشار إلى شيء منه ، إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ، ومَعَجَزَةٌ لمحاوله ، وهدى لقائله ، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه ، وأسراره في كتابه ، فلذلك حارت العقول ، وتاهت البصائر عنده . العاشر : إن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه ، من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا توجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر . . . » (راجع التفاصيل في : البرهان في علوم القرآن : ٩٣/٢ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : (الرماني والخطابي ، والجرجاني - الإتيان في علوم القرآن : ص ١١٦) .

سطوته ، وأن يوقظ العقول الغافلة ، ويسلب القرار والإستقرار ، من القارات الأرضية ، وأن يحول التاريخ تحوُّلاً عميقاً ، من خلال تملكه عقول العلماء والمفكرين في العالم ، ذلك التملك الذي سيدوم ما دام الدهر !!

هذه النهضة المقدسة السماوية ، نهضة العلم ، والمنطق ، والعقل ، والنظام المطلق ، هي التي أفاضت على القلوب والأرواح المضطربة ، سكوناً واستقراراً سماوياً ، بعد أن ملأ الدنيا دويهاً ، وراح يقرع أسماع أهلها ، كما يفعل دوي الرعد والصاعقة ، ولكنه بشكل أوسع وأشمل ، بحيث تجاوز الأسماع ليصل إلى القلوب ، فيوقظها من نومتها وغفلتها ، فانتبهت مذعورة مدهوشة ، لتصغي لذلك الصوت السماوي المتصاعد من جبال الحجاز ، ولتعرف متحيرة من أين هذا الصوت ؟ وأين مصدره ؟ وماذا يقول ؟

ولكن حقاً ، إنَّ العظماء والعقلاء في ذلك اليوم - فضلاً عن عموم الناس - كانوا قاصرين عن فهم ذلك السرّ السماوي ، والتعمق فيه ، ولكنهم عرفوا هذه الحقيقة : إنَّ هذا الإنقلاب والحدث العظيم ، ليس شيئاً وقتياً ، وقصير الأجل ، نعم ، عرفوا أنَّ هذا الخبر مفتاح تحول عظيم ، ووراءه الأخبار الجسيمة والعظيمة . . . إنَّ هذا المبتدأ ينتظر الأخبار العجيبة ، والمعاجز الكبيرة ، التي سترد من خلفه !!

فما كان أول تلك الأخبار المحيرة ؟!

في تلك المرحلة ، وفي أوائل ظهور ذلك النور ، والكتاب السماوي ، زلزل العالم المتلاطم والمتعب ، وفي أول بزوغ

شمسه ، قهر صنائيد العرب المتعصبة لتقاليدها ومفاهيمها الجاهلية ، وتفاعل مع قلوب الفصحاء من العرب ، بحيث لم يجدوا سبيلاً لمقاومته ومواجهته ، ووقفوا تجاهه موقف التسليم ، والإنفعال ، والإنزواء .

إنَّ تجلّي تلك الروح السّماوية ، وذلك الكوكب الوضّاء ، قهر أبطال البلاغة والفصاحة ، وأجبرهم على الإعتراف بالعجز والضعف تجاهه ، فذهب البعض منهم ، وقد غلبهم الذعر والقلق ، لئنزلوا معلقاتهم الأدبية^(١) - التي كانت وسيلة فخرهم

(١) المعلقات الأدبية ، أو السبع الطوال : وهي التي عرفت حيناً بـ (المعلقات السّبع) ، وحيناً آخر بـ (المذهبات) ، وسميت كذلك بـ (السموط) ، و (المشهورات) ، و (المشهوره) ، كما سماها الباقلاني في (إعجاز القرآن : ص ٢٤٢) بـ «السّبعيات» . وأول شعر علق في الجاهلية ، شعر امرئ القيس ، عُلق على ركن من أركان الكعبة ، أيام الموسم ، ثم علقت الشعراء بعده ، وكان ذلك فخر العرب في الجاهلية . وأشهر المعلقات سبعة : معلقة امرئ القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، ولبيد بن ربيعة . وقيل إنها عشر قصائد جاهليات مشهورات . وقال ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) : لقد بلغ من كلف العرب به ، وتفضيلها له ، أن عمدت إلى سبع قصائد ، تخيرتها في الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب ، وعلقتها بين أستار الكعبة . فمنه يقال : مذهب امرئ القيس ، ومذهب زهير ، والمذهبات السبع ، وقد يقال لها المعلقات (اهـ) . (راجع التفاصيل في : العمدة : ١/٦١ - مقدمة ابن خلدون : ص ٥٣٢ - خزنة الأدب : ١/٦١ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري . تح . عبد السلام هارون : ص ١١ وما بعدها) .

وتفاخرهم - عن جدار الكعبة ، معلنين بذلك فشلهم أمام التحدي الأدبي والبلاغي للقرآن الكريم ، بينما ذهب الآخرون منهم ، وبدوافع عصبية وانتقامية ، لينسبوه إلى السحر . . .

إنَّ تحديَّ القرآن ، وصدى نزوله ، لم يكن في الحجاز فحسب ، بل راح يزلزل عرش كسرى العظيم ، وعروش امبراطورية الروم ، وكنائس المسيحيين ، ويسخرهم ، ويضطرهم للإعتراف به والخضوع له . وراح يعبر القارات والبحار ، ليصل إلى (الصين) ، وحتى سواحل البحار العظيمة ، والجزر ، وفي كل مكان على الأرض ، ليتفاعل مع فطرة كل إنسان موجود يعيش عليها ، فيعلمهم دروس التوحيد والكرامة الإنسانية ، فحطم قصور الظلم ، والطغاة ، والمستكبرين ، وفضح أقوالهم ، وتعاليمهم الواهية ، وأبدل بها عدالته الواسعة ، وبيانه الفصيح ، وتعاليمه البديعة ، وأرسى قواعده الجديدة ، المبنية على التوحيد ، والعدل ، والعلم ، والأخوة ، والمساواة ، في مركز التمدن والتطور ، لمدى الدهر ، حيث نسخ العنصرية القومية ، وعبادة الأصنام ، وأقرَّ عبادة الله الواحد ، وتساوي العباد تجاهه . . .

وبعد مضي أربعة عشر قرناً ، وفي عتبة القرن الخامس عشر ، وفي هذا العصر ، عصر العلم ، وقمة الحضارة والتطور ، نجد لهذه الوديسة السماوية ، والتذكار المحمدي (ص) ، نفوذاً عميقاً يتحكم في ضمائر وأفكار المجتمعات الحضارية في كل العالم ، بحيث اعتلى موقع التوراة والإنجيل في خزانات الكتب ، وفي أهم مراكز المسيحيين ، ليرفع صوته عالياً بالآية الشريفة : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) ، فيدبّ في عروشهم

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

وقلوبهم ، الخوف من الإنهيار التام ، والشامل . . .

إنَّ الجانب العلمي ، في هذا الكتاب السماوي العظيم ،
ليبحث على الإعجاب والإكبار ، حيث أنه لم يترك جانباً من
جوانب العلوم والفنون إلا و غاص فيه ، وكان مرجعاً ومصدراً وثيقاً
فيه (١) .

وعلى رغم مرور الزمن الطويل ، من تاريخ نزوله ، ومع
وجود المناوئين الأقوياء ، والمعارضين الأشداء ، لم يتمكن أحد
منهم أن يثبت عليه ، أي إشكال ، أو نقص ، حتى إنهم عجزوا
عن كشف جملة غير بليغة ، أو ناقصة ، في كل الآيات القرآنية
الكثيرة ، إذ إنه ما تطرق إلى موضوع إلا بابتكار وإبداع ، وما
حكم في شيء إلا بالحكم الثابت ، والمستدل وبشكل إعجازي .

والحال إنَّ كل تأليف ، ومهما كان عليه مؤلفه من الدقة ،
والتحقيق ، والإحتياط ، سرعان ما تتوضح أغلاطه ، ويخسر موقعه

(١) أقبل العلماء على دراسة كتاب الله المجيد بشوق وتقديس ، وكتبوا عنه
أبحاثاً علمية قيمة ، غزيرة المادة ، عميقة الفائدة ، أسموها (علوم
القرآن) وكانت هذه العلوم كثيرة العدد ، فقالوا : إن علوم القرآن تبلغ
في العدد (٧٧٤٥٠) علماً على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة ، إذ
لكل كلمة ظهر ، وبطن ، وحدّ ، ومطلع ، وهذا مطلق ، دون اعتبار
تركيب ما بينها من روابط ، وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله ، «وأم
علوم القرآن ثلاثة : توحيد ، وتذكير ، وأحكام : فالتوحيد : يدخل فيه
معرفة الخالق والمخلوقات ، والتذكير : منه الوعد والوعيد ، والجنة
والنار ، والأحكام : منها التكاليف كلها . . . لذلك كانت (الفاتحة) أم
القرآن ، لأن فيها الأقسام الثلاثة . . .» (الإتقان في علوم القرآن :
١٢٨/٢ - موجز علوم القرآن ، داود العطار : ص ١٨) .

العلمي ، ولكن قرآنا المقتدر ، بما يحويه من العلوم والحقائق العلمية ، يتحكم في الناس ، تحكماً علمياً وأخلاقياً ، على الرغم من مرور أربعة عشر قرناً عليه ، ولا يزال مرجعاً ومصدراً ، لكل اكتشاف جديد ، ومنبعاً لأسرار الكون ، وما تقدمت البشرية في زاوية من زوايا التطور العلمي ، إلا وكان ذلك التقدم سناً وثيقاً لإثبات عظمة هذا الكتاب .

ولم يجد العلماء والمكتشفون سبيلاً ، إلا المشول أمام القرآن ، والوقوف وقفة الإعجاب والإكبار ، والإعتراف بأنهم قاصرون عن تعريف هذا الكتاب السماوي ووصفه ، بما يستحقه من وصف ، وبكل ما قالوه ، أو وصفوه ، لم يؤدوا حق تعريفه ، وبيان كنهه ، وما ذاك ، إلا لأن القرآن كبير وعظيم ، بحيث لا تستوعبه المرايا الموجودة . . .

إنَّ جميع ما قاله القائلون ، وكتبه الكاتبون ، في حق هذا الكتاب العظيم ، ليس إلا كقطرة من الماء ، ترشح من خلال الأمواج المتلاطمة في البحار العظيمة ، فيتسنى لها الظهور مع تلاطم الأمواج ، ولكن سرعان ما تختفي وتضيع ضمن المقادير المتكاثرة من المياه . . .

ولكن هذا لا يمنعنا من وصفه ، والغوص فيه ، والتحدث عنه ، بما يتلاءم مع أفكارنا وعقولنا القاصرة ، في إعطاء حقه من البيان .

فكل منا يكيل منه بمكياله ، ويغرف منه بمقدار همته واستيعابه ، فإنه كما يقول الأديب الفارسي : «إن لم يمكنك قطف الورد من الشجرة ، فكن من الملازمين لها ، لتحسب من

محببها! » .

سأكتفي بهذا المقدار من البيان ، لأنقل إلى القراء الكرام ،
اعتراف العظماء من غير المسلمين ، وشهادتهم بعظمة القرآن
الكريم في صدر الإسلام ، وفي عصرنا الحاضر، ليزدادوا إيماناً
به ، ومعرفة فيه . . .

إنَّ الإنتشار السريع للإسلام ، ونفوذ الآيات القرآنية ،
وتفاعلها مع أرواح وقلوب أصحاب الضمائر الحرة ، وإقبالهم على
النبي (ص) ، ودخولهم في الإسلام جاء ضربة قاسية على رؤوس
المستكبرين والطفغاة ، من زعماء الجاهليين ، فراحوا يخططون
لمنع انتشاره وتوسّعه ، وجعلوا يتوسلون بكل نفيس ورخيص ،
بإملاء من فكرهم الناقص الجاهل ، للحطّ من قداسته وكرامته ،
لأنهم وجدوا في الإسلام هدم زعامتهم ، ومواقعهم الاجتماعية ،
حيث أنَّ الإسلام بدأ إصلاحاته العميقة متكئاً على قدرته
المعنوية ، لرفض عبادة الأصنام ، والقتل ، وسفك الدماء ،
والكذب ، والسرقه ، والسيطرة على الآخرين ، والعنصرية ،
والزعامات الموروثة والإستعباد ، و . . . و . . . إلى آخر ما هنالك
من مظاهر الجهل والظلم التي كان يمارسها أمثال أبي جهل^(١) ،

(١) أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي (ت ٢ هـ) ، كان من
أشد الناس عداوة للنبي (ص) ، قتل يوم بدر كافراً ، وأخباره مع النبي
(ص) ، وكثرة أذاه إياه ، مشهورة ، وروي أن النبي (ص) قال فيه : «إنَّ
هذا أعتى على الله ، عز وجل ، من فرعون ، إنَّ فرعون لما أيقن
بالهلاك ، وحَّد الله ، وإنَّ هذا لما أيقن بالهلاك ، دعا باللات ،
والعزى» . وسأله الأحنس بن شريق الثقفي ، وكانا قد استمعا شيئاً من
القرآن : ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا =

وأبي سفيان^(١) ، وأبي لهب^(٢) ، وعتبة ، وشيبة ، وغيرهم ، فوجد

= سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذبنا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقك ! واستمر على عناده ، يثير الناس على محمد رسول الله (ص) ، وأصحابه ، لا يفتر عن الكيد لهم ، والعمل على إيذائهم ، حتى كانت وقعة بدر الكبرى ، فشهدا مع المشركين ، فكان من قتلاها . (الأعلام : ٨٧/٥ - الروض الأنف : ٤/٢ - سيرة ابن إسحاق : ص ١٤٥ - الكنى والألقاب : ٤٠/١ - المحبر : ص ١٦١ - مجمع البيان : ٥٥٩/٤) .

(١) أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس (ت ٣١ هـ) ، عداوته لرسول الله (ص) أشهر من أن تذكر ، لم يزل يثير الأقوام ، ويشكل الأحزاب على حرب رسول الله (ص) ، كما في (بدر الكبرى) ، و(بدر الصغرى) ، وفي (أحد) ، و(الأحزاب) ، وفي وقائعه الأخرى ، ولم يهدأ ساعة عن معاداة النبي (ص) ، في السر والعلانية ، وبإثارة النفوس والجيوش ضده ، ويجاهد المسلمين جهده ، إلى يوم فتح مكة ، فاستسلم ظاهراً خوفاً من القتل . قال ابن عباس : والله ما كان أبو سفيان إلا منافقاً ، ولقد كنا في محفل فيه أبو سفيان ، وقد كُفَّ بصره ، وفينا علي (ع) ، فأذن المؤذن ، فلما قال : «أشهد أن محمداً رسول الله» ، قال : ها هنا من يحتشم ؟ قال واحد من القوم : لا . فقال : لله درّ أخي هاشم ! أنظروا أين وضع إسمه !! فقال علي (ع) : أسخن الله عينيك يا أبا سفيان ، الله فعل ذلك بقوله ، عز من قائل : ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ ! فقال أبو سفيان : أسخن الله عين من قال لي : ليس ها هنا من يحتشم ! فقتت عينه يوم الطائف ، فبقي أعور إلى يوم وقعة اليرموك سنة (١٣ هـ) ، ففقتت عينه الأخرى فعمي . توفي في دمشق عند ولده معاوية ، عن ثمان وثمانين سنة ، وكان بخيلاً ممسكاً . (الكنى =

هؤلاء في الإسلام ، خطراً يهددهم ، ويهدّد وجودهم ونزواتهم ، فجعلوا يتداولون في أساليب التغلب عليه ، وإطفاء نور الهداية الإلهية ، فمارسوا كل الأساليب الوحشية للوصول إلى ذلك الهدف ، حتى إنهم خططوا لقتل رسول الله (ص) ، مرات عديدة ، لولا أن الله ، عزّ وجلّ ، وعدرسوله بحفظ القرآن^(١) ،

والألقاب : ٨٨/١ - الأعلام للزركلي : ٢٠١/٣ - الإصابة : ترجمة رقم ٤٠٤١ - فتوح البلدان : ص ١٤١ - نكت الهميان : ص ١٧٢ - المحبّر : ص ٢٤٦ - الأغاني : ٣٤١/٦ .

(٢) أبو لهب : هو أبو لهب بن عبد المطلب ، عم النبي (ص) . كان شديد المعاداة للنبي (ص) ، مصراً في تكذيبه ، مبالغاً في إيذائه ، بما يستطيعه من قول وفعل ، وهو الذي قال للنبي (ص) : «تباً لك !» ، لما دعاهم إلى الإسلام لأول مرة ، فنزلت السورة ، وردّ الله التّباب عليه . وذكر بعضهم أن أبا لهب إسمه ، وإن كان في صورة الكنية ، وقيل إسمه عبد العزّي . وقيل : عبد مناف . وأحسن ما قيل في ذكره ، في الآية ، بكنيته لا بإسمه : إنّ في ذلك تهكماً به ، لأن أبا لهب يشعر بالنسبة إلى لهب النار ، كما يقال أبو الخير ، وأبو الفضل ، وأبو الشر ، في النسبة إلى الخير ، والفضل ، والشر ، وقيل : لم يذكر بإسمه ، وهو عبد العزّي ، لأنّ (عزّي) اسم صنم ، فكره أن يُعدّ بحسب اللفظ عبداً لغير الله ، وهو عبد الله ، وإن كان الإسم إنما يقصد به المسمى . وقيل : اسمه عبد العزّي ، وكناه أبوه بـ (أبي لهب) لحسنه وإشراق وجهه ، وتزوج أم جميل بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان ، المعبر عنها في القرآن بـ (حمالة الحطب) ، وولدت له . وله من الأولاد عتبة ، وعتبة ، ومعتب ، وأنثى باسم درة . (سيرة ابن هشام : ١١٣/١ - شرح النهج : ١٩٥/١٥ - سلسلة آباء النبي (ص) : ص ٢٥٩ - تاريخ اليعقوبي : ٩/٢ - الميزان في تفسير القرآن : ٤٤٥/٢٠) .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ =

وصون رسالته . . .

فالتجأ أبو جهل ، العدو اللدود لرسول الله (ص) ، إلى كبير من كبار الحجاز ، وعظيم مكة ، الوليد بن المغيرة المخزومي^(١) ، ليستفيد من موقعه ، وكلمته النافذة ، وقوله الحاسم ، لإطفاء نور الرسالة السماوية .

الوليد بن المغيرة والقرآن الكريم :

والوليد بن المغيرة : وحيد الحجاز والعرب ، وكانت قبيلته «بنو مخزوم» تُسَمَّى بـ «ريحانة قريش» ، لمكانتها الاجتماعية العالية . وكانت له ثروة كبيرة ، منها قافلة تجارية بين (مكة) ، و(الطائف) في الحجاز ، و(الشام) ، و(اليمن) . وكان له عشرة أولاد أبطال وشجعان ، منهم : «خالد بن الوليد»^(٢) فاتح الشام ،

= (الحجر : ٩) . وقوله تعالى : ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ (الفتح : ٣) .

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ت ١٠٠ هـ) ، أبو عبد شمس ، من زعماء قريش ، ومن زنادقتها . أدرك الإسلام وهو شيخ هرم ، فعاداه ، وقاوم دعوته . هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بـ (الحجون) ، وهو والد خالد بن الوليد ! (الكامل لابن الأثير : ٢٦/٢ - تاريخ اليعقوبي : ٢١٥/١ - نهاية الأرب : ٢٧٣/١٦ - وفي (المحبر) ذكر «زنادقة قريش» ومنهم صاحب الترجمة ، وأنهم تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة . راجع المحبر : ص ١٦١ - الأعلام للزركلي : ١٢٢/٨ - سيرة ابن إسحاق : ص ١٥٠) .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (ت ٢١ هـ) : كان من أشرف قريش في الجاهلية ، وشهد مع شركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية . لما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام ، وولى أبا =

و«الوليد بن الوليد» الذي كان من المسلمين الأوائل ، و«عمارة بن الوليد» الذي أمرته قريش بالذهاب مع «عمرو بن العاص» لملاحقة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة ، وكانت له قضايا مع عمرو بن العاص وزوجته^(١) ، ومواقف مع ملك الحبشة .

وعلى كل حال ، ازداد الوليد شهرة وموقفاً ، من خلال أولاده ، بالإضافة إلى تجارته وأسفاره الكثيرة ، إلى (الشام) ، و(اليمن) ، ومقابلته لعلماء وأدباء تلك البقاع ، ومخالطتهم ، مما أدت به لكسب بعض الآداب ، والأخلاق ، والبلاغة والشعر ، فاحترمه الناس ، وأكبروه ، وعظموه ، حتى قالت قريش ، بعد ما نزل القرآن على محمد (ص) ، كما يحكي ذلك القرآن الكريم :

= عبيدة بن الجراح ، إلى أن تم لهما الفتح سنة (١٤ هـ) . مات بـ (حمص) في سورية ، وقيل بـ (المدينة) . (الإصابة : ٢٢٠١/١ - الإستيعاب ٤٠٥/١ - صفة الصفوة : ٢٦٨/١ - تاريخ الخميس : ٢٤٧/٢ - الأعلام : ٣٠٠/٢) .

(١) ذكر أبو الفرج الأصبهاني : «أن عمرواً سافر بامراته ، فلما ركبوا البحر ، كان عمارة قد هوي امرأة عمرو وهويته ، فعزما على دفع عمرو ، فسقط في البحر ، ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ، فأضمرها عمرو في نفسه ، ولم يبدها لعمارة ، بل قال لامراته : قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه ، فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو ، حيث راح يحرضه على التعرض لامرأة النجاشي ، ولما رأى إنابتها إليه وشى به إلى الملك الذي أدركته الغيرة ، فدعا بالسواحر وأمرهن أن يسحرنه ، فطار من سحرهن هائماً على وجهه ، حتى لحق بالوحوش في الجبال . ويقال ان ابن عمه عبد الله بن ربيعة استأذن عمر في السفر إلى الحبشة وراءه ، وقبض عليه مع الوحوش ، فمات بين يديه . (الروض الأنف : ٩١/٢ - سيرة ابن هشام : ٨٦/٢ - سيرة ابن إسحاق : ص ١٦٧) .

﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(١) ، يعنون بذلك «الوليد بن المغيرة» في (مكة) ، و«عروة بن مسعود الثقفي»^(٢) في (الطائف) .

نعم ، فكر أبو جهل أن يتدرع بالوليد ، وهو خاله ، فجاء إليه مبعوثاً من قريش ، وقال له : تقول قريش : لماذا سكت الوليد تجاه محمد ودعوته؟! ولماذا لم يُعط الوليد رأيه ، ليصدّ هذه الدعوة ويخمدها؟

فسكت الوليد هنيهة ، ثم رفع رأسه قائلاً : إني لم أسمع محمداً يجهر بدعوته إلى الآن ، ولا ينبغي لي أن أحكم عليه ، قبل أن أعرف عنه شيئاً ، أمهلني أسمع قرآنه ، فأقرر موقفي منه ! .

وجاء الوليد إلى (البيت) لهذا الغرض ، وجلس خلف محمد (ص) ، في (حجر إسماعيل) ، ليسمع ما يقرأه محمد (ص) ، من القرآن .

فلما أحسَّ محمد (ص) ، أن وحيد العرب وعظيمهم ، جالس خلفه ، جعل يقرأ آيات من سورة «غافر - المؤمن» ، وثم آيات من سورة «فصلت» .

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٣١ .

(٢) عروة بن مسعود بن عامر بن معتب الثقفي (ت ٩ هـ) : كان كبيراً في قومه بالطائف . قيل إنه لما أسلم استأذن النبي (ص) أن يرجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام ، فقال (ص) : أخاف أن يقتلوك ! قال : لو وجدوني نائماً ما أيقظوني ! فأذن له فرجع ، فنادى على سطحه بـ (الطائف) بالأذان ، أو التوحيد ، فخالقوه ، ورماه رجل من أهل (الطائف) بسهم فقتله . (المحبر : ص ١٠٦ - الأعلام : ٢٢٧/٤ - الإصابة : ترجمة رقم ٥٥٢٨) .

وما أن سمع الوليد الآيات المتلوة ، حتى تأثر بها تأثراً
بالغاً ، وجعل يرتجف من وقعها في قلبه ، ثم نهض من مكانه ،
طالباً مجمع قريش ، الذين كانوا بانتظاره .

ولما تمثلوا بين يديه قال :

لقد طلبتم مني أن أبدي رأيي في محمد (ص) ، ودعوته ،
وأتكلم فيه ، فإني قد استمعت إلى آيات من تلاوة محمد ، وأنه
لا يقال في دعوته أي شيء !!

فإن قلتُم : إنه شعر ، فإني قد سمعت الشعر كثيراً ، وأعرف
أنواعه ، من الهزج والرجز ، والقصيد ، والغزل ، والمبسوط ، والمقبوض ،
وكلام محمد لم يكن من كل هذه الأنواع ! .

وإن قلتُم : إنه قول كاهن ، فإني لم أجد فيها أي تكهن ،
أو إخبار عن مولود ذكر ، أو أنثى ، أو نفع ، أو ضرر ، أو موت ،
أو حياة لأحد .

وإن نسبتُم إليه الجنون ، فإني لم أجد فيه ما يدل على ذلك
أبداً ، بل إنَّ له لحلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّ أعلاه لمثمر ،
وإنَّ أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يُعلَى عليه !!

لما سمعت قريش كلام الوليد هذا - ولم يتوقعوا حصوله
منه - خابت آمالهم فيه ، وقالوا لأبي جهل :

لقد خيبنا الوليد ، ونرى أن كلامه هذا ، واعترافه ، سوف
يؤدي إلى تقوية محمد ، وتثبيت دعوته وإسلامه !

فقال أبو جهل : أتركوا لي أمر الوليد ، ولسوف ألتقي به ،
وأصح فكره . . .

وفي المساء ، جاء أبو جهل إلى دار الوليد ، وجلس بجانبه ، ساكتاً عبوساً ، فسأله الوليد عن ذلك ، فأجابه أبو جهل :
إنَّه من أجلك ، وحرصاً على مكانتك في قريش ، فإنهم يقولون :
إنَّ الوليد تأثر بموائد أصحاب محمد اللذيذة ، وانحرف عن أصنامهِ وعقيدته ، وقبل دعوة محمد ، ويدعمه فيها !!

فغضب الوليد وقال : أفيَّ يقال هذا الكلام ؟ وعليَّ يُفتري بآني انقلبت عن ديني بلقمة أصحاب محمد؟! لا ينبغي أن أهان ، ويُحط من موقعي بمثل هذا الكلام !!

فقال أبو جهل : إذا كان كذلك ، فلا بدَّ أن تقول في محمد ودعوته شيئاً يعاكس اعترافك به ، ويمحو كلامك الذي قلت في مدحه وصدقه ! وإلا فستبقى قريش تقول فيك ما لا يرضيك !

فاستمهله أبو جهل ليلته ، ليفكر في كلام يقوله في محمد ، يشينه به ، بحيث لم يخالف صريح الكلام الذي قاله بالأمس ، فتقول الناس فيه كلاماً يمسُّ عقله وفكره . . .

فكر الوليد ليلته تلك ، في كلام يخرجهُ من المأزق الذي وقع فيه ، ودرس جميع جوانب المسألة ، وأقنع نفسه بأنه لا بدَّ أن يقول فيه كلاماً قصيراً قاسياً ، يقضي على محمد ودعوته ، فقال : لا بدَّ من نسبة السحر إليه ، ولكن ليس سحراً عادياً يُعاكس ، ويُبطل ، ويُغلب عليه ، ثم قال فيه : «إنه سحر يؤثر!» . إنه الموقف الذي يذكره القرآن في الآيات التالية :

﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ * وجعلت له مالاً ممدوداً *
وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعوداً * إنه فُكّر وقدر * فقتل كيف

قَدَّرَ * ثم قُتِلَ كيف قَدَّرَ * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر ﴿١﴾ .

(١) سورة المدثر : الآيات من ١١ حتى ٢٩ . ولقد وردت القصة التي نقلها سماحة المؤلف - حفظه المولى - بتصرف ، في السيرة النبوية كما يلي : «إن الوليد بن المغيرة ، اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر هذا الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ! إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ! قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به . قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن ! قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمنة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول مجنون ! قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ! قال : ما هو شاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه ، وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول ساحر ! قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ، ولا عقدهم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس !؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق (النخلة) ، وإن فرعه لجناة . قال ابن هشام : ويقال : لغدق (الماء الكثير) . وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس ، حين قدموا الموسم ، لا يمرُّ بهم أحد إلا حذَّروه إياه ، وذكروا لهم

وكذلك نزلت في هذا المعاند آيات أخرى في سورة القلم :

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ

الْأُولَىٰ * سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرطوم﴾^(١) .

لقد تحقق هذا الوعيد الإلهي ، في هذا المعاند زأمثاله ، بانتشار الدعوة الإسلامية ، ودخول أفواج الناس في الدين الجديد ، بعد أن تفاعل مع قلوبهم وأفكارهم ، وراح الناس قديماً وحديثاً يظهرون إعجابهم وإكبارهم للقرآن ، معترفين بعمق مفاهيمه ، وهم على دينهم وملتهم ، حثهم وجدانهم وإنصافهم على الإفصاح عما يجدون في ضمائرهم ، من تعظيم وإجلال للقرآن ، من خلال مقالاتهم ، أو كتبهم ، بما ملأت المكتبات ، وخزائن الكتب ، ولم يسع كتابنا هذا ذكرها وتعدادها ، ولكن نقل إليكم أبياتاً شعرية للشاعر والأديب المسيحي «مارون عبود»^(٢) ،

= أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة «الآيات التي وردت في المتن (سيرة ابن هشام : ٢٧٠/١ - سيرة ابن إسحاق : ص ١٥٠) .

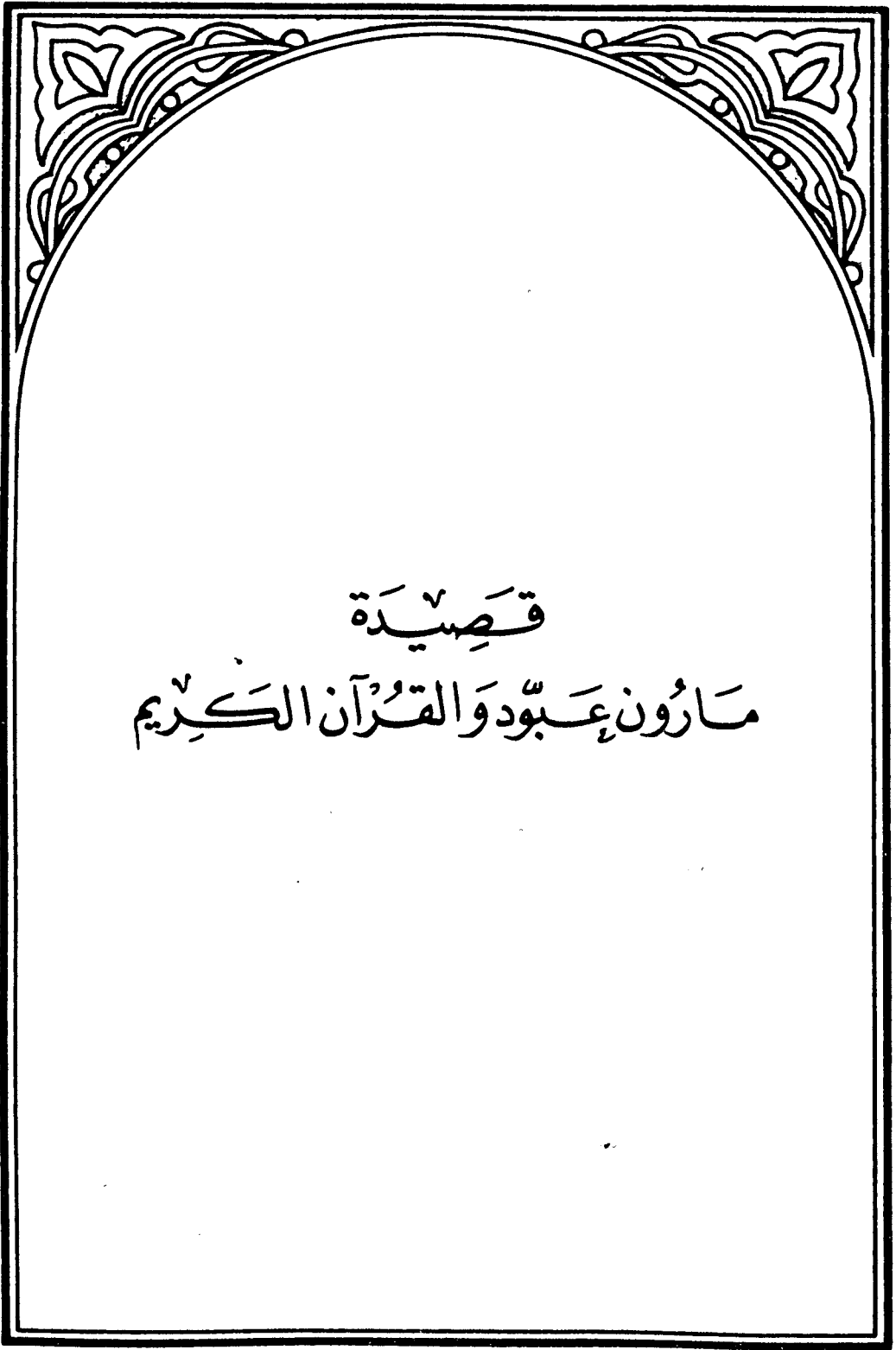
(١) سورة القلم ، الآيات من ١٤ حتى ١٦ .

(٢) مارون عبود : (١٣٠٣ - ١٣٨٢ هـ / ١٨٨٣ - ١٩٦٢ م) : أديب لبناني ، نقادة عنيف ، كثير التصانيف ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق . مولده بقرية «عين كفاح» ببلبنان ، تعلم بها ، وتخرج بمدرسة «الحكمة» في بيروت . وعمل في التدريس ، فنراه مدير (الجامعة الوطنية في عاليه - لبنان) ، كما عمل في الصحافة بين (١٩٠٦ و ١٩١٤) ، وشارك في إنشاء (جريدة الحكمة) عام (١٩١٠) وأصدر عدداً من الكتب من تأليفه ، تُرجم بعضها إلى أكثر من لغة . كان خالص العروبة في نزعتة . يقول : «رزقت ولداً فسميته محمداً ، فقامت قيامة الناس ، فريق يستهجن ويقبح ، ويكفر ، وفريق يوالي وينتصر ، وكان أول من قدر هذا» =

وهو رئيس الجامعة الوطنية اللبنانية ، حيث أبدى شعوره وأحاسيسه تجاه القرآن وعظمته وإجلاله ، من خلال قصيدة شعرية عنونها «النبى محمد» فقال :

العمل ، وأعجب به أشد الإعجاب صديقي المرحوم أمين الريحاني
فبعث إليّ بكتاب يقول فيه : «أحسنت يا مارون ، أحسنت ، وخير الآباء
أنت ، أصافحك بيدي الحب والإعجاب ، وأهنئك بصبيك الجديد ،
وأهنئه باسمه الأجد ، وبالقصيدة التي نظمتمها له ، ولهذا الوطن الغني
بالأديان ، الفقير بين الأوطان . . . » . ومن ضمن القصيدة التي نظمها
في إبنه ، يقول :

«والنبىُّ القرشي المصطفى آية الشرق وفخر العربي
وعُرف بأبي محمد ، كما سُمِّي ابنته فاطمة ، وقال على سبيل النكته :
«سُمِّيْتُ ابني محمداً نكايه بوالدي الذي سماني مارون !» . (الأعلام :
٢٥٣/٥ - الطبعة الأولى (١٩٤٦ م) لديوانه الشعري (زوابع) ، وقد نقل
سماحة المؤلف - حفظه المولى - القصيدة بتمامها منه .



قَصِيْدَةٌ
مَارُونِ عِبُودِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

النبي محمد (ص)

قصيدة مارون عبود والقرآن الكريم :

طبعتك كفّ الله سيفاً أمان
العدل قائمه، وفي إفرنديه
وعليك أملى الله من آياته
لولا «كتابك» ما رأينا معجزاً
حملت إلى الأقطار من صحرائها
هادٍ يصور لي كأن قوامه
وأراه يغضب للاله موحداً
لم يزهه «بدر»، ولا «أحد» ثنى
فهو اليقين يصارع الدنيا، ومن
وكذا النبوة، حكمة، وتمرد
هي ذلك الروح الذي يتقمص الـ
تلقى على الأبطال شكته فتد
وقعة (أحد) :

«أحد» سبيل الله، سيناء النبي
بي الهاشمي، ومصرع الأوثان

(١) في الأصل «جاري» .

ألواحه هبطت سطوراً من دمٍ
يمشي براية «أحمد» حزب الهدى
فَعَلَا فحیح المشركين كأنَّ في
دهموا الرسول فما ألان جناحه
متماسك إيمانه، مستوثق
سرياً محمداً لا تخف غمرايتها
وأمامك الميناء بسام اللمي
«والريح» بين يديك يرسلها الذي
فوز الأبد :

لماتناضل عنده الحزبان
والشرك يُزجيه أبوسفيان
تلك الصدور جهنم الأضغان
للكاثرين، وقام كالصفوان
وجدانه، من ربّه الحنان
فستنجلي عن قدرة الربان
فأضرب بجوجوها العباب القاني
يطوي الوجود بأمره الملوآن

دارت رحي الهيجا على لهواتها
فكأن عاصفة تُحرّك غابة
فصليل أسيفهم زئير مأسدٍ
وكأنما في كل لأمة باسل
ما أرخص الأرواح عند العرب إن
وقضى المهيمن أن يمهر عبده
فثنيتاه مبسم الدين ازدهى
وكذا الرسالة لا يؤيد وحيها
أم عمارة :

مجنونة، وتلاحم الجمعان
من مشرفيات، ومن مران
ورنين أنبلهم عزيز الجان
عزريل، فالصرعى بكل مكان
جهلوا، وكم تُمسي بلا اثمان
بدم بلاغ الوحي للأكوان
بهما، ونال الحق خير ضمان
إلا إذا كُتبت بأحمر قان

لله «أم عمارة» من باسل
لله در أبيك أنصارية
هي مجدلية أحمد، وسلاحها
سلكت سبيل الله تحمل قربة
حتى إذا ما المسلمون تضعضوا

أنثى تطاعن أفحل الشجعان
مضت الدهور وأنت نصب عياني
غير الطيوب، ومدمع هتان
تروي ظمأ مجاهد حران
ومحمد أمسى بلا أعوان

نفحتُ به عن سيد الفرسان
منقضةً ككواسر العقبان
بالمصطفى ، بالله ، بالقرآن

يختالُ ، كالجني في الميدان
فالفجُّ ينعُ ، والقطوف دواني
فلوَاهُ فوق مناكب الأقران
وهوى على متجبر طعان
دون النبي وأسهم العدوان
في الساعة السوداء ، ثبت جنان
حمراء ، صانت بيضة الإيمان
ترشُ الرجال ، ففقت ضرب غواني
فقد استباح حرمه الفتيان
وعقودها آتخذت من الأذان
والقلب مقدود من الصوان
بهم ، فيومكم قريب داني
طرق الحواريين كالسرحان
ملء النواظر في المصف الثاني؟

أبوابها ، لعساكر الرحمان
«الفتح الكبير» لمت قبل ثماني
كربائض يحدقن بالرعيان
وغداً سيعدوه إلى البلدان

طَرَحَتْ بقربتها ، وسلت صارماً
مهتاجةً كلبوءة في فجوةٍ
أثنى تذود يشدها إيمانها
أبودجانة :

«وأبودجانة» في حسام محمد
بطل الجلاد إذا تعصب وانتخى
أخذ الحسام من النبي «بحقه»
كم شك مدراً ، وجندل فارساً
حُم القضاء ، فكان ترساً من دم
وابن اليقين إذا دعوت وجدته
أبا العصابة أخلدتك هنيهة
كرمت سيف محمد والموت يف
أما «عتيقتك» التي أطلقتها
لاكت كبود المؤمنين تشفياً
كبد المجاهد «يا هنيذة» مرة
فاهوي على جثث الرجال ، ومثلي
«يا خالد» أروذ ، فقبلك «بولس»
أفتنصر «العزى» وقد بزغ الهدى

فتح مكة :

ماذا ، أبالهب ، فمكة أشرعت
قد غمك «النصر الصغير» فلوترى
أنظر ، فإن الناس حول محمد
قد طاف بـ «البيت العتيق» مطهراً

فتحطمت ، أسمعَت صوت أذان
مُ ويطلع أسم الله في الأذهان
ملء النفوس جماله الروحاني

«اللَّهُ أكبر» دهورت أصنامكم
هذا «بلال» يبلغ النبأ العظي
ومحمَّد مغضٍ جلالاً خاشع

النبى :

فُتحتُ لُدِيهِ خزائنُ الكتمان
فيمسُّ ظهرَ الغيبِ مسَّ بنان
ركتائباً، معروضةً لعوان
جم الخطوط، منوع الألوان
ملك النبيُّ العالمَ الإنساني
وأنقضَّ رفرقها على الأركان
أرض الموات تبدلت بجنان
وأبالبيض الأرض والسودان
يافاتح الدنيا استرخ بأمان

إنَّ النبيَّ إذا تأمل مطرقاً
يبدو العتيدُ أمامه متجسِّداً
وتمرُّ من قدامه قطع الدهو
فيرى الوجودَ أمامه كمصورٍ،
ماللتخومِ مناعةً في عرفه،
فإذا مشى هوتِ المعازلُ ركعاً،
والعبقريَّة إن فرى محراثها الـ
هذا «يتيم» صار كافل أمةٍ
نصر من الله العزيز لعبدِهِ

المعلم البطل :

قامت على التوحيد والميزان
إلا بحقِّ العادلِ الديان
وحيال كنت كأودع الحملان
ما خضت حرباً طاعناً بسنان
فأتوك بالخطي والميران
ومذآرعوا عن ذلك الطغيان
وغمرتهم بالفيء، والإحسان
أمنأوعزاً، فأعتصم بيماني

لك في السماء منصَّةً قدسيَّةً
ما كنت سفاحاً ولم تسفك دماً
لو كنت في قومٍ تسيغ عقولهم
لولا اعتداؤهم عليك وجورهم
علمت بـ«القلم» الذي لم يعلموا
قد أخرجوك فأخرجوك، فنلتهم
أسمحت، ثم صفحت عن آثامهم
والأمن في ظل السيوف، فإن ترم

روح الإسلام :

من كلِّ فاكهةٍ بهازوجان
كالبحر لفظاً، والسماء معاني
العبد والمولى بهانيدان
قد دُست مجد الأصفى الرنان
ما كان في الدنيا فقير عان
أما الهوى فكبحته بعنان
بعمائم أزهى من التيجان
بالعدل، فالأعداء كالإخوان
أسعدتها بمضارب العربان
قد فرقت هانعة الأديان
ماءً فمارون سوى مروان
ومسيحهم ورسولهم أخوان
في قبضة الرواد والحدثان
ذكر النبي الأظهر العدناني
داعي شعوب الأرض للوحدان
طير الجنان تمطق الغربان^(١)

لله دينك جنة مختومة
دين تدفق حكمة وتجدداً
ألفت منه وحدة كونية
يا من يموت ودرعه مرهونة
لو أدت الناس الزكاة، وأنصفوا
يسرت للناس الشؤون فأيسروا
وجمعت حولك يا رسول صحابة
خشنت ملابسهم، ولان جوارهم
تشقى العدالة في القصور، وأنت قد
أعلم التوحيد وخذ أمة
فتخالفت جمعاً واحداً وأسد
قوم تقض فراشهم آراؤهم
يتنازعون على السماء وأرضهم
فلتنحن الأجيال إجلالاً إذا
ألمالىء الدنيا بذكر الله، والد
ولينعق المتعصبون فلم يضر

(١) راجع ديوان مارون عبود (زوابع) : ص ٢٢٧ وما بعدها ، من الطبعة الأولى دار المكشوف / ١٩٤٦ م .

وقال الشاعر المسيحي اللبناني رشيد سليم الخوري ، في مدح النبي (ص) ، بمناسبة عيد المولد النبي الشريف :

عيد البرية عيد المولد النبوي ،
عيد النبي ابن عبد الله من طلعت
في المشرقين له والمغربيين دوي
شمس الهداية من قرآنه العلوي
باللتمدن! عم الكون من بدوي
بدا من القفر نوراً للورى وهدي

يا صاحب السيف لم تُفلل مضاربه
 يا فاتح الأرض ميداناً لقوته
 يا قوم هذا مسيحيٌ يذكركم :
 فإن ذكركم رسول الله تكريمةً
 اليوم يقطر ذلاً سيفك الدموي
 صارت بلادك ميداناً لكل قوي
 لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوي
 فبلغوه سلام الشاعر القروي
 (الشاعر القروي تأليف عبد اللطيف شرارة : ص ١٦٢) .

وقال بمناسبة عيد الفطر :
 أكرم هذا العيد تكريم شاعر
 ولكنني أصبوا إلى عيد أمة
 إلى علم من نسج عيسى وأحمد
 (الشاعر القروي : ص ١٩٠) و (الديوان : ١ / ٤٠٠ و ٤٦١) .

● وقال بقراط النصراني ، ابن أشوط الواثق ، بطريق بطارقة أرمينية ،
 في القرن الثالث :

أليس بـ (ختم) قد أقام محمدٌ
 فقال لهم : من كنت مولاه منكم
 فقال : إلهي كن وليّ وليّه
 علياً يا حضار الملا في المواسم
 فمولاكم بعدي عليّ بن فاطم
 وعاد أعاديه علي رغم راغم

● وقال أبو إسحاق الصابي ، يمدح عضد الدولة ، عند زيارته قبر أمير
 المؤمنين (ع) :

توجهت نحو المشهد العلم الفرد
 تزور أمير المؤمنين ، فياله
 فلم يُرَ فوق الأرض مثلك زائراً ،
 على اليمن ، والتوفيق ، والطائر السعد
 وبالك من مجد منيخ علي مجد
 ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
 ● وقال بولس سلامة في (يوم الغدير) :

جاء جبريل قائلاً : يا
 يا إلهي ! من كنت مولاه حقاً ،
 فكان النبي يرفع بندا أ
 راوياً للزمان فضل عليّ
 نبي الله ! بلغ كلام رب مجير
 فعليّ مولاه غير نكير
 عز عيداً للقائد المنصور
 باسطاً للعيون حق الوزير

(تحت راية الحق : ص ٢٥٠)

هذا ما وقفت عليه من كلام شاعر مسيحي ، مثقف ،
ولاحظت كلامه العذب الصريح ، واعترافه بأن الإسلام والقرآن ،
بما فيه من قوانين فطرية ، متوافقة مع الضمائر الإنسانية ، سيحكم
الدنيا ، والمجتمعات البشرية ، ويسود العالم بمعالمه العالية
المتكاملة ، وينسخ كل الشرائع السماوية ، والأفكار ، والأنظمة
الإجتماعية الإنسانية ، وتلغى كل القوانين الوضعية ، ولن يمكنها
الثبات أمام قوانين القرآن العظيم . . .

هذا كلام مفكر معاصر ، وقد مرَّ عليك تصريح ذلك الرجل
«العظيم» ، عدو الله ورسوله ، وعدو الرسالة في صدر الإسلام
«الوليد بن المغيرة» ، حيث نطق بما يملي عليه وجدانه ، وفطرته ،
وقال في القرآن ، وهو على ما هو عليه من العناد : «إنه يعلو ولا
يُعلو عليه !» .

وإذ وقفت على شيء من عظمة القرآن الكريم ، بمقدار ما
يناسب المقام ، وقرأت شواهد على ذلك ، واعتراف الشخصيات
العظيمة فيه ، بما ينور أفكار جيل الشباب المتعطش إلى معرفة
الحقيقة ، لاتباعها والابتعاد عن الأفكار الوضعية الضالة المضلّة ،
نرى أن نبين لك بعض الإصطلاحات القرآنية ، ومقدمات تفسير
القرآن ، ليتسنى لأولادنا فهمه ، والخوض فيه ، والوقوف على
واقعه العلمي العميق ، فيعتزوا به كتاباً ، وبرنامجاً ، ومنهاج
حياة ، ثم يلتزمون به دون سواه .

الْفُرَّانُ الْكَرِيمُ
الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ (ص)
وَأَكْمَلُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ

القرآن الكريم الوحي الإلهي على نبي الرحمة (ص) ، وأكمل
الكتب السماوية :

القرآن^(١) صناعة إلهية ، لم يتدخل في تأليفه وتنسيقه أي فكر
بشري ، حتى النبي (ص) .

إنه وحي كله ، نزل من عند الله ، عز وجل ، على خاتم

(١) قال الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ) : « جاء الخبر المتواتر الذي لا
تتطرق إليه الريبة أن النبي (ص) كان في نشأته وأميته ، وتواترت أخبار
الأمم كافة ، على أنه جاء بكتاب قال إنه أنزل عليه ، وأن ذلك الكتاب
هو القرآن المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في صدور من عني
بحفظه من المسلمين إلى اليوم . كتاب حوى من أخبار الأمم الماضية ما
فيه معتبر للأجيال الحاضرة ، والمستقبله ، نقب على الصحيح منها ،
وغادر الأباطيل التي ألحقتها الأوهام بها ، ونبّه على وجوه العبرة فيها .
حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقصّ علينا من سيرهم ، وما كان بينهم
وبين أممهم ، ويراهم مما رماهم به أهل دينهم ، المعتقدون
برسالاتهم . آخذ العلماء من الملل المختلفة ، على ما أفسدوا من =

أنبيائه محمد المصطفى (ص) ، لسعادة البشرية الدنيوية والأخرية .

وعلى ضوء التواتر الموجود ، نحكم :

بأنَّ القرآن الموجود في أيدينا هو الكتاب نفسه المنزل على محمد (ص) قبل أربعة عشر قرناً ، بالقطع واليقين ، لم يتغير عبر هذا الزمن الطويل ، لا نظماً ، ولا معنى ، فهو محفوظ من كل أنواع الزيادة والنقصان ، أو التغيير والتحريف . . .

= عقائدهم ، وما خلطوا في أحكامهم ، وما حرفوا بالتأويل في كتابهم .
وشرع للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة في العمل بها ، والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة ، ما كانت عند حد ما قرره ، ثم عظمت المضرة في إهمالها ، والانحراف عنها ، أو البعد بها عن الروح الذي أودعته ، ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية ، كما يتبين للناظر في شرائع الأمم ، ثم جاء بعد ذلك بحكم ، ومواعظ ، وآداب ، تخشع لها القلوب ، وتهش لاستقبالها العقول ، وتنصرف وراءها الهمم انصرافها في السبيل الأمم . نزل القرآن في عصر ، اتفق الرواة ، وتواترت الأخبار ، على أنه أرقى الأعصار عند العرب ، وأغزرها مادة في الفصاحة ، وأنه الممتاز بين جميع ما تقدمه ، بوفرة رجال البلاغة ، وفرسان الخطابة ، وأنفس ما كانت العرب تتنافس فيه ، من ثمار العقل ، ونتائج الفطنة والذكاء ، هو الغلب في القول ، والسبق إلى إصابة مكان الوجدان من القلوب . . . جاءنا الخبر المتواتر ، أنه مع طول التحدي ، ولجاج القوم في التعدي ، أصيبوا بالعجز ، ورجعوا بالخيبة ، وحققت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام ، وقضى حكمه العليّ على جميع الأحكام . . . » (رسالة التوحيد : ص ٧٦) .

القرآن الكريم آخر وأكمل الكتب السماوية وناسخها ، وبما أنه الكتاب المعجز ، الحاوي لجميع الشؤون والمسائل البشرية ، وهو الكتاب الوحيد المرشح لأن يكون مواكباً للبشرية ، على مختلف الأزمنة والأمكنة ، إلى يوم القيامة ، فهو خاتم الكتب السماوية ، كما أن الرسول الأعظم (ص) خاتم النبيين .

ماهية الوحي :

من اللازم علينا ، ونحن نبحث في المصطلحات القرآنية ، أن نبين المقصود من كلمة «الوحي» ، فإنها تطلق على الكتب السماوية عادة ، وتعرف بها :

فالوحي في اللغة^(١) : بمعنى الكلام الخفي ، وتطلق على

(١) ● قال أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) : «الوحي : الإشارة ، والرسالة ، والكتابة ، وكل ما ألقته إلى غيرك ليعلمه . وهو مصدر (وحي) إليه (يحي) ، من باب وعد ، و (أوحى) إليه بالألف ، مثله ، وجمعه (وُحْيٌ) والأصل فعول ، مثل فلوس ، وبعض العرب يقول : (وَحَيْتٌ) إليه ، و (وَحَيْتٌ) له ، و (أَوْحَيْتُ) إليه ، وله ، ثم غلب استعمال (الوحي) فيما يلقي إلى الأنبياء من عند الله تعالى ، ولغة القرآن الفاشية (أَوْحَى) بالألف» (المصباح المنير) .

● وقال ابن منظور الأفرريقي (ت ٧١١ هـ) : «الوحي : الإشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والإلهام ، والكلام الخفي ، وكل ما ألقته إلى غيرك . والوحي : المكتوب ، والكتاب أيضاً ، وعلى ذلك جمعوا فقالوا : وُجِيَ . وفي حديث الحارث الأعور : قال علقمة : قرأت القرآن في سنتين ، فقال الحارث : القرآن هين ، الوحي أشد منه ! أراد بالقرآن القراءة ، وبالوحي الكتابة والخط . وأوحى إليه : بعثه ، وأوحى إليه : ألهمه . وفي التنزيل العزيز : ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ ، وفيه : ﴿بأذن =

وفي علم التفسير : الوحي عبارة عن الكلام الإلهي المنزل

ربك أوحى لها ، أي إليها ، فمعنى هذا أمرها . قال ابن بري :
= ووحى بمعنى كتب ، ووحى إليه وأوحى : كلمه بكلام يخفيه من غيره .
والوحي : ما يوحيه الله إلى أنبيائه ، وسُمي وحياً لأن الملك أسرّه على
الخلق ، وخصّ به النبي (ص) ، المبعوث إليه . وأصل الوحي في اللغة
كلها إعلام في خفاء ، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً ، وكذلك الإشارة
والإيماء يسمى وحياً ، والكتابة تسمى وحياً . وقال الله ، عز وجل :
﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ معناه : إلا
أن يوحى إليه وحياً ، فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه ، إما إلهاماً ، أو
رؤيا ، وإما أن ينزل عليه كتاباً ، كما أنزل على موسى ، أو قرآناً يُتلى
عليه ، كما أنزله على سيدنا محمد رسول الله (ص) ، وكل هذا إعلام ،
وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها» (لسان العرب : مادة وحي) .

● وقال عبد السيد المطرزي (ت ٦١٦ هـ) : «الإيحاء والوحي : إعلام
في خفاء ، وعن الزجاج (الإيحاء) يسمى وحياً ، يقال : (أوحى إليه
ووحى) : بمعنى أوحى» (المغرب : مادة الإيحاء) .

● وقال علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) : «الإيحاء : إلقاء
المعنى في النفس بخفاء وسرعة» . (كتاب التعريفات : ص ٤٠) .

فمعنى الكلمة يشير إلى معنيين أصليين ، هما : الخفاء والسرعة ، ولذا
قيل في معناه : الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث
يخفى على غيره ، وهذا معنى المصدر ، ويتناول بمعناه اللغوي :
الإلهام الفطري للإنسان ، والإلهام الغريزي للحيوان ، والإشارة السريعة
على سبيل الرمز والإيحاء ، ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس
الإنسان ، وما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه . (راجع مباحث في
علوم القرآن : ص ٣٢) .

على نبي من أنبيائه ورسله ، بشكل خاص ، ومن ثم يبلغه الرسول - ما لزم منه - بأمر من الله ، عزَّ وجل ، للناس .

قال الشيخ محمد عبده^(١) في تعريفه : «عرفان يجده الشخص من نفسه ، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة ، أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه ، أو بغير صوت . ويفرق بينه وبين الإلهام : بأنَّ الإلهام وجدان تستيقنه النفس ، وتنساق إلى ما يطلب ، على غير شعور منها ، من أين أتى ، وهو أشبه بوجودان الجوع ، والعطش ، والحزن ، والسرور»^(٢) .

(١) محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركماني (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) : مفتي الديار المصرية . ولد في قرية (شنرا) من قرى الغربية بمصر . نشأ في محلة نصر بـ (البحيرة) . تعلم بالجامع الأحمدي بـ (طنطا) ، ثم بـ (الأزهر) . كتب في الصحف ، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين . ناوأ الإنجليز ، فسجن ثم نفي إلى بلاد الشام . سنة (١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م) سافر إلى (باريس) ، فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٤ هـ) جريدة (العروة الوثقى) ، وعاد إلى (بيروت) ، فاشتغل بالتدريس والتأليف ، وسمح له أخيراً بدخول (مصر) فعاد سنة (١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م) ، وتولى منصب القضاء ، ثم مستشاراً في محكمة الإستئناف ، فمفتياً للديار المصرية سنة (١٣١٧ هـ) ، واستمر إلى أن توفي بـ (الإسكندرية) ، ودفن في القاهرة . له مؤلفات كثيرة أهمها : شرح نهج البلاغة (الأعلام : ٢٥٢/٦ - زعماء الإصلاح : ص ٢٨٠ - تاريخ آداب اللغة العربية : ٦٤٣/٢ - تراجم مشاهير الشرق : ٣٨٠/١) .

(٢) رسالة التوحيد : ص ٥٨ - ط . دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦ هـ =

أقسام الوحي :

عرفت أن كلام الله ينزل على الرسول (ص) بواسطة تارة ،
ومن دونها تارة أخرى ، وعلى هذا يصنف الوحي على عدة
أقسام . وقد فهم بعضهم من الآية الكريمة : ﴿وما كان لبشر أن
يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي
بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم﴾^(١) ، أن الوحي على ثلاثة أنواع :

١ - الوحي المباشر : وهو ما يتلقاه النبي (ص) دون واسطة
ظاهرية ، مثل الإلهامات التي تُلقى على روع النبي (ص) .

٢ - مكالمة الله ، عز وجل ، للرسول (ص) مباشرة : دون
واسطة ملك ، أو غيره ، مثل الخطاب ، والكلام الذي سمعه
النبي (ص) ليلة المعراج ، حيث أنه من المسلمات أنه لم يكن
هناك واسطة في المكالمة ، وأما لكيفية حصول المكالمة المباشرة
بين الله ، عز وجل ، وبين الرسول (ص) بحث مفصل ،
ومستقل ، ليس هذا مجاله .

٣ - نزول الوحي بواسطة ملك مخصوص ، أمين على
الوحي : يعني جبرئيل الذي كان وسيلة لتنزيل القرآن الكريم ،
وإبلاغه النبي (ص) .

= ١٩٨٦ م - وقد نقل الأستاذ مناع القطان ، التعريف نفسه في كتابه :
(مباحث في علوم القرآن : ص ٣٣) عن كتاب (الوحي المحمدي :
ص ٤٤) للشيخ محمد رشيد رضا .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٥١ .

وقد ذكر بعض علماء التفسير أن أقسام الوحي سبعة ،
مستندين إلى بعض الأحاديث الواردة في هذا الشأن ، وعدّوا منها
«الرؤيا الصادقة» ، ولا يستبعد ذلك (١) .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم ، من النوع الثالث ، فقد
أنزله الله ، عز وجل ، بواسطة جبرئيل ، وأبلغه بدوره رسول الله
(ص) ، وقد تمّ هذا خلال ثلاث وعشرين سنة ، أول البعثة
ابتداءً ، وانتهاءً بنهاية حياته الشريفة ، وإن كان يُفهم من بعض
الآيات القرآنية ، وصريح بعض الروايات الصحيحة المستندة ، أن
القرآن كله نزل في ليلة القدر ، دفعة واحدة ، على قلب النبي
(ص) ، ومن ثم نزل عليه آيات وسوراً مجزأة ، طوال هذه المدة

(١) راجع تفسير الميزان : ٧٢/١٨ . قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) :
«أصل الوحي الإشارة السريعة ، ولتضمّن السرعة قيل : أمر وحي ،
وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت
مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة ، وقد حمل
على ذلك قوله تعالى عن زكريا : ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى
إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ (مريم : ١١) ، فقد قيل : رمز ، وقيل :
إعتبار ، وقيل : كتب . . . ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقى إلى أنبيائه
وأوليائه وحي ، وذلك أضرب . . . إما برسول مشاهد ، تُرى ذاته ،
ويُسمع كلامه ، كتبليغ جبريل (ع) للنبي (ص) في صورة معينة ، وإما
بسماع كلام من غير معاينة ، كسماع موسى كلام الله ، وإما بإلقاء في
الروح . . . وإما بإلهام . . . وإما بتسخير . . . أو بمنام ، كما قال عليه
الصلاة والسلام : «انقطع الوحي ، وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن»
(المفردات في غريب القرآن : ص ٥١٥) .

المذكورة ، وذلك ثابت عند المحققين من العلماء ، مستدلين على ذلك ببعض الآيات القرآنية .

أسماء القرآن الكريم :

إنَّ الله ، عز وجل ، ذكر هذا الكتاب السَّماوي المقدس ، بعدة أسماء ، ووصفه بمواصفات عديدة ، وكل إسم وصفه ، يلاحظ جانباً ومفهوماً ظاهرياً ، أو باطنياً منه .

وقد ورد عن النبي وأهل بيته ، عليهم الصلاة والسلام ، أنهم ذكروا للكتاب السماوي هذا أسماء كثيرة ، قد تبلغ المئة إسم ، نذكر بعض هذه الأسماء :

١ - القرآن^(١) : في قوله تعالى : ﴿الرحمن * علم القرآن﴾ (الرحمن : ١ ، ٢) .

«القرآن» من مادة «قرء» ، بمعنى - ما يستحق القراءة - وفي

(١) قال فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) : القرآن : هو إسم لكتاب الله تعالى خاصة ، لا يُسمى به غيره ، وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور ، ويضمها ، وقيل : لأنه جمع القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والآيات والسور ، بعضها إلى بعض . . . وفي الحديث : «القرآن : جملة الكتاب ، والفرقان : المحكم الواجب العمل به» . (مجمع البحرين : ٣٣٧/١) .

● وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) : «القرآن : هو التنزيل العزيز ، أي المقروء المكتوب في المصاحف ، وإنما قُدم على ما هو أبسط منه لشرفه . . . وقرأ الشيء : جمعه وضّمه أي ضمَّ بعضه إلى بعض ، =

الحقيقة إنَّ هذا الكتاب جمع التعليمات السماوية ، وضمن سعادة الدنيا والآخرة ، لمن عمل به من بني البشر ، وأي كتاب سماوي آخر غيره ، خال من هذه الخصوصيات - أصبح الكتاب الذي «يستحق القراءة - وسمي بـ «القرآن» .

٢ - الفرقان^(١) : قوله تعالى : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (الفرقان : ١) . وجاء هذا الإسم من مادة «فرق» ، لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام .

٣ - البيان : قوله تعالى : ﴿هذا بيان للناس﴾ (آل عمران : ١٣٧) .

= وقرأت الشيء قرآناً : جمعته وضممت بعضه إلى بعض . . . وسمي القرآن لأنه جمع القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والآيات والسور ، بعضها إلى بعض ، وهو مصدر كالغفران . . . « (تاج العروس : ٣٧٠/١) .

● وورد في الحديث أن القرآن جملة الكتاب ، وأخبار ما يكون ، الذي يصدقه من كان قبله من الأنبياء (راجع جامع الأخبار والآثار : ٢/١) .
(١) عن يزيد بن سلام أنه سأل النبي (ص) ، فقال له : لم سمي الفرقان فرقاناً؟ قال : لأنه متفرق الآيات والسور ، أنزلت في غير الألواح ، وغيره من الصحف ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، نزلت كلها جملة في الألواح والورق . . . « (علل الشرائع : ص ٤٧٠) .

● وسأل رجل أبا عبد الله (ع) عن القرآن والفرقان ، أهما شيان أو شيء واحد؟ فقال (ع) . . . والفرقان : المحكم الواجب العمل به ، وكل محكم فهو فرقان . (البحار : ١٥/٩٢ - جامع الأخبار : ٢/١ - البرهان : ٤١٠/٢) .

٤ - التبيان : قال تعالى : ﴿ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء﴾ (النحل : ٨٩) .

٥ - المبين : قال تعالى : ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ (يوسف : ١) .

وهذه الأسماء الثلاثة الأخيرة (البيان - التبيان - المبين) كلها مأخوذة من مادة (بيان) ، لأنه يبين للناس الحقائق ، والأسرار ، والعلوم ، في كل موضوع يحتاجه الناس ، ويبين الحق من الباطل .

٦ - البينة : قوله تعالى : ﴿فقد جاءكم بينة من ربكم﴾ (الأنعام : ١٥٧) .

إنه كذلك من مادة (بيان) ، ولكنه بمعنى (البرهان ، والحجة ، والدليل) ، وبديهي أن القرآن الكريم أكبر برهان وحجة من الله ، عز وجل ، على عباده ، وأكبر دليل يميز الحق من الباطل .

٧ - البشري : قوله تعالى : ﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ (البقرة : ٩٧) .

٨ - البشير : قال تعالى : ﴿قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً﴾ (فصلت : ٢ ، ٣) .

والإسمان الأخيران (بشرى ، بشير) من مادة (البشارة) ، لأن القرآن الكريم يبشر المؤمنين الصالحين بالجنة .

٩ - شفاء : قال تعالى : ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (الإسراء : ٨٢) .

لأنَّ في القرآن الكريم ، وآياته المباركة ، شفاء لجميع الأمراض المعنوية والروحية ، بل الظاهرية والجسمية أيضاً ، والعمل به وبأحكامه يحفظ جسم الإنسان من غالب الآلام والأمراض الظاهرية ، وكذلك يحفظ روح الإنسان من الأمراض النفسية مثل الكبرياء ، والحسد ، والكفر ، والرياء ، والجهل ، والشرك ، والنفاق ، وجميع الرذائل الأخلاقية والمعنوية ، وإلى هذا يشير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بقوله : «فإنَّ فيه شفاء من أكبر الداء ، وهو الكفر والنفاق ، والغِي والضلال ...»^(١) .

١٠ - جبل الله : قوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران : ١٠٣) .

لأنَّ القرآن أحكم رابطة ، وواسطة ، بين الله ، عز وجل ، وعباده ، والتمسك به يحفظهم من الانحراف والاختلاف ، ومن المهالك الأخلاقية ، والاجتماعية ، والفساد ، ويوثق رابطة الروح الإنسانية مع عالم ما وراء الطبيعة ، يعني عالم اللطائف والحقائق .

ويستفاد من مضمون مجموعة من الأحاديث المنقولة عن أهل البيت (ع) ، أن المقصود من (جبل الله) ، الولاية المطلقة لأمير المؤمنين ، والأئمة المعصومين (ع) ، الذين هم الواسطة بين الله ، عز وجل ، وبين عباده ، لأنهم السبيل الأعظم ، والواسطة

(١) شرح نهج البلاغة : ص ١٨٤ . وقال الإمام الصادق (ع) : «القرآن كله نور ، وشفاء لما في الصدور ، ورحمة للعالمين» (الولاية : ١ / ٣٦٩ - لسماحة المرجع المعظم ميرزا عبد الرسول الإحقاقي) .

الكبرى ، بين الخالق ، تبارك وتعالى ، والمخلوقات ، وأن الله أفاض علمه ، ورحمته ، وحكمته ، على عباده ، بسببهم ، وبواسطتهم .

١١ - كلام الله : قال تعالى : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ (التوبة : ٦) . لأن القرآن كلام الله ، ولم يتدخل غيره في تأليفه .

١٢ - النعمة : ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى : ١١) .

لا شك أن الله ، عز وجل ، أنعم على حبيبه الرسول الأكرم (ص) ، جميع نعمه الظاهرية والباطنية ، وإن من أعظم النعم التي أنعمها عليه ، وعلى أمته ، نعمة «القرآن الكريم» ، ولذلك روي عن ابن عباس أن المقصود هو القرآن المجيد .

وفي الواقع أنه النعمة المعنوية والروحية التي أنعم بها الله ، عز وجل ، على روح الإنسان وعقله .

وفي الروايات المتضاربة ، والأحاديث المتواترة ، عن النبي (ص) وأهل بيته (ع) ، أن المقصود من كلمة «النعمة» في القرآن الشريف ، وتأويلها ، الولاية المطلقة لصاحب الولاية الكلية ، أمير المؤمنين ، عليه الصلاة والسلام ، وتفصيل ذلك مذكور في محله ، بما لا مجال لذكره^(١) .

(١) قالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ : قال الصادق (ع) : «نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده ، وبنا فاز من فاز» . وروى العياشي في حديث طويل قال : «سأل أبو عبد الله (ع) ، أبا حنيفة عن هذه الآية : ﴿لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ ، فقال =

١٣ - الكتاب : قوله تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة : ٢) . الكتاب : إسم لكل مكتوب ، وما يكتب ، وسُمِّي القرآن الكريم بهذا الإسم لأنه كتب في اللوح المحفوظ أولاً ، ثم في البيت المعمور ثانياً ، وفي صدور المسلمين ثالثاً ، وثم في المصاحف رابعاً .

وكذلك «المكتوب» بمعنى «المجموع» ، سُمِّي به القرآن لأنه جمع فيه علم الأولين والآخرين ، وجميع الأحكام ، وما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة .

١٤ - النور : قال تعالى : ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ (الأعراف : ١٥٦) . لأنَّ حقانية القرآن الكريم تزهو كالنور على جميع عقلاء الدنيا ، وأصحاب العلم والبصائر أولاً ، وثانياً : إنَّ

= له : ما النعيم عندك يا نعمان ؟ قال : القوت من الطعام ، والماء البارد ! فقال : لئن أوقفك يوم القيامة بين يديه ، حتى سألك عن كل أكلة أكلتها ، وشربة شربتها ، ليطولن وقوفك بين يديه ! قال : فما النعيم جعلت فداك؟! قال : نحن - أهل البيت - النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد ، وبنا ائترفوا بعد أن كانوا مختلفين ، وبنا ألفت الله بين قلوبهم ، وجعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء ، وبنا هداهم الله للإسلام ، وهو النعمة التي لا تنقطع ، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله عليهم ، وهو النبي وعترته ، صلى الله عليه وآله» (مجمع البحرين : ١٧٧/٦) . ونحيل القارئ الكريم إلى كتاب (اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية) للسيد هاشم البحراني - ط . المطبعة العلمية/ قم - حيث بين المؤلف ، معتمداً على الروايات المعتمدة وكتب المفسرين ، أسماء أهل البيت (ع) في جميع سور القرآن الكريم ، وبالطبع المقصود من خلال لفظة (النعمة) .

مثل هذا القرآن مثل مشعل النور يستضيء به المسلمون لدفع ظلمات الجهل والحيرة .

وقد ذكروا للقرآن أسماء كثيرة أخرى ، نذكر بعضها على نحو الإختصار : الآيات ، المبارك ، البرهان ، البصائر ، التبصرة ، المثاني ، الحديث ، أحسن الحديث ، الحق ، حق اليقين ، الحكم ، الحكمة ، الحكيم ، المحكم ، الذكر ، الذكرى ، التذكرة ، الرحمة ، الروح ، الصدق ، المصدق ، الصراط المستقيم ، العظيم ، العلي ، الفصل ، التفصيل ، المفصل ، القصص ، القول ، القيم ، الكريم ، الكوثر ، المجيد ، النذير ، التنزيل ، المنير ، الهدى ، الهادي ، المهيمن ، الوحي ، الموعظة .

ولا يخفى أن غالب هذه الأسماء في الواقع ، أوصاف وألقاب القرآن ، وجاءت لتبين كل منها شرف وعظمة القرآن ، في مناسبات خاصة .

السُّور القرآنية :

السورة في اللغة على أربعة معان :

الأول : السورة ، بمعنى المنزلة ، وعلو المرتبة والشرف ، ولأن كلمات الله في منتهى درجات العلو والشرف ، سُمِّي كل قسم من هذه الكلمات بـ «السورة» .

الثاني : السور ، بمعنى حصن البلد ، وبما أن السورة القرآنية قد جمعت قسماً من الآيات والكلمات الإلهية ، وحصنتها من بعضها ، سُمِّيَت بذلك تشبيهاً بحصن البلد .

الثالث : السور ، بمعنى القصر الفخم والعظيم ، ولأنَّ السور القرآنية من القوة والإستحكام ، كالبنيان المحكم الجميل ، لذلك سُميت بهذا الإسم تشبيهاً بذلك ، واستفاد من هذا التشبيه الشاعر الحكيم الفارسي الفردوسي ، حيث قال شعراً بالفارسية ، ما معناه : إنني أسست شعري على أساس متين بحيث لا يتأثر بالعاصفة ، والأمطار ، وعوارض الطبيعة . . .

الرابع : بمعنى السور ، وهو قسم وبقيّة من الطعام والشراب ، وبما أن آيات السورة قسم من القرآن ، والكلمات الإلهية سُميت بـ «السورة»^(١) .

(١) السورة : طائفة من القرآن أقلها ثلاث آيات ، وهي إما من سور المدينة لأنها طائفة من القرآن محدودة ، وإما من السورة التي هي الرتبة ، لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب ، وإما من السور الذي هو البقية من الشيء ، فقلبت همزتها واواً ، لأنها قطعة من القرآن . والسورة تجمع على سُوْر ، كغرفة وغرف ، والسور للمدينة يجمع على أسوار ، كنور على أنوار ، وكل مرتفع سور ، ومنه الخبر : «لا يضر المرأة أن لا تنفض شعرها ، إذا أصاب الماء سور رأسها» أي أعلاه . (مجمع البحرين : ٣/٣٣٨) .

● والسورة من القرآن : أي معروفة لأنها منزلة بعد منزلة ، مقطوعة عن الأخرى . وقال أبو الهيثم : والسورة من القرآن عندنا : قطعة من القرآن سبق وحدانها جمعها ، كما أنَّ الغرفة سابقة للغرف ، وأنزل الله ، عز وجل ، القرآن على نبيه (ص) شيئاً بعد شيء ، وجعله مفصلاً ، وبين كل سورة بخاتمها ، وبادئتها ، وميزها من التي تليها . وقال الأزهري : وكان أبا الهيثم جعل السورة من سور القرآن ، من أسارت سؤراً ، أي أفضلت فضلاً ، إلا أنها لما كثرت في الكلام ، وفي القرآن ، تُرك فيها الهمز ، كما تُرك في الملك .

والسورة في اصطلاح علم التفسير : أنها قسم من الآيات
القرآنية ، بما لا يقل عن ثلاث آيات .

وعدد السور القرآنية مئة وأربع عشرة سورة ، حسب الأدلة
الدقيقة في ذلك ، ولكن بعض علماء العامة ، جعل سورتي
(الأنفال) ، و(التوبة) ، سورة واحدة ، واستدلوا بعدم ورود
«البسمة» في مفتتح «التوبة» .

وهذا ليس بصحيح ، لأن عدم وجود البسمة ، لا يعني عدم
استقلالية السورة . وقد ورد في ذلك ، عن أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب (ع) ، أنه قال : إنَّ سورة «براءة» ، بيان لغضب الله
تعالى ، وبراءته من المشركين ، ووعيدهم بالحرب والقتل ، وهذا

● وفي المحكم : سُميت السورة من القرآن سورة ، لأنها درجة إلى
غيرها ، ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن ، وقطعة ، وأكثر القراء
على ترك الهمزة فيها . وقيل السورة من القرآن ، يجوز أن تكون من
سورة المال ، تُرك همزه لما كثر في الكلام .

● وقيل سُميت سورة القرآن تشبيهاً بسور المدينة ، لكونها محيطة بآيات
وأحكام ، إحاطة السور بالمدينة . والسورة : الشرف ، والفضل ،
والرفعة ، قيل : وبه سُميت سورة القرآن ، لإجلاله ورفعته ، وهو قول
ابن الأعرابي . والسورة : ما طال من البناء وحسن ، قيل : ومنه سُميت
سورة القرآن . والسورة : العلامة . أما أبو عبيدة فإنه زعم أنه مشتق من
سورة البناء ، وأنَّ السورة عرق من عروق الحائط ، وقد ردَّ عليه أبو
الهيثم قوله ، ونقله الأزهري برمته في (التهذيب) . وفي (الصحاح) :
والسور جمع سورة ، مثل : بُسرة ، وبُسْر . (تاج العروس : ١٠١/١٢ -
المفردات في غريب القرآن : ص ٢٤٨ ، وزاد في قوله : ﴿سورة
أنزلناها﴾ أي جملة من الأحكام والحكم) .

يتنافى مع ورود «البسملة» التي تعبر عن «رحمة الله ورأفته»^(١) .

وعند مفسري الشيعة ، فإنَّ سورة (الضحى) متحدة بالمعنى والمضمون مع سورة (الإنشراح)^(٢) ، وكذلك سورة (الفيل) ،

(١) اختلف في السبب ، في سقوط البسملة أول براءة ، فقيل : كان من شأن العرب في الجاهلية ، إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، وأرادوا نقضه ، كتبوا لهم كتاباً ، ولم يكتبوا فيه البسملة ، فلما نزلت «براءة» بنقض العهد الذي كان للكفار ، قرأها عليهم عليّ (ع) ، ولم يبسم ، على ما جرت به عادتهم . ولكن في صحيح الحاكم أنَّ عثمان (رض) قال : كانت الأنفال من أوائل ما نزل ، وبراءة من آخره ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وقضى النبي (ص) ، ولم يبيِّن لنا أنها منها ، وظننا أنها منها !! ثم فرقت بينهما ، ولم أكتب بينهما البسملة . وعن مالك : إنَّ أولها لما سقط ، سقطت البسملة . وقد قيل : إنها كانت تعدل (البقرة) لطولها . وقيل : لأنه لما كتبوا المصاحف في زمن عثمان ، اختلفوا : هل هما سورتان ، أو (الأنفال) سورة ، و (براءة) سورة ، تركت البسملة بينهما . وفي (مستدرک الحاكم) ، عن ابن عباس : سألت علياً عن ذلك ، فقال : لأنَّ البسملة أمان ، و (براءة) نزلت بالسيف ، ليس فيها أمان . قال القشيري : والصحيح أن البسملة لم تكن فيها ، لأنَّ جبريل ، عليه السلام ، ما نزل بها فيها . (راجع البرهان في علوم القرآن : ١/٢٦٢) وفي (الإتقان في علوم القرآن : ١/٥٤) : تسمى هذه السورة التوبة ، والفاضحة ، وسورة العذاب ، والمقشقة ، والمبرثة ، والمنقرة ، والبحوث ، والحافرة ، والمشيرة ، والمبعثرة ، والمخزية ، والمتكلة ، والمشردة ، والمدممة . (اه) .

(٢) راجع تفسير الميزان : ٢٠/٣١٣ و ٣٦٤ - وقال الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) : «روى أصحابنا أنَّ (الضحى) و (ألم نشرح) سورة واحدة ، لتعلق إحداها بالأخرى ، ولم يفصلوا بينهما بيسم الله الرحمن =

و(قريش) ، بمنزلة سورة واحدة ، من حيث اللفظ والحكم ،
ورتبوا على ذلك ، بعدم صحة قراءة إحداهما ، من دون الثانية ،
في الصلاة الواجبة .

أسماء السور القرآنية :

إنَّ لكل سورة من القرآن إسمًا ، أو أكثر ، معيناً مذكوراً ، وهذه
الأسماء توقيفية ، ومحدودة ، وليس لأحد الزيادة في ذلك ، أو النقصان .

وقد ذكر علماء التفسير لسورة (الحمد) مثلاً ، نحو ثلاثين
إسمًا ، منها : أم الكتاب ، أم القرآن ، الحمد ، السبع المثاني ،
الفتاححة ، الأساس ، التحرز ، الدعاء ، السؤال ، الشافية ،
الشكر ، الصلاة ، التفويض ، الإستعانة . . . وغيرها بما لكل إسم
منها جهة مناسبة مع السورة .

وينقسم مجموع السور القرآنية المئة والأربع عشرة سورة ،
إلى قسمين من حيث النزول :

القسم الأول : السور التي نزلت في (مكة المكرمة) ،
وتسمى (مكية) ، وكذلك (نواجب) ، و(عتاق) .

القسم الثاني : السور التي نزلت في المدينة المنورة ،

= الرحيم ، وجمعوا بينهما في الركعة الواحدة ، في الفريضة ، وكذلك
القول في سورة (ألم تر كيف) و(إيلاف قريش) ، والسياق يدل على
ذلك ، لأنه قال : ﴿ألم يجدرك يتيماً فأوى﴾ إلى آخرها» (اهـ) . (مجمع
البيان : ٥٠٧/٥) . وقد ذهب قوم من أهل السنة إلى كون (الفيل)
و(إيلاف) سورة واحدة ، كما قيل بمثله في (الضحى) و(ألم نشرح)
(الميزان : ٣٦٤/٢٠) .

وتسمى (مدنية) .

وتصنف السور القرآنية حسب الحديث النبوي الشريف إلى أربعة أصناف : السبع الطوال ، المئين ، المثاني ، المفصل (١) .
ولكل عدد من السور القرآنية مجتمعة ، عنوان مشترك ،
مثلاً :

- السور السُّبْع : البقرة ، آل عمران ، الأعراف ،
العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، وتسمى سور (آلم) .

- والسُّور السُّبْع : بني إسرائيل ، الحديد ، الحشر ،
الصف ، الجمعة ، التغابن ، الأعلى ، وتسمى : (المسبِّحات) .

- السُّور السُّبْع : المؤمن ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ،
الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، وتسمى : (حواميم) .

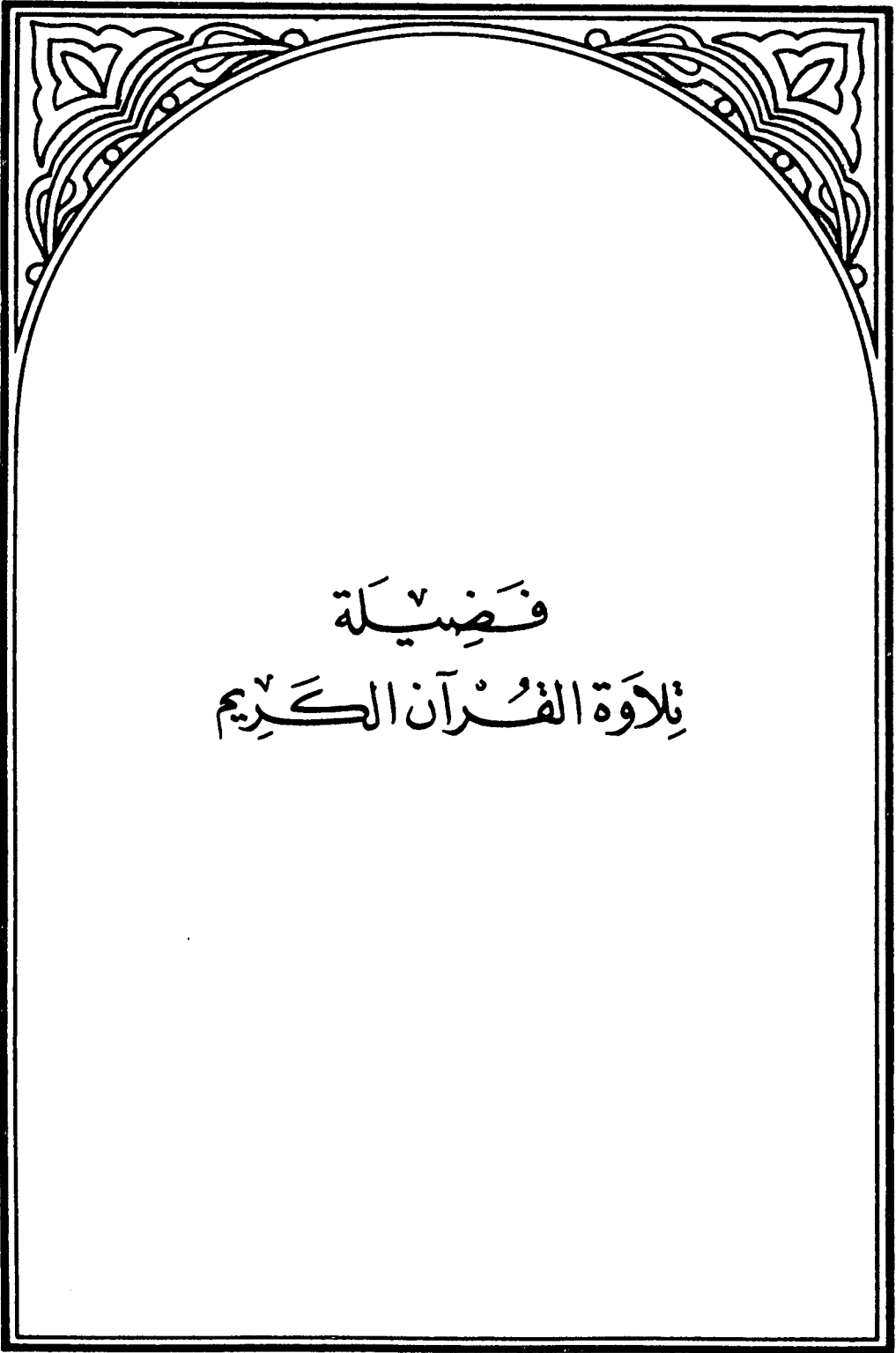
- السُّور السَّت : يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، إبراهيم ،
الحجر ، وتسمى : (سور آلر) .

- السُّور الخمس : الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، سبأ ،
فاطر ، وتسمى : (سور الحمد) .

(١) أخرج أحمد وغيره ، من حديث واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله (ص)
قال : «أُعطيْتُ مكان التوراة السبع الطوال ، وأُعطيْتُ مكان الزبور
المئين ، وأُعطيْتُ مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل» (الإتقان :
٥٦/١) .

وقال بعض السلف : في القرآن ميادين ، وبساتين ، ومقاصير ،
وعرائس ، وديابيج ، ورياض ، فميادينه ما افتتح بـ (الم) ، وبساتينه ما
افتتح بـ (المر) ، ومقاصيره الحامدات ، وعرائسه المسبِّحات ، وديابيجه
(آل عمران) ، ورياضه (المفصل) . (الإتقان : ٥٧/١) .

- السور الأربع : السجدة ، فصلت ، النجم ، العلق ، التي فيها آية السجدة الواجبة ، وتسمى : (العزائم) .
- السور الأربع : الكافرون ، الإخلاص ، الفلق ، الناس ، وتسمى : (سور قل) .
- السور الثلاث : الشعراء ، النمل ، القصص ، وتسمى : (طواسين) .
- السورتان : البقرة ، آل عمران ، وتسميان : (زهاوان) .
- السورتان : الأنفال ، التوبة ، وتسميان : (قرنيتان) .
- السورتان : الفلق ، الناس ، وتسميان : (معوذتان) .



فَضِيْلَةٌ
فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

فضيلة تلاوة القرآن الكريم :

إنَّ القرآن الكريم هو الكتاب السَّماوي المعترف به من قبلنا ، نحن المسلمين ، الذي أنزله الله تعالى ، لسعادة البشرية في الحياة الدنيوية والأخروية .

ومن حيث أننا التزمنا به كتاباً سماوياً ، ودينياً ، ونفتخر أن نكون من أُمَّته ، فلا بدُّ لنا أن نتعرف عليه ، بما يحويه من أحكام ، وعلوم ، وأسرار ، ورموز ، لنستفيد منه ، كل بقدر وسعه وفهمه ، ونطبق ما يوجبه علينا من تكاليف شرعية ، وهذا لا يمكن أن يحصل إلا بالممارسة لقراءة آياته قراءة صحيحة ، وتلاوة متقنة .

إنه من الجفاء ، وعدم الإنصاف ، أن نكون أتباعه في الإلتزام والإعتقاد ، ونعجز عن قراءته ، وتلاوة آياته ، وبديهي أن إنساناً كهذا لا ينتفع بالقرآن ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة .

إنَّ الدين الإسلامي وقائده النبي العظيم (ص) ، نهض قبل أربعة عشر قرناً ، وفي ذلك الزمن الذي لم يكن لشعوب العالم

نصيب من الثقافة والعلم ، نهض لتعليم أتباعه ، و تثقيفهم ، من خلال تشويقهم وترغيبهم بقراءة القرآن ، والتدبر والتعمق فيه ، لتقتلع بذلك جذور الجهل من بين الناس .

لقد أراد (ص) من خلال تشجيع الناس على قراءة القرآن ، أن يكونوا مجتمعاً ، مثقفاً ، واعياً ، بالإضافة إلى منافعهم المادية ، والمعنوية ، من ورائه . . . ولم نجد عقيدة أو ديناً حث الناس على التعلم ، والقراءة ، والكتابة ، كما فعل الإسلام !

إن كل هذه الفوائد والفضائل ، كامنة في تعلم القرآن وقراءته !

إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية^(١) ، والعربية من أعلى

(١) قال (وليم جيفور ديلغراف) : «لا يمكن أن يتوارى القرآن ، حتى تتوارى لغته» .

● وقال (لويس ماسينيون) : «استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير العلمي عن أدق خلجات الفكر ، سواء أكان ذلك في الإكتشافات العلمية ، والحسابية ، أم وصف المشاهدات ، أم خيالات النفس وأسرارها . واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي . وهي من أنقى اللغات» .

● وقال (يوهان فك الألماني) : «إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساساً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية . لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر ، وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطيء الدلائل ، فستحفظ العربية بهذا المقام العتيد ، من حيث هي لغة المدنية الإسلامية» .

وأغنى لغات الدنيا ، من حيث سعتها ، واحتواؤها على القواعد والقوانين الصحيحة ، والفصاحة ، والبلاغة ، واللطافة والعدوبة . . . ولها مقام الصدارة بين اللغات الأخرى ، إذن لو أن المسلمين (غير العرب) ، أصغوا لوصايا النبي المكرم (ص) ، والأئمة الطاهرين (ع) ، في تلاوة القرآن ، والتعرف على لغته ، وقواعده ، لتعرفوا على لغة عالمية - ولو بمقدار حاجاتهم

● وقال المستشرق (آربري) : «إنَّ اللغة العربية لغة حية ، وحضارة العرب هي حضارة مستمرة ، فهي حضارة أمس ، واليوم ، والغد» .

● وقال (وليم مرسيه) : «أما في العربية فللعبارة من المتانة ما لا يبقى منه شيء يحجب مصدرها عن الناطق بها» .

● وقال الدكتور (فرنباغ الألماني) : «ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب ، بل إنَّ الذين نبغوا في التأليف بها ، لا يكاد يأتي عليهم العدء» .

● وقال الأستاذ (ميليه) : «إنَّ اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها ، لتأثيرها الناشئ من كونها ، لغة دين ، ولغة مدنية» .

● وقال (جاك بيرك الفرنسي) : «إنَّ أقوى القوى التي قاومت الإستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات ، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسة . إنَّ الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية ، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية» (راجع الفصحى لغة القرآن : ص ٣٠٢) .

● وقال (ابن من الله القروي) : «... ولغة العرب واسعة العبارات ، ناصعة الإشارات ، لها الشعر الموزون ، والنظم المكنون ، والكلام المنشور ، والسجع المأثور ، والرجز المشطور ، والمزدوج والمبتور» (نوادير المخطوطات : ٣٥٢/١ - رسالة ابن من الله القروي) .

الضرورية - ووحدوا لغة الإسلام ، مهما تباينت قومياتهم ،
وألوانهم ، وتقاليدهم الإجتماعية ، والعرفية ، فأصبحوا بذلك أمة
واحدة بمعنى الكلمة .

وهذا بالتحديد ما انتبهت إليه الأمم المتمدنة في هذا العالم
حديثاً، مما جعلهم يندفعون إلى اتخاذ لغة واحدة عالمية ، موحدة ،
يتعلمها جميع المسلمين ، فتسهل عليهم اللقاءات ،
والإجتماعات ، والمؤتمرات .

إنَّ هذه الفكرة الحديثة هي التي سعى إليها النبي الكريم
(ص) ، وفي تلك العصور الجاهلية ، وقبل ألف وأربعمئة عام ،
وأسس أساسها ، وأمر باتباع هذا النهج ، والسير على هذا
الأساس ، جميع أتباعه ، من العرب والعجم ، من خلال قراءة
القرآن ، وتعلم قواعده ، وللتأكيد على ذلك ، جاء الأمر بالأذان
والصلاة ، بالعربية فقط ، وعدم صحة أدائهما باللغات الأخرى !!

فلو التزم المسلمون بذلك ، التزاماً صحيحاً كاملاً ، بحيث
صارت اللغة العربية هي اللغة الدولية الإسلامية ، لأسهمت اللغة
في حل كثير من مشاكلهم الثقافية والإجتماعية .

نعم ، وللتأكيد على ذلك ، نضع بين يديك نماذج من
الأحاديث ، والروايات ، الواردة عن قادة المسلمين ، في
تشجيعهم وحثهم على قراءة القرآن ، وبيان فضلها :

١ - (كتاب الوافي) : روى بإسناده عن الإمام الباقر (ع) ،

أن رسول الله (ص) ، قال : «من قرأ عشر آيات في ليلة ، لم
يكتب من الغافلين ، ومن قرأ خمسين آية ، كتب من الذاكرين ،
ومن قرأ مئة آية ، كتب من القانتين ، ومن قرأ مئتي آية ، كتب من

المجتهدين (الخاصين- خ ل) ، ومن قرأ ألف آية ، كتب له قنطار من تبر»^(١) .

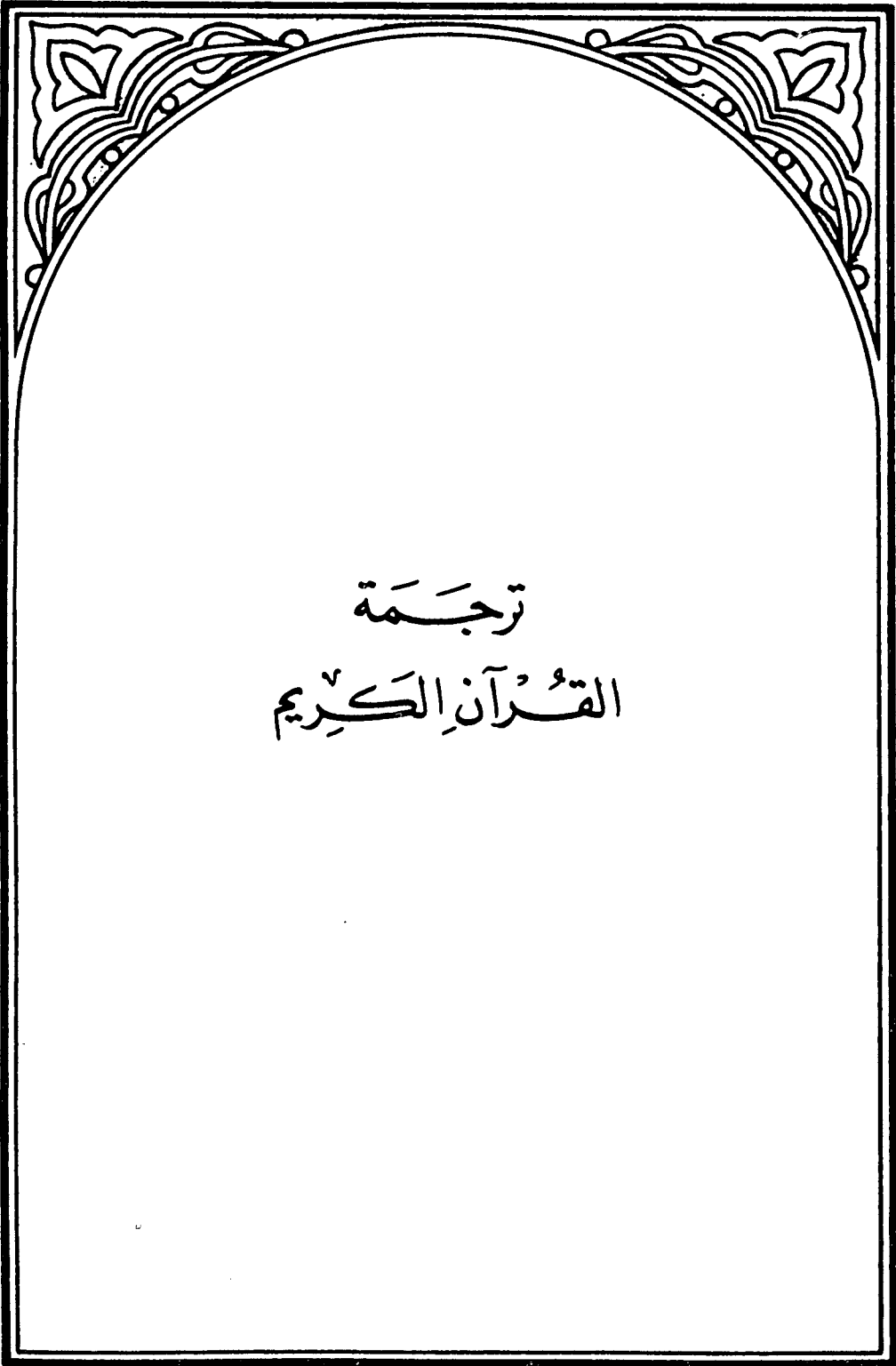
٢ - (كتاب الوافي) : بأسناده عن الإمام جعفر الصادق (ع) ، أنه قال : «القرآن عهد الله إلى خلقه ، فقد ينبغي للمسلم أن ينظر في عهده ، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»^(٢) .

٣ - (كتاب الوافي) : بأسناده عن الإمام علي بن الحسين (ع) ، أنه قال : «آيات القرآن خزائن ، فكلما فتحت خزينة ، ينبغي لك أن تنظر فيها»^(٣) .

(١) الوافي : ١٨٢٨/٩ وراجع الكافي : ٦١٢/٢ - ثواب الأعمال : ص ١٢٩ ، وزاد على الحديث نفسه : «... كُتِبَ لَهُ قَنْطَارٌ مِنْ تَبْرِ - القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب ، والمثقال : أربعة وعشرون قيراطاً - أصغرها مثل جبل (أُحُد) ، وأكبرها ما بين السماء إلى الأرض» .

(٢) الوافي : ١٧٢٥/٩ والكافي : ٦٠٩/٢ - والعهد : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ، وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته ، عهداً ، قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء : ٣٤) ، أي أوفوا بحفظ الأيمان . وعهد فلان إلى فلان بعهد ، أي ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه . (المفردات في غريب القرآن : ص ٣٥٠) . وقال الشريف الجرجاني : «العهد : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ، هذا أصله ، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته ، وهو المراد» (كتاب التعريفات : ص ١٥٩) - وراجع عن الحديث نفسه : (جامع الأخبار والآثار عن النبي والأئمة الأطهار (كتاب القرآن) : ٣٣٤/١) .

(٣) الوافي : ١٧٢٥/٩ والكافي : ٦٠٩/٢ .



تَرْجَمَة
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

ترجمة القرآن الكريم :

التَّرْجُمة : بفتح التاء وضم الجيم ، يعني نقل لغة إلى لغة أخرى ، في معناها ومفهومها . ولفظة «ترجمة» أصلها فارسية ، أخذت من «ترجمان» ، ولذلك ، وعلى القواعد العربية جاءت مصدراً ، وفعلاً ، وإسماً . . .

وقال الخفافي : «ترجمان» : معربة من كلمة «ترزبان» الفارسية^(١) .

وقال الآخرون : إنها معربة من «توگومان» ، بمعنى كلام الأجنبي ، ولهذا السبب ضبط بعض علماء اللغة كلمة «ترجمان» بـ «ترجومان» .

والمهم في هذا المجال ، والذي يلزم ذكره ، هو : إنَّ اللغات غير العربية ، لا تسع القرآن في واقعه ، وروح كلماته ، عند ترجمته إليها ، لأنَّ الكلمات القرآنية ليس دورها إيصال

(١) شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل .

المعاني والمضمون فقط ، بل في وضع كل منها في مكانها الذي هي فيه ، خصوصية معينة .

فمثلاً : إذا أخذنا لفظة «اقتربت» من الإقتراب ، ولها مرادفات أخرى مثل «دنت» ، وهي عربية كذلك ، فكيف يمكن نقلها إلى لغة غير عربية !!

وكذلك الحال في بقية الكلمات والإستعمالات القرآنية ، وإذا أردنا أن نتوسع في هذا البحث ، لتتطرق إلى التركيبات الجميلة ، فسيطول بنا المقام إلى حد يخرجنا عن مجال الكتاب ، وأدل دليل على ذلك ، تحدّيات القرآن المتكاثرة فيه (١) . . .

(١) الترجمة تطلق على معنيين : أولهما : الترجمة الحرفية : وهي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى ، بحيث يكون النظم موافقاً للنظم ، والترتيب موافقاً للترتيب . وثانيهما : الترجمة التفسيرية أو المعنوية : وهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى ، من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل ، أو مراعاة لنظمه . والذين على بصير باللغات يعرفون أن الترجمة الحرفية بالمعنى المذكور ، لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل ، والإحاطة بجميع معناه ، فإن خواص كل لغة تختلف عن الأخرى ، في ترتيب أجزاء الجملة . والتعبير العربي يحمل في طياته من أسرار اللغة ، ما لا يمكن أن يحل محله تعبير آخر ، بلغة أخرى ، فإن الألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه ، فضلاً عن التراكيب . والقرآن الكريم في قمة العربية فصاحة وبلاغة ، وله من خواص التراكيب ، وأسرار الأساليب ، ولطائف المعاني ، وسائر آيات إعجازه ، ما لا يستقل بأدائه لسان . وهو كلام الله المنزل على رسوله ، المعجز بألفاظه ومعانيه ، المتعبد بتلاوته ، ولا يقول أحد من الناس ، إن الكلمة من القرآن إذا ترجمت ، يقال فيها إنها كلام الله ، فإن الله سبحانه لم يتكلم إلا بما نتلوه بالعربية ، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة ، لأن =

إضافة إلى ذلك ، وببساطة تامة : إنَّ في بعض اللغات ،

الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية ، والذي يتعبد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي ، المبين بألفاظه وحروفه ، وترتيب كلماته . لذلك فترجمة القرآن الحرفية على هذا ، ومهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها ، وتراكيبها ، تخرج القرآن عن أن يكون قرآناً .

● أما في مجال الترجمة المعنوية فنقول : إنَّ القرآن الكريم ، وكذا كل كلام عربي بليغ ، له معان أصلية ، ومعان ثانوية . والمراد بالمعاني الأصلية : المعاني التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة ، وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية . والمراد بالمعاني الثانوية ، خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام ، وبها كان القرآن معجزاً . فالمعنى الأصلي لبعض الآيات ، قد يوافق فيه مثور كلام العرب ، أو منظومه ، ونظن أنَّ هذه الموافقة لا تمس إعجاز القرآن ، ونعتقد أنَّ إعجازه ببدیع نظمه ، وروعة بيانه ، أي بالمعنى الثانوي ، وإياه عنى الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في كشافه بقوله : «إنَّ في كلام العرب - خصوصاً القرآن - من لطائف المعاني ما لا يستقل بأدائه لسان» (راجع مباحث في علوم القرآن : ص ٣١٣) .

● وقال محمد بن عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) ، وترجمته في (الأعلام : ٢١٠/٦) : «وضعت كلمة «ترجمة» في اللغة العربية ، لتدل على أحد معان أربعة : أولها : تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قول الشاعر :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ثانيها : تفسير الكلام بلغته التي جاء بها ، ومنه قول ابن عباس : إنه ترجمان القرآن . ولعل الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) يقصد هذا المعنى إذ يقول : «كل ما ترجم عن حال شيء ، فهو تفسرته» . ثالثها : تفسير الكلام ، بلغة غير لغته . جاء في (لسان العرب) ، وفي (القاموس) ، أن الترجمان ، هو المفسر للكلام . وقال شارح =

والعربية الواسعة خاصة ، مفردات لا نجد لها معاني تطابقها في

(القاموس) ، ما نصه : «وقد ترجمه وترجم عنه ، إذا فسر كلامه بلسان آخر . قاله الجوهري» (اه) . وجاء في تفسير ابن كثير ، والبغوي ، أن كلمة «ترجمة» تستعمل في لغة العرب بمعنى التبيين مطلقاً ، سواء اتحدت اللغة أم اختلفت . رابعها : نقل الكلام من لغة إلى أخرى ، قال في (لسان العرب) : «التَّرجِمان بالضم والفتح : هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى ، والجمع : تراجم» (اه) . وشارح (القاموس) ، بعد أن أورد المعنى السابق ، في ترجمه ، وترجم عنه ، قال : «وقيل نقله من لغة إلى أخرى» (اه) .

ولكون هذه المعاني الأربعة فيها بيان ، جاز على سبيل التوسع ، إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان مما عدا هذه الأربعة ، فقليل ترجم لهذا الباب بكذا : أي عنون له ، وترجم لفلان : أي بين تاريخه . وترجم حياته : أي بين ما كان فيها . وترجمة هذا الباب كذا : أي بيان المقصود منه . وهلم جرا .

قال الزرقاني : «والترجمة في العرف : عرف التخاطب العام ، لا عرف طائفة خاصة ، ولا أمة معينة . جاء هذا العرف الذي تواضع عليه الناس جميعاً ، فخص الترجمة بالمعنى الرابع اللغوي ، في إطلاقات اللغة السابقة ، وهو نقل الكلام من لغة إلى أخرى . ومعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى : التعبير عن معناه بكلام آخر من لغة أخرى ، مع الوفاء بجميع معانيه ، ومقاصده ، كأنك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية . . . ونعرف الترجمة في هذا العرف : «هي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى ، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده» :

فكلمة (التعبير) : جنس ، وما بعده من القيود فصل . وقولنا : (عن معنى الكلام) : يخرج به التعبير عن المعنى القائم بالنفس ، حين يخرج في صورة اللفظ أول مرة . وقولنا : (بكلام آخر) : يخرج به التعبير عن =

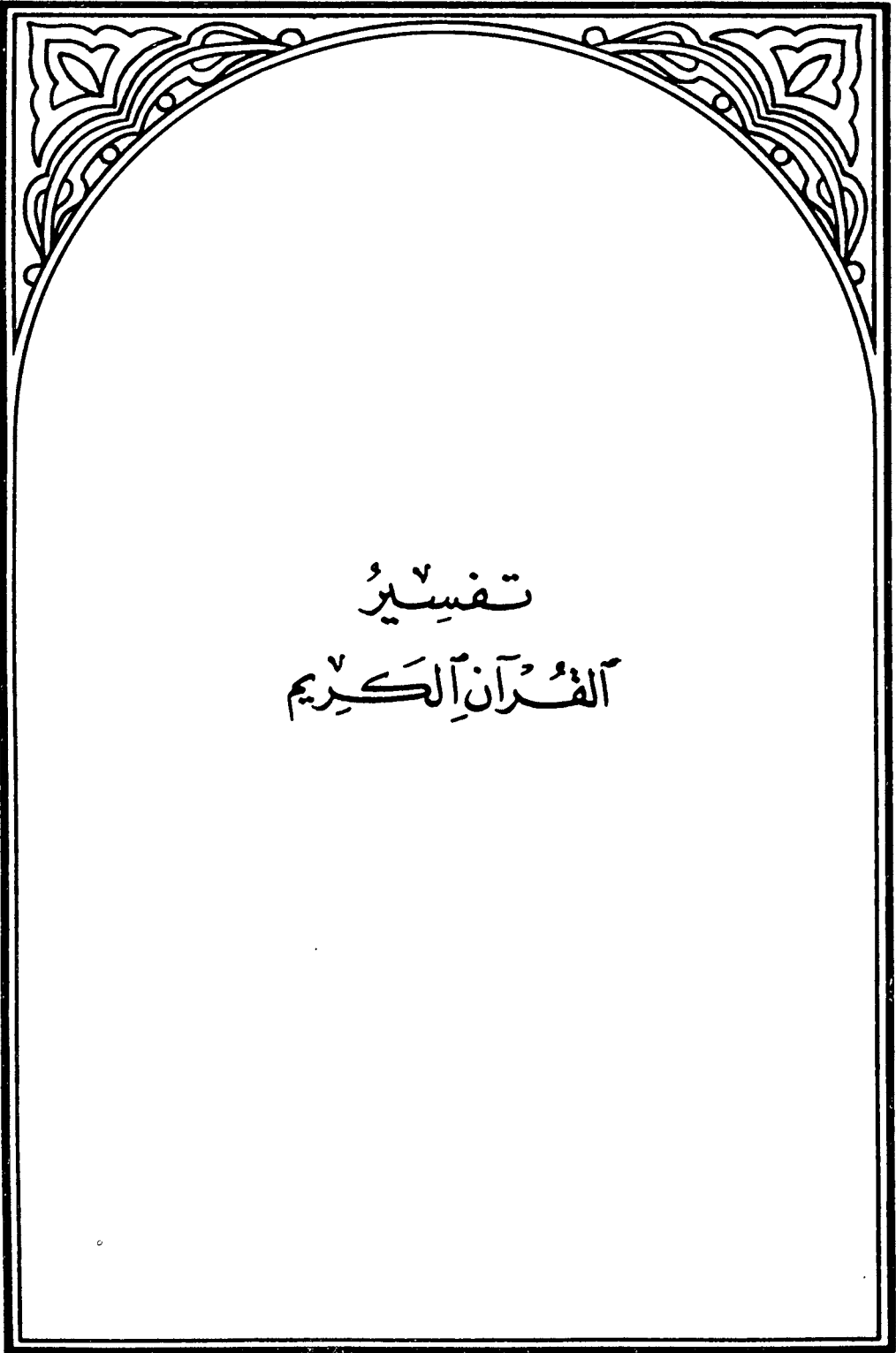
اللغات الأخرى ، ولهذا يضطر المترجمون ، وفي كثير من الأحيان ، أن ينقلوا اللغة الأصلية بذاتها ، أو يترجموها ترجمة بالمعنى ، وفي هذا - من الواضح - فقدان فصاحة اللغة ولطافتها ، وجَرَسِهَا ، وانحرافها في الغالب عن المعنى المقصود تماماً وأساساً ، كما تنعدم روحية الكلام والألفاظ بانعدام تنسيق الجمل ونظمها . وكيف ! وإنَّ القرآن يتحدى الناس بفصاحته ، وبلاغة نسجه - إضافة إلى الجهات الأخرى - مما جعل البلغاء ، وفصحاء الدنيا ، يعترفون بالقصور والفسل ، عندما شاهدوا تفاعل القرآن مع أرواح وقلوب المستمعين لآياته ، وشدّها نحوه ، وتعلقها به ، فما كان منهم إلا تسميته بالإعجاز !

هذا وإن كان لا مفرّاً لغير العرب ، من الرجوع إلى القرآن المترجم ، ولكن لا بدّ من التسليم ، أنّ التراجم مع كثرتها ، وتعددتها ، من حيث تنوع اللغات ، لا مجال لطلب تلك اللطافة ، والبلاغة ، والفصاحة القرآنية منها ، بالإضافة إلى أنّ بعض المترجمين لم يتمكنوا من إيفاء واجبهم في سلامة الترجمة اللفظية ، فوقعوا في أغلاط كبيرة ، واشتباهاات جسيمة ، مما يُعدّ ظلماً للقرآن ، وصاحب القرآن !!

= المعنى ، بالكلام الأول نفسه ، ولو تكرر ألف مرة . وقولنا : (من لغة أخرى) : يخرج به التفسير بلغة الأصل ، ويخرج به أيضاً التعبير بمرادف مكان مرادفه ، أو بكلام بدل آخر مساوٍ له ، على وجه لا تفسير فيه ، واللغة واحدة في الجميع . وقولنا : (مع الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده) : يخرج به تفسير الكلام بلغة غير لغته ، فإن التفسير لا يشترط فيه الوفاء ، بكل معاني الأصل المفسر ، ومقاصده ، بل يكفي فيه البيان ولو من وجه . . . » (اهـ) (مناهل العرفان في علوم القرآن : ٥/٢) .

ويحتاج القارىء مع هذه التراجم إلى كتب التفسير والتأويل ،
لتقريبه من فهم القرآن ، وتسااعده للوقوف على معانيه ، ومفاهيمه .
والذين يدعون أن من الممكن فهم القرآن ، بالاستقلال ،
ومن دون حاجة إلى التفسير والتأويل ، فإنهم ، وبلا شك ، وقعوا
في خطأ فادح ، لنظرتهم السطحية ، وعدم تعمقهم في حقائق ،
ودقائق ، الآيات القرآنية .

ولأجل بسط الكلام وشرحه ، نبدأ ببيان معنى التفسير
والتأويل ، على ضوء اللغة والمصطلحات القرآنية :



تفسير
القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم :

التفسير في اللغة^(١) : كشف وتوضيح المعنى الواقعي

(١) قال الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) : «فَسَّرْتُ الشَّيْءَ فَسْرًا ، من باب ضرب :
بَيَّنَّتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ ، وَالتَّثْقِيلُ لِلْمَبَالِغَةِ . (المصباح المنير : ص ٤٧٢) .
● وقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : «فسر : الفَسْرُ : إظهار
المعنى المعقول ، ومنه قيل لما ينبيء عنه البول تفسرة ، وسُمِّيَ بها
قارورة الماء ، والتفسير في المبالغة كالفسر ، والتفسير قد يقال فيما
يختص بمفردات الألفاظ وغريبها ، وفيما يختص بالتأويل ، ولهذا يقال :
تفسير الرؤيا وتأويلها ، قال : ﴿وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا﴾ . (المفردات في غريب
القرآن : ص ٣٨٠) .

● وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) : «الفَسْرُ : الإبانة وكشف المغطى ،
كما قاله ابن الأعرابي ، أو كشف المعنى المعقول ، كما في (البصائر)
كالتفسير ، والفعل كضرب ونصر ، يقال : فَسَّرَ الشَّيْءَ ، يَفْسِرُهُ ،
وَيَفْسُرُهُ ، وَفَسَّرَهُ : أبانه . قال ابن القُطَاعِ : والتشديد أعم . وقال
ثعلب ، وهو أحمد بن يحيى ، وكذلك ابن الأعرابي : التفسير والتأويل ،
والمعنى واحد . والفَسْرُ : كشف المغطى ، أو هو ، أي التفسير : كشف
المراد عن اللفظ المشكل . والتأويل : ردُّ أحد المحتملين إلى ما يطابق =

للكلام، ومنه قوله تعالى : ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ (الفرقان : ٣٣) .

وهو مأخوذ من مادة «فسر» بمعنى الكشف والتمييز . ويقول علماء اللغة : إنَّ كلمة «فسر» على قاعدة الإشتقاق الكبير (قانون القلب) ، أخذت من كلمة «سفر» ، وهي في اللغة بمعنى : الكشف ، مثل : أسفرت المرأة عن وجهها ، إذا كشفته ، وعلى هذا تفسير الكلمات ، يعني رفع الإبهام عن معاني الكلمات ، وتوضيحها ، بحيث لا يبقى شيء من الإبهام والإخفاء .
التفسير في الاصطلاح القرآني^(١) : عند الإمعان والمراجعة

= الظاهر . كذا في (اللسان) . وقيل : التفسير : شرح ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم ، وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة ، وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآي ، والتأويل : هو تبيين معنى المتشابه . والمتشابه : هو ما لم يُقطع بفحواه من غير تردد فيه ، وهو النص . وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه ، فهو تفسرته ، وفي (البصائر) : كل ما ترجم عن حال شيء فهو تفسرته . (تاج العروس من جواهر القاموس : ٣٢٣/١٣) .

(١) قال أبو حيان التوحيدي : «إنَّ التفسير علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتمتات لذلك» . خرج التعريف فقال : فقولنا : «علم» ، هو جنس يشمل سائر العلوم . وقولنا : «يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن» : هو علم القراءة . وقولنا : «ومدلولاتها» : أي مدلولات تلك الألفاظ ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم . وقولنا : «وأحكامها الإفرادية والتركيبية» . هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع . وقولنا : «ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب» : يشمل ما دللته بالحقيقة ، وما دللته بالمجاز ، فإنَّ التركيب =

لكلمات العلماء ، وأهل الفن ، في معنى التفسير ، نجد أن لهم آراء وتعريفات مختلفة ، وهي إن اختلفت في الألفاظ والصياغة ، فإنها ترجع كلها إلى معنى واحد ، ونتيجة واحدة ، تتلخص في العبارة الآتية : «التفسير هو علم يبحث في أحوال القرآن من حيث دلالاته على مراد الله عز وجل» .

فإذاً موضوع علم التفسير ، هو الآيات القرآنية ، من حيث دلالاتها على مقصود الله تعالى . والمفسر هو الذي يستنبط مقصود الله ومراده ، من خلال آيات الله وكلماته .

ولو نظرنا إلى الموضوع نظرة مبسطة وواسعة نرى : أن القرآن كتاب سماوي ، ومن عند الله ، عز وجل ، وكما يصف نفسه «فيه تبيان كل شيء» ، ومن حيث أن لا أحد في المجتمعات البشرية العادية ، حوى جميع العلوم ، وبشكل مطلق ، أمكن الإستنتاج :

إنه لا يمكن لأحد على الإطلاق ، من صدر الإسلام ، وإلى آخر الدنيا ، أن يفسر القرآن بما هو ، وكما هو ، إلا «المعصوم» ، ولذلك لم يدع أحد أنه فسّر القرآن تفسيراً مطابقاً لإرادة الله

= قد يقتضي بظاهره شيئاً ، ويصد عن الحمل عليه صاد ، فيحمل على غيره ، وهو المجاز . وقولنا : «وتتمات لذلك» : هو مثل معرفة النسخ ، وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ، ونحو ذلك . وقال الزركشي : التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ص) ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه» . (الإتقان في علوم القرآن : ١٧٤/٢ - مباحث في علوم القرآن : ص ٣٢٤ - البرهان في علوم القرآن : ١٤٦/٢) .

وعلمه . . .

وللحصول على تفسير كامل ، وجامع ، من غير المعصوم ،
يجب أن يجتمع جميع العلماء ، وأصحاب الثقافات المتنوعة ،
وأساتذة العلوم والفنون العليا ، لبحث كل منهم من منظاره ،
ومجال تخصصه ، في القرآن الكريم ، ثم يدون استنباطاته ،
واستنتاجاته ، ويستخرج ما يمكنه من الرموز والأسرار القرآنية ، ثم
يُجمع ويدون جميع ما توصل إليه أولئك المتخصصون ، وتُنسق
المواد فيما بينها ، فعندها يمكننا القول : إنَّ لدينا تفسيراً قريباً
للواقع ، ومتناسباً مع بحره الزخار . . .

ولكن مشروعاً مقترحاً كهذا ، لم يحصل في تاريخ
الإسلام ، ومن الصعب جداً تحقيقه ، من جهة الكمية والكيفية ،
إذا لم نقل إنه محال . . .

وعلى فرض حصول ذلك الإجتماع ، سيكون ما توصل إليه
العلماء من كشف رموز القرآن ، مطابقاً مع مستوى عقول عصرهم
وزمانهم فقط ، لأنَّ العقول تتكامل ، وتتوسع آفاق العلوم ، على
حسب تكامل العقول . . .

وبذلك ستكون النتيجة المحصلة غير متلائمة مع القرآن
الذي يواكب المجتمعات والخطوات العلمية في كل زمان . . .

وبناء على ذلك ، يجب أن نرجع في فهم القرآن وتفسيره ،
إلى أولئك العظام ، الذين لديهم العلوم الدنيوية ، والمعارف
السماوية ، ويحيطون بعلوم العالم ، بما فيها علم القرآن
وتفسيره . . . ولم تكن معلوماتهم محددة ومقيدة بزمان ومكان
كغيرهم من العلماء العاديين ، فإنهم مؤيدون من عند الله ، عز

وجل ، في فهمهم ، واستنباطهم ، واستخراجهم ، الكنوز
القرآنية ، ولأنَّ القرآن كتاب سماوي وعالمي ، فلا بدَّ لمفسِّره أنْ
يكون سماوياً ، عالمياً . . .

نعم لهؤلاء فقط الذين يستقون علومهم من نبعه الغيبي
الإلهي ، أن يقوموا بهذه المهمة الخطيرة ، ويتحملوا هذه
المسؤولية الشريفة .

وهؤلاء هم الذين عناهم الرسول الأكرم (ص) ، في حديث
الثقلين المشهور^(١) بعترته وأهل بيته : علي بن أبي طالب ،
وفاطمة الزهراء وأولادهما الأحد عشر ، عليهم الصلاة والسلام ،
إنهم العلماء بالتفسير والتأويل ، وأسرار ورموز القرآن الكريم ،
وهم الذين عيَّنهم النبي (ص) ، وجعل علوم القرآن فيهم ، ولا
مناص من العودة إليهم ، واللجوء ، والإستمداد من كنز
علومهم ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، وأمرنا بذلك ، بقوله :
«أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، فمن أراد المدينة ، فليأتها من
بابها»^(٢) .

(١) أخرج أحمد ، وأبو يعلى ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله
(ص) ، قال : «إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين ،
كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي . وإن اللطيف الخبير خبَّرني أنهما لن
يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (راجع
إحياء الميت بفضائل أهل البيت لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي
(ت ٩١٠ هـ) : ص ١٣ - والطبقات الكبرى لابن سعد : ١٩٤/٢)

وغيرهما كثير ، والحديث مشهور متواتر .

(٢) فرائد السمطين : ٩٩/١ - رسالة الإيمان للمرجع المعظم ميرزا حسن
الحائري الإحفاقي : ص ٢٦٩ - ط/٢ - بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

وعلى هذا فإنه لا يمكن الركون والإعتماد على تفسير للقرآن الكريم ، إلا أن يكون مؤلفه قد أخذ من علوم آل محمد (ع) ، واستند إلى أقوالهم ورواياتهم ، بل وليس لأحد أن يفسر القرآن متكئاً ومعتمداً على نفسه ، وعقله ، وعلمه ، ومهما بلغ من العلم ، إلا عن طريقهم ، وعلى طريقتهم ، فقد ورد عن الرسول (ص) ، أنه قال : «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار!»^(١) .

فإذاً كل تفسير للقرآن ، لم ينبع من الأئمة المعصومين ، الذين هم أساتذة القرآن الواقعيين ، بعد الرسول (ص) ، لم يكن يعتمد عليه ، ولم يستند إليه ، عند علماء أهل الفن . . .

(١) تفسير الصافي : ٣٢/١ - الميزان : ٧٥/٣ وفيه : هذا المعنى رواه الفريقان ، وفي معناه أحاديث أخر ، وروها عن النبي (ص) ، وأئمة أهل البيت عليهم السلام . وفي (منية المرید : ص ١٩١) عن النبي (ص) ، قال : «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» ، ورواه أبو داود في سننه . وفيه عنه (ص) ، قال : «من قال في القرآن بغير علم (بغير ما يعلم - خ ل) ، جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» . وفيه عنه (ص) ، قال : «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ» . ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي . وفيه عنه (ص) ، قال : «أكثر ما أخاف على أمتي من بعدي ، رجل ، يناول القرآن يضعه على غير مواضعه» . وفي (تفسير العياشي) ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (ع) ، قال : «من فسّر القرآن برأيه ، إن أصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء» . وفيه عن يعقوب بن يزيد ، عن ياسر ، عن الرضا (ع) ، قال : «الرأي في كتاب الله كفر» . وفي معناها روايات أخرى مروية في (العيون) ، و(الخصال) ، و(تفسير العياشي) . (اه) .

والخلاصة : إنَّ القرآن الكريم لوحده ، وبغير الإستعانة
والإستفادة من علوم آل محمد (ع) ، هو كتاب مبهم ، وغير قابل
للدرك والفهم ، مع علمنا الناقص والمحدود .

وها هو النبي الكريم (ص) ، يقول : «إني تارك فيكم
الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما ، لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب
الله ، وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١) .

ومع هذا النص الصريح ، المتفق عليه لدى المسلمين
كافة ، يتضح أنَّ القرآن والعترة لا ينفصل أحدهما عن الآخر ،
وليس لنا أن نخوض في القرآن إلاَّ بالإستعانة بعلم عليٍّ وأهل
بيته ، عليهم الصلوة والسَّلام . . .

وبهذه المقدمات يتضح بطلان فرضية «كفانا كتاب الله !»^(٢)
التي أبدعها الخليفة الثاني ، ويثبت أنَّ الأساتيد الواقعيين للقرآن ،
المعنيين من قبل الله ، عز وجل ، هم محمد (ص) ، وآل محمد
(ع) ، وهم الذين لهم صلاحية تفسير القرآن ، وقد بينوا علومه ،
وتفسيره ، من خلال أحاديثهم ، ورواياتهم ، التي حملها إلينا
حملة الأخبار والأحاديث من العلماء العظام ، أمثال : الشيخ
الكليني^(٣) ، والشيخ الطوسي^(٤) ، والشيخ الصدوق^(٥) ، وغيرهم

(١) إحياء الميت : ص ١٣ . والحديث مشهور متواتر لا حاجة لتعداد
المصادر والمراجع التي ذكر فيها .

(٢) سبق أن أشرنا إلى الحادثة التي أشار إليها سماحة المؤلف وردت في
(مسند أحمد : ٢٢٢/١ ، و ٢٩٣ ، و ٣٣٦ ، وذلك في الجزء الأول من
كتاب الولاية لسماحته ، في هامش الصفحة (١٥٩) ، فراجعها هناك .

(٣) الكليني : محمد بن يعقوب بن إسحق ، أبو جعفر الكليني الرازي ، =

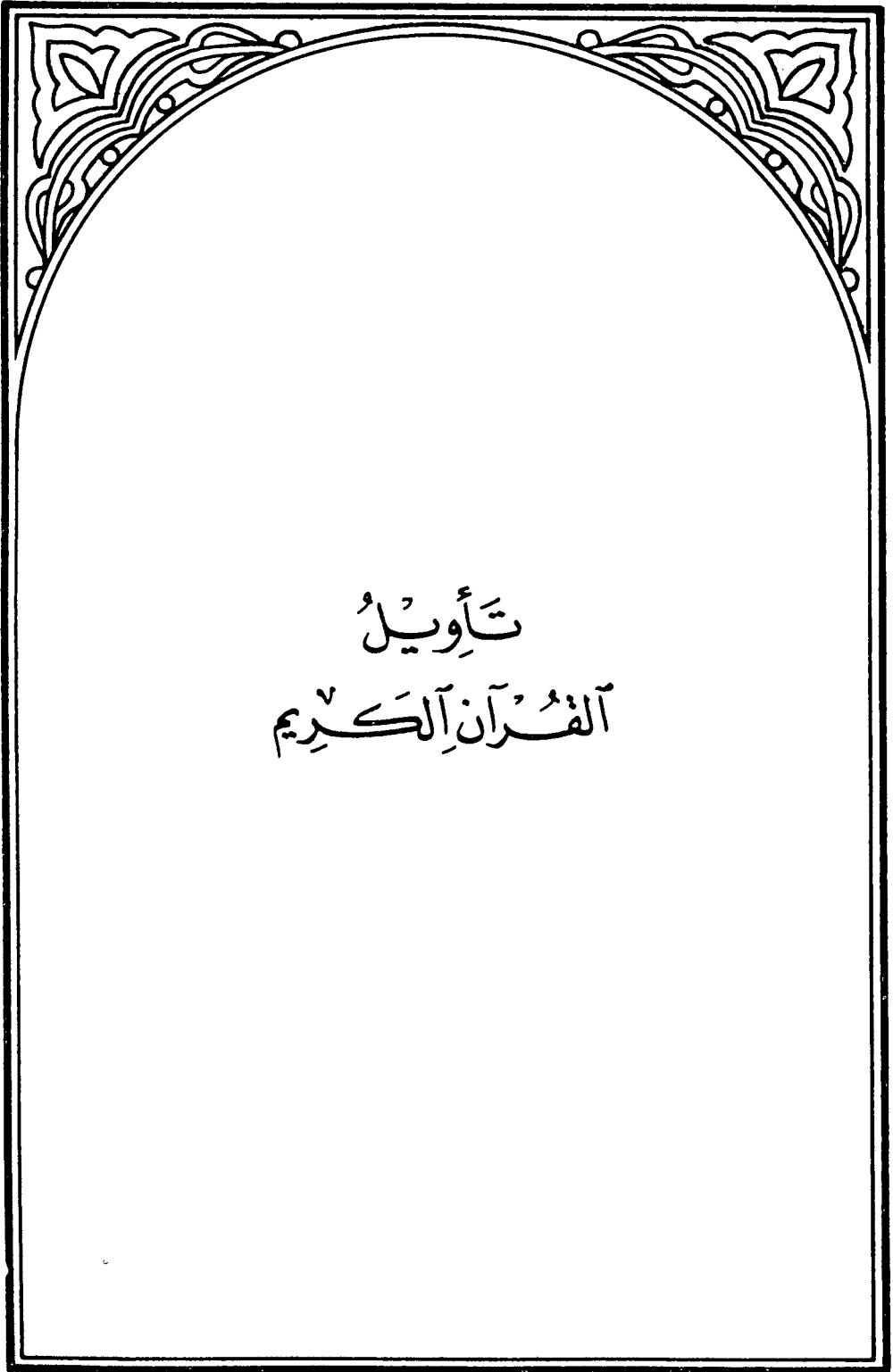
أعلى الله مقامهم ، وأوصلوها إلينا .

= المعروف بـ (ثقة الإسلام) . وأمره في العلم ، والفقہ ، والحديث ، والثقة ، والورع ، وجلالة الشأن ، وعظم القدر ، وعلو المنزلة ، وسمو المرتبة ، أشهر من أن يحيط به قلم ، ويستوفيه رقم ، كان أوثق الناس في الحديث ، وأثبتهم . صنف الكتاب الكبير المعروف بـ (الكافي) ، في عشرين سنة . ومات رحمه الله بيغداد سنة (٣٢٩ هـ) ، سنة تناثر النجوم ، وصلى عليه محمد بن جعفر الحسيني ، أبو قيراط ، ودفن بـ (باب الكوفة) . قال ابن الأثير : «أبو جعفر ، محمد بن يعقوب الرازي ، الإمام على مذهب أهل البيت ، عالم في مذهبهم ، كبير فاضل عندهم» ، وعده من مجددي مذهب الإمامية على رأس المئة الثانية . (تنقيح المقال : ٢٠١/٣) .

(٤) محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، أبو جعفر ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، شيخ الإمامية ، ورئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة ، عين ، ثبت ، صدوق ، عارف بالأخبار والرجال ، والفقہ ، والأصول ، والكلام ، والأدب ، جميع الفضائل تنسب إليه ، صنف في كل فنون الإسلام ، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع ، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل ، وكان تلميذ الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان ، ولد قدس الله روحه ، في شهر رمضان ، سنة (٣٨٥ هـ) وتوفي ، رضي الله عنه ليلة الإثنين ، الثاني والعشرين من المحرم ، سنة (٤٦٠ هـ) ، بالمشهد المقدس الغروي ، على ساكنه السلام ، ودفن بداره ، وقبره مزار معروف وداره مسجد ، وقد جدد مسجده بترغيب العلامة الطباطبائي ، سنة (١١٩٨ هـ) . له كتب ومؤلفات ومصنفات كثيرة في جميع الأصول والفروع ، أهمها : النهاية في مجرد الفقہ والفتاوى - تهذيب الأحكام - تلخيص كتاب الشافي - الاستبصار - العدة في أصول الفقہ - المبسوط . (تنقيح المقال : ١٠٤/٣) .

وها هو مذهب الشيعة (مذهب أهل البيت) ، غني بكل العلوم من الأصول والفروع ، ولم يبين أهل البيت شيئاً في جزئيات المعارف الإسلامية ، إلا وقد وصلتنا بالشكل الصحيح والكامل ، والحمد لله رب العالمين .

(٥) الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، أبو جعفر ، نزيل (الري) ، شيخ من مشايخ الشيعة ، وركن من أركان الشريعة ، رئيس المحدثين ، والصدوق فيما يرويه عن الأئمة ، عليهم السلام ، ولد بدعاء صاحب الأمر والعصر (عج) ، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر ، وصفه الإمام (ع) ، في التوقيع الخارج من ناحيته المقدسة بأنه «فقيه ، خير ، مبارك ، ينفع الله به» ، فعمت بركته ببركة الإمام (ع) ، وانتفع به الخاص والعام ، وبقيت آثاره ومصنفاته ، وعم الانتفاع بفقهه وحديثه الفقهاء الأعلام ، وذكره علماء الفن ، وأثنوا عليه غاية الثناء . له مؤلفات كثيرة . توفي رضي الله تعالى عنه وأرضاه بـ (الري) في سنة (٣٨١ هـ) . (تنقيح المقال : ١٥٤/٣) .



تَأْوِيلُ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تأويل القرآن الكريم :

● التأويل في اللغة^(١) : التأويل من مادة (أول) ، على وزن

(١) قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : «التأويل : من الأول ، أي الرجوع إلى الأصل ومنه الموثل للموضع الذي يُرجع إليه ، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه ، علماً كان أو فعلاً ، ففي العلم نحو : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ ، وفي الفعل كقول الشاعر : «وللنوى قبل يوم البين تأويل» . وقوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ : أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه . وقوله تعالى : ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ ، قيل أحسن معنى وترجمة ، وقيل أحسن ثواباً في الآخرة . والأول : السياسة التي تراعي مآلها ، يقال أول لنا ، وأُيِّل علينا . وأوّل ، قال الخليل : تأسيسه من همزة وواو ولام ، فيكون فعل ، وقد قيل من واوين ولام ، فيكون أفعل ، والأول أفصح لقلة وجود ما فاؤه وعينه حرف واحد كدون ، فعلى الأول يكون من آل يؤول ، وأصله أول ، فأدغمت المدّة لكثرة الكلمة ، وهو في الأصل صفة لقولهم في مؤنته أولى نحو أخرى . فالأول هو الذي يترتب عليه غفيره ، ويستعمل على أوجه ، أحدها : المتقدم بالزمان كقولك عبد الملك أولاً ، ثم منصور . الثاني : المتقدم بالرياسة في الشيء ، وكون =

(قَوْل) . و«أول» : يعني (الرجوع) ، وجاء في القاموس : «آل

= غيره محتدياً به نحو الأمير أولاً ثم الوزير . الثالث : المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق ، (القادسية) أولاً ، ثم (فَيْد) ، وتقول للخارج من مكة : (فَيْد) أولاً ، ثم (القادسية) . الرابع : المتقدم بالنظام الصناعي نحو أن يقال الأساس أولاً ، ثم البناء . وإذا قيل في صفة الله هو الأول ، فمعناه أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء ، وإلى هذا يرجع قول من قال : هو الذي لا يحتاج إلى غيره ، ومن قال هو المستغني بنفسه . وقوله تعالى : ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ - وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، فمعناه أنا المقتدى بي في الإسلام والإيمان . وقال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلُ كَافِرٍ بِهِ﴾ : أي لا تكونوا ممن يقتدى بكم في الكفر ، ويستعمل أول ظرفاً ، فيبنى على الضم ، نحو : جئتك أول ، ويقال بمعنى قديم نحو : جئتك أولاً وآخرأ ، أي قديماً وحديثاً ، وقوله تعالى : ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ كلمة تهديد وتخويف يخاطب به من أشرف على هلاك ، فيُحث به على التحرز ، أو يخاطب به من نجا ذليلاً منه ، فيُنهي عن مثله ثانياً . وأكثر ما يُستعمل مكرراً ، وكأنه حث على تأمل ما يؤول إليه أمره ، ليتنبه للتحرز منه» . (اهـ) . (المفردات في غريب القرآن : ص ٣١) .

● وقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) : «التأويل : في الأصل ، الترجيع . وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة ، مثل قوله تعالى : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، إذا أراد به إخراج الطير من البيضة ، كان تفسيراً ، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل ، كان تأويلاً» . (اهـ) . (كتاب التعريفات : ص ٥٠) .

● وقالوا : إن التأويل في اللغة ، مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع إلى الأصل ، يقال : آل إليه ، أولاً ، ومآلاً : رجع . ويقال : أول الكلام تأويلاً ، وتأوله : دبره ، وقدره ، وفسره . (راجع مباحث في علوم القرآن : ص ٣٢٥) .

إليه ، أولاً ، ومآلاً : رجع . ثم قال : «تأويل الكلام» : يعني إرجاع الكلام ، وتقديره ، وتفسيره .

فنستنتج من هذا : إنَّ معنى «التأويل» : إرجاع الكلام إلى معنى أصح .

● **التأويل في الإصطلاح القرآني^(١)** : هو إرجاع اللفظ ، أو الكلام ، من معنى مرجوح غلط ، إلى معنى راجح ، صحيح ، بالأدلة الموجودة .

وقال البعض : إنَّ التأويل مأخوذ من «إيالة» بمعنى الجذب والشد ، والمؤوّل يشد الكلام إلى موضعه الصحيح .

● وقال ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) : «التأويل : هو من آل الشيء يؤول إلى كذا : أي رجع وصار إليه ، والمراد بـ (التأويل) : نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل ، لولاه ما ترك ظاهر اللفظ» (اهـ) . (النهاية في غريب الحديث والأثر : ٨٠/١) .

(١) قالوا : إنَّ تأويل الكلام في الإصطلاح له معنيان : تأويل الكلام بمعنى ما أوله إليه المتكلم ، أو ما يؤول إليه الكلام ويرجع ، والكلام إنما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود وهو نوعان : إنشاء وإخبار ، ومن الإنشاء الأمر ، وتأويل الأمر : هو الفعل المأمور به . وتأويل الإخبار : هو عين المخبر به إذا وقع ، وتأويل الكلام : أي تفسيره ، وبيان معناه ، وهو ما يعنيه ابن جرير الطبري في تفسيره بقوله : «القول في تأويل قوله تعالى كذا ، وكذا» وبقوله : «اختلف أهل التأويل في هذه الآية» فإن مراده التفسير . أما التأويل في عرف المتأخرين : هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح ، لدليل يقترن به . (البرهان في علوم القرآن : ١٤٨/٢ - الإتقان في علوم القرآن : ١٧٣/٢ - جامع العلوم في اصطلاحات الفنون : ٢٦٤/١) .

● التأويل في القرآن الكريم : وردت لفظة التأويل في القرآن الكريم ، بمعان مختلفة ، نذكر بعضاً منها :

١ - التفسير والتعيين : في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران : ٧) .

٢ - عاقبة الأمور ونتائجها : قال عز وجل : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء : ٥٩) .

٣ - الوقوع والتحقق : قوله عز من قائل : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ (الأعراف : ٥٣) .

٤ - تعبير الأحلام : قال عز وجل : ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ (يوسف : ٤٤) .

ولا يخفى أن المقصود من التأويل في كلام العلماء والمفسرين ، هو المعنى الأول : تعيين المعنى الواقعي .

● الفرق بين التفسير والتأويل :

١ - التفسير في اللغة بمعنى الكشف ، والبيان ، والتوضيح .
والتأويل : بمعنى الإعادة والإرجاع .

٢ - قال أبو عبيدة ، وجمع غيره : إن التفسير والتأويل مترادفان ، وكلاهما بمعنى واحد^(١) .

٣ - قال الراغب الأصفهاني : التفسير أعم من التأويل ،

(١) الإتيقان : ١٧٣/١ .

والتفسير غالباً في الألفاظ ، ولكن التأويل يستعمل في المعاني ،
و(التأويل) غالباً في الكتب السماوية ، ولكن (التفسير) يستعمل
فيها ، وفي غيرها . و(التفسير) غالباً في الألفاظ المفردة ، ولكن
(التأويل) يستعمل على الأكثر في الجمل ، و(التأويل) يستعمل في
المعنى العام تارة ، وأخرى في المعنى الخاص ، مثل كلمة
«الكفر» التي تستعمل بمعنى الإنكار المطلق مرة ، وأخرى بمعنى
إنكار الله ، وكذلك مثل كلمة «الإيمان» ، من حيث استعمالها في
التصديق المطلق ، كما تستعمل في التصديق بالله . . . وكذلك
(التأويل) يعني المعنى المقصود من بين المعاني المشتركة ، مثل
لفظة «وجد» المشتركة بين «الظفر» ، و«الإيجاد» ، و«الحب
الشديد» ، وغيرها^(١) .

٤ - قال الماتريدي^(٢) : (التفسير) : عبارة عن القطع واليقين
في المقصود من اللفظ . و(التأويل) : ترجيح أحد الإحتمالات
من دون القطع .

٥ - قال أبو البقاء^(٣) ، في الآية المباركة ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

(١) راجع مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني : ص ٤٠٢ و ٤٠٣ - آخر كتاب
«تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضي عبد الجبار .

(٢) محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي : من أئمة علماء
الكلام نسبته إلى (ماتريد) محلة بـ (سمرقند) . من كتبه (التوحيد) ،
و(أوهام المعتزلة) ، و(الرد على القرامطة) ، و(مآخذ الشرائع) في
أصول الفقه ، وكتاب (الجدل) ، و(تأويلات القرآن) ، و(تأويلات أهل
السنة) ، وغيرها . مات بسمرقند سنة (٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م) . (راجع
الأعلام : ١٩/٧ - مفتاح السعادة : ٢١/٢ - الجواهر المضية :
١٣٠/٢) .

(٣) عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين ، الإمام محب الدين أبو البقاء =

الميت ﴿﴾ ، (تفسيرها) : أن نأخذ «الميت» بمعنى البيضة ،
و«الحي» الدجاجة ، و(تأويلها) : إنَّ المراد من «الميت» :
الكافر . والمقصود من «الحي» : المؤمن . أو «الميت» :
الجاهل ، و«الحي» : العالم .

٦ - قال البغوي^(١) : (التفسير) : عبارة عن بيان أسباب
النزول . و(التأويل) : إرجاع الآية إلى المعنى المحتمل صحته
بحيث يوافق ما قبلها وما بعدها ، ولا يخالف سائر الآيات ،
والأحاديث .

= العكبري البغدادي الضرير النحوي الحنبلي . صاحب الإعراب ،
المقرئ ، الفقيه ، المفسر ، الفرضي ، اللغوي . ولد بـ (بغداد) في
أوائل سنة (٥٣٨ هـ) ، وتوفي سنة (٦١٦ هـ) . له مؤلفات كثيرة في
الفقه والتفسير واللغة وغيرها من العلوم ، أهمها : تفسير القرآن - البيان
في إعراب القرآن - متشابه القرآن - الإعراب عن علل الإعراب .
(طبقات المفسرين للداودي : ٢٣١/١ - إنباه الرواة للقفطي :
١١٦/٢ - الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب : ١٠٩/٢ - العبر :
٦١/٥ - مرآة الجنان : ٣٢/٤) .

(١) أبو القاسم ، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي الأصل البغدادي .
و(البغوي) : نسبة على غير قياس إلى (بغشور) ، ويقال (بغوي) ، وهي
بلدة من بلاد (خراسان) ، بين (مرو) ، و(هرات) ، حافظ كبير ، مسند
عالم ، يعرف بـ (البغوي الكبير) ، وله تفسير يسمى (معالم التنزيل) ،
وقد يوجد فيه من المعاني والحكايات ، ما يحكم بضعفه ، أو وضعه ،
توفي سنة (٣١٧ هـ) ، وهو متقدم على محي السنة البغوي ، الفقيه
الشافعي ، المحدث ، المفسر ، صاحب المصنفات المتوفى بـ (مرو)
سنة (٥١٠ هـ) . (الرسالة المستطرفة : ص ٥٨) .

٧ - قال أبو طالب الثعلبي^(١) : بيان ظاهر اللفظ ، من حيث الحقيقة والمجاز ، مثل تفسير «الصراط» بالطريق ، وتفسير «الصَّيب» بالمطر . ولكن (التأويل) : هو المعنى الباطني لللفظ ، مثل الآية المباركة : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ، فهي من حيث (التأويل) بمعنى : ينبغي عدم التساهل في أوامر الله ، وعدم التغافل عن حسابه .

٨ - قال بعضهم : (التفسير) : توضيح ظاهر الآيات . و(التأويل) : الكشف عن باطنها ، ولبابها . . .

٩ - وقال البعض الآخر : إنَّ (التفسير) : هو المعنى المطابقي للآيات . و(التأويل) : هو المعنى الإلزامي .

١٠ - المحصل من كل الآراء والأقوال المذكورة في تعريف (التفسير) ، و(التأويل) ، ويوافقه ظاهر الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة عن أهل البيت (ع) ، أنَّ (التفسير) : عبارة عن توضيح الآيات المحكمات ، و(التأويل) : بيان الآيات المتشابهات ، بمعنى إرجاع المتشابهات إلى المحكمات^(٢) .

(١) ألم نجد ترجمته في المصادر التي بين أيدينا . وقد ذكره جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) في (الإتقان في علوم القرآن : ١٧٣/٢) ، حيث أورد قول سماحة المؤلف بلفظه : «وقال أبو طالب الثعلبي : التفسير بيان وضع اللفظ ، إما حقيقة أو مجازاً ، كتفسير «الصراط» بالطريق ، و«الصَّيب» بالمطر ، والتأويل : تفسير باطن اللفظ ، مأخوذ من «الأول» وهو الرجوع لعاقبة الأمر . . . » وإذا افترضنا التصحيف في لفظ «الثعلبي» أمكن التعرف على المفسر الذي ذكر .

(٢) إراجع الفرق بين التفسير ، والتأويل ، في : (البرهان في علوم القرآن : =

وبما أنّ الأساس الأهمّ في علم تفسير القرآن ، هو بيان حقيقة (التأويل) ، وهدفنا الأصل في هذه المجموعة ، هو البحث في (تأويل) الآيات المباركة القرآنية ، ومن أجل التوضيح الكامل للموضوع وبسطه ، فإننا نعالج الآية المباركة السابعة من سورة (آل عمران) ، التي تذكر المحكمات والمتشابهات ، وكذلك (التأويل) ، وغيرها من المفاهيم القرآنية ، بشكل مفصل ، ونذكر الإختلافات الواردة في قراءتها ، وتفسيرها ، ونذكر الدول الحق فيها ، وفقاً لما ورد عن محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، ليتسنى لك فهم الموضوع بشكل جيد ، ومن الله التوفيق ، وعليه التكلان :

= ١٤٩/٢ - الإتقان في علوم القرآن : ١٧٣/٢ - مباحث في علوم القرآن ، لمناع القطان : ص ٣٢٧ - تفسير الميزان : ٤٦/٣ .

نَفْسِيرُ الْأَيْمَنِ لِمَبَارَكِنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ
آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرٌ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي
الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

(آل عمران: ٧)

تفسير الآية المباركة :

● قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ (آل عمران : ٧) .

القراءة ومحل الوقف : نظريتان وقولان في كيفية قراءة هذه الآية المباركة ، من حيث محل الوقف فيها ، هل هو «الراسخون في العلم» ، أم لفظة «الله» قبلها ؟

إن رأي جمهور المفسرين يشير إلى أن الصحيح في القراءة ، هو الوقف على «الراسخون في العلم» ، وهو ما نقلته الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة ، عليهم الصلاة والسلام ، يروونها مفسرو الشيعة عنهم ، ومنهم الشيخ الطبرسي^(١)

(١) أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، الطوسي ، السبزواري ، الرضوي ، المشهدي ، أمين الدين ، وأمين الإسلام : =

في تفسيره «مجمع البيان»^(١) .

عالم ، ثقة ، فاضل ، دين ، عين ، من أجلاء الطائفة الإمامية ، الإثني عشرية ، والطبرسي نسبة إلى (طبرستان) بفتح الطاء والباء ، وكسر الراء ، كما في (معجم البلدان) . انتقل من المشهد الرضوي في (طوس) ، إلى (سبزوار) سنة (٥٢٣ هـ) ، واختلف في سنة وفاته : قيل (٥٠٢ هـ) ، وقيل (٥٤٨ هـ) ، وقيل (٥٦١ هـ) ، ثم نقل نعشه إلى المشهد المقدس الرضوي ، وقبره الآن فيه معروف في موضع يقال له (قتلگاه) أي مكان القتل ، وذلك لما وقع فيه من القتل العام بأمر عبد الله خان ، أمير (الأفغان) في أواخر دولة الصفوية . وقيل : إنه دُفن في مغتسل الرضا (ع) بـ (طوس) . وقال بعضهم إن قبره بـ (طوس) معروف مشهور ، يُزار ويُتبرك به . لكنه من المؤكد أنه ، رضوان الله تعالى عليه ، عاش تسعين سنة . له مؤلفات ومصنفات في مختلف العلوم ومن أهمها : مجمع البيان في تفسير القرآن - إعلام الوری بأعلام الهدى . تاج المواليد - مشكاة الأنوار . ومن حكاية غريبة عنه : أنه أصابته السكتة فظنوا به الوفاة فغسل وكفن ودفن . وأفاق بعدها في قبره ، ونذر إن خلاصه الله من هذه البلية أن يؤلف كتاباً في تفسير القرآن ، فاستخرجه نباش للقبور الذي تاب على يديه ، ثم وفي علامتنا بنذره . قال الفاضل النوري في (مستدركات الوسائل) بعد نقل هذه الحكاية : «ومع هذا الإشتهار لم أجد لها في مؤلف أحد قبله ، وربما نسبت إلى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشاني ، صاحب تفسير (منهج الصادقين) ، المتوفى سنة (٩٨٨ هـ) (١هـ) . قال السيد محسن الأمين الحسيني العاملي : «لو صحَّت لذكرها في مقدمة كتابه (مجمع البيان) لغرابتها ، ولاشتمالها على بيان السبب في تصنيفه ، مع أنه لم يتعرض لها ، والله أعلم» اهـ . (مقدمة مجمع البيان في تفسير القرآن : ص هـ ، و) و (تنقيح المقال : ٧/٢) .

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٤١٠/١ .

ونذكر شطراً منها في الصفحات الآتية من الكتاب ، وكذلك قال عبد الله بن عباس (حَبْرُ الأمة) ، ومحمد بن جعفر بن جرير ، وأبو مسلم ، وآخرون .

والمحصل من هذا الرأي أن الله ، عز وجل ، لم يتفرد في علمه بتأويل المتشابهات القرآنية - وهي كثيرة - بل أشرك «الراسخون في العلم» ، وأعطاهم علم تأويل تلك الآيات .

والرأي الآخر ، ما نقل عن عائشة ، وتبعها عليه البعض : أن الوقف على لفظة «الله» ، ويتحصل منه : أن لا أحد غير الله ، عز وجل ، يعلم تأويل الآيات المتشابهة الكثيرة في القرآن ، والتي هي أكثر من المحكمات ، وحتى «الراسخون في العلم» ، وهم عاجزون عن فهم تأويل تلك الآيات !!

ولنا مناقشة لهذا الرأي بالأدلة العلمية والعقلية ، نذكرها هنا ، بالإضافة إلى أن هذا الرأي مرفوض أساساً ، لمخالفته مع تفسير أهل البيت (ع) ، الذين هم أدري بما فيه ، فنقول :

العقل ونظرية الوقف على لفظة الجلالة :

١ - يعتقد المسلمون أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الذي أنزله الله ، تبارك وتعالى ، على نبيه الرسول الأكرم (ص) ، ويحوي في طيه برنامج السعادة البشرية ، المادية والمعنوية ، الدنيوية منها والأخروية ، وأن هذا القرآن بكل آياته وأحكامه ، وأوامره ونواهيه ، يخاطب البشرية جمعاء . . . أنزله رحمة على عباده لينظروا فيه ، ويقفوا على محتوياته ، ومفاهيمه الحكيمة ، فيسعدوا بتطبيقه ، والعمل به .

وهذا كيف يتلاءم والقول بأن لا أحد يعرف معنى ومقصود

جزء كبير من القرآن المتمثل في الآيات المتشابهة ، حتى النبي (ص) ، والأئمة (ع) ، من بعده؟! وأنه قد أخفى الله تعالى ذلك عن عباده مطلقاً!!

إذا صحَّ هذا!! يلزم أن يكون نزول الآيات تلك في القرآن الكريم عملاً عبثياً، لا جدوى منه!! لأنَّ ضبط هكذا آيات وقراءتها ، بحيث لا يعرف معناها غير الله ، عز وجل ، بعيد عن العقل ، وعمل العقلاء ، وحاشا الله الحكيم أن يأمر بمثل هذا . . .

٢- يفهم بالضرورة من هذا الرأي أن : «الراسخون في العلم» آمنوا بآيات الكتاب المتشابهة عليهم ، وأعلنوا ذلك من دون فهمهم لها ، ومعرفتهم بها!!

وكيف يكون ذلك ، والعلم والعقل يحكمان بالفهم والمعرفة الكاملة بالشيء ، قبل الإيمان به ، كي يكون الإيمان إيماناً حقيقياً ثابتاً ، ويمنعان من الإيمان والتكذيب بالشيء ، إلا على موازين الدراية ، والتبصر ، والتعقل ، إلا تعبداً؟! .

وإذا كان لا يعرف أحد تأويل تلك الآيات ، كيف آمن «الراسخون في العلم» بها ، وهم يجهلون تأويلها؟ ولا نسلم أن يكون إيمانهم تعبدياً ، لأنه لا يتطابق ، ولا يتماشى مع العقل السليم ، والمنطق الصحيح!!

ولا نرى إلا أن أصحاب هذه النظرية ، قد انحرفوا عن طريق العقل والعلم ، وأن في كلامهم هذا ، بهتاناً على الله عظيماً ، وتوجيهاً للآية المباركة ، بغير الوجهة الإلهية !

٣- إنَّ الله ، عز وجل ، الذي يأمر عباده في غالب الآيات

القرآنية ، بالتدبر ، والتفكر ، والتعقل ، في كل الأمور عامة ، وفي فهم الآيات القرآنية خاصة^(١) ، كيف يمكن - والحال هذه - أن يحمّل الله الحكيم عباده ، الإيمان بالآيات المتشابهة ، والتصديق بها ، من دون تعقل وتفهم؟!

هل يشبه العدل الإلهي عدالة حكام الأرض ، والمستبدين ، فيشوبه بعض الظلم والجور على عباده ، فيأمرهم بالإيمان والتصديق ، بشكل استبدادي وتحميلي ، بحيث لا يسع الرعية إلا الإعلان بالموافقة والتأييد ، خوفاً على حياتهم ، وعرضهم ، فيقولوا : آمناً وسلمناً؟!!

في الواقع والحقيقة ، لا نرى أيّ دليل يدعم هذه النظرية ، وإنه خيال باطل لا يتفق مع موازين العقل والعلم ، ولا يسعنا إلا أن نحكم على أصحابها بعدم المعرفة بالمنطق الإلهي ، والقوانين الربّانية ، من خلال نسبتهم القهر ، والظلم ، والإخفاق ، إلى ساحة الربوبية العادلة !

٤ - إذا كانت الآيات المتشابهة^(٢) ، لا يعرفها إلا الله ، عز

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء : ٨٢) .

(٢) تختلف آراء العلماء في معنى المحكم والمتشابه في القرآن ، قال الشيخ الزرقاني :

١ - (منها) : إنّ المحكم هو الواضح الدلالة ، الظاهر ، الذي لا يحتمل النسخ ، أما المتشابه فهو الخفي الذي لا يدرك معناه عقلاً ، ولا نقلاً ، وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه ، كقيام الساعة ، والحروف المقطعة في أوائل السور ، وقد عزا الألوسي هذا الرأي إلى السادة الحنفية .

٢ - ومنها : إنّ المحكم ما عرف المراد منه ، إما بالظهور ، وإما =

وجل - كما يقولون - وحتى الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة (ع) ،
 = بالتأويل . أما المتشابه ، فهو ما استأثر تعالى بعلمه ، كقيام الساعة ،
 وخروج الدجال ، والحروف المقطعة في أوائل السور . وينسب هذا
 القول إلى أهل السنة ، على أنه هو المختار عندهم .
 ٣ - ومنها : إنَّ (المحكم) : ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً من التأويل .
 أما (المتشابه) : فهو ما احتمل أوجهاً . ويعزى هذا الرأي إلى ابن
 عباس ، ويجري عليه أكثر الأصوليين .
 ٤ - ومنها : إنَّ (المحكم) : ما استقل بنفسه ، ولم يحتاج إلى بيان .
 أما (المتشابه) : فهو الذي لا يستقل بنفسه ، بل يحتاج إلى بيان ، فتارة
 يبيِّن بكذا ، وتارة يبيِّن بكذا ، لحصول الاختلاف في تأويله . ويحكى
 هذا القول عن الإمام أحمد .
 ٥ - ومنها : إنَّ (المحكم) : هو السديد النظم والترتيب ، الذي يفضي
 إلى إثارة المعنى المستقيم ، من غير مناف . أما (المتشابه) : فهو الذي
 لا يحيط العلم بمعناه المطلوب من حيث اللغة ، إلا أن تقترن به أمانة أو
 قرينة ، ويندرج المشترك في المتشابه بهذا المعنى ، وهو منسوب إلى
 إمام الحرمين الجويني .
 ٦ - ومنها : إنَّ (المحكم) : هو الواضح المعنى ، الذي لا يتطرق إليه
 إشكال ، مأخوذ من الأحكام ، وهو الإتيان . أما (المتشابه) : فمقيضه .
 وينتظم (المحكم) على هذا ما كان نصاً ، وما كان ظاهراً . وينتظم
 (المتشابه) على ما كان من الأسماء المشتركة ، وما كان من الألفاظ
 الموهمة للتشبيه في حقه سبحانه . وقد نسب هذا القول إلى بعض
 المتأخرين ، ولكنه في الحقيقة رأي الطيبي ، إذ قال فيما حكى السيوطي
 عنه : «المراد بالمحكم : ما اتضح معناه ، والمتشابه خلافه . لأنَّ اللفظ
 الذي يقبل معنى ، إما أن يحتمل غيره ، أو لا . . . » . فالقرآن : كله
 محكم أي متقن ، والقرآن : كله متشابه ، لأنه يماثل بعضه بعضاً في
 هذا الإحكام ، والقرآن : منه (محكم) أي واضح المعنى المراد وضوحاً =

لم يعطوا علمها ، في هذه الحال ، ما الحيلة إذا دخل أحد على الرسول (ص) ، ليسأله عن تأويل إحدى الآيات المتشابهة ، وما المقصود منها ؟ فهل يتعقل إنسان عاقل أن يقول له الرسول (ص) : « لا أعلم ! » ، وكم من السخرية بمكان أن يُسأل الرسول (ص) ، عن آية من آيات كتابه ، الذي أنزل عليه ، دليلاً على نبوته ، ويقول : « لا أدري ! » .

إلى هنا ، وإذا نحن لا نسلم لأصحاب هذه النظرية في مسلكهم ، وأوردنا عليها إشكالات غير قابلة للرد ، نقول لهم : إنكم قد ضللتكم الطريق لمعرفة القرآن ، بل إن الله ، عزوجل ، بلطفه وكرمه ، جعل أمناء لوحيه ، فأودع عندهم تفسير القرآن ، وتأويله ، ومحكمه ومتشابهه ، وهم : محمد رسول الله (ص) ، وأهل بيته (ع) ، من بعده ، فهياهم لذلك ، ورباهم ، وجعلهم الراسخين في العلم ، وأيدهم بذلك ، وهم أول من علمهم القرآن ، وهم المقصودون من الآية الشريفة : ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾^(١) ، في عالم الأنوار والأرواح ، فاختارهم باختياره ، أن يحملوا تلك المعلومات اللامتناهية ، والأزلية ، واللدنية ، وأمرهم بأن يعلموا الناس منها ، كلاً بقدر طاقته واستيعابه ، وحسبما تقتضيه الحكمة ، لكي يطلع كل ذي بصيرة ، وطالب علم ومعرفة ، على تعاليم القرآن ، وأسراره ،

= يمنع الخفاء عنه ، ومنه (متشابه) فيه وجوه مختلفة من المماثلة ، مستلزمة لخفاء هذا المعنى المراد . وللتفصيل (راجع مناهل العرفان في علوم القرآن : ١٦٦/٢) .

(١) سورة الرَّحْمَن ، الآيات : ١ - ٣ .

ورموزه ، فيسعد بالعمل به ، ويرقى درجات التكامل ، والوصول
إلى القرب الإلهي ، فيضمن سعادة الدنيا ، والفوز بنعيم الآخرة .
وسيكون لنا في الفصل القادم ، إن شاء الله تعالى ، مزيد
من الكلام ، في هذا المجال .

كَلِمَةُ حَوْلَ
«الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»

كلمة حول : «الراسخون في العلم» :

الرسوخ في العلم :

قبل كل شيء ، ومن أجل الوقوف على معنى الآية الشريفة ، بشكل واضح ، نبدأ بشرح مفردات الآية ، أمثال : «الراسخون في العلم ، المحكم ، المتشابه ، أم الكتاب ، التأويل ، وغيرها . . . لنساعدك في فهم الآية فهماً كاملاً ، ومن ثم يتبين بطلان إدعاء الوقف على لفظ الجلالة ، وتكون مقدمة لعلم تفسير القرآن ، وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم :

نبدأ بتوضيح وتفسير «الراسخون في العلم» ، التي هي الهدف من الآية الشريفة :

١ - راسخون : جمع راسخ ، وهي صفة من مصدر «رسوخ» ، وجاء في كتب اللغة^(١) وكذلك في كتب التفسير : رسخ

(١) منها : لسان العرب - القاموس المحيط - تاج العروس - المغرب - البارع - أقرب الموارد - مجمع البحرين - الصحاح في اللغة - المنجد - المصباح =

الشيء ، يرسخ رسوخاً ، يعني : ثبت . والراسخ في العلم :
الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً . فإذا الراسخ : بمعنى الثابت .
والراسخ في العلم : يعني الثابت في العلم ، والثبوت في شيء ،
يعني الإستقرار والإستقامة ، وعدم التزلزل فيه .

وعليه : الراسخ في العلم ، هو الذي استقر واستقام في
علمه ، ولم يدخله تزلزل أو تردد ، قد بنى معلوماته على اليقين
والإستحكام ، ببعدها عن الشك والريب .

٢ - العلم : إسم محلى بالألف واللام ، يفيد العموم ، يعني
جميع أنواع العلوم ، فالمقصود منه في الآية المباركة : جميع
أصناف العلوم ، وكل ما من شأنه أن يُسمى علماً ، ظاهراً كان أم
باطناً ، لفظاً كان أم معنى .

وإذا قلنا : إنَّ المقصود من «العلم» جميع علوم القرآن ،
فصحيح أيضاً ، لأنَّ القرآن يصف نفسه أنه يحوي جميع العلوم
كما تشير الآية الشريفة : ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب
مبين﴾ (الأنعام : ٩٥) .

وقد ذكرنا في الجزء الأول^(١) من هذا الكتاب ، بحثاً

= المنير - أساس البلاغة - مفردات الراغب الأصفهاني - التعريفات - تهذيب
اللغة ، وغيرها من كتب الأضداد ، والفرق ، والمعاجم ، وهي مصادر
ومراجع نعتمد عليها في التفسير اللغوي والاصطلاحي للألفاظ الواردة ،
التي نعتبر أنها بحاجة إلى توضيح ، وتجد في آخر الكتاب فهرساً لأهم
المصادر والمراجع ، حيث تعثر على غالبيتها مثبتاً ، بطبعته وتاريخه
والدار التي صدر عنها .

(١) راجع الولاية : ٢٠٥/١ ، وما بعدها .

مبسّطاً ، مستدلاً بأنّ القرآن الكريم خزانة جميع العلوم والفنون ،
فعلى من أراد المزيد في هذا المجال أن يرجع إليه .

والمحصل من هذا كله : إنّ «الراسخون في العلم» يعني :
أولئك الذين أحاطوا بكل العلوم والفنون ، وعلمهم ثابت ومستقر ،
بحيث لا يدخلهم أي شك ، وتردد ، أو زوال ، أو تغيير .

وإذا تصفحنا تاريخ رجالات العلم في العالم ، ونظرنا إلى
ماهية علومهم ، وكيفيتها ، بشكل دقيق ، وقسنا نتائج آثارهم ،
كما يحكيه التاريخ ، فسننصل إلى الحقيقة الساطعة التي تفيد بأن
وسام «الراسخون في العلم» ، لا يستحقه إلا من رباه الله ، وهيأه
لإبلاغ رسالته إلى خلقه عموماً ، وعلى وجه الخصوص ، خاتمهم
وآخرهم محمد (ص) ، وأهل بيته الكرام المعصومين (ع) ، الذين
غرفوا من ينابيع علمه الصافي ، فصاروا معادن كلماته ، وخرزّان
علمه . . .

كما يتبين ويتضح إنّ هذا اللباس القدسي لا يليق إلا لقامة
أولئك المقدسين فقط ، لأنهم هم المرتبطون مع الملكوت ،
والمحيطون - بتعليم الله إياهم - بكل العلوم ، وعلمهم بعلوم
القرآن ، وعجائب الإبداع فيه ، ثابت ومستقر على نحو الإحاطة ،
بحيث لا يتسرّب إليه أي شك ، وتردد ، وتزلزل .

إنّ أولئك الذين ليس لهم حظ من الغيب ، والعناية الربّانية
الخاصة ، واكتسبوا علمهم من أمثالهم ، وبشكل تدريجي ، ليس
عندهم ما يؤهلهم لتلك المنزلة السامية ، والمقام الرفيع
«الراسخون في العلم» إلا عن طريق المجاز ، وقد أثبت التاريخ ،
كما تشهد كتب التراجم ، أنّ أولئك الذين استندت معلوماتهم إلى

المراحل الإكتسابية ، لم يحيطوا بالعلوم المختلفة ، بل كانت لديهم علوم محدودة ، وأنهم غالباً مهزومون بالتطور البسيط للعلم الذي يحوونه ، ولم يبدو أي ثبات واستقرار ، فسلموا لفشل نظرياتهم .

وكم من هؤلاء العلماء ، من بذل جهداً متواصلاً لسنين من العمر ، لكشف حقيقة ، أو التوصل إلى معرفة ، ولكنهم بعد جهد عادوا يائسين من الظفر بها وتحصيلها !

وكم منهم من اعتقد بحقيقة ، والتزم بنظرية ، في مجال من مجالات العلم ، ولكنهم سرعان ما تراجعوا عنها ، وأعلنوا التزامهم بعكس ذلك !

وكم منهم من الذين ماتوا على الإلتزام بنظريتهم ، فجاء تلامذتهم ليصححوا ما التزم به الأساتذة ، بعد إبطالها !
إنّ هذه كلها دلائل كافية لعدم استقرار العلوم الإكتسابية عند هؤلاء .

ولكن التاريخ يسجل هذه الحقيقة :

إنّ الأنبياء والأولياء ، ومحمداً (ص) وآل محمد (ع) ، على وجه الخصوص ، وحدهم الذين ثبتوا في نظرياتهم ، واستقاموا على ما جاؤوا به ، وإنّ مرور القرون المتطاولة على تاريخهم وكتبهم ، لم يغير من المفاهيم التي حملتها كتبهم ، وهي ما زالت على قوتها واستحكامها ، وكأنّ العهد قريب من ظهورها وانتشارها .

إن (إنشتاين)^(١) ذلك العالم والفيلسوف الكبير يعترف بهذه

(١) ألبرت اينشتاين (١٨٧٩ - ١٩٥٥ م) : عالم أمريكي في الفيزياء النظرية . =

الحقيقة ، ويقول قولته المنصفة : «إنَّ الحقائق العلمية الكونية المستندة إلى الأدلة المذهبية ، أقوى وأثبت ، وأجدر ، بالتحقيق ، والتتبع العلمي» .

ومحصَّل هذه المقدمات : إنَّ المقصود من «الراسخون في العلم» ، بالمنظار الحقيقي والواقعي ، هم أساتذة القرآن ، والمنصوص عليهم من قبل رب القرآن ، وهم محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، دون سواهم ، وإذا أطلقت على تلامذتهم الأفاضل ، أمثال : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، فإنه من باب المجاز ، ولأنهم استقوا علومهم من تلك الينابيع العذبة ، واهتدوا طريقهم بنور علومهم الواقعية ، ولأنهم أخذوا من فتات

= عُرف بنظرية النسبية المشهورة . ولد بـ (ألمانية) ، ودرس بها ، وبـ (سويسرة) ، وتجنس بالجنسية السويسرية ، وحصل على الدكتوراه من جامعة (زيوريخ) سنة (١٩٠٥ م) . أجرى بحثاً على ظاهرة «الكهرو- ضوئية» ووضع أسس النظرية النسبية الخاصة . عيّن أستاذاً في جامعات (زيوريخ) ، و (براغ) ، والمعهد التكنولوجي بـ (سويسرة) ومعهد (كايزر) الألماني ، حيث تجنس مرة أخرى بالجنسية الألمانية . اكتسب شهرة عالمية لبحوثه القيمة . نال جائزة (نوبل) في الفيزيقا سنة (١٩٢١ م) ، لبحوثه على ظاهرة «الكهرو- ضوئية» . عندما تولى (أدولف هتلر) الحكم بـ (ألمانية) سنة (١٩٣٣ م) ، صودرت ممتلكاته ، ورحل إلى (أمريكا) ، وتجنس بالجنسية الأمريكية سنة (١٩٤٠ م) . عين بمعهد الدراسات المتقدمة ، بجامعة (برنستون) . أخرج سنة (١٩١٦ م) النظرية النسبية العامة على أسس رياضية ، وهي تحدد العلاقة بين الجاذبية ، وبين انحناء الفراغ ، ذي البعد الزمني الرابع . أكد سنة (١٩٣٩ م) ضرورة فحص موضوع استخدام الطاقة الذرية في القنابل الذرية . (الموسوعة العربية الميسرة : ص ٢٩٢) .

تلك الموائد ، وأصابهم رشحات من أمواج بحار علوم أولئك
العظماء . . .

وليك رواية صريحة في ذلك نقلها استدلالاً وتوضيحاً
للمقام :

نقل العلامة الخوئي^(١) ، في كتاب «منهاج البراعة في شرح
نهج البلاغة»^(٢) ، عن كتاب (المناقب)^(٣) لابن شهر آشوب^(٤) ،

(١) هو العلامة الحاج مير حبيب الله بن السيد محمد ، الملقب بـ (أمين
الرعايا) ، ابن السيد هاشم بن السيد عبد الحسين ، رضوان الله عليهم
أجمعين : ولد في بلدة (خوي) سنة (١٢٦١ هـ) ، من بلاد
(آذربايجان) ، وفيها نشأ وتربى . سافر إلى النجف الأشرف بصحبة
ابن العلامة الآية الحاج السيد محمد حسين الهاشمي الموسوي ،
رضوان الله عليه ، وأنَّ عمره كان خمساً وعشرين سنة ، وتلمذ على
العلامة السيد حسين الحسيني الكوغمري ، والميرزا حبيب الله الرشتي ،
والمجدد الشيرازي . ألف في الأصول والفقه ، والحديث ، ومختلف
العلوم ، أهمها : تحفة الصائمين - رسالة في رد الصوفية - منهاج البراعة
في شرح نهج البلاغة . توفي سنة (١٣٢٤ هـ) في طهران ، ونقلت
جنازته إلى مشهد عبد العظيم الحسيني سلام الله عليه ، ودفن في الحجرة
الأخيرة الواقعة في الطرف الغربي من الصحن الشريف (مقدمة منهاج
البراعة) .

(٢) منهاج البراعة : ٢٢/٩ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢٨٥/١ .

(٤) محمد بن علي بن شهر آشوب السُّروي المازندراني ، أبو جعفر ، رشيد
الدين (ت ٥٨٨ هـ) : فاضل إمامي عالم بالحديث والأصول ، من
(سارية مازندران) . خافه واليها ، فأمره بالخروج منها ، فذهب إلى
بغداد في أيام المقتفي ، وعظمت منزلته . ثم انتقل إلى =

يرويه عن أبي القاسم الكوفي ، أنه قال : إنَّ «الراسخون في العلم» ، هم الذين جعلهم الرسول الأكرم (ص) ، عدلاً للقرآن الكريم ، في الحديث المشهور : «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١) . وهو حديث صحيح ، ومسلّم به عند الفريقين .

ثم يعقب صاحب (المناقب) فيقول : «الراسخ : في اللغة ، بمعنى اللازم والثابت ، واللازم : ما لا يتغير ، ولا يتحول ، ولا يزول . وهذه الصفات لا تتوفر في أحد إلا من طبعه الله بالعلم والمعرفة ، من حين خلقته ، مثل عيسى (ع) ، الذي قال في حين ولادته : ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب﴾ (مريم : ٣٠) ، ولكن الذين قضوا شطراً من عمرهم في الجهل ، ثم حصلوا بعض العلم على قدر طاقتهم واستيعابهم ، لم تتوافر فيهم صلاحية إحراز هذا الموقع الرفيع» .

= (الموصل) ، واستقر في (حلب) ، وتوفي بها . ألف في كثير من العلوم أهمها : (الفصول) في النحو ، وأسباب نزول القرآن ، وتأويل متشابهات القرآن ، ومناقب آل أبي طالب ، ومعالم العلماء في التراجم والتصانيف ، المتشابه والمختلف . (الأعلام : ٢٧٩/٦ - روضات الجنات : ٢٩٠/٦ - سفينة البحار : ٧٢٦/١ - لسان الميزان : ٣١٠/٥ - الوافي بالوفيات : ١٦٤/٤ - بغية الوعاة : ٧٧/١) .

(١) لقد زخرت كتب العامة والخاصة بذكر هذا الحديث ، بحيث أصبح متسالماً عليه بينهم ، حتى ألفت فيه كتب ورسائل عدة من الفريقين . ونحيل المتتبع على كتاب (عبقات الأنوار) للمجاهد الأكبر السيد مير حامد حسين الهندي ، حيث يطلع على صور الحديث ، وأسناده ، والبحوث حوله . (العسيلي) .

وهذا دليل عقلي آخر في حصر تطبيق «الراسخون في العلم» ، على محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، والسفراء الإلهيين الذين كانت لديهم علوم لدنية^(١) .

وبالعودة إلى البحث من خلال الأخبار والأحاديث ، نقول :

إنَّ من المسلّم عند جميع المسلمين : أنَّ علي بن أبي طالب (ع) ، أعلم الصحابة بعد رسول الله (ص) ، وأنهم متفقون ومجمعون أنه عليه السلام :المرجع في جميع علوم القرآن ، من التفسير والتأويل ، والمحكم والمتشابه ، والخاص والعام ، والناسخ والمنسوخ ، وغيرها من أسراره ورموزه . . .

وانهم معترفون أنَّ المسلمين جميعاً بحاجة إليه في فهم القرآن ، وحل مشكلاته ، ولكنه لم يحتج هو إلى غيره من الصحابة على الإطلاق !

وما أكثر ما لدينا من الأدلة والأخبار ، من كتب الفريقين ، التي تثبت أنَّ علماء الصدر الأول ، والخلفاء الثلاثة ، رجعوا إلى علي بن أبي طالب (ع) ، والتجأوا إليه في فهم ودرك حقائق القرآن ، وحل مشكلاتهم العلمية المستعصية عليهم . . .

وكم من شواهد تاريخية تبين أنَّ كبار الصحابة ، والقيمين على الإسلام والمسلمين ، أفتوا بغير ما أنزل الله ، من خلال جهلهم بالقرآن ، وحقائق القرآن^(٢) ، وكادوا أن يقعوا في المهالك

(١) قال العلامة الخوئي الذي سبقت ترجمته : «وهذا هو الدليل العقلي على اختصاص الرسوخ لهم ، مضافاً إلى الأدلة الأخرى ، لا نطول بذكرها» (اهـ) . (راجع منهاج البراعة : ٢٢/٩) .

(٢) راجع الغدير في الكتاب والسنة والأدب : ١٠٣/٧ - ١٠٤ - ٦٣/٨ ،

والمهاوي ، لولا الأستاذ الواقعي للقرآن ، أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، الذي كان يدرّكهم بعلمه ، وينجيهم من انحرافهم ، حفاظاً على الشرع المقدس ، وإحياء له ، وضماناً لاستمراره ، ونذكر بعض تلك الشواهد ، للتثبت وازدياد اليقين :

● إعراف الخلفاء الثلاثة بالمقام العلمي لعلي (ع) :

إنه من دواعي الفخر والإعتزاز لشيعة علي (ع) ، إعراف القريب والبعيد ، والصديق والعدو ، بفضل إمامهم وقائدهم ، والتسليم له ، والخضوع أمامه ، وأن الجميع ، بدءاً بالرسول الأكرم (ص) ، وانتهاءً بالمعاندين من أعداء علي (ع) ، رفعوا قدر علي (ع) ، فوق الجميع ، وميّزوه عنهم ، وحتى الخلفاء الثلاثة ، الذين يعتبرهم أهل السنة والجماعة ، وجوه الصحابة ومقدميهم ، يصرحون بتفوق علي (ع) ، وأفضليته على الجميع ، وحتى أنفسهم^(١) ، ويرجعون قضايا الأمة المصيرية إليه .

إن الأدلة كثيرة في هذا المجال ، نذكر بعضاً منها للنموذج ، لا للحصر :

١ - يقول المحقق ، والمؤرخ الشهير ، والمنصف من أهل السنة : القاضي محمد بهلول بهجت أفندي^(٢) ، ما مضمونه :

(١) راجع هامش كتاب (الولاية : ١/٩٥ - ٩٦ - الغدير : ٦/١٢٣) .
(٢) التشريع والمحاكمة في تاريخ آل محمد (ع) : ص ٦١ . وقال أبو بكر أقيلوني ، أقيلوني ، لست بخيركم !» (الصواعق المحرقة : ص ٣٠) ، وقال : «لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي !» (الإمامة والسياسة : ١/١٤) ، وقال : «أقلتكم بيعتي ، فبايعوا من شتم !» (الرياض النضرة : ١/١٧٥) ، وقال : «لوددت أن هذا كفانيه غيري ، ولئن =

روى علماء أهل السنة ، أنَّ الخليفة أبا بكر بن أبي قحافة ،
رقي المنبر ، بعد أيام من خلافته ، وقال : «أقيلوني ، ما أنا
بخيركم وعلي فيكم . . . » .

لقد أنصف أبو بكر في مقاله حيث أجريت الحقيقة على
لسانه ، واعترف بوضوح ، بأفضلية علي (ع) ، على جميع
الصحابة ، وحتى على أبي بكر نفسه ، وهذا دليل محكم على أن
علياً (ع) ، أعلم ، وأشرف ، وأفضل الصحابة في كل الجهات ،
وفي علوم القرآن خاصة .

٢ - روى ابن حجر المكي^(١) في (الصواعق المحرقة :

= أخذتموني بسنة نبيكم (ص) ، لا أطيقها ، إن كان لمعصوماً من
الشیطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء» . (مسند أحمد :
١٤/١) ، وقال : «أما والله ! ما أنا بخيركم ، ولقد كنت لمقامي هذا
كارهاً ، ولوددت أن فيكم من يكفيني ، أفتنظنون أنني أعمل فيكم بسنة
رسول الله (ص) ؟ إذن لا أقوم بها ، إن رسول الله (ص) ، كان يُعصم
بالوحي ، وكان معه ملك ، وإن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا غضبت
فاجتنبوني ، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ، ألا فراعوني ، فإن استقمت
فأعينوني ، وإن زغت فقوموني !» (الإمامة والسياسة : ١٦/١ - طبقات
ابن سعد : ٣/١٥١ - تاريخ الطبري : ٣/٢١٠ - الغدير في الكتاب
والسنة والأدب : ٧/١١٨ - تلخيص الشافي : ٢/١٠٢) .

(١) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي المكي الأنصاري ،
شهاب الدين ، شيخ الإسلام ، أبو العباس (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ / ١٥٠٤ -
١٥٦٧ م) : فقيه باحث مصري ، مولده في محلة (أبي الهيثم) ، من
(إقليم الغربية بمصر) ، وإليها نسبته . والسعدي : نسبة إلى بني سعد
من عرب الشرقية بـ (مصر) . تلقى العلم في الأزهر ، ومات بـ (مكة) .
له تصانيف كثيرة ، منها : الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال =

ص ٧٨) ، وابن الأثير^(١) في (أسد الغابة : ٢٢/٤) ، وأكثر من أربعين من العلماء ، ورواة الأحاديث ، أمثال : القاضي فضل الله بن روزبهان^(٢) ، وابن قتيبة الدينوري^(٣) ، وجلال الدين

= والزندقة - تحفة المحتاج لشرح المنهاج - شرح الأربعين النووية . (النور السافر : ص ٢٨٧ - الأعلام : ١/٢٣٤ - مقدمة كتاب الصواعق المحرقة) .

(١) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، أبو الحسن ، عز الدين ، ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ - ١٢٣٣ م) : المؤرخ الإمام ، من العلماء بالنسب والأدب . ولد ونشأ في (جزيرة ابن عمر) ، وسكن (الموصل) ، وتجول في البلدان ، وعاد إلى (الموصل) ، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء . وتوفي بها . له مؤلفات كثيرة ، منها : الكامل في التاريخ ، مرتب على السنين ، بلغ فيه عام (٦٢٩ هـ) - و (أسد الغابة في معرفة الصحابة) ، مرتب على الحروف - و (اللباب في تهذيب الأنساب) اختصر به (أنساب السمعاني) ، وزاد فيه . (وهو أخو ابن الأثير المحدث ، واسمه المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ) ، وابن الأثير الكاتب ، واسمه نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) . (وفيات الأعيان : ١/٣٤٧ - مفتاح السعادة : ١/٢٠٦ - طبقات الشافعية للسبكي : ٥/١٢٧ - الأعلام : ٤/٣٣١) .

(٢) فضل الله بن روزبهان - بكسر الباء - بن فضل الله الخنجي الأصفهاني ، المعروف بـ (باشا) : قالوا عنه : إنه كان من أعظم علماء المعقول والمنقول ، حنفي الفروع ، وأشعري الأصول ، متعصباً لأهل مذهبه وطريقته ، متصلباً في عداوة أولياء الله وأحبته . له كتب ومصنفات ، ورسائل ومؤلفات ، منها : كتاب «المقاصد» في علم الكلام ، وكتاب «إبطال الباطل ، أو إبطال نهج الباطل» في نقض كتاب «كشف الحق ونهج الصدق» الذي كتبه العلامة الحلبي ، في مخالقات أهل السنة مع الإمامية ، في العقائد والأحكام . وابن روزبهان هو الذي ردَّ عليه =

= القاضي نور الله التستري أو الشوشتري الشهيد الموثق الموفق (ت ١٠١٩ هـ) ، في كتابه الموسوم بـ «إحقاق الحق» ، وجعل الكلام فيه على ثلاثة أرسام ، أولها : «قال المصنف رفعه الله» وثانيها : «قال الناصب خفضه الله» ، وثالثها : «صورة رده ، شكر الله سعيه» على ما ذكر الناصب المذكور . وكتاب «إحقاق الحق» ، من أحسن الكتب المصنفة في الرد على علماء الجمهور . قال السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢ هـ) : «الفضل بن روزبهان ، قاضي الحرمين المشهور ، هو الذي ردَّ على العلامة كتابه «كشف الحق ونهج الصدق» بأقبح ردِّ ، فسلط الله عليه الإمام المتبحر السيد نور الله الشوشتري ، تغمده الله برحمته ، فرد كلامه بكتاب سماه «إحقاق الحق» ، ما رأيت أحسن من هذا الكتاب ، لأن كل ما ذكر فيه من الردِّ على ذلك الناصبي ، من كتبهم ، وأحاديثهم . وكان لابن روزبهان بنت ، فلما بلغت مقاعد النساء ، خطبها منه شرفاء (مكة) ، وعلماء (الحرمين) ، فقال : بنتي هذه لا كقولها ، لأن سلطان العجم ، وإن كان علويًّا ، إلا أنه من الرافضة ، وسلطان الروم ، وإن كان من أهل السنة ، إلا أنه ليس بعلوي !» فلما مات قاضي الحرمين ، صارت من أصحاب الرايات ، كل من أراد الدخول دخل عليها ، بالدرهم وما نقص عنه ، فكانت مورد النظم في أرجوزة الشيخ بهاء الملة والدين (ت ١٠٣١ هـ) ، الواردة في كتابه «الكشكول» ، ومطلعها :

كان في الأكراد شخصٌ ذو سداد أمه ذات اشتهار بالفساد

وكانت وفاة القاضي الفضل بن روزبهان في (قاسان) ، فيما وراء النهر ، بعد سنة (٩٠٧ هـ) إثر هربه من (أصفهان) ، بعد ظهور دولة السلطان المؤيد شاه إسماعيل ، واستيلائه على بلاد العجم . (روضات الجنات : ١٧/٦ - الضوء اللامع : ١٧١/٣ - هدية العارفين : ١/٨٢٠ - مقدمة كتاب إحقاق الحق : ص ٧٤) .

=

السيوطي^(١) ، والإمام أحمد بن حنبل^(٢) ، وإبراهيم بن محمد

= (٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد : (٢١٣ - ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩ م) : من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين . ولد بـ (بغداد) ، وسكن (الكوفة) ، ثم ولي قضاء (الدينور) مدة ، فنسب إليها . وتوفي بـ (بغداد) . له مؤلفات كثيرة ، منها : أدب الكاتب ، والمعارف ، وعيون الأخبار ، والإمامة والسياسة ، ومشكل القرآن . (وفيات الأعيان : ٢٥١/١ - لسان الميزان : ٣٥٧/٣ - الأعلام : ١٣٧/٤ - الرسالة المستطرفة : ص ١١٦) .

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي الشافعي ، جلال الدين ، أبو الفضل (٨٤٩ - ٩١١ هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) : إمام حافظ ، مؤرخ أديب له نحو (٦٠٠) مصنف ، منها الكتاب الصغير ، والرسالة الصغيرة ، نشأ في القاهرة يتيماً ، مات والده وعمره خمس سنوات ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في (روضة المقياس) على (النيل) ، منزوياً عن أصحابه وألف أكثر كتبه . كان يلقب بابن الكتب ، ومن أشهر كتبه : طبقات اللغويين والنحاة ، تاريخ الخلفاء ، الإتقان في علوم القرآن . (الكواكب السائرة : ٢٢٦/١ - شذرات الذهب : ٥١/٨ - الضوء اللامع : ٦٥/٤ - حسن المحاضرة : ١٨٨/١ - الأعلام : ٣٠١/٣ - الرسالة المستطرفة : ص ٦٣) .

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي ، أبو عبد الله (١٦٤ - ٢٤١ هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥ م) : إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة . أصله من (مرو) ، وكان أبوه والي (سرخس) ، وولد بـ (بغداد) ، فنشأ منكباً على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة إلى (الكوفة) ، و (البصرة) ، و (مكة) ، و (المدينة) ، و (اليمن) ، و (الشام) ، وغيرها . في أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن . تولى المعتصم ، فسجن ابن حنبل (٢٨) شهراً ، فأطلق سنة =

الحموي^(١) ، وابن حجر العسقلاني^(٢) ، وابن عبد البر

= (٢٢٠ هـ) . ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله - بعد المعتصم - ولما توفي الواثق ، وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم ، أكرم ابن حنبل ، وقدمه ، ومكث مدة لا يولي أحداً ، إلا بمشورته ، وتوفي الإمام أحمد بن حنبل وهو على تقدمه عند المتوكل (وفيان الأعيان : ١٧/١ - تاريخ بغداد : ٤١٢/٤ - تاريخ ابن كثير : ٣٢٥/١٠ - صفة الصفوة : ١٩٠/٢ - حلية الأولياء : ١٦١/٩ - الأعلام : ٢٠٣/١ - الرسالة المستطرفة : ص ١٤) .

(١) إبراهيم بن محمد بن المؤيد أبي بكر بن حمويه الجويني ، صدر الدين ، أبو المجمع : (٦٤٤ - ٧٢٢ هـ / ١٢٤٦ - ١٣٢٢ م) : شيخ (خراسان) في وقته ، من أهل (جوين) بها . رحل في طلب الحديث ، فسمع بـ (العراق) ، و (الشام) ، و (الحجاز) ، و (تبريز) ، و (آمل) ، و (طبرستان) ، وغيرها ، وتوفي بـ (العراق) . عرفه ابن حجر في (الدرر الكامنة) بالشافعي الصوفي ، وجعله الأمين العاملي من أعيان الشيعة ، ولقبه بـ (الحموي) نسبة إلى جده حمويه ، وقال : له (فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين) . (الدرر الكامنة : ٦٧/١ - أعيان الشيعة : ٤٥٨/٥ - الأعلام : ٦٣/١) .

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حَجَر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ / ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) : من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من (عسقلان) بـ (فلسطين) ، ومولده ووفاته بـ (القاهرة) ، ودفن بـ (القرافة الصغرى) فيها . ولع بالأدب والشعر ، ثم أقبل على الحديث ، ورحل إلى اليمن) ، و (الحجاز) ، وغيرهما لسماع الحديث . كان فصيح اللسان ، راوية للشعر . ولي قضاء مصر مرات ، ثم اعتزل . أما تصانيفه فكثيرة ، أشهرها : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لسان الميزان - الإصابة في تمييز أسماء الصحابة . (الضوء اللامع : ٣٦/٢ - البدر الطالع : ٨٧/١ - خطط مبارك : ٣٧/٦ - لسان =

القرطبي^(١) ، وعشرات العلماء أمثالهم ، مما يطول ذكرهم في هذا المجال ، كلهم ذكروا في مؤلفاتهم ، وبروايات متواترة وقضايا متنوعة ، تدل على اعتراف الخليفة عمر بن الخطاب ، وفي أكثر من سبعين واقعة ، ومأزقاً علمياً مختلفاً ، أنقذه علي (ع) منها ، وساعده فيها ، بما يحفظه من الزلل ، والفشل ، والإنحطاط ، وقال عندها قوله المعروفة : «لولا علي لهلك عمر!» .

ونشير إلى عدد من تلك الوقائع والحوادث :

٣ - (المناقب) للخوارزمي : «لما كان في ولاية عمر ، أتني بامرأة حامل ، سألتها عمر عن ذلك ، فاعترفت بالفجور ، فأمر بها عمر أن تُرجم . فلقبها علي بن أبي طالب (ع) ، فقال : ما بال هذه المرأة ؟ فقالوا : أمر بها عمر أن تُرجم ! فردّها علي (ع) ، فقال له : أمرت بها أن تُرجم ؟ فقال : نعم ، اعترفت عندي

= الميزان : ٦ - خاتمه لمصحح طبعه - بدائع الزهور : ٣٢/٢ - وفيه وفاته سنة (٨٥٤ هـ) وانظر ترجمته لنفسه في كتابه رفع الإصر عن قضاة مصر : ٨٥/١ - الأعلام : ١٧٨/١ - الرسالة المستطرفة : ص ١٢١ .

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، القرطبي ، المالكي ، أبو عمر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ / ٩٧٨ - ١٠٧١ م) : من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ ، أديب ، بحاث ، يقال له : حافظ المغرب . ولد بـ (قرطبة) ، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس ، وشرقيها ، وولي قضاء (لشبونة) و(شتترين) ، وتوفي بـ (شاطبة) . له مصنفات كثيرة ، أشهرها : الإستهباب - جامع بيان العلم وفضله - الإنباه على قبائل الرواة (بغية الملتمس : ص ٤٧٤ - وفيات الأعيان : ٣٤٨/٢ - المغرب في حلى المغرب : ٤٠٧/٢ - الأعلام : ٢٤٠/٨ - الرسالة المستطرفة : ص ١٢) .

بالفجور ، فقال : هذا سلطانك عليها ، فما سلطانك على ما في بطنها ؟ ثم قال له علي (ع) : فلعلك انتهرتها ، أو أخفتها ! فقال عمر : قد كان ذلك . قال علي (ع) : أو ما سمعت رسول الله (ص) يقول : « لا حدُّ على معترف بعد البلاء » أنه من قيِّدت ، أو حبست ، أو تهدَّدت ، فلا إقرار له . فخلى عمر سبيلها ، ثم قال : « عجزت النساء أن تلدنَّ مثل علي بن أبي طالب (ع) ، لولا علي لهلك عمر »^(١) .

٤ - (الفصول المهمة) لابن الصباغ المالكي : « إن رجلاً أتى به إلى عمر بن الخطاب (رض) ، وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس ، وقد سألوه : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصدق اليهود والنصارى ، وأؤمن بما لم أره ، وأقر بما لم يخلق ! فرفع إلى عمر (رض) فأرسل إلى علي ، كرم الله وجهه ، فلما جاءه ، أخبره بمقالة الرجل ، قال : صدق ، يحب الفتنة ، قال الله تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾^(٢) ، ويكره الحق : الموت : قال الله تعالى : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾^(٣) ، ويصدق اليهود والنصارى ، قال الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾^(٤) ، ويؤمن بما لم يره : يؤمن

(١) المناقب للخوارزمي : ص ٣٩ - ووردت في الرياض النضرة :

١٩٦/٢ - ذخائر العقبى : ص ٨٠ - وراجع المجلد الثامن من البحار :

ص ٢٨٢ - الطبعة الحجرية .

(٢) سورة التغابن ، الآية : ١٥ .

(٣) سورة ق ، الآية : ١٩ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١١٣ .

بالله ، عز وجل ، ويقر بما لم يخلق؛ يعني الساعة . فقال عمر
(رض) : أعوذ بالله من معضلة لا علي لها !»^(١) .

٥ - (الجمع بين الصحيحين) ، للحميدي^(٢) : أتى عمر
بخمسة نفر ، يزنون بامرأة في محل واحد ، وثبت لديه شرعاً أن
الخمسة زنوا بها . فأمر أن يقام على كل واحد منهم الحد . في هذا
الوقت ، دخل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، المسجد ،
واطلع علي القضية ، واستمع إلى فتوى عمر حيث خاطبه قائلاً :
يا عمر ! إن حكم الله تعالى في هذه المسألة ، غير هذا الحكم ،

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ص ٣٥ . وفي المصدر نفسه :
«قال سعيد بن المسيّب : كان عمر يقول : اللهم لا تبقي لمعضلة ليس
فيها أبو الحسن ، وقال (رض) مرة : لولا عليّ لهلك عمر» (اه) - نور
الأبصار للشبلنجي : ص ٧٩ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب :
١٠٦/٦ وفيه : «فقال عمر ، رضي الله عنه : أعوذ بالله من معضلة لا عليّ
بها» .

(٢) محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي ، الميورقي ،
الحميدي ، أبو عبد الله بن أبي نصر (٤٢٠ - ٤٨٨ هـ / ١٠٢٩ -
١٠٩٥ م) : مؤرخ ، محدث أندلسي ، من أهل (جزيرة ميورقة) . أصله
من (قرطبة) . كان ظاهر المذهب . وهو صاحب ابن حزم وتلميذه .
رحل إلى مصر ، و(دمشق) ، و(مكة) ، سنة (٤٤٨ هـ) ، وأقام
بـ(بغداد) ، فتوفي فيها . له مؤلفات ومصنفات كثيرة ، منها : الذهب
المسبوك في وعظ الملوك - الجمع بين الصحيحين . وهو غير
الحميدي : عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي ، القرشي الأسدي
المكي ، من كبار أصحاب ابن عيينة ، الثقة المتوفي بـ(مكة) في سنة
(٢١٩ هـ) . (نفع الطيب : ٣٨١/١ - بغية الملتمس : ص ١١٣ - ابن
خلكان : ٤٨٥/١ - مفتاح السعادة : ١٣/١ - الأعلام : ٣٢٧/٦ .

وأنت حكمت فيها بغير حكم الله تعالى . فقال عمر : يا علي ! ثبت الزنا ، وبعد ثبوته حكمهم الرجم ! فقال (ع) : حكم الزنا في الموارد المختلفة يختلف ، وهذه من الموارد المختلفة التي يختلف فيها حكم الرجم ، فقال عمر : أجر بما هو حكم الله ورسوله ، لأنني سمعت رسول الله (ص) ، يقول : «علي أعلمكم وأقضاكم» . فأحضر الخمسة ، فقدم واحداً منهم فضرب عنقه ، وقدم الثاني فرجمه ، وقدم الثالث فضربه الحد ، وقدم الرابع فضربه نصف الحد ، وقدم الخامس فعزّره ، فتحير عمر ، وتعجب الناس من فعله . فقال عمر : يا أبا الحسن ! خمسة نفر في قضية واحدة ، أقت عليهم خمسة حدود ، ليس شيء منها يشبه الآخر؟! فقال أمير المؤمنين (ع) : أما الأول : فكان ذمياً ، خرج عن ذمّته ، لم يكن له حكم إلا السيف ، وأما الثاني : فرجل محصن ، كان حدّه الرجم ، وأما الثالث : فغير محصن ، جلد الحد ، وأما الرابع ، فعبد ضربناه نصف الحد ، وأما الخامس : فمجنون ، مغلوب على عقله ، فعزرناه . فقال عمر : لولا علي لهلك عمر ، لا عشت في أمة لست فيها يا أبا الحسن !^(١) .

٦ - القرطبي^(٢) ، في تفسيره ، والعلامة الحلّي^(٣) ، في

(١) أورده باختلاف اللفظ الكليني في (الكافي : ١٦٥/٧) - و(قضاء أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) لمحمد تقي التستري : ص ٤٠ - الحق المبين في قضاء أمير المؤمنين (ع) : ص ٣٠ ، لحسين علي الشفائي .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) الحسن بن يوسف وقيل الحسين ، بن علي بن المطهر الحلّي ، جمال الملة والحق والدين ، أبو منصور (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ / ١٢٥٠ - =

«كشف الحق»^(١) ، عن «صحيح مسلم»^(٢) ، وهو من أمهات الكتب الحديثية المعتبرة عند أهل السنة : «إن امرأة دخلت على زوجها ، فولدت لسته أشهر ، فذكر ذلك لعثمان بن عفان ، فأمر بها أن ترحم ، فدخل عليه علي ، فقال : إن الله ، عز وجل ،

= (١٣٢٥ م) : مشهور بـ (العلامة) ، ونسبته - له الرحمة والرضوان - إلى (الحلة السيفية) التي بناها الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي الأسدي ، الذي هو من أمراء دولة الديالمة في سنة (٤٩٥ هـ) ، وهو غير سيف الدولة بن حمدان ، الذي هو من جملة ملوك الشام ، ولذا يقال لها (الحلة المزيديّة) قال المامقاني : «وضوح حاله ، وقصور كل ما يذكر عن أداء حقه ، وبيان حقيقته ، وإن كان يقضي بالسكوت عنه ، كما فعل الفاضل التفرشي حيث قال : «يخطر ببالي أن لا أصفه ، إذ لا يسع كتابي هذا علومه ، وتصانيفه ، وفضائله ، ومحامده» (نقد الرجال : ١٠٠) ، فهو شيخ الطائفة وعلامة وقته ، صاحب التحقيق والتدقيق ، كثير التصانيف ، ولكن حيث أن ما لم يدرك كله ، لا يترك كله ، والمسك كلما كررته يتضوع ، لا بد من بيان شطر من ترجمته ، فنقول : اتفق علماء الإسلام على وفور علمه في جميع الفنون ، وسرعة التصنيف ، وبالغوا في وثاقته . . . من مؤلفاته المشهورة : مختلف الشيعة في أحكام الشريعة - كشف الحق ونهج الصدق - خلاصة الأقوال في علم الرجال . (تنقيح المقال : ٣١٤/١ - الأعلام : ٢٢٧/٢ - روضات الجنات : ٢٦٩/٢ - نقد الرجال : ص ٩٩ - الدرر الكامنة : ٧١/٢ - أعيان الشيعة : ٢٧٧/٢٤ و ٣٣٤) .

(١) كشف الحق ونهج الصدق : ص ٣٠٢ .

(٢) أخرجه الحفاظ عن بعجة بن عبد الله الجهني ، وأخرجه مالك ، وابن

المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي ، وأبو عمر ، وابن كثير ، وابن

الديبع ، والعيني ، والسيوطي . (الغدِير : ٩٧/٨) .

يقول : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾^(١) ، وقال أيضاً :
﴿وفصاله في عامين﴾^(٢) ، قال : فوالله ما كان عند عثمان إلا أن
بعث إليها فرجمت^(٣) .

٧ - «تاريخ الخلفاء»^(٤) ، للسيوطي ، و«حلية الأولياء» ،
لأبي نعيم الأصفهاني^(٥) ، و«أسنى المطالب»^(٦) ، لمحمد

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ١٥ . (٢) سورة لقمان ، الآية : ١٤ .
(٣) البحار : ٣١٣/٨ - حجرية - الدر المنثور للسيوطي : ٤٤١/٧ - مناقب
الخورزمي : ص ٥٠ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب : ٩٤/٦
و ٩٧/٨) وفيه : «وكان من قولها لأختها : يا أختي ألا تحزني ، فوالله ما
كشفت فرجي أحد قط غيره ، قال : فشب الغلام بعد ، فاعترف الرجل
به ، وكان أشبه الناس به ، وقال : فرأيت الرجل بعد يتساقط عضواً
عضواً على فراشه» .

(٤) تاريخ الخلفاء : ص ١٧٠ - (عيون أخبار الرضا (ع) : ٦٨/١) - وفيه :
«وأخرج الحاكم عن ابن مسعود ، رضي الله عنهما ، قال : كنا نتحدث
أن أفضى أهل المدينة عليّ (ع) . وفيه : «وأخرج ابن عساكر ، عن ابن
مسعود ، قال : أفرض أهل المدينة وأقضاها علي بن أبي طالب» .

(٥) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني ،
أبو نعيم (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ / ٩٤٨ - ١٠٣٨ م) : حافظ مؤرخ ، من
الثقات في الحفظ والرواية - كما وصفوه - على مذهب الشافعية وينسب
إلى (أصفهان) ، وهي مدينة عظيمة ، مشهورة ، من أعلام المدن
وأعيانها ، صوفي ولد ومات في (أصفهان) . من مؤلفاته : حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء - دلائل النبوة - ذكر أخبار أصفهان . (ابن خلكان :
٢٦/١ - ميزان الاعتدال : ٥٢/١ - لسان الميزان : ٢٠١/١ - طبقات
الشافعية : ٧/٣ - الأعلام : ١٥٧/١ - الرسالة المستطرفة : ص ٢٣) .

(٦) تهذيب أسنى المطالب : ص ٨٠ الحديث رقم (٢٧) .

الجزري^(١) ، و«الطبقات»^(٢) ، لابن سعد^(٣) ، و«التاريخ

(١) محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، أبو الخير ، شمس الدين العمري
الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي ، الشهير بـ (ابن الجَزَري) ، (٧٥١ -
٨٣٣ هـ / ١٣٥٠ - ١٤٢٩ م) : شيخ الإقراء في زمانه ، من حفاظ
الحديث ، ولد ونشأ في دمشق ، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار
القرآن) ، ورحل إلى مصر مراراً ، ودخل بلاد الروم ، وسافر مع
تيمورلنك إلى ما وراء النهر ، ثم رحل إلى (شيراز) ، فولي قضاءها ،
ومات فيها ، نسبتبه إلى (جزيرة ابن عمر) . له مؤلفات كثيرة ، ومن
كتبه : غاية النهاية في طبقات القراء - النشر في القراءات العشر - أسنى
المطالب في مناقب علي بن أبي طالب (طبقات الحفاظ : ٨٥/٣ - مفتاح
السعادة : ٣٩٢/١ - الأنس الجليل : ٤٥٤/٢ - غاية النهاية : ٢٤٧/٢ -
الضوء اللامع : ٢٥٥/٩ - الشقائق النعمانية : ٣٩/١ - الأعلام :

(٤٥/٧) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٣٩/٢ .

(٣) محمد بن سعد بن منيع الزهري ، الهاشمي البصري البغدادي ، أبو
عبد الله (١٦٨ - ٢٣٠ - ٢٣٥ هـ / ٧٨٤ - ٨٤٥ م) : مؤرخ ثقة - كما
قالوا - من حفاظ الحديث . ولد في البصرة ، وسكن بغداد ، فتوفي
فيها ، وصحب الواقدي المؤرخ ، زماناً ، فكتب له ، وروى عنه ،
وعرف بـ (كاتب الواقدي) . قال الخطيب في (تاريخ بغداد) : محمد بن
سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى في
كثير من رواياته (اه) . أشهر كتبه : طبقات الصحابة ويعرف بـ (طبقات
ابن سعد) . (تهذيب التهذيب : ١٨٢/٩ - تاريخ بغداد : ٣٢١/٥ -
الوافي بالوفيات ٨٨/٣ - الأعلام : ١٣٦/٦ - الرسالة المستطرفة :

ص ١٠٤) .

الكبير»^(١) ، لابن كثير^(٢) ، و«الاستيعاب»^(٣) ، لابن عبد البر^(٤) ، وهذه كلها من الكتب المعتمدة عند أهل السنة ، ومؤلفوها من أجلة العلماء عندهم ، وكلهم يروون عن عمر بن الخطاب أنه قال عدة مرات : «علي أفضانا»^(٥) .

(١) التاريخ الكبير (البداية والنهاية) : ٣٥٩/٧ - ط . دار الفكر بيروت - ١٣٩٨ هـ .

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ، ثم الدمشقي ، أبو الفداء ، عماد الدين (٧٠١ - ٧٧٤ هـ / ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) : قالوا في اسمه : إسماعيل بن كثير بن صفو القرشي الشافعي ، كما قالوا : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي ، أو العبسي ، لكن الزركلي في (الأعلام) أثبتته كما أثبتناه عنه . حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، ولد في قرية من أعمال (بصرى الشام) ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة (٧٠٦ هـ) ، ورحل في طلب العلم ، وتوفي في (دمشق) . تناقل الناس تصانيفه في حياته . من كتبه : البداية والنهاية ، في التاريخ على نسق (الكامل) لابن الأثير ، انتهى فيه إلى حوادث سنة (٧٦٧ هـ) - وتفسير القرآن الكريم . (الدرر الكامنة : ٣٧٣/١ - البدر الطالع : ١٥٣/١ - المدارس في تاريخ المدارس : ٣٦/١ و ٥٨٢/٢ - شذرات الذهب : ٢٣١/٦ - البداية والنهاية : ٣٢٤/١٤ - الأعلام : ٣٢٠/١) .

(٣) الإستهاب : ٣٨/٣ (على هامش الإصابة) .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) راجع : صحيح البخاري : ١٤٩/٥ - الإستهاب على هامش الإصابة :

٣٨/٣ - أسمى المناقب : ص ٨٠ - حلية الأولياء : ٦٥/١ - مستدرک

الحاكم النيسابوري : ٣٦/٣ - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (ع) من

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) : ٤٢/٣ وما بعدها -

الصواعق المحرقة : ص ١٢٦ .

٨- «الاحتجاج» (١) ، للشيخ الطبرسي : «روي أنه وفد وفد من بلاد الروم إلى المدينة ، على عهد أبي بكر ، وفيهم راهب من رهبان النصارى ، فأتى مسجد رسول الله (ص) ، ومعه بختي (٢) موقر ذهباً وفضة ، وكان أبو بكر حاضراً ، وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار . فدخل عليهم ، وحياهم ، ورحب بهم ، وتصفح وجوههم ، ثم قال : أيكم خليفة رسول الله ، وأمين دينكم ؟ فأومي إلى أبي بكر ، فأقبل إليه بوجهه ، ثم قال : أيها الشيخ ! ما اسمك ؟ قال : عتيق . قال : ثم ماذا ؟ قال : صديق . قال : ثم ماذا ؟ قال : لا أعرف لنفسي إسماً غيره . فقال : لست بصاحبي !

فقال له : وما حاجتك ؟ قال : أنا من بلاد الروم ، جئت منها ببختي موقر ذهباً وفضة ، لأسأل أمين هذه الأمة مسألة ، إن أجابني عنها أسلمت ، وبما أمرني أطعت ، وهذا المال بينكم فرقت ، وإن عجز عنها ، رجعت إلى الورا بما معي ، ولم أسلم .

فقال له أبو بكر : سل عما بدا لك ! فقال الراهب : والله لا أفتح الكلام ما لم تؤمني من سطوتك ، وسطوة أصحابك . فقال

(١) الاحتجاج : ٢٠٦/١ .

(٢) البختي : قال الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) : «البُخت : نوع من الإيل ، قال الشاعر : «لَبْنُ البُختِ في قِصاعِ الخَلنجِ» . الواحد (بُختي) ، مثل روم ورومي ، ثم يجمع على (البختاتي) ، ويخفف ويُثقل . وفي (التهذيب) : وهو أعجمي معرَّب . والبخت : الحظ ، وزناً ومعنى ، وهو أعجمي ، ومن هنا توقف بعضهم في كون (البُخت) عربية ، التي هي أصل (البختاتي) . (المصباح المنير : ص ٣٧) .

أبو بكر : أنت آمن ، وليس عليك بأس ، قل ما شئت . فقال
الراهب : أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا
يعلمه الله ؟!

فارتعش أبو بكر ، ولم يُحر جواباً ، فلما كان بعد هنيهة قال
لبعض أصحابه : إئتني بأبي حفص ، عمر ، فجاء به ، فجلس
عنده ، ثم قال : أيها الراهب ! سله . فأقبل بوجهه إلى عمر ،
وقال له مثل ما قال لأبي بكر ، فلم يُحر جواباً .

ثم أتى بعثمان ، فجرى بين الراهب وعثمان ، مثل ماجرى
بينه ، وبين أبي بكر وعمر ، فلم يُحر جواباً . فقال الراهب :
أشياخ كرام ، ذوو فجاج لا سلام ! ثم نهض ليخرج .

فقال أبو بكر : يا عدو الله ! لولا العهد ، لخضبت الأرض
بدمك ! فقام سلمان الفارسي ، رضي الله عنه ، وأتى علي بن أبي
طالب (ع) ، وهو جالس في صحن داره ، مع الحسن والحسين
(ع) ، وقصَّ عليه القصة .

فقام علي (ع) ، وخرج ومعه الحسن والحسين (ع) ، حتى
أتى المسجد ، فلما رأى القوم علياً (ع) ، كبروا الله ، وحمدوا
الله ، وقاموا إليه أجمعهم ، فدخل علي (ع) ، وجلس .

فقال أبو بكر : أيها الراهب ! سله ، فإنه صاحبك وبغيتك .
فأقبل الراهب بوجهه إلى علي (ع) ، ثم قال : يا فتى ! ما
اسمك ؟

قال (ع) : إسمي عند اليهود «إلياء» ، وعند النصارى
«إيليا» ، وعند والدي «علي» ، وعند أمي «حيدرة» .

قال : ما محلك من نبيكم ؟

قال (ع) : أخي ، وصهري ، وابن عمي .

قال الراهب : أنت صاحبي ورب عيسى ! أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله .

قال (ع) : على الخبير سقطت . أما قولك : «ما ليس لله» : فإن الله تعالى أحد ، ليس له صاحبة ، ولا ولد . وأما قولك : «ولا من عند الله» : فليس من عند الله ظلم لأحد . وأما قولك : «لا يعلمه الله» : فإن الله لا يعلم له شريكاً في الملك .

فقام الراهب ، وقطع زناره ، وأخذ رأسه ، وقبل ما بين عينيه ، وقال : «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأشهد أنك أنت الخليفة ، وأمين هذه الأمة ، ومعدن الدين ، والحكمة ، ومنبع عين الحجة ، لقد قرأت اسمك في التوراة (إلييا) ، وفي الإنجيل (إيليا) ، وفي القرآن (علياً) ، وفي الكتب السابقة (حيدر) ، ووجدتك بعد النبي وصياً ، وللإمارة ولياً ، وأنت أحق بهذا المجلس من غيرك ، فأخبرني ما شأنك وشأن القوم ؟

فأجابه بشيء ، فقام الراهب ، وسلم المال إليه بأجمعه . فما برح علي (ع) مكانه ، حتى فرقه في مساكن أهل المدينة ، ومحاويجهم ، وانصرف الراهب إلى قومه مسلماً . (اه) .

٩ - «الصواعق المحرقة» لابن حجر المكي : «أخرج أحمد أن رجلاً سأل معاوية عن مسألة ، فقال : إسأل عنها علياً فهو أعلم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! جوابك فيها أحب إلي من جواب

عليّ . قال : بشس ما قلت ، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله (ص) يغرّه بالعلم غراً . ولقد قال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه . وأخرجه آخرون بنحوه ، لكن زاد بعضهم : قم لا أقام الله رجلك - ومحا اسمه من الديوان - ولقد كان عمر يسأله ، ويأخذ عنه ، ولقد شهدته إذا أشكل عليه شيء قال : ها هنا عليّ»^(١) .

إن الناظر البصير ، والمدقق في هذه الأحاديث المتواترة ، التي هي نموذج من تلك الأحاديث المتكاثرة في كتب الفريقين ، من المسلمين ، سوف يقف على هذه الحقيقة الجلية : أن علي بن أبي طالب (ع) ، أعلم أصحاب رسول الله بالقرآن ، بل في جميع العلوم ، من دون شك أو تردد .

وسيجد فيها ، وبشكل واضح ، كيف أن الخلفاء الثلاثة ، وحتى معاوية ذاك العدو اللدود للإمام ، يعترفون ويقرون بفضل عليّ (ع) ، وعلو مرتبته العلمية ، وأنهم بحاجة ماسة إليه ، في فهم القرآن ، وتفسيره ، وتأويله . وإن عمر بن الخطاب ، الذي كان معجباً بنفسه ، يقول قولته المعروفة : «لولا علي لهلك عمر!» ، وبأكثر من سبعين مرة ، وقال عدة مرات : «لا يفتين أحد في المسجد ، وعلي حاضر!» ، مما يؤكد حاجة الصحابة الشديدة له في فهم القرآن الشريف .

ولو كان بمقدورهم التوصل إلى تفسير القرآن ، وتأويله ، من دون الرجوع إلى علي (ع) ، أو كان لديهم في بطانتهم مرجع

(١) الصواعق المحرقة : ص ١٧٩ - المقصد الخامس من مقاصد الآية الرابعة عشرة .

آخر ، في هذا المجال ، غيره ، لما اضطروا للتنبؤ به باسم علي (ع) ، والإعتراف بالخضوع والتذلل تجاهه ، مع أنهم يشغلون مقاماً ، يدعون أنه لهم من دون علي (ع) .

ولو تصفحنا صفحات التاريخ ، ودققنا في سطوره ، لم نجد على الإطلاق أن الخلفاء الثلاثة تواضعوا لأحد ، واعترفوا بعظمته ، كما فعلوا مع علي (ع) .

ويكفي هذا دليلاً قاطعاً على أنه لا يمكن تسمية أحد ووصفه بأنه «راسخ في العلم» بعد رسول الله (ص) ، إلا علي بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، وأن الباقيين عيال عليه في فهم القرآن وعلمه .

وأي دليل أبين ، وأقوى من كلام معاوية ، ذاك الخصم المعاند تجاه علي - كما قرأت وقديماً قيل : «والفضل ما شهدت به الأعداء» .

ولا ريب أن هذه المنزلة العلمية الرفيعة بعد علي (ع) ، انتقلت إلى أهل بيت النبوة ، يعني الأئمة الأطهار ، وأوصياء رسول الله (ص) المحققين ، وخزائن علمه ، بحيث لا يشاركهم في تلك المرتبة والمنزلة أحد .

وللتأكيد على هذا ، ولكي يتثبت الذين ترددوا فيه ، ووسوس الشيطان في قلوبهم وراحوا يتأولون في تطبيق الآية الكريمة ، للتعرف الواضح على هوية «الراسخون في العلم» وإثباتاً بأنهم علي (ع) وأولاده ، عليهم السلام ، ننقل جملة من الروايات الصحيحة ، والمعتبرة عند الفريقين :

١ - «حلية الأولياء» للحافظ أبي نعيم الأصفهاني : بأسناده إلى عبد الله بن مسعود ، قال : «إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وأن علي بن أبي طالب (ع) ، عنده علم الظاهر والباطن»^(١) .

٢ - «ينابيع المودة» للشيخ سليمان الحنفي^(٢) ، بأسناده إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس ، قال : «علم النبي (ص) من علم الله ، وعلم علي من علم النبي (ص) ، وعلمي من علم علي ، وما علمي وعلم الصحابة في علم علي ، إلا كقطرة في سبعة أبحر»^(٣) .

٣ - «الفصول المهمة» لنور الدين بن الصباغ المالكي ، الذي هو من أجلة علماء العامة ، يقول في وصف علي (ع) : «في ذكر شيء من علومه : فمنها علم الفقه الذي هو مرجع الأحكام (الأنام - خ ل) ، ومنبع الحلال والحرام ، فقد كان علي (ع) ، مطلعاً على غوامض أحكامه ، منقاداً له ، جامعاً بزمامه ، مشهوداً له فيه بعلوِّ محله ومقامه ، ولهذا خصَّه رسول الله (ص) بعلم القضاء ، كما نقله الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي^(٤) ، رحمة الله عليه ، في كتابه «المصابيح» ، مروياً عن أنس بن

(١) حلية الأولياء : ٦٥/١ .

(٢) سليمان بن خوجة إبراهيم قبلان الحسيني الحنفي النقشبندي القندوزي (١٢٢٠ - ١٢٧٠ هـ / ١٨٠٥ - ١٨٥٣ م) : فاضل من أهل بلخ ، مات في القسطنطينية أشهر كتبه : ينابيع المودة . (الأعلام : ١٢٥/٣ - معجم المطبوعات : ص ٥٨٦) .

(٣) ينابيع المودة : ٦٩/١ .

(٤) الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء ، أو ابن الفراء ، أبو محمد ، =

مالك : إنَّ رسول الله (ص) خصَّص جماعة من الصحابة ، كل واحد بفضيلة : خصص علياً بعلم القضاء ، فقال : وأقضاكم علي»^(١) .

٤ - كتاب «ألف باء» لأبي الحجاج البلوي^(٢) ، روى فيه :

ويلقب بمحيي السنة البغوي (٤٣٦ - ٥١٠ هـ / ١٠٤٤ - ١١١٧ م) : فقيه ، محدث ، مفسر ، نسبته إلى «بغا» من قرى (خراسان) بين (هرات) ، و (مرو) . له مؤلفات ومصنفات كثيرة ، منها : (التهذيب) في فقه الشافعية ، و (لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير ، و (مصابيح السنة) . توفي بـ (مرو الروذ) . (اهـ) . (وفيات الأعيان : ١٤٥/١ ، وفيه رواية أخرى في وفاته سنة (٥١٦ هـ) - وتهذيب ابن عساكر : ٣٤٥/٤ ، وفيه أن وفاته في سنة (٥١٦ هـ) ، وسماه السيوطي في طبقات الحفاظ : الحسين بن محمد بن مسعود . و (الأعلام : ٢٥٩/٢) .

(١) الفصول المهمة : ص ٣٤ .

(٢) يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب ، أبو الحجاج البلوي ، المالقي ، الأندلسي ، المالكي ويقال له ابن الشيخ (٥٢٩ - ٦٠٤ هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٧ م) : عالم باللغة والأدب ، مولده ووفاته بـ (مالقة) . تولى الخطابة بها ، وزار الإسكندرية في حجه ، ذاهباً وآيماً . قال الحافظ المنذري : كان أحد الزهاد المشهورين . يقال : إنه بنى بـ (مالقة) نحو إثني عشر مسجداً بيده ، ولم تفته غزوة في البر ، ولا في البحر ، وقال ابن الأبار : بنى ببلدة (مالقة) خمسة وعشرين مسجداً ، من صميم ماله ، وعمل فيها بيده ، وحفر بيده آباراً عدة ، أزيد من خمسين بشراً ، وغزا عدة غزوات مع المنصور بالمغرب ، ومع صلاح الدين بالشام ، وكان يلبس الخشن من الثياب . له كتاب (ألف باء) (الأعلام : ٢٤٨/٨ - كشف الظنون : ص ٤٧١ - وكتاب (ألف باء : ١٨/١ و ٢٠/٢ و ٣١٧) .

«عندما بلغ معاوية نبأ مقتل علي بن أبي طالب (ع) ، قال : «لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب»^(١) .

أقول : ما أفخر وما أحلى هكذا شهادة ، إنها شهادة صريحة وبينه تخرج من لسان ألد الأعداء !

وهذا إن دلَّ على شيء ، فإنما يدل على الأمواج اللامتناهية من بحار علوم علي (ع) السماوية ، التي راحت تسخر العالم الإسلامي والعربي آنذاك ، وتشد إليها أفكار وعقول العلماء والعظماء ، بحيث أن العدو والصدیق لا يجد حيلة في الهروب من الإعراف والتصديق ، وإظهار الخضوع والتواضع تجاهها .

ولا عجب من علي (ع) ، ذلك المربّي بالعبادة الملكوتية ، وصاحب الإتصال الوثيق بالعوالم السماوية ، لا عجب من أن تشرق أنوار علومه وتمتد ، لتغطي بإشعاعها العلم والفضيلة حيث كانا ، وحتى في زماننا هذا عصر العلم والإكتشافات العلمية ، وتبقى نجماً مضيئاً ينير درب العلم والعلماء إلى يوم القيامة .

٥ - «الفتح المبين» ، لأبي عبد الله محمد بن علي ، الحكيم الترمذي^(٢) ، قال في فضل علي (ع) ، ومقامه العلمي : «كانت

(١) ألف باء : ص ٢٢٢/١ .

(٢) محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله ، الحكيم الترمذي (. . . - نحو ٣٢٠ هـ / . . . - نحو ٩٣٢ م) : باحث ، صوفي ، عالم بالحديث ، وأصول الدين ، من أهل (ترمذ) قيل إنه نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها ، فشهدوا عليه بالكفر . وقيل : اتهم باتباع طريقة الصوفية في الإشارات ودعوى الكشف . وقيل فضل الولاية على النبوة . وردَّ بعض العلماء هذه التهمة عنه ، وقيل : كان =

الصحابة (رضي الله عنهم) ، يرجعون إليه في أحكام الكتاب ،
ويأخذون عنه الفتاوى ، كما قال عمر بن الخطاب (رض) في عدة
مواطن : «لولا علي لهلك عمر»^(١) ، وقال رسول الله (ص) :

= يقول : للأولياء خاتم ، كما أن للأنبياء خاتماً . وقال السبكي : فجاء
إلى بلخ - أي بعد إخراجهم من (ترمذ) فقبلوه ، لموافقتهم إياهم على
المذهب . وأخطأ بعض مؤرخيه من المتأخرين بأن جعل العبارة : جاء
إلى بلخ «فقتلوه» ، وهذا لا يتفق مع بقية ما قاله السبكي ، من موافقتهم
إياه على المذهب . وفي «لسان الميزان» : إن أهل (ترمذ) ، هجروه في
آخر عمره ، لتأليفه كتاب «ختم الولاية وعلل الشريعة» وأنه حمل إلى
(بلخ) ، فأكرمه أهلها ، وكان عمره نحو تسعين سنة . واضطرب مؤرخوه
في تاريخ وفاته ، فمنهم من قال سنة (٢٥٥ هـ) ، وسنة (٢٨٥ هـ) ،
وسنة (٣٢٠ هـ) ، وينقض الأول أن السبكي يذكر أنه حدث بـ (نيسابور)
سنة (٢٨٥ هـ) كما ينقض الثاني قول ابن حجر : إن الأنباري سمع منه
سنة (٣١٨ هـ) . أما كتبه فكثيرة ، منها : نوارد الأصول في أحاديث
الرسول - الفروق - الفتح المبين على طبقات الأصوليين . (لسان
الميزان : ٣٠٨/٥ - مفتاح السعادة : ١٧٠/٢ - طبقات السبكي :
٢٠/٢ - كشف الظنون : ٩٣٨/١ - الرسالة المستطرفة : ص ٤٣ -
معجم سر كيس : ٦٣٣ - الأعلام : ٢٧٢/٦ وهو بالطبع غير محمد بن
عيسى الترمذي (ت ٢٧٥ هـ) . صاحب (سنن الترمذي) .

(١) قال عمر : عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب ، لولا علي
لهلك عمر ، وقال : أعوذ بالله من معضلة لا علي لها ، وقال : اللهم لا
تبقني لمعضلة ليس لها علي بن أبي طالب حياً ، وكان عمر بن الخطاب
يقول لعلي بن أبي طالب فيما كان يسأله عنه فيفرج عنه : لا أبقاني الله
بعذك يا علي (مناقب الخوارزمي : ص ٣٩ ، ٥١ ، ٥٤) . وكان
عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، وقال : كاد يهلك ابن
الخطاب ، لولا علي بن أبي طالب (كفاية الطالب : ص ٢١٧ ، =

«أعلم أمتي علي بن أبي طالب»^(١) .

٦ - «المناقب» ، لابن شهرآشوب المازندراني : «عن
عكرمة ، عن ابن عباس : أن عمر بن الخطاب ، قال له : يا أبا
الحسن ! إنك لتعجل في الحكم والفصل ، للشيء ، إذا سئلت
عنه ؟ قال : فأبرز عليّ كفه ، وقال له : كم هذا ؟ فقال عمر :
خمسة ، فقال : عجلت يا أبا حفص ، قال : لم يخف عليّ ،
فقال عليّ : وأنا أسرع فيما لا يخفى عليّ»^(٢) .

● المقصود من «الراسخون في العلم» : بعد رسول الله (ص) هم
علي وأولاده الأطهار (ع) :

ثبت بما ذكرنا أن المقصود من «الراسخون في العلم» ، هم
محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، فقط ، وليس لأحد أن يدّعي
ذلك المقام ، وتلك الرتبة ، إلا الكذاب والمفتري .
وللمزيد من التأكيد والإثبات ، نذكر بعض الأدلة الإضافية :

= و ٢١٩) . وهنا نفصل قليلاً إضافة إلى ما ذكرناه : «لولا علي لهلك
عمر» : (الإستيعاب : ٣/٣٩ - الرياض النضرة : ٢/١٩٤ - مستدرك
الحاكم في تفسير سورة الأحقاف - مناقب الخوارزمي : ص ٣٩ - تذكرة
الخواص : ص ٨٧ - الغدير : ص ٩٧ - فرائد السمطين : ١/٣٥١ -
الفصول المهمة : ص ٣٥ - ينابيع المودة : ١/٧٤) .

(١) مناقب الخوارزمي : ص ٤٠ .

(٢) مناقب ابن شهرآشوب : ٢/٣ - وفي حديث عن أبي عبد الله (ع) يقول :

«أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي» (الولاية : ١/٢١٣) - وأصول الكافي :

١/٦١ - وبصائر الدرجات : ص ٢١٨ .

١ - «نهج البلاغة» ، يقول أمير المؤمنين في «الراسخون في العلم» : «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم؟! بنا يستعطي الهدى ، ويستجلى العمى . إنّ الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاية من غيرهم ...»^(١) .

٢ - «أصول الكافي» ، كتاب الحجة ، باب «الراسخون في العلم هم الأئمة ، عليهم السلام» : عن أبي بصير ، عن الإمام الصادق (ع) ، أنه قال : «نحن الراسخون في العلم ، ونحن نعلم تأويله»^(٢) .

٣ - «أصول الكافي» : عن عبد الرحمن بن كثير ، عن الإمام الصادق (ع) ، قال : «الراسخون في العلم : أمير المؤمنين ، والأئمة من بعده ، عليهم السلام»^(٣) .

٤ - «بصائر الدرجات» : بأسناده عن بريد العجلي ، عن الإمام الباقر (ع) ، أنه قال في تفسير الآية المباركة ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾^(٤) : «رسول الله (ص) أفضل الراسخين ، قد علمه الله جميع ما أنزل الله إليه ، من التنزيل ، والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله ، وأوصياؤه

(١) نهج البلاغة : ٢٣٦/١ ، خطبة رقم (١٣٧) .

(٢) أصول الكافي : ٢١٣/١ - كتاب الحجة .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) سورة آل عمران : الآية : ٧ .

من بعده ، يعلمونه كله ، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيه العلم ، فأجابهم الله : ﴿يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ ، والقرآن له خاص وعام ، ومحكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، والراسخون في العلم يعلمونه»^(١) .

٥ - «بصائر الدرجات» : عن أبي الصباح الكناني ، عن الإمام الصادق (ع) ، قال : «يا أبا صالح ! نحن قوم فرض الله طاعتنا ، لنا الأنفال ، ولنا صفو المال ، ونحن الراسخون في العلم ، ونحن المحسودون الذين قال الله : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»^(٢) .

٦ - «ينابيع المودة» : عن موفق بن أحمد ، قال : قال علي (ع) : «ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت ، وأين نزلت ، وعلي من أنزلت ، وإن ربي وهب لي لساناً طلقاً ، وقلباً عقولاً»^(٣) .

٧ - «ينابيع المودة» : الحموي بسنده عن شفيق ، عن ابن مسعود ، قال : «وإن عند علي (ع) ، علم القرآن ، ظاهره وباطنه»^(٤) .

نستنتج من مجموعة الأحاديث المتواترة والصحيحة

(١) بصائر الدرجات : ٢٢٣/٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٤ .

(٣) ينابيع المودة : ٦٨/١ - مناقب الخوارزمي : ص ٤٦ - فرائد السمطين : ٢٠١/١ .

(٤) ينابيع المودة : ٦٨/١ - فرائد السمطين : ٣٥٥/١ باختلاف يسير في اللفظ .

المتقدمة ، التي هي جزء من مجموع الأحاديث ، في هذا الشأن ،
عن طريق الخاصة والعامه ، أنه :

أولاً : «الراسخون في العلم» : هم محمد (ص) ، وآل
محمد (ع) ، فقط ، ولا يشاركونهم ، ولا يصلح لمشاركتهم فيها
أحد .

ثانياً : إنهم يعلمون جميع الأسرار والرموز ، والظاهر
والباطن ، والتفسير والتأويل ، والمحكم والمتشابه ، من القرآن
الكريم ، مؤيدون بذلك من الله ، تبارك وتعالى ، وليس باستطاعة
أحد أن يستقل في تفسير وتأويل القرآن الكريم ، مستنداً إلى
معلوماته المحدودة ، أو أن يُرجع متشابهات القرآن إلى محكماته ،
أو يخوض في أسرار المتشابهات . . .

بل على الناس الرجوع إليهم ، والإستفادة من علومهم ،
والتلمذ عليهم ، حيث يقول الإمام الصادق (ع) : «نحن العلماء ،
وشيعتنا المتعلمون»^(١) .

وفي الخلاصة : إنَّ الوقف على لفظة الجلالة ، في الآية
المذكورة ، لا يتفق مع الهدف الإلهي ، عقلاً ، ونقلًا ، والقول به
باطل وعاطل .

ولتثبيت هذه الحقيقة نذكر نماذج من تأويل الأئمة
المعصومين من آل البيت (ع) ، للآيات المتشابهة من القرآن
الكريم .

(١) بصائر الدرجات : ٢٨/١ .

● علي مصدر كل علم :

هناك اعترافات صريحة من أساطين العلم ، وكبار العلماء ، بأنّ علياً (ع) ، مؤسس ، ومبتكر كل العلوم ، بعد رسول الله (ص) ، وإليه يعود أصل كل علم ، إليك بعضها :

١ - ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) ، في مقدمة شرحه لـ (نهج البلاغة)^(٢) ، قال : «وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة ،

(١) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، أبو حامد ، عز الدين ، هكذا ضبطه الزركلي في (الأعلام) وأما محمد أبو الفضل إبراهيم فقد قال : «عز الدين ، أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني» (اهـ) . (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ / ١١٩٠ - ١٢٥٨ م) : هو أحد جهابذة العلماء ، وأثبت المؤرخين ، كان فقيهاً أصولياً ، ومتكلماً جدلياً ، اصطنع مذهب الاعتزال ، وعلى أساسه جادل وناظر . وكان أديباً ناقداً ، ثاقب النظر خبيراً بمحاسن الكلام ومساوئه ، متضلعاً بفنون الأدب ، متقناً لعلوم اللسان ، عارفاً بأخبار العرب ، وشاعراً عذب المورد ، وكاتباً بديع الإنشاء ، حسن الترسل ، ناصع البيان . من أعيان المعتزلة ، ولد في (المدائن) ، وانتقل إلى (بغداد) ، وخدم في الدواوين السلطانية ، وبرع في الإنشاء . له مصنفات كثيرة ، منها : الفلك الدائر على المثل السائر - القصائد السبع العلويات - شرح نهج البلاغة . (فوات الوفيات : ٢٤٨/١ - تاريخ ابن كثير : ١٣/١٩٩ - وفيات الأعيان : ١٥٨/٢ - الأعلام : ٢٨٩/٣ - مقدمة شرح (نهج البلاغة) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : (١٣/١) .

(٢) نهج البلاغة بشرحه . وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

وتنتهي إليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل
وينبوعها ، وأبو عذرتها ، وسابق مضمارها ، ومجلى حلتها ، كل
من برع فيها فمنه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله
احتذى ...»^(١) .

ثم جعل يذكر العلوم وأنواعها ، وإرجاعها إلى علي (ع) ،
إلى أن قال :

«ومن العلوم : علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ، ومنه فرّع ،
وإذا رجعت إلى كتب التفسير ، علمت صحة ذلك ، لأن أكثره
عنه ، وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حال ابن عباس
في ملازمته له ، وانقطاعه إليه ، وأنه تلميذه وخريجه . وقيل له :
أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى
البحر المحيط»^(٢) .

وفي الحقيقة ، إن الذي ينظر في مقدمة (شرح النهج) لابن
أبي الحديد ، ليفتخر ويتباهى ، أن إنساناً عالماً مثله ، يحثه
إنصافه ، ويدفعه ليقول قوله الفصل ، النابع من قلب معجب ،
ومؤمن ، بفضل علي (ع) ، وموقعه العلمي ، فيقول :

«وهذا يكاد يلحق بالمعجزات ، لأن القوة البشرية لا تفي
بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الإستنباط»^(٣) .

(١) شرح النهج : ١٧/١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٩/١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠/١ .

٢ - «التفسير والمفسرون» : يقول مؤلفه الأستاذ محمد حسين الذهبي ، وهو أستاذ الحديث في (جامعة الأزهر) بـ (مصر) ، وله شهرة عالمية في تفسير القرآن ، وهو من المتعصبين لمذهبه ، ولكن لا تمنعه طائفيته من أن يقول في مقام علي (ع) ، العلمي ، وإحاطته بأسرار القرآن وعلومه :

«كان ، رضي الله عنه ، بحراً في العلم ، وكان قوي الحجة ، سليم الإستنباط ، أوتي الحظ الأوفر من الفصاحة ، والبلاغة ، والشعر ، والعقل القضائي الناضج ، وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور . وكثيراً ما كان يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفي ، واستجلاء ما أشكل» .
إلى أن قال :

«جمع علي ، رضي الله عنه ، إلى مهارته في القضاء والفتوى ، علمه بكتاب الله ، وفهمه لأسراره ، وخفي معانيه ، فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ، ومعرفة التأويل»^(١) .

٣ - «ينابيع المودة» ، ينقل عن ابن طلحة الحلبي قوله :
«إعلم إن جميع أسرار الكتب السماوية في (القرآن) ، وجميع ما في القرآن في (الفاتحة) ، وجميع ما في الفاتحة في (البسمة) ، وجميع ما في البسمة في (باء) البسمة ، وجميع ما في (باء) البسمة ، في (النقطة) التي هي تحت (الباء) . قال الإمام علي ، كرم الله وجهه ، أنا النقطة التي تحت (الباء) (اهـ)^(٢) .

(١) التفسير والمفسرون : ٩٢/١ .

(٢) ينابيع المودة : ٦٨/١ .

أقول : لنا في المقام شواهد ، وروايات كثيرة ، نذكر بعضاً منها :

٤ - «المناقب» للخوارزمي^(١) ، و«مطالب السؤول» لابن طلحة الشافعي^(٢) كلاهما عن «الدر المنظم» ، لابن طلحة الحلبي : عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : «سلوني عن أسرار الغيوب ، فإني وارث علوم الأنبياء والمرسلين»^(٣) .

(١) الحافظ أبو المؤيد ، الموفق بن أحمد بن محمد البكري ، المكي ، الحنفي ، المعروف بـ (أخطب خوارزم) ، (٤٨٤ - ٥٦٨ هـ - ١٠٩١ م) : هو فقيه ، وأديب ، وخطيب وشاعر ، أصله من (مكة) . أخذ العربية عن الزمخشري بـ (خوارزم) ، وتولى الخطابة بجامعة ، وفيها قرأ عليه ناصر بن عبد السيد المطرزي ، صاحب (المغرب في اللغة) . (إنباه الرواة : ٣/٣٣٢ - وفيات الأعيان : ١٥١/٢ في ترجمة ناصر بن عبد السيد - كشف الظنون : ١٨٣٧/٢ - الأعلام : ٣٣٣/٧ - مقدمة كتاب المناقب : ص ١٦ ، بقلم العلامة محمد رضا الموسوي الخراساني) .

(٢) محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن ، كمال الدين القرشي ، النصيبي ، العدوي ، الشافعي ، أبو سالم (٥٨٢ - ٦٥٢ هـ / ١١٨٦ - ١٢٥٤ م) : وزير من الأدباء الكتاب ، ولد بـ (العمرية) من قرى (نصيبين) ، ورحل إلى (نيسابور) ، وولي الوزارة بـ (دمشق) ، ثم تركها وتزهد ، وتوفي بـ (حلب) . له : العقد الفريد للملك السعيد ، مطالب السؤل (السؤل - خ ل) في مناقب آل الرسول ، الدر المنظم في السر الأعظم (شذرات الذهب : ٥/٢٥٩ - طبقات السبكي : ٥/٢٦ - الأعلام : ١٧٥/٦) .

(٣) ينابيع المودة : ٦٨/١ .

٥ - «ينابيع المودة» ، عن الإصبع بن نباتة ، قال : سمعت أمير المؤمنين (ع) ، يقول : إنَّ رسول الله (ص) علمني ألف باب ، وكل باب منها يفتح ألف باب ، فذلك ألف باب ، حتى علمت ما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة . . .» (١) .

٦ - «ينابيع المودة» ، عن ابن عباس ، أنه قال : «أخذ بيدي الإمام علي (ع) ، في ليلة مقمرة ، فخرج بي إلى البقيع ، بعد العشاء ، وقال : إقرأ يا عبد الله فقرأت : بسم الله الرحمن الرحيم . فتكلم لي في أسرار الباء ، إلى بزوغ الفجر» (٢) .

٧ - «الفردوس بمأثور الخطاب» (٣) ، للديلمى (٤) ، و«كنز

(١) المصدر نفسه : ٧٥/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٨/١ .

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب : ٣٧٠/١ . رقم الحديث : ١٤٩١ - مناقب الخوارزمي : ص ٤٠ - الغدير : ٩٦/٣ .

(٤) شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلمي الهمداني (٤٤٥ - ٥٠٩ هـ / ١٠٥٣ - ١١١٥ م) : مؤرخ من العلماء بالحديث ، ذكياً ، صلباً في السنة ، إماماً ، حافظاً ، سمع الكثير ، ورحل البلاد ، وحدث ، وكان من أوعية العلم ، كان في الفقه على مذهب الشافعي ، لذا ذكره السبكي ، والأسنوي في (طبقات الشافعية) . وعمل بالمدرسة العالية ، بـ (همدان) . ومات فيها . له مؤلفات ومصنفات كثيرة ، منها : فردوس الأخبار بمأثور الخطاب ، ورياض الأنس لعقلاء الإنس ، في معرفة أحوال النبي (ص) وتاريخ الخلفاء . (الرسالة المستطرفة : ص ٥٦ - طبقات الشافعية : ٢٣٠/٤ - كشف الظنون : ص ١٢٥٤ - مقدمة كتاب «الفردوس» للسعيد بن بسيني زغلول : ١/ج وما بعدها - الأعلام : ١٨٣/٣) :

العمال» ، للمتقي الهندي^(١) ، وآخرون غيرهم ، رويوا أنّ رسول الله (ص) ، قال : «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب» .

٨ - «المناقب»^(٢) لإبن المغازلي الشافعي ، و«المناقب»^(٣)

للخوارزمي ، وغيرهما ، عن عبد الله بن مسعود ، وكذلك محمد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» ، نقلاً عن «حلية الأولياء»^(٤) : عن علقمة بن عبد الله ، كلهم عن رسول الله (ص) ، قال : «قسمت الحكمة على عشرة أجزاء ، فأعطي علي تسعة أجزاء ، والناس جزءاً واحداً ، وهو أعلم بالعشر الباقي»^(٥) .

(١) علاء الدين ، علي بن حسام الدين ، عبد الملك بن قاضيخان ، المتقي الهندي ، التاورى ، الشاذلي ، المدني (. . . - بعد ٩٥٢ هـ / . . . - بعد ١٥٤٥) : من المشتغلين في الحديث ، جاور بمكة ، وأقام مع نحو (٥٠) شخصاً ، في حوش قريب من دار الشريف بركات ، سلطان مكة) ، وكانوا يتعبدون ، ولا يخرجون إلا للصلاة في الحرم . قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي : اجتمعت به سنة (٩٤٦ هـ) ، مدة إقامتي بمكة ، وانتفعت به وبخطه ، ثم حججت سنة (٩٥٢ هـ) ، فوجدته قد رجع إلى بلاد الهند . له : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، في ترتيب أحاديث (الجامع الصغير) وزوائده للسيوطي ، والنهج الأتم في تبويب الحكم . (الكواكب السائرة : ٢٢١/٢ - معجم سركييس : ص ١٦١٤ - الاعلام : ٢٧١/٤) .

(٢) مناقب ابن المغازلي الشافعي : ص ٢٦٨ .

(٣) مناقب الخوارزمي : ص ٤٠ .

(٤) حلية الأولياء : ٦٤/١ .

(٥) أسنى المطالب للجزري : ص ٧٨ - شواهد التنزيل : ٨٤/١ لكنه

٩- «المناقب» للخوارزمي ، و«ينابيع المودة» للحافظ سليمان الحنفي : عن أبي الصباح الكناني ، عن رسول الله (ص) : «أتاني جبرئيل بدرنوك من الجنة ، فجلست عليه ، فلما صرت بين يدي ربي ، كلمني وناجاني ، فما علمت شيئاً ، إلا علّمته علماً (ع) ، فهو باب علمي» ، ثم دعاه إليه ، فقال : «يا علي ! سلمك سلمي ، وحرّبك حربتي ، وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي» (٣) .

١٠- «ينابيع المودة» للحافظ سليمان الحنفي : عن محمد بن علي الحكيم الترمذي في شرح الرسالة الموسومة بـ«الفتح المبين» ، عن أمير المؤمنين (ع) ، أنه قال :

«لو ثبت لي الوسادة ، وجلست عليها ، لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم ، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم ، ولأهل القرآن بقرآنهم» . ولهذا كانت الصحابة ، رضي الله عنهم ، يرجعون إليه في أحكام الكتاب ، ويأخذون عنه الفتاوى ، كما قال عمر بن الخطاب (رض) في عدة مواطن : «لولا علي لهلك عمر» . وقال (ص) : «أعلم أمتي علي بن أبي طالب» (اهـ) (١) .

إنّ هذه الأحاديث المسندة ، والصحيحة ، التي ذكرت على

= قال : «العلم» بدلاً من «الحكمة» - فرائد السمطين : ٩٤/١ - ينابيع المودة : ٦٩/١ .

(١) ينابيع المودة : ٦٩/١ .

(٢) المصدر السابق : ٦٩/١ .

سبيل المثال ، لا الحصر ، والتي أيدها وصدّقها كبار علماء العامة ، والخاصة ، تدل بوضوح على أنّ الإمام علي بن أبي طالب ، وارث علوم رسول الله (ص) ، وعالم بجميع أحكام وأسرار القرآن الكريم ، والكتب السماوية كلها ، وإليه تنتهي كل العلوم والفنون ، ومنها علم التفسير والتأويل للقرآن الكريم ، وإنّ هذا من المقامات العالية ، والمكانات السامية ، لدى أهل العقل والفهم .

وكما هو ثابت في محله ، من خلال الأدلة القوية القويمة ، التي ذكرنا بعضها في هذا الكتاب ، أنّ الأئمة الأحد عشر من أولاد علي عليهم الصلاة والسلام ، هم ورثة علومه ومقاماته ، وأنهم نظراؤه في مقام الإمامة والولاية العامة الإلهية ، وفي غيرها من الشؤون العلمية والمعنوية ، ولا فرق بينهم وبينه فيها .

بَعْضُ
الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ وَنَأْوِ بِهَا

بعض الآيات المتشابهة وتأويلها :

إنَّ الآيات المذكورة ذيلًا هي نموذج من الآيات القرآنية المتشابهة ، التي في حملها على معناها الظاهري ، مخالفة للتوحيد ، ومساوقة للكفر ، والشرك المحض .

ثم نبين المعنى الصحيح للآية المتشابهة ، وتأويلها ، من كلمات الأئمة المعصومين (ع) :

١ - ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفا﴾^(١) .

٢ - ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(٢) .

(١) سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ و ٢٧ .

٣ - ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(١) .

٤ - ﴿يدُ الله فوق أيديهم﴾^(٢) .

٥ - ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾^(٣) .

إنَّ الآيات التي ذكرناها ما هي إلا على سبيل المثال ، ولها نظائر كثيرة في القرآن الكريم ، تدل في ظاهرها على تجسّم الله ، تبارك وتعالى ، وبشكل صريح ، حيث أنَّ الآية الأولى ، والخامسة منها ، تحكي عن ظهور الله ، عزَّ وجل ، في صفوف الملائكة ، للرائين والناظرين .

والآيات : الثانية ، والثالثة ، والرابعة ، تثبت لله ، عزَّ وجل ، أعضاء وجوارح ، وبدأً ، ووجهاً ، ورجلاً ، كسائر المخلوقات ، وبديهي أن هذه الأمور تخالف عقيدة التوحيد ، وتناقض بقية الآيات القرآنية .

ومن المسلم به عند جميع الموحدين في العالم ، والمسلمين منهم على وجه الخصوص ، أنَّ الله ، تبارك وتعالى ، ليس بجسم ، وليست له جوارح مثل مخلوقاته ، بل هو موجود لا كالموجودات ، وليس لأحد أن يصوره في فكره ، ووهمه ، وخياله ، وهو تعالى منزّه عن كل ذلك .

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٠ .

فإذاً لا حيلة في فهم هكذا آيات متشابهة ، يخالف ظاهرها العقائد الحقّة ، إلا بالعودة والرجوع إلى أساتذة القرآن الواقعيين ، اعني أهل البيت (ع) ، فنسألهم لكشف الصواب عن معانيها .

وفي هذا الصدد ، نذكر روايات عدة ، عن أئمة أهل البيت (ع) ، ليتبين المعنى الواقعي ، والتأويل الصحيح للآيات :

١ - «عيون أخبار الرضا (ع)» : بأسناده عن علي بن موسى الرضا (ع) ، أنه قال : «من شبّه الله تعالى بخلقه ، فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر»^(١) .

والملاحظ من هذا الحديث ، أنّ الإمام الرضا (ع) يعتبر أن كل من يشبّه الخالق بالمخلوق ، كأن ينسب إليه تعالى أعضاء وجوارح ، أو يدّعي رؤيته بالعين المجردة ، مما يستلزم الجسميّة ، فهو كافر محضاً ، ومن يعتقد بذلك فهو مشرك .

ويؤيد القرآن الشريف هذه الرواية حين يقول تعالى : ﴿ليس كمثل شيء﴾^(٢) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾^(٣) .

وعليه ، فالإعتقاد بظاهر الآيات المتشابهة ، يتعارض مع عقيدة التوحيد ، وصريح الآيات ، والروايات الواردة عن آل محمد

(١) عيون أخبار الرضا : ص ٩٣ (باب : ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار في التوحيد) .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(ع) ، فلا مناص من الرجوع إلى الأئمة (ع) ، لكسب المعنى الحقيقي لها ، المطابق للعقيدة التوحيدية الخالصة ، ويدعمها الحديث التالي :

٢ - «عيون أخبار الرضا (ع)» : بأسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي (أبو الصلت) ، قال : «قلت للإمام علي بن موسى الرضا (ع) : مولاي ! ما تقول فيما يرويه العامة (أهل الحديث - خ ل) ، أن المؤمنين يزورون ربهم في منازلهم في الجنة؟! »

«فقال (ع) : يا أبا الصلت ! إن الله ، تبارك وتعالى ، فضل نبيه محمداً (ص) ، على جميع خلقه ، من النبيين ، والملائكة ، وجعل طاعته طاعته ، ومتابعته متابعته ، وزيارته في الدنيا والآخرة ، زيارته ، فقال ، عز وجل : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(١) ، وقال : ﴿إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم﴾^(٢) .

«وقال النبي (ص) : من زارني في حياتي ، أو بعد موتي ، فقد زار الله تعالى» ، ودرجة النبي (ص) في الجنة ، أرفع الدرجات ، فمن زاره في درجته في الجنة ، من منزله ، فقد زار الله ، تبارك وتعالى «...»^(٣) .

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

(٣) عيون أخبار الرضا (ع) : ٩٤/١ ، (باب : ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار في التوحيد) .

المحصل من هذا الحديث : إِنَّ المقصود من الآيات والروايات ، التي تتضمن رؤية الله ، عزَّ وجلَّ ، ليس ذات الله ، لأنه ثابت أن ذات الله ليست بجسم ، ولا يتجسم ليرى بالعين ، بل المقصود من رؤية الله ، رؤية مظاهر قدرته ، وسفرائه ، أعني محمداً (ص) ، وآل محمد (ع) ، كما بيَّنه الإمام الرضا (ع) ، في الحديث الماضي .

● وجاء في تأويل الآية المباركة : ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ :

١ - «عيون أخبار الرضا (ع)» : ابن بابويه ، بأسناده عن علي بن فضال ، عن أبيه ، عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) ، في تأويل الآية المباركة ، قال (ع) : «إن الله تعالى ، لا يوصف بالمجيء والذهاب ، تعالى عن الانتقال ، إنما يعني بذلك : «وجاء أمر ربك ، والملك ، صفًا صفًا»^(١) .

ومعلوم أن حاملي الأمر الإلهي في الدنيا والآخرة ، هم محمد (ص) ، وآل محمد (ع) .

٢ - «عيون أخبار الرضا (ع)» : بأسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي (أبو الصلت) ، قال : يا بن رسول الله ! فما معنى الخبر الذي رووه : «إنَّ ثواب لا إله إلا الله ، النظر إلى وجه الله تعالى ؟» فقال (ع) :

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ١٠٣/١ .

«يا أبا الصلت ! من وصف الله تعالى بوجهه كالوجوه ، فقد كفر ، ولكن وجه الله تعالى ، أنبيأؤه ، ورسله ، وحججه ، صلوات الله عليهم ، هم الذين يتوجه إلى الله ، عزَّ وجل ، وإلى دينه ومعرفته ، وقال الله تعالى : ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(١) ، وقال ، عز وجل : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(٢) ، فالنظر إلى أنبياء الله تعالى ، ورسله ، وحججه (ع) ، في درجاتهم ، ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة ، وقد قال النبي (ص) : «من أبغض أهل بيتي وعترتي ، لم يرني ، ولم (فلم - خ ل) أراه يوم القيامة» ، وقال (ص) : «إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني» .

«يا أبا الصلت ! إن الله ، تبارك وتعالى ، لا يوصف بمكان ، ولا يدرك بالأبصار ، ولا تدركه الأبصار والأوهام»^(٣) .

إنَّ المستفاد من هذا الحديث ، وهو كلام الإمام الرضا (ع) ، بشكل صريح ، أنَّ المقصود من «وجه الله» الأنبياء ، والرسل ، والأئمة الطاهرون ، الذين بواسطتهم يتعرف الناس على الله تعالى ، ودينه .

والدليل العقلي والعلمي على ذلك هو : كما أنَّ الوجه عند الإنسان وسيلة معرفته من بين أعضائه وجوارحه ، فيتعرف الناس ،

(١) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ ، و ٢٧ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

(٣) عيون أخبار الرضا (ع) : ٩٤/١ ، (باب : ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار في التوحيد) .

بعضهم على بعض ، من خلاله وواسطته ، كذلك أبين وسيلة للتعرف على الله ، وقدرته ، وعظمته ، من بين جميع مخلوقاته ، هم الأنبياء ، والأوصياء ، ومحمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، على وجه الخصوص ، وبهذا السبب يسمى كل منهم «وجه الله» .

وتأييداً لهذا ، يقول عليه الصلاة والسلام : «بنا عرف الله ، وبنا عبد الله ، لولانا ما عُرف الله ، ولولانا ما عُبد الله»^(١) .

فإذاً ، ليس المقصود من الآيات المذكورة ، وجه الله ، ويد الله ، جلّ وعلا عن ذلك ، بل المقصود مظاهر أمره ، وقدرته ، وفعله ، يعني محمداً (ص) ، وآل محمد (ع) .

● ومن الآيات المتشابهة التي يلزم المعتقد بظواهرها الكفر والإلحاد ، قوله تعالى :

- ١ - ﴿فيسخرون منهم سخّر الله منهم﴾^(٢) .
- ٢ - ﴿الله يستهزئ بهم﴾^(٣) .
- ٣ - ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾^(٤) .

(١) عن عبد الرحمن بن كثير ، قال ، سمعت أبا عبد الله (ع) ، يقول : «نحن ولادة أمر الله ، وخزنة علم الله ، وعيبة وحي الله ، وأهل دين الله ، وعلينا نزل كتاب الله ، وبنا عبد الله ، ولولانا ما عُرف الله ، ونحن ورثة نبي الله ، وعترته» (بصائر الدرجات ٢/٨١) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٥ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٥٤ .

٤ - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (١) .

٥ - ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَلَّهُ الْمَكْرَ جَمِيعاً﴾ (٢) .

إنَّ هذه الآيات وآيات أخرى ، تنسب إلى الله ، عز وجل ، صفات مثل الإستهزاء ، والخدعة ، والمكر ، وجلَّ وعزَّ عنها .

والحال ، إنَّ الموحدين جميعهم متفقون على أنَّ الله سبحانه ، يستجمع جميع صفات الكمال ، ومنزَّه عن الصفات الذميمة ، ونسبة هذه الأوصاف لا تتماشى مع كثير من الآيات القرآنية ، التي تنفي عن الله تعالى ، كل نقص .

وإنَّ نسبة هذه الصفات إلى المخلوقين ممنوعة ، شرعاً وعقلاً ، إلا إذا كان أحدهم متلبساً بها حقيقة ، فالله ، عزَّ وجل ، الذي ينهى عن نسبة هذه الصفات إلى المخلوقين ، كيف ينسبها إلى نفسه؟! فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فإذاً ، لا حيلة ، إلا الإعتقاد بأنَّ الآيات متشابهة ، ولها تأويل خاص ، يجب العودة إلى أرباب التفسير والتأويل ، محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، لحلها وكشف حقائقها .

وفي هذا المجال روايات كثيرة تؤوّل الآيات المتشابهة ، بما يتطابق مع الأدلة الشرعية والعقلية :

١ - «عيون أخبار الرضا (ع)» : علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) ، أنه

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٢ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٤٢ .

قال : «إنَّ الله تعالى ، لا يسخر ، ولا يستهزىء ، ولا يمكر ، ولا يخادع ، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية ، وجزاء الإستهزاء ، وجزاء المكر ، والخديعة ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً»^(١) .

مع هذا التوضيح والإستدلال المحكم ، للإمام (ع) ، يتوضح : أنَّ الآيات لا تؤخذ بظاهرها ، وليس المقصود فيها نسبة الإستهزاء ، والمكر ، والخديعة ، إلى الله ، عزَّ وجل ، ابتداءً ، بل المعنى الصحيح هو : إنَّ الله ، عزَّ وجل ، يجازي ويعامل كلاً من العاصين على طريقته ، ويعامله بالمثل .

٢ - «تفسير مجمع البيان»^(١) ، و«الصافي»^(٢) ، عن «تفسير العسكري (ع)»^(٣) ، وروى ابن عباس^(٤) ، وجمع من مفسري العامة^(٥) ، في تأويل الآية المباركة ﴿الله يستهزىء بهم﴾^(٦) ، عن الأئمة الطاهرين (ع) .

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ص ١٠٣ ، (باب : ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار في التوحيد) - الإحتجاج : ٤١١/٢ .

(٢) مجمع البيان : ٥٢/١ .

(٣) تفسير الصافي : ٨٣/١ .

(٤) تفسير العسكري : ص ١٢٣ .

(٥) تفسير ابن عباس (تنوير المقياس) : ص ٤ .

(٦) راجع تفسير البيضاوي : ٤٦/١ - تفسير الكشاف : ١٨٧/١ - تفسير

السيوطي (الدر المنثور) : ٧٩/١ - تفسير الثعالبي (جواهر الحسان) :

٣٤/١ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ١٥ .

قال الطبرسي : « قيل في معنى الآية وتأويلها ، وجوه :

أحدها : أن يكون معنى ﴿الله يستهزئ بهم﴾ : يجازيهم على استهزائهم . والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه . وفي التنزيل : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾^(١) ، ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾^(٢) . . .

ثانيها : أن يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم ، تخطئته إياهم ، وتجهيله لهم ، في إقامتهم على الكفر ، وإصرارهم على الضلال . . .

ثالثها : أن يكون معنى الإستهزاء المضاف إليه تعالى ، أن يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون . وقد روي عن ابن عباس ، أنه قال في معنى الإستدراج : أنهم كلما أحدثوا خطيئة ، جدد الله لهم نعمة ، وإنما سمي هذا الفعل استهزاء ، لأن ذلك في الظاهر نعمة ، والمراد به : استدراجهم إلى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم .

رابعها : إن معنى استهزائه بهم : أنه جعل لهم بما أظهوره من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم ، من الموارثة ، والمناكحة ، والمدافنة ، وغير ذلك من الأحكام ، وإن كان قد أعد لهم في الآخرة أليم العقاب ، بما أبطنوه من النفاق ، فهو سبحانه كالمستهزئ بهم ، من حيث جعل لهم أحكام المؤمنين ظاهراً ،

(١) سورة الشورى ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٦ .

ثم ميزهم منهم في الآخرة .

خامسها : ما روي عن ابن عباس ، أنه قال : يفتح لهم ، وهم في النار ، باب من الجنة ، فيقبلون من النار إليه مسرعين ، حتى إذا انتهوا إليه ، سُدَّ عليهم ، فيضحك المؤمنون منهم ، فلذلك قال الله ، عزَّ وجل : ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾^(١) . (اه) .

ثم قال الشيخ (الطبرسي) في تفسيره «مجمع البيان» ، بعد نقله الحديث : «وهذه الوجوه التي ذكرناها ، يمكن أن تذكر في قوله تعالى : ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾^(٢) ، و﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾^(٣) .

٣ - «تفسير القمي» : علي بن إبراهيم ، قال في ذيل الآية المباركة ﴿فلله المكر جميعاً﴾^(٤) : «المكر من الله : هو العذاب»^(٥) .

وأما الآية الشريفة : ﴿إنَّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾^(٦) ، فإنَّ الجزء الأول منها من المتشابهات التي تحتاج

(١) سورة المطففين ، الآية : ٣٤ . راجع (مجمع البيان : ٥٢/١) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٤٢ . وقول الطبرسي هذا جاء في (مجمع البيان :

٥٢/١) .

(٤) سورة الرعد ، الآية : ٤٢ .

(٥) تفسير القمي : ٣٦٧/١ .

(٦) سورة النساء ، الآية : ١٤٢ .

إلى تأويل ، لأنَّ المخادعة من فئة الإنس مع الله ، عزَّ وجل ، تستلزم المعاشرة والتعاطي المباشر معه سبحانه ، وهذا محال ، والقول به يؤدي إلى الكفر بالله العظيم ، لأنه ليس بجسم ، ولا يتجانس مع البشر .

فإذا هذا القسم من الآية ، يتبين معناه من خلال البيان الآتي :

«تفسير مجمع البيان» : «خداع المنافقين لله : إظهارهم الإيمان الذي حقنوا به دماءهم ، وأموالهم . وقيل معناه : يخادعون النبي (ص) كما قال : ﴿إنما يبايعون الله﴾^(١) ، فسمى مبايعة النبي (ص) ، مبايعة الله ، للإختصاص ، ولأن ذلك بأمره ، عن الحسن ، والزجاج . ومعنى خداع الله إياهم : أن يجازيهم على خداعهم ، كما قلناه في قوله : ﴿الله يستهزئ بهم﴾^(٢) . وقيل : هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم . وقيل : هو أن يعطيهم الله نوراً ، يوم القيامة ، يمشون به مع المسلمين ، ثم يسلبهم ذلك النور ، ويضرب بينهم بسور ، عن الحسن ، والسَّدي ، وجماعة من المفسرين»^(٣) . (اهـ) .

● ومن الآيات القرآنية المتشابهة ، التي تحتاج إلى تأويل أهل البيت (ع) ، قوله تعالى :

(١) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٥ .

(٣) مجمع البيان : ١٢٩/٢ .

﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين﴾ * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين﴾ * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ * إني وجَّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾^(١) .

فالذي تحكيه الآيات الشريفة بظاهاها : أن إبراهيم (ع) اتخذ «الكوكب» إلهاً ، ثم انتقل إلى «القمر» ، ثم تركه وجعل يعترف بالوهية «الشمس» ، ثم تركها جميعاً ، وتبرأ منها ، واعترف بالوهية الله الواحد الأحد .

ولكن الإعتقاد بظاهر الآيات ، ونسبة الشرك إلى إبراهيم (ع) ، من الإساءة إليه ، وإلى موقع النبوة والرسالة بمكان !!

وكيف ينسب الشرك إلى إبراهيم (ع) ، وهو خليل الله ، ومعلم التوحيد ؟

والحال انه من الإعتقاد الصحيح القول بعصمة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام ، من الشرك بالله ، والإنقطاع عن التوجه إليه ، وعبادته ، وهذا يستفاد من الآية الصريحة : ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾^(٢) .

وظاهر أن أكبر الظلم وأعظمه ، هو الشرك بالله ، تبارك

(١) سورة الأنعام ، الآيات : ٧٦ - ٧٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٤ .

وتعالى ، كما يقول ، عزَّ وجل : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) ،
ويفهم من مدلولها أنَّ من ظلم في شركه بالله ، ولو لحظة واحدة ،
لا يمكن أن يبلغ مقام النبوة والرسالة .

ولأنَّ ظاهر الآيات المذكورة في إبراهيم (ع) ، تتعارض مع
آيات أُخرى ، والعقيدة الحقَّة ، وجب الرجوع إلى تفسير أهل
البيت (ع) ، وأخذ المعنى الصحيح للآيات منهم ، وها هو الإمام
علي بن موسى الرضا (ع) ، يشرح تأويل الآيات :

«عيون أخبار الرضا (ع)»: «عن علي بن محمد بن الجهم ،
قال : . . . فقال المأمون : فأخبرني عن قول الله ، عزَّ وجل ، في
حق إبراهيم (ع) : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا
رَبِّي﴾ فقال الرضا (ع) : إنَّ إبراهيم (ع) وقع على ثلاثة أصناف :
صنف يعبد الزهرة ، وصنف يعبد القمر ، وصنف يعبد الشمس ،
وذلك حين خرج من السَّرب الذي أخفي فيه ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ
اللَّيْلُ﴾ ، فرأى الزُّهرة ، قال : ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على الإنكار
والإستخبار ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ الكوكب ، ﴿قال لا أحب الأفلين﴾ ، لأن
الأفول من صفات المحدث ، لا من صفات القدم . ﴿فَلَمَّا رَأَى
القمر بازغاً قال هذا ربي﴾ ، على الإنكار والإستخبار ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾
قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين ، يقول : لو
لم يهديني ربي ، لكنت من القوم الضالين . فلما أصبح و﴿رَأَى
الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر﴾ من الزهرة والقمر ، على
الإنكار والإستخبار ، لا على الإخبار والإقرار . ﴿فَلَمَّا أَفَلْتَ﴾ قال

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

للأصناف الثلاثة ، من عبدة الزهرة ، والقمر ، والشمس : ﴿يا قوم
 إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات
 والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ . وإنما أراد إبراهيم (ع) ،
 بما قال ، أن يبين لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أن العبادة لا
 تحق لمن كان بصفة الزهرة ، والقمر ، والشمس ، وإنما تحق
 العبادة لخالقها ، وخالق السماوات والأرض . وكان ما احتج به
 على قومه ، مما ألهمه الله تعالى وأتاه ، كما قال ، عز وجل :
 ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾^(١) . (اه) .

● ومن الآيات المتشابهة في القرآن الكريم ، التي يحتاج
 ظاهرها إلى التأويل ، الآية المباركة التالية :

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى
 الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
 والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
 مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد * وليعلم
 الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
 وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾^(٢) .

قال بعضهم في سبب نزول هذه الآيات : إن النبي (ص) ،
 كان يصلي مع بعض أصحابه في (المسجد الحرام) ، بحضور
 جمع من المشركين ، منهم الوليد بن المغيرة المخزومي ، وجعل

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٨٣ . راجع (عيون أخبار الرضا (ع) :

. (١٥٦/١)

(٢) سورة الحج ، الآيات : ٥٢ ، ٥٣ ، و ٥٤ .

النبي يقرأ في صلاته ، سورة «النجم» ، وعندما بلغ في قراءته : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾^(١) ، أجرى الشيطان على لسانه كلمات من غير القرآن ، وقال : «فإنها الغرائق العلى ، وإن شفاعتهم لترتجى» .

فلما سمع المشركون الذين جاؤوا لينظروا إلى صلاة النبي (ص) ، ارتفعت أصواتهم ، فرحين مستبشرين ، بأنَّ محمداً رجع عن عقيدته ، وذكر أصنامهم بالإحترام والتقديس ، ثم سجدوا بأجمعهم شكراً على ذلك ، وأخذ الوليد بن المغيرة ، وهو زعيمهم حفنة من البطحاء ، ووضعها على جبينه ، لأنَّ محمداً (ص) ، اعترف بشفاعة اللات والعزى !!

في هذا الوقت نزل جبرئيل (ع) ، على النبي (ص) ، وقال : يا محمد ! قرأت شيئاً لم أنزله عليك من الله ، عز وجل !! فانقبض النبي (ص) ، أسفاً على حدوث مثل ذلك ، وضاق صدره ، عند ذلك أنزل الله عليه الآيات من سورة «الحج» تسلية وعزاء لرسوله^(٢) .

أنظر إلى سخافة هذا الكلام في تفسير الآيات ، وسبب نزولها !! ثم فكر في الضربة الموجهة التي أنزلها أصحاب هذا التفسير على هيكل الدين الإلهي ، حيث أنهم بتفسيرهم العدائي هذا ، أنزلوا الأنبياء والأولياء من مقامهم الشامخ المعصوم ،

(١) سورة النجم ، الآيتان : ١٩ ، و ٢٠ .

(٢) راجع أسباب النزول : ص ١٧٧ . حياة محمد : ص ١٢٤ . ط . أولى

. م ١٩٣٥

وجعلوهم لعبة للشيطان ، ووساوسه ، وأعطوا للوحي والرسالة صورة واهية يتلاعب بها الشيطان حين يشاء ! ليخلط الآيات النازلة بالوحي ، بكلمات من عنده ، ويجريها على لسان النبي (ص) !

والحال إنَّ الآيات القرآنية المباركة صريحة في عدم سلطة الشيطان ، وعدم نفوذه في أنبياء الله وأوليائه ، وإليك بعضها :

١ - ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١) .

٢ - ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٢) .

إنَّ الآيتين الكريمتين صريحتان في عدم قدرة الشيطان وفرض سلطانه على المؤمنين العاديين ، فكيف على النبي (ص) ، الذي هو قائد المؤمنين ، ومعلمهم ؟ ! .

وإذا التزمنا بصحة الحديث المفتعل : إنَّ الشيطان ، أجرى تلك الكلمات على لسان النبي (ص) ، وتصرف فيه ، لزم أن تنطبق الآية المذكورة^(٣) على النبي (ص) (معاذ الله !) ليصبح موالياً للشيطان ، ومن زمرته !! وفي هذا أقصى انحطاط العقيدة الفاسدة ، والمسلك الخطر !! لأنَّ فيه التعارض ، وعدم التماشي

(١) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(٢) سورة النحل ، الآيتان : ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) المقصود قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل : ١٠٠) .

مع الحكمة الإلهية ، وعصمة الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ،
وينتج منه أنه لا قيمة لدين ، ولا مصداقية لنبي ، تتلاعب بهما
وساوس الشيطان !!

والحال ، إنَّ القرآن الكريم يسوق كلام النبي مساق كلامه ،
ويجعله في مرتبته حينما يقول : ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو
إلا وحي يوحى﴾^(١) . ومعها كيف يمكن أن يدَّعي أحد أن
الشیطان ألقى على لسان النبيّ (ص) ، كلمات ، وهو يقرأ القرآن
في أثناء الصلاة ، ولا يتنبه لها النبيّ ، ومن ثم يندم على ذلك !

فعلية ، يجب علينا ، ونحن بصدد تفسير وتأويل هكذا
آيات ، يتعارض ظاهرها مع العقائد المسلّمة ، أن نرجع إلى أهل
البيت المعصومين ، عليهم الصلاة والسلام ، لنتوي من علومهم
العذبة ، ونقف على حقائق التنزيل ، ودقائق التأويل ، وبهذا
الصدد ننقل إليك الحديث الآتي :

«صحيفة الأبرار» : بأسناده عن الإمام الصادق (ع) :

«إنَّ رسول الله (ص) ، أصابه خصاصة ، فجاء إلى رجل من
الأنصار فقال له : عندك من طعام ؟ قال : نعم يا رسول الله ،
وذبح له عناقاً ، وشواه . فلما أدناه منه ، تمنى رسول الله (ص) ،
أن يكون معه علي ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، صلوات الله
وسلامه عليهم ، فجاء رجلان من رؤساء المنافقين ، ثم جاء علي
(ع) ، بعدهما ، فأنزل الله ، عزَّ وجل ، في ذلك :

(١) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، و ٤ .

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ ، ولا محدث
 ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾^(١) ، يعني الرجلين اللذين
 جاءا قبل علي (ع) ، ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ ، يعني لما
 جاء علي (ع) بعدهما ، ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ : يعني
 ينصر الله أمير المؤمنين (ع) ، ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ ،
 يعني الرجلين .

«فحاصل معنى الآية : إنه (ص) تمنى أن يأتيه من يحبه
 الله ، وهو أمير المؤمنين (ع) ، فأحضر الشيطان عند تمنى النبي
 (ص) ، ما يكرهه الله ، ليجعل ما يلقيه فتنة للذين في قلوبهم
 مرض ، بأن سؤل لهم الشيطان : أن هذا هو ما تمناه النبي (ص) ،
 فيكون ذلك فتنة واختباراً من الله للناس ، فأتى بعد ذلك ما تمناه
 النبي (ص) ، وهو أمير المؤمنين (ع) ، فنسخ الله بذلك ما ألقاه
 الشيطان .

﴿ليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾ ، أي رب
 محمد (ص) ، يعني أن علياً (ع) ، هو الحق من عند الله .
 ويهدي ﴿الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ : يعني إلى علي
 (ع)^(٢) . (اهـ) .

● ومن الآيات المتشابهة التي تحتاج إلى تأويل صحيح ،
 عن طريق أهل البيت (ع) ، قوله تعالى :

(١) سورة الحج ، الآية : ٥٢ .

(٢) صحيفة الأبرار : ص ٢٤ .

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ﴿(١)﴾ . وقوله تعالى : ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ ﴿(٢)﴾ .

فالآيتان يتعارض ظاهرهما مع الأدلة العقائدية الحقة ، المثبتة
في محلها ، وتحتاج إلى تأويل أهل البيت (ع) ، نذكره بعد هذه
المقدمة :

(١) سورة الفتح ، الآيتان : ١ - ٢ .

(٢) سورة الضحى ، الآية : ٧ .

كَلَامٌ حَوْلَ
عِزَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ

كلام حول عصمة الأنبياء (ع)، والأئمة (ع):

إذا أخذنا الآيات المذكورة بظاهرها ، يستلزم أن ننسب الخطأ والذنب إلى رسول الله (ص) ، وهذا يتعارض مع أصل عصمة النبي (ص) والإمام (ع) ، وكذلك مع الآيات القرآنية الأخرى ، والدلائل العقلية ، حيث أن نسبة الخطأ والذنب إلى أولياء الله مخالفة للأصول المسلّمة ، النقلية منها والعقلية ، ومع ماهية العصمة الذاتية فيهم .

وأجمعت الفرقة الناجية الإمامية الإثنا عشرية ، على عدم صدور الذنب والخطأ منهم لعصمتهم الذاتية عنها ، لأنّ المعصوم من لا يقترب الذنب والخطأ ، كبيره وصغيره .

وللإستدلال والتوضيح ، نعرّف مادة «العصمة» لغوياً ، ثم نورد الأدلة على عصمة الأنبياء والأئمة (ع) :

● تعريف العصمة والمعصوم :

العصمة في اللغة : بمعنى المنع والحفظ . قال علماء اللغة : «عصم الله فلاناً من المكروه : حفظه ووقاه» .

وفي مصطلح علماء الإمامية : «العصمة ملكة ربانية تمنع من فعل المعصية ، والميل إليها ، مع القدرة عليها» .

فالمحصل من التعريف أن المعصوم : من لا يرغب في ارتكاب الذنب ، ولا يميل إليه بشكل ذاتي ، مع تمكنه وقدرته عليه ، فهو ليس من لا يذنب فحسب ، بل لا يفكر ولا يخطر بباله ذلك^(١) .

(١) ● قال الشيخ ابن الصلاح الحلبي (ت ٣٧٤ هـ) : «والصفات التي يجب كون الرسول (ص) عليها ، هي أن يكون معصوماً فيما يؤدي ، لأن تجوز الخطأ عليه في الأداء ، تمنع من الثقة به ، ويسقط فرض أتباعه ، وذلك ينقض جملة الغرض من إرساله . وأن يكون معصوماً من القبائح لكونه رئيساً وملطوفاً برئاسته لغيره ، ولأن تجوز القبيح عليه ، ينفر عن النظر في معجزه ، ولأنه قدوة فيما قال وفعل ، وتجوز القبيح عليه ، يقتضي إيجاب القبيح ، ولأن تعظيمه واجب على الإطلاق ، والإستخفاف به فسق - على مذاهب من خالفنا - وكفر عندنا ، ووقوع القبيح منه ، يوجب الإستخفاف ، فيقتضي ذلك وجوب البراءة منه ، مع وجوب الموالاتة له» (تقريب المعارف : ص ١٠٣) .

● وقال الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) : «إن الكبائر والصغائر لا يجوزان على الأنبياء (ع) ، قبل النبوة ولا بعدها ، لما في ذلك من التنفير عن قبول أقوالهم ، ولما في تنزيههم عن ذلك من السكون إليهم ، فكذاك يجب أن يكون الأئمة عليهم السلام منزهين عن الكبائر =

والصغائر ، قبل الإمامة وبعدها ، لأنَّ الحال واحدة» (تنزيه الأنبياء : ص ٩) .

● وقال ابن حمير الأموي (ت بعد ٥٤٣ هـ) : «فمنها قصة داود (ع) ، مع زوج أوريا ، وقصة سليمان مع زوجة جرادة ، . . . وقصة يوسف (ع) ، مع امرأة العزيز . . . فيتأولونها تأويل من حلَّ من عنقه رتبة الشريعة ، ويشس من رحمة الله ، ثم ينسبون بعض هذه الأقوال إلى كبار الصحابة والتابعين ، ليموهوا بها على العوام ، لثلا يردوها عليهم ويقدحوا فيها . . . فتراهم ينتقلون من المزابل إلى المنابر ، فيطرحون الكلام . . . ويخوضون في أحوال الأنبياء (ع) ، ويتمندلون بأعراضهم على رؤوس العوام والطغام ، ولا مشفق على دين الله تعالى ، ولا محتاط . . . ولا زاجر ذو سلطان ، حتى كأننا ملة أخرى . . . وغرض هؤلاء الفسقة . . . أن يهونوا الفسوق والمعاصي . . . ويتسللوا إلى الفجور بالنساء . . . ويقول لها : هذا أمر ما سلم منه عظماء المرسلين ، فكيف نحن ؟ (تنزيه الأنبياء : ص ٢٦) .

● وقال فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : «وأنَّ مما لا يشك فيه عاقل ، أنَّ الله العليم الخبير ، محال أن يتخذ رسولاً ، رجلاً تزدرية الأعين ، وتحقره القلوب ، سلط بوهن أخلاقه ، وحقارة نفسه ، وصغر همته ، ألسنة الناس عليه بالطعن والإزراء . . . ومن أجل هذا بعث الله أنبياءه من أوسط قومهم نسباً ، وبرأهم من العيوب ، الجسمية المشوهة ، وأعطاهم أكمل صفات الرجولة ، من الشجاعة ، وصدق العزيمة ، وقوة الإرادة ، وشدة البأس ، وسعة الصدر ، وحنَّة الذهن ، وذكاء القلب ، وطلاقة اللسان ، وحلاوة المنطق ، وما إلى ذلك ، مما يكون به المختار لرسالة ربه ، أكمل الرجال في قومه ، وقبيلته ، وأملأهم للأسماع والأبصار» (عصمة الأنبياء : ص ١٢) .

وهذا مما لا يمكن تصور حصوله حتى من الأشخاص العاديين ، فضلاً عن المعصومين !

مثلاً : إنَّ من نشأ وترعرع في أحضان أسرة مؤمنة طاهرة ، لا يقدم على قتل إنسان آخر ، وإن كان قادراً عليه ، بل ولا يسمح لنفسه أن يفكر في قتل أحد .

ففي هذه الصورة ، يمكننا القول : إنَّ هذا معصوم عن صفة القتل . وهكذا من تربى تربية سالحة ، تسمتز نفسه وذاته ، عن ارتكاب الزنا بالمحصنة ، أو مع المحارم ، وحتى إنه يأبى التفكير في هكذا عمل شنيع ، وإن كانت لديه القدرة الجسمية الكاملة لارتكاب هذه الجريمة ، لولا وجدانه الذاتي الحي .

وأمثال هؤلاء كثيرون في المجتمعات البشرية العادية ، وتتوفر فيهم عصمة ذاتية ، بالنسبة إلى بعض الذنوب والمعاصي .

أما الفرق بينهم وبين المعصومين (ع) ، أن الأشخاص العاديين تنحصر عصمتهم في ذنوب معدودة ، محصورة ، مع إمكان خضوعهم لبعض التغيير والتبديل ، بحسب الزمان ، والبيئة ، والمجتمع ، وحتى إمكانية نسخها منهم .

ولكن المعصومين (ع) معصومون بالنسبة إلى جميع الذنوب والمعاصي والخطايا ، ثابتين عليها ، ولا تتأثر عوامل التغيير الزمنية والإمكانية فيهم ، تفاعلت صفة العصمة مع أرواحهم ، وقلوبهم ، فهي ملازمة لهم ، غير منفكة عنهم ، حيث قال الله ، عزَّ وجل : ﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم﴾ يعني محمداً وآل محمد ، ﴿وآل عمران﴾ يعني أنبياء بني إسرائيل ﴿على

العالمين ﴿١﴾ .

ومن البدهاة بمكان : إنَّ وجه الإصطفاء هذا ، وسببه يكمن في العصمة الذاتية المتواجدة في الأنبياء (ع) ، والأئمة الطاهرين (ع) ، وبها امتازوا عن الخلق فهم يتمتعون بحصانة تجاه كل أنواع الكفر ، والشرك ، والذنوب الكبيرة والصغيرة ، والخطأ العمدي ، أو السهوي ، أو النسيان ، لأنهم يسقطون من مرتبة الإصطفاء الإلهي بمجرد صدور الذنب عنهم ، ولأنَّ العقل السليم لا يقبل أن يصدق أن فرداً يذنب ، ويعصي الله ، عزَّ وجل ، ويكون مصطفى ومقرباً إليه !

ولنا على ذلك أدلة كثيرة ، نذكر بعضاً منها :

١ - إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، يأمر عباده بالطاعة التامة ، والمتابعة للنبي (ص) في ما يفعل ، ويأمر في آيات كثيرة ، منها :

(أ) ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (٢) .

(ب) ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحبُّ

الكافرين﴾ (٣) .

(ج) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك

عليهم حفيظاً﴾ (٤) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٣٢ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(د) ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
واتقوا الله إنَّ الله شديد العقاب﴾^(١) .

(هـ) ﴿فمعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾^(٢) .

إنَّ الملاحظ من مجموع هذه الآيات، أنَّ الله ، عزَّ وجل ،
أوجب على الناس جميعاً الطاعة التامة ، للرسول (ص) ، بل
جعل طاعة الرسول من طاعته ، ومساوية لها .

فإذن كيف تصح طاعته ، ومتابعته في أقواله وأفعاله ، على
فرض صدور الذنب منه ، وعدم عصمته ؟ بل سنتبعه في الخطأ
والذنب الصادر عنه ، إنَّ صحَّ الافتراض !

وإذا افترضنا أنَّ الله ، عزَّ وجل ، أمر عباده بالطاعة التامة ،
للنبي غير المعصوم ، ومتابعته - حتى في الذنوب - فإنَّ يلزم أن
يكون الله أمر بالجمع بين الوجوب والحرمة : وجوب الطاعة ،
وحرمة المعصية - وهذا يخالف الحكمة الإلهية ، فإنه من
المستحيل أن يأمر الله عباده بمتابعة الرسول (ص) - وإن كان
خاطئاً أو مذنباً - في بعض الآيات ، وفي البعض الآخر منها ،
ينهى عباده عن الذنوب والمعاصي ! وهذه تناقض الأخرى ، والله
عز وجل ، لا يأمر بالنقيض .

وهنا لا مجال - بحكم العقل - إلا أن نختار عصمة الرسول
(ص) عن كل خطأ وذنوب ، لأنه إذا لم يتصف النبي (ص)
بالعصمة ، وكان يجوز الخطأ عليه ، لم يأمر الله الناس بطاعته

(١) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٢) سورة الحاقة ، الآية : ١٠ .

ومتابعته ، وعندها نجد الأمر بالطاعة المطلقة والمتابعة ، بل جعل أقواله وأعماله أسوة للناس ومنهاجاً ، نقطع بعصمته ، وبراءته من كل خطأ صغر أم كبر ، وسهو ونسيان مؤذنين للخطأ .

٢ - يلزم من الإعتقاد بعدم عصمة الرسول (ص) ، والأئمة (ع) ، وجواز صدور الذنب والخطأ منهم ، القول : بأنهم - والعياذ بالله - يطيعون الشيطان ، ويتابعونه ! ذلك أن حقيقة الذنب والمعصية وماهيتها ، طاعة الشيطان وتنفيذ رغباته ، والقاءاته ووساوسه ، والذي يطيعه في ذلك ، يكون من حزبه ، ومخالفاً للرحمن ، كما يقول الله ، عز وجل :

﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾^(١) ، علماً بأن القرآن يصف أهل البيت (ع) بأنهم حزب الله ، في قوله تعالى : ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾^(٢) .

٣ - يلزم من افتراض صدور الذنب والخطأ منهم ، عليهم الصلاة والسلام ، أن يكونوا من «الفاسقين» ، لأن «الفسق» : هو الخروج من طاعة الله ، عز وجل ، والتزام طاعة الشيطان ، وهو ما يحصل بارتكاب الذنوب ، ويترتب على ذلك أن لا تقبل

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١٩ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

شهادتهم ، عليهم الصلاة والسلام ، لأنَّ الله يأمر برّد شهادة الفاسقين ، في قوله تعالى : ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾^(١) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾^(٢) .

وبديهي أن رّد شهادة الأنبياء والأولياء ، يتعارض مع حكمة إرسالهم ، وهذا واضح البطلان ، لأنهم سفراء الله ، عز وجل ، وخلفاؤه على الأرض ، يبلغون ما حملوا من الله إلى البشر ، فيجب على الناس جميعاً الإستماع إليهم ، وتنفيذ أوامرهم ، دون تردد أو سؤال ، لأنَّ في الرّد عليهم ، وعدم قبول أوامرهم ، رفض للوحي ، ولأوامر السماء .

٤ - إذا كان النبي (ص) ، والأئمة (ع) غير معصومين ، ويصدر منهم الذنب والمعصية ، وجب على الناس إنكار ذلك عليهم ، من باب (النهي عن المنكر) ، وكذلك إيذاءهم ، وإجراء الحد والقصاص عليهم في بعض الموارد ، ولكن من المعلوم أنَّ إيذاء الأنبياء فعل حرام ومحرم في القرآن ، ومن يقوم بذلك فهو ملعون بقوله تعالى : ﴿الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾^(٣) ، وكذلك في الآية الشريفة : ﴿إنَّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾^(٤) .

(١) سورة النور ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٦١ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٧ .

وعندما نرى أن الله ، عزَّ وجل ، ينهى عن إيذاء الرَسُول (ص) ، ويشدد على ذلك ، نعرف بالضرورة أنهم (ع) ، لا يعصون الله ، ولا تصدر منهم الذنوب ، ليستحقوا بذلك الإيذاء ، والقصاص ، والحد !

٥- إنهم ، عليهم السلام ، على فرض ارتكابهم الذنوب والمعاصي ، لا يستحقون منزلة النبوة والإمامة ، لأنَّ مسؤولية النبي والإمام : منع الناس عن الخطأ والذنب ، وإرشادهم إلى طاعة الله ، عزَّ وجل ، والإبتعاد عن وساوس الشيطان .

وكيف يمكن أن يبعث الله ، عزَّ وجل ، من يمنع الناس عن الذنوب والمعاصي ، وهو يرتكبها ، وتصدر منه !؟

وفي هذا القول إساءة إلى الله ، عزَّ وجل ، وتعارض لحكمته وعدله .

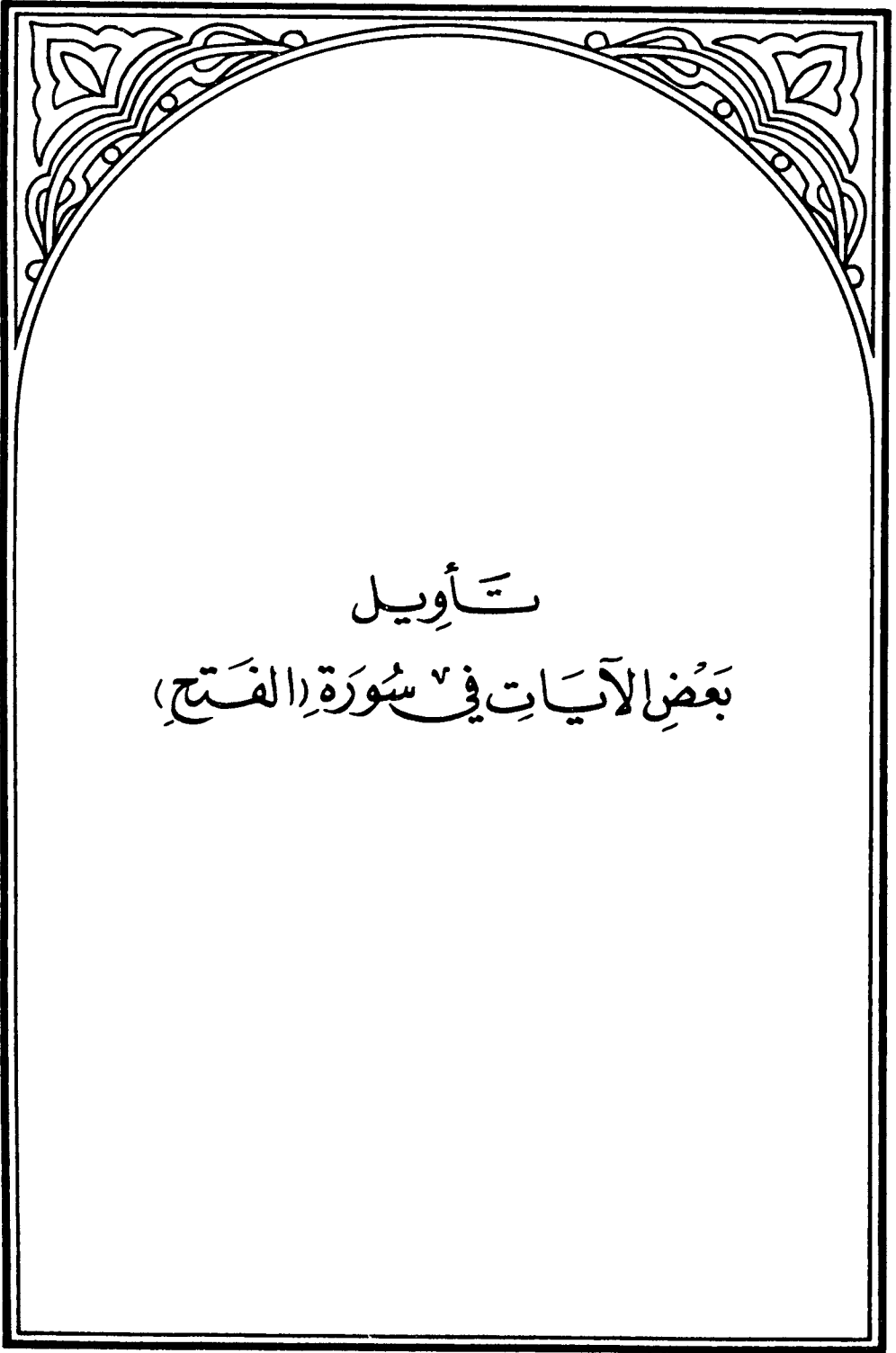
والحال ، إنَّ الله يصرِّح في القرآن الشريف بأنَّ عهد النبوة والإمامة لا يناله الظالمون ، وذلك عندما أخبر الله سبحانه إبراهيم (ع) بإمامته ، بقوله تعالى : ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ ، قال إبراهيم (ع) طالباً تلك المنزلة لذريته : ﴿ومن ذريتي﴾ ، فأجابه الله ، عزَّ وجل ، بقوله : ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾^(١) .

وعندما نجد أن الله ، عزَّ وجل ، شَرَّفَ نفرًا من الناس ، برتبة النبوة والإمامة ، نفهم أنه لا يصدر عنه أي نوع من الظلم ، والذنب ، والخطأ ، وإن لم يكن كذلك ، وصدر أو يصدر منه الذنب ، لما فُضِّل بهذه الفضيلة ، والمنزلة .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٤ .

وواضح من هذا كله ، أن الذنوب والمعاصي تتنافى ومنزلة النبوة والرسالة ، وأنَّ بعث الأنبياء والرسل ، وجعل الأئمة بعدهم ، كل ذلك من أجل هداية الناس إلى سواء السبيل ، وعمل الخير وتحصيل الثواب ، ونهيهم وردعهم عن الذنوب والمعاصي ، وهذا لا يتمشى مع ارتكابهم مثل ذلك ، وفي هذه الفرضية اجتماع للنقيضين ، وهو محال ، ولا يمكن للإنسان العاقل أن يتصور فيهم مثل ذلك ، إلا أن يكون ناقص العقل ، أو يكون في قلبه مرض .

وإذا أثبتنا بالأدلة المذكورة «عصمة الأنبياء ، والأئمة ، عليهم الصلاة والسلام» ، عن الخطأ والذنب ، وحتى السهو والنسيان ، لا بدَّ أن نذكر تأويل أهل البيت (ع) ، للآيات القرآنية ، التي تدل في ظاهرها على صدور الذنب والمعصية منهم ، سلام الله عليهم ، لنقف على المقصود الحقيقي من تلك الآيات المغايرة لظاهرها ، ومن الله التوفيق وعليه التكلان :



تَأْوِيل
بَعْضِ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ (الْفَتْحِ)

تأويل بعض الآيات من سورة (الفتح) :

● قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾^(١) .

«عيون أخبار الرضا (ع)» : «... فقال المأمون : لله درك يا أبا الحسن ! فأخبرني عن قول الله ، عزَّ وجل : ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ؟ قال الرضا (ع) : لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة ، أعظم ذنباً من رسول الله (ص) . لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ، ثلاثمائة وستين صنماً . فلما جاءهم (ص) بالدعوة إلى كلمة الإخلاص ، كبر ذلك عليهم ، وعظم ، وقالوا : ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب * وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على ءالهم إنَّ هذا لشيء يُراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إنَّ هذا إلا اختلاق﴾^(٢) . فلما فتح الله ، عزَّ وجل ، على نبيه (ص) مكة ، قال له : يا محمد ! ﴿إنا

(١) سورة الفتح ، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) سورة ص : الآيات : ٥ ، ٦ ، ٧ .

فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر*
عند مشركي أهل مكة ، بدعائك إلى توحيد الله ، فيما تقدم ، وما
تأخر ، لأن مشركي مكة ، أسلم بعضهم ، وخرج بعضهم عن
مكة ، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه ، إذا دعا
الناس إليه ، فصار ذنبه عندهم ، في ذلك ، مغفوراً ، بظهوره
عليهم» (١) .

«تفسير الصافي» ، للفيض الكاشاني ، في ذيل الآية
الشريفة ، عن «مجمع البيان» ، و«تفسير القمي» ، بأسناده عن
الإمام جعفر الصادق (ع) ، أنه قال : «ما كان له ذنب ، ولا هم
بذنب ، ولكن الله حملة ذنوب شيعته ، ثم غفرها له» (٢) .

وفي «المجمع» ، عنه عليه السلام ، أنه سئل عنها فقال :
«والله ما كان له ذنب ، ولكن الله سبحانه ، ضمن له أن يغفر
ذنوب شيعة علي (ع) ، ما تقدم من ذنبهم ، وما تأخر» (٣) .

وذكر المرحوم الفيض الكاشاني ، بحثاً لطيفاً ، في هذه الآية
الشريفة ، عن بعض الأعلام ، من أهل اليقين ، نذكره هنا ،
ليزداد المؤمنون إيماناً بمواليهم المعصومين (ع) ، ويتبصر

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ١/١٦٠ - الإحتجاج : ٢/٤٣٠ ، وراجع (تنزيه
الأنبياء : ص ١١٥) ، للسيد الشريف المرتضى ، علم الهدى ، له
الرحمة والرضوان ، فهناك وجوه كثيرة لتعليل وتحليل الآية المباركة .

(٢) راجع تفسير الصافي : ٥/٣٧ (تفسير سورة الفتح : آية ٢) . وتفسير

القمي : ٢/٣١٤ - ومجمع البيان : ٥/١١٠ .

(٣) راجع مجمع البيان : ٥/١١٠ .

القاصرون ، والمقصرون ، ويزدادوا بمعرفة أهل البيت (ع) :

قال الفيض الكاشاني، رضوان الله تعالى عليه :

«قال بعض أهل المعرفة : قد ثبت عصمته (ص) ، فليس له ذنب ، فلم يبق لإضافة الذنب إليه ، إلا أن يكون هو المخاطب ، والمراد أمته ، كمال قيل : (إياك أدعو واسمعي يا جارة) .

«قال : ﴿ما تقدم من ذنبك﴾ : من آدم إلى زمانه ، ﴿وما تأخر﴾ من زمانه ، إلى يوم القيامة ، فإنَّ الكلُّ أمته ، فإنه ما من أمة إلا وهي تحت شرع محمد (ص) ، من اسم الباطن ، من حيث كان نبياً (وآدم بين الماء والطين)^(١) ، وهو سيد النبيين والمرسلين ، فإنه سيد الناس ، فبشر الله تعالى محمداً (ص) بقوله : ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ لعموم رسالته إلى الناس كافة ، وما يلزم الناس رؤية شخصه ، فكما وجّه في زمان ظهوره ، رسوله، علياً (ع) ، إلى (اليمن) ، لتبليغ الدعوة ، كذلك وجّه الرسل والأنبياء إلى أممهم من حين كان نبياً ، (وآدم بين الماء والطين) ، فدعا الكل إلى الله ، فالكل أمته ، من آدم إلى يوم القيامة ، فبشّره الله بالمغفرة ، لما تقدم من ذنوب الناس ، وما تأخر منها ، وكان هو المخاطب ، والمقصود الناس ، فيغفر لكل ، ويسعدهم ، وهو اللائق بعموم رحمته ، التي وسعت كل شيء ، وبعموم مرتبة محمد (ص) ، حيث بعث إلى الناس كافة ، بالنص ، ولم يقل : أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة ، وإنما أخبر أنه مرسل إلى الناس كافة ، والناس من آدم (ع) ، إلى يوم

(١) إشارة إلى الحديث الشريف : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» .

القيامة ، فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله ، لما تقدم من ذنبه وما تأخر» (اهـ) (١) .

لا يبقى مع ما ذكرنا من الأدلة ، مجال للشك ، أو التردد ، بأنَّ المراد من الذنب المنسوب إلى النبي (ص) ، في الآية الكريمة المبحوث عنها ، هو ذنوب شيعة محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، وليس ذنب النبي (ص) نفسه ، لأنه أرفع من أن يذنب ، ثم يغفر له الله عز وجل .

والآن ، فإنه من الممكن أن يتبادر إلى ذهن أحد من القاصرين أنه : كيف يمكن أن يغفر الله ، عز وجل ، من أجل النبي (ص) ، جميع ذنوب الشيعة ، وأن يسامحهم فيها ، علماً أنه من الممكن أن يكون فيهم من ارتكب الكبائر من الذنوب ، مثل : القتل ، والكذب ، والبهتان ، وتجاوز حقوق الناس ، بحيث أنَّ غضَّ النظر عنهم ، وعدم معاقبتهم ، يتنافى والعدل الإلهي؟! فنقول :

ليس من المحال أن يعفو الله ، عزَّ وجل ، عن هؤلاء المذنبين ، إكراماً للنبي (ص) ، وتقديراً ومكافأة ، لما تحمل من أعباء تبليغ الرسالة ، ولا يستبعد ، بل من الجدير بصفته الرحمانية والرحيمية ، والغفارية ، أن يفعل ذلك ، وهو الرؤوف الذي وعد عباده في كثير من الآيات ، أن يغفر للناس - والمؤمنين منهم خاصة - ذنوبهم ومعاصيهم .

(١) تفسير الصافي : ٣٧/٥ .

أليس من مكانة الرسول (ص) ، العالوية ، والمقربة من
الباري ، عز وجل ، أن يقول الله ، عز وجل ، له : ﴿ولسوف
يعطيك ربك فترضى﴾ (١) .

ومن المعلوم أن عطايا الله لنيّه ، إنما هي ترجع إلى أمته ،
وشيعته ، وإنما هو منبع الفيض الإلهي ، والوسيلة العظمى للعطايا
الإلهية ، وفي هذا روايات كثيرة ، نستعرض قسماً منها ، من
«مجمع البيان» ، وغيره من تفاسير المسلمين الشيعة :

«التوحيد» : «عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله (ص) :
... فيقول الله ، جلّ جلاله : «ملائكتي ! وعزتي وجلالي ، ما
خلقت خلقاً أحب إليّ من المقرّين لي بتوحيدي ، وأن لا إله
غيري ، وحقّ عليّ أن لا أصلي بالنار أهل توحيدي» (٢) .

«صفات الشيعة» : «عن زيد بن أرقم ، عن النبي (ص) ،
قال : من قال لا إله إلا الله مخلصاً ، دخل الجنة ، وإخلاصه بها
أن يحجزه «لا إله إلا الله» ، عما حرّم الله عز وجل» (٣) .

«فضائل الشيعة» : «عن علي بن الحسين (ع) ، عن أبيه
(ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : حبي وحب أهل بيتي ، نافع
في سبعة مواطن ، أهوالهنّ عظيمة : عند الوفاة ، وفي القبر ،
والنشور ، وعند الكتاب ، وعند الحساب ، وعند الميزان ، وعند

(١) سورة الضحى ، الآية : ٥ .

(٢) التوحيد : ص ٢٩ .

(٣) صفات الشيعة : ص ٨٤ .

الصراط»^(١) .

«فضائل الشيعة» : «عن أبي جعفر ، محمد بن علي (ع) ،
عن آبائه (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) ، لعلي (ع) : ما ثبت
حبك في قلب امرئ مؤمن (مسلم - خ ل) ، فزلت به قدمه على
الصراط ، إلا ثبت له قدم ، حتى أدخله الله بحبك الجنة»^(٢) .

«فضائل الشيعة» : «عن جعفر بن محمد (ع) ، قال : إذا
كان يوم القيامة ، نشفع في المذنبين (المذنب - خ ل) ، من
شيعتنا ، فأما المحسنون فقد نجاهم الله»^(٣) .

«فضائل الشيعة» : «عن محمد القبطي ، قال : سمعت أبا
عبد الله (ع) ، يقول : الناس أغفلوا قول رسول الله (ص) ، في
علي (ع) ، يوم (غدير خم) ، كما أغفلوا قوله يوم (مشربة أم
إبراهيم) ، أتى الناس يعودونه ، فجاء علي (ع) ، ليدنو من رسول
الله (ص) ، فلم يجد مكاناً ، فلما رأى رسول الله (ص) أنهم لا
يفرجون لعلي (ع) ، قال :

«يا معشر الناس ! هؤلاء أهل بيتي تستخفون بهم ، وأنا حي
بين ظهرانكم؟! أما والله لئن غبت ، فإن الله لا يغيب عنكم . إن
الروح والراحة ، والرضوان والبشرى ، والحب والمحبة ، لمن
أتم بعلي وتولاه ، وسلم له وللاوصياء من بعده ، حق علي أن
أدخلهم في شفاعتي ، لأنهم أتباعي ، فمن تبعني فإنه مني مثلما

(١) فضائل الشيعة : ص ٤٨ .

(٢) المصدر نفسه - عنه البحار : ٦٩/٨ و ١٥٨/٢٧ ، و ٣٠٥/٣٩ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٧٧ - عنه البحار : ٥٩/٨ .

جرى في من إبراهيم ، لأنني من إبراهيم ، وإبراهيم مني ، وديني دينه ، وسنتي سنته ، وفضله فضلي ، وأنا أفضل منه ، وفضلي له فضل ، تصديق قول ربي : ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ (١) . وكان رسول الله (ص) ، قد أثبت رجله في (مشربة أم إبراهيم) حين عاده الناس (٢) .

«مجمع البيان» : في تفسير الآية : ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (٣) ، قال الشيخ أبو علي الطبرسي : «عسى : من الله واجبة . والمقام : بمعنى البعث ، فهو مصدر من غير جنسه : أي يعثك يوم القيامة ، بعثاً أنت محمود فيه . ويجوز أن يجعل البعث : بمعنى الإقامة ، كما يقال : بعثت بعيري : أي أثرته وأقمته ، فيكون معناه : يقيمك ربك مقاماً محموداً ، يحمذك فيه الأولون والآخرون ، وهو مقام الشفاعة ، تشرف فيه على جميع الخلائق ، تُسأل فتعطى ، وتشفع فتُشفع . وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود وهو مقام الشفاعة ، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس ، وهو المقام الذي يُعطى فيه لواء الحمد ، فيوضع في كفه ، ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة ، فيكون (ص) أول شافع ، وأول مشفع» (٤) .

«تفسير العياشي» : من حديث عن الرسول (ص) : «إنَّ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٤ .

(٢) البحار : ١٥٤/٢٣ - بصائر الدرجات : ص ٥٣ - بشارة المصطفى :

ص ٢٤ - فضائل الشيعة : ص ٦٩ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٧٩ .

(٤) مجمع البيان : ٤٣٥/٣ .

الجن والإنس ، يجلسون يوم القيامة في صعيد واحد ، فإذا طال بهم الموقف ، طلبوا الشفاعة ، فيقولون : إلى من ؟ فيأتون نوحاً ، فيسألونه الشفاعة ، فيقول : هيهات ! قد رفعت حاجتي (١) . فيقولون : إلى من ؟ فيقال : إلى إبراهيم ، فيأتون إلى إبراهيم ، فيسألونه الشفاعة ، فيقول : هيهات ! قد رفعت حاجتي . فيقولون : إلى من ؟ فيقال : إيتوا موسى ، فيأتونه ، ويسألونه الشفاعة ، فيقول : هيهات ! قد رفعت حاجتي . فيقولون : إلى من ؟ فيقال : إيتوا عيسى ، فيأتونه ، ويسألونه الشفاعة ، فيقول : هيهات ! قد رفعت حاجتي .

فيقولون : إلى من ؟ فيقال : إيتوا محمداً ، فيأتونه ، فيسألونه الشفاعة ، فيقوم مدلاً ، حتى يأتي باب الجنة ، فيأخذ بحلقة الباب ، ثم يقرعه ، فيقال : من هذا ؟ فيقول : أحمد ، فيرحبون^(٢) ، ويفتحون الباب ، فإذا نظر إلى الجنة ، خرَّ ساجداً يمجّد ربّه ويعظمه ، فيأتيه ملك فيقول : ارفع رأسك ، وسل تُعط ، واشفع تشفع ، فيقوم فيرفع رأسه ، ويدخل من باب الجنة ، فيخر ساجداً ، يمجّد ربه ويعظمه ، فيأتيه ملك ، فيقول : ارفع رأسك ، وسل تُعط ، واشفع تشفع ، فيمشي في الجنة ساعة ، ثم يخرّ ساجداً ، يمجّد ربّه ويعظمه ، فيأتيه ملك ،

(١) قال المجلسي (ره) : قد رفعت حاجتي : أي إلى غيري ، والحاصل : أني أيضاً أستشفع من غيري ، فلا أستطيع شفاعتكم ، ويُمكن أن يقرأ على بناء المفعول ، كناية عن رفع الرجاء : أي رفع عني طلب الحاجة ، لما صدر مني من ترك الأولى .

(٢) وفي (البرهان) : «فيجيؤون» .

فيقول : إرفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه» (١) .

«تفسير القمي» : عن أبي جعفر (ع) أنه قال : «ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعته محمد (ص) ، يوم القيامة ، ثم قال أبو جعفر (ع) : إن لرسول الله الشفاعة في أمته ، ولنا الشفاعة في شيعتنا ، ولشيعتنا الشفاعة في أهلهم ، ثم قال : وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر ، وإن المؤمن ليشفع لخادمه ، ويقول : يا رب حق خدمتي ، كان يقيني الحر ، والبرد» (٢) .

«الخصال» : «عن علي (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : ثلاثة يشفعون إلى الله ، عزوجل ، فيشفعون : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء» (٣) .

وهناك روايات كثيرة ، في هذا السياق (٤) ، لا مجال

(١) تفسير العياشي : ٣١٣/٢ - البرهان : ٤٤٠/٢ - البحار : ٣٠٣/٣ - الميزان : ١٧٥/١ .

(٢) تفسير القمي : ٢٠٢/٢ - الميزان : ١٧٨/١ .

(٣) الخصال : ص ١٥٦ - الميزان : ١٧٨/١ .

(٤) قال جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) : «وإن الشفاعة حق ، وهي أنواع ، أعظمها الشفاعة في فصل القضاء . . . وهي مختصة في النبي (ص) ، بعد تردد الخلق إلى نبي بعد نبي . . . والرابعة : الشفاعة في إخراج من أدخل النار من الموحدين ، ويشترك فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون . . . وروى البيهقي حديث : «خبرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمي الجنة ، فاخترت الشفاعة ، لأنها أعم وأكفى ، =

لذكرها ، ولكن يلزم هنا أن نوضح حقيقة الشيعة ، والصفات التي تعرف بها شيعة أهل البيت (ع) ، ففي فضيلتهم ، وعلو منزلهم ، روايات وأحاديث كثيرة ، لا تحصى ، ويستفاد من بعضها ، أن الأنبياء السابقين ، كانوا من شيعة آل محمد (ع) ، ونذكر بحثاً حول الموضوع في مكان آخر ، ولكن نذكر هنا بعض الأحاديث الدالة على مكانة الشيعة السامية :

١ - «كنز الكراجمي» : بأسناده عن أبي حمزة الثمالي ، عن نوف البكالي ، عن أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، في حديث مفصل ، يذكر فيه فضل شيعته ، فيقول :

«ألا من سأل عن شيعة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم في كتابه ، مع نبيّه ، تطهيرا : فهم العارفون بالله ، العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل والفواضل ، منطقتهم الصواب ، وملبسهم الإقتصاد ، ومشيمهم التواضع ، ...» .

ثم سرد ، عليه السلام ، صفاتهم ، إلى أن قال :
«... أولئك عمال الله ، ومطايا أمره وطاعته ، وسرج أرضه وبريته ، أولئك شيعتنا ، وأحبتنا ، ومنا ، ومعنا ، آها (ألاها - خ ل) شوقاً إليهم»^(١) .

٢ - «بحار الأنوار» : عن الإمام جعفر الصادق (ع) ، في فضل الشيعة قال : «إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين : عين في

= أترونها للمتقين ، لا ولكنها للمذنبين ، المتلوثين ، الخطائين» (إتمام الدراية : ص ١٠) .

(١) كنز الفوائد : ٩٠/١ . وورد النص كاملاً باختلاف يسير في اللفظ ، في (صفات الشيعة : ص ٩٦) و(البحار : ١٩٢/٦٥) .

الرأس^(١) ، وعين في القلب ، ألا والخلائق كلهم كذلك ، إلا أن الله فتح أبصاركم ، وأعمى أبصارهم»^(٢) .

٣ - «مجمع البحرين» : عن النبي (ص) ، أنه قال لأصحابه في المسجد : «يا قوم ! إذا ذكرت الأنبياء الأولين ، فصلوا عليهم ، وإذا ذكرت أبي إبراهيم ، فصلوا عليه ، ثم صلوا عليّ .

قالوا : يا رسول الله ! بم نال إبراهيم ذلك ؟

قال (ص) : «إعلموا إن ليلة عُرج بي إلى السماء ، فرقيت السماء الثالثة ، نصب لي منبر من نور ، فجلست على رأس المنبر ، وجلس إبراهيم تحتي بدرجة ، وجلس جميع الأنبياء الأولين حول المنبر ، فإذا بعلي قد أقبل ، وهو راكب ناقة من نور ، ووجهه كالقمر ، وأصحابه حوله كالنجوم .

فقال إبراهيم : يا محمد ! هذا أي نبي معظّم ، وأي ملك مقرب ؟!

قلت : لا نبي معظّم ، ولا ملك مقرب ، هذا أخي ، وابن عمي ، وصهري ، ووارث علمي ، علي بن أبي طالب .

قال : وما هؤلاء الذين حوله كالنجوم ؟! قلت : شيعة .

فقال إبراهيم : اللهم اجعلني من شيعة علي !

(٢) قال العلامة المجلسي : «بيان : عين في الرأس : المراد بها الجنس ، أي عينان ، أو المعنى : كل عين في الرأس بإزائها عين في القلب و«فتح أبصاركم» : أي أبصار قلوبكم . (البحار : ٣٦/٦٥) .

(٢) البحار : ٣٦/٦٥ - تفسير العياشي : ٢٤٤/٢ .

فأتى جبرئيل بهذه : ﴿وإنَّ من شيعته لإبراهيم﴾^(١) .

٤ - «بحار الأنوار» ، و«الإختصاص» ، للمفيد : «عن سليمان الديلمي ، قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) ، إذ دخل عليه أبو بصير ، وقد حفزه نفسه ، فلما أن أخذ مجلسه قال له أبو عبد الله : يا أبا محمد ! ما هذا النفس العالي ؟ قال : جُعلت فداك يا بن رسول الله ! كبرت سنِّي ، ودقَّ عظمي ، ولست أدري ما أرد عليه من أمر آخرتي ! فقال أبو عبد الله : يا أبا محمد ! إنك لتقول هذا ؟! فقال : جُعلت فداك ! وكيف لا أقول هذا ؟! فذكر كلاماً ، فقال : يا أبا محمد ! لقد ذكركم الله في كتابه ، فقال : ﴿إخواناً على سُرر متقابلين﴾^(٢) ، والله ! ما أراد بهذا غيركم يا أبا محمد ، فهل سررتك ؟ قال ، قلت : جُعلت فداك ! زدني ، فقال : ذكركم الله في كتابه ، فقال : ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٣) ، والله ما أراد بها إلا الأئمة وشيعتهم ، فهل سررتك ؟»^(٤) .

٥ - «بحار الأنوار» : دخل جماعة من الشيعة ، على الإمام الصادق (ع) ، فقالوا : يا بن رسول الله ! «إنَّ عماراً الدهني ، شهد اليوم ، عند ابن أبي ليلى ، قاضي الكوفة ، بشهادة ، فقال

(١) سورة الصافات ، الآية : ٨٣ - مجمع البحرين : ٣٥٦/٤ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٧ .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(٤) البحار : ٥٦/٦٥ - تفسير فرات الكوفي : ص ٢٢٤ ، الحديث ٣٠٣ -

الإختصاص : ص ١٠٤ .

له القاضي : قم يا عمار ، فقد عرفناك ، لا تقبل شهادتك ، لأنك رافضي !

فقام عمار ، وقد ارتعدت فرائضه ، واستفرغه البكاء ، فقال له ابن أبي ليلى : أنت رجل من أهل العلم والحديث ، إن كان يسوءك أن يقال لك رافضي ، فتبراً من الرفض ، فأنت من أخواننا .

فقال له عمار : يا هذا ! ما ذهبتُ والله حيث ذهبتُ ، ولكن بكيتُ عليك وعليّ ، أما بكائي على نفسي : فإنك نسبتني إلى رتبة شريفة لستُ من أهلها ، زعمتُ أنني رافضي ، ويحك ! لقد حدّثني الصادق (ع) ، أن أول من سمّي «الرافضة» السّحرة الذين لما شاهدوا آية موسى في عصاه ، آمنوا به ، واتبعوه ، ورفضوا أمر فرعون ، واستسلموا لكل ما نزل بهم ، فسماهم فرعون «الرافضة» ، لما رفضوا دينه ، فالرافضي كل من رفض جميع ما كره الله ، وفعل كل ما أمره الله ، فأين في هذا الزمان مثل هذا ؟

وإنّ ما بكيت على نفسي : خشيت أن يطّلع الله ، عزّ وجل ، على قلبي ، وقد تلقّبت بهذا الإسم الشريف على نفسي ، فيعاتبني ربي ، عزّ وجل ، ويقول : يا عمار ! أكنت رافضاً للأباطيل ، عاملاً بالطاعات ، كما قال لك ؟ فيكون ذلك بي مقصراً في الدرجات إن سامحني ، وموجباً لشديد العقاب عليّ إن ناقشني ، إلا أن يتداركني موالِيّ بشفاعتهم !

وأما بكائي عليك : فلعظم كذبك في تسميتي بغير إسمي ، وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله ، أن صرّفت أشرف الأسماء

إليّ ، وأن جعلته من أذلها ، كيف يصبر بدنك ، على عذاب
كلمتك هذه ؟

فقال الصادق (ع) : لو أنّ عليّ عمار ، من الذنوب ، ما هو
أعظم من السماوات والأرضين ، لمحيت عنه بهذه الكلمات ،
وإنها لتزيد في حسناته عند ربه ، عز وجل ، حتى يجعل كل
خردلة منها ، أعظم من الدنيا ألف مرة»^(١) .

أقول : كم من شبه لشيعة عليّ ومحبيه في هذا اليوم ، في
التظلم والإضطهاد ، بأولئك الشيعة ، في عصر الإضطهاد والظلم
الأموي والعباسي !!

فكما أنّ أولئك الحكام النواصب ، والمعاندين المتستترين
بالإسلام ، راحوا يعملون على سلب القرار والإستقرار من شيعة
عليّ (ع) ، بأساليب وطرق متعددة ومختلفة ، كذلك اليوم ، ما

(١) البحار : ١٥٦/٦٥ - تفسير الإمام العسكري (ع) : ص ٣١٠ ، وفي
حاشيته : قال النجاشي في رجاله ، ضمن ترجمة ولده معاوية : «كان
أبوه ثقة في العامة وجيهاً» . وقال الشيخ المامقاني (ره) في رجاله :
٣١٧/٢ : «الذهني : بالبدال المهملة المضمومة ، والهاء الساكنة ،
والنون والياء ، نسبة إلى بني دهن ، حي من بجيلة ، وهم بنو دهن بن
معاوية بن أسلم بن أحمص بن الغوث . . . واشتهار الرجل بالثبيح ،
كاشتهار الشمس في رابعة النهار . . . وقال - بعد نقله كلام النجاشي
المتقدم - «ومثله بعينه في الخلاصة . وقد وثقه الذهبي في ميزان
الإعتدال : ١٧٢/٣ . وقال ابن حجر العسقلاني في (تقريب التهذيب :
٤٨/٢) : «صدوق يتشيع» (اهـ) . وورد الحديث أيضاً في : تنبيه
الخواطر (مجموعة ورام) : ١٠٦/٢ ، وتنقيح المقال : ٣١٨/٢ .

زال الشيعة يتعرضون للإيذاء والإستهزاء ، من مجموعات حذت
حذو أولئك الظالمين من أسلافهم .

وإذا كان أولئك يُسمُّون الشيعة «رافضة» ، ليجعلوا من
الإسم ذريعة لظلمهم ، فقد راح الناس السذج والبسطاء ، ينسجون
على هذا المنوال ، والوهم ، وينظرون إلى الشيعة بمنظار
الخارجين عن الإسلام .

واليوم ، راح الأعداء يخترعون أسماء جديدة ، ويلقون
عليهم تهماً جديدة ، لتبرير ظلمهم ، وعدائهم ، لناس مسلمين
مؤمنين ، وليس ذلك إلا لأنهم شيعة لعلي (ع) ، وأولاده ،
ومحبون وتابعون لهم ، وحريصون على نشر فضائلهم ومناقبتهم .

والحال ، إنَّ الله سبحانه ورسوله ، لا يرضيان عن هذه
الإفتراعات والأكاذيب التي تورث النفاق والإختلاف بين
المسلمين ، وتشق صفوفهم ، وتمزق وحدتهم ، ووحدتهم كلمتهم .

ولكن الشيعة سيظلون ملتزمين بمبادئهم الإسلامية ،
ومنتهجين خط أئمتهم ، من أهل البيت (ع) ، وصابرين على كل
ظلم وبلاء يصيبهم من أعداء الإسلام ، كما صبر أسلافهم من
الشيعة في عصر بني أمية الظالمين ، وفترة بني العباس
الغاشمين ، لا تأخذهم في ولايتهم ومحبتهم لعليّ وأولاده (ع) ،
لومة لائم ، ولن يثني عزمهم ، ويلوي قرارهم هذا ، اشتداد
الظلم والجور عليهم ، وبذلك يثبتون للعالم - كما هو ثابت حقاً -
صفاء نواياهم في عقيدتهم ، وصدقهم في التزامهم وولايتهم .

٦ - «شرح الزيارة الجامعة» للشيخ الأجل ، الشيخ أحمد

الأحسائي : ما روي عن السيد الجليل المرحوم ، رضي الدين بن موسى بن طاوس ، عن بقية الله في أرضه ، ولي العصر ، الحجة بن الحسن العسكري ، أرواحنا فداه ، في فضيلة ومنزلة شيعة أمير المؤمنين ، عليه الصلاة والسلام ، يقول :

«اللهم إنَّ شيعتنا منا ، خلقوا من فاضل طينتنا ، وعجنوا بولائتنا ، اللهم اغفر لهم من الذنوب ، ما فعلوه ، اتكالاً على حبا ، ولنا يوم القيامة أمورهم ، ولا تؤاخذهم بما اقترفوه من السيئات إكراماً لنا ، ولا تقاصصهم يوم القيامة مقابل أعدائنا ، وإن خفت موازينهم فثقلها بفاضل حسناتنا» .

وبديهي أن الشيعة الخلص هم الذين لا يرتكبون الكبائر ، ولا يتحملون حقوق الناس في ذمتهم ، بل تصدر منهم بعض صفائر الذنوب ، لأنهم غير معصومين ، فيقبل الله توبتهم ، ويعفو عنهم ، لمكانة مواليتهم ، محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، عنده . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^(١) .

(١) سورة الزمر ، الآيتان : ٥٣ ، و ٥٤ .

تَأْوِيلُ
آيَاتِ سُورَةِ (الضُّحَى)

تأويل آيات سورة (الضحى) :

● ومن الآيات القرآنية المتشابهة التي تحتاج إلى تأويل ،
قوله تعالى : ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾^(١) .

ولأن أكثر آيات سورة (الضحى) متشابهة ، ومن بينها الآية
المذكورة ، نذكر تأويل أهل البيت ، لآيات هذه السورة بأجمعها ،
ليستفيد منه المطالع الكريم ، ولئلا يتمسك بها الجاهل ، في نسبة
المعصية إلى الرسول الأكرم (ص) :

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿والضحى * والليل إذا سجى * ما ودّعك ربك وما قلى *
وللاخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم
يجدك يتيماً فأوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى *
فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك
فحدث﴾ .

(١) سورة الضحى ، الآية : ٧ .

(الواو) في (والضحى والليل) : للقسم . وإنما يصح القسم إذا كان المقسم به شيئاً عظيماً ، وذا احترام وقدسية خاصة ، والقسم بالأموال الصغيرة والحقيرة عمل بلا جدوى ، بعيد عن العقل والعقلاء ، ولأنَّ (الضحى) ، و(الليل) ، من آيات الله ، تبارك وتعالى ، جاء القسم بهما ، كما في الآية (٣٧) من سورة (فصلت) : ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾ .

وجاء في تفسير «مجمع البيان»^(١) للشيخ الطبرسي ، في تفسير الآية المباركة ، عن الجبائي ، أن معناها : «ورب الضحى ، ورب الليل إذا سجي» ، وهذا المعنى صحيح في التفسير ، ولا إشكال عليه . ولكن المهم في الآيتين ونظيرتهما الكثيرة في القرآن ، هو تأويلها الصحيح الذي سنشير إليه قريباً .

التأويل : لا بد من القول إنَّ المقصود من (الشمس) ، و(القمر) ، و(الضحى) ، و(النهار) ، و(الليل) ، في القرآن الكريم ، في المنظور الواقعي ، والجانب التأويلي ، هو : محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، الذين هم أشرف وأعز المخلوقات الإلهية .

مثلاً : في قوله تعالى : ﴿والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها﴾^(١) : جاء القسم بهاتين الآيتين ب(الشمس) ، و(القمر)

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٥٠٤/٥ .

(٢) عن أبي عبد الله (ع) ، قال في قول الله عز وجل : ﴿والشمس وضحاها﴾ : الشمس : رسول الله (ص) ، به أوضح الله ، عز وجل ، للناس دينهم ، وفي قوله تعالى : ﴿والقمر إذا تلاها﴾ ، قال : ذاك أمير =

لعظمتها ، وعلوهما عن المخلوقات الأخرى ، بالخصوصيات
الآتية :

أولاً : إن الشمس والقمر هما مصدر النور والضياء ، وبهذا
كان لهما الموقع الممتاز بالنسبة للكرات السماوية الأخرى ، ولهما
بذلك عندنا مكانة خاصة ، لأن كل شيء نير في حياتنا إنما يستمد
نوره وضياءه منهما .

ثانياً : كما هو بين ، إن الشمس والقمر سبب حياة كل
الموجودات ، من الجمادات ، والنباتات والحيوانات ، والإنسان ،
فإن كل صنف منها يستمد حياته منهما بطريقته الخاصة .

وبعبارة أخرى : إن نمو ، وبقاء حياتنا ، وعالمنا ، يرتبط
بأمر الله وتدبيره ، ارتباطاً وثيقاً بالشمس والقمر .

ثالثاً : إنهما من الآيات والعلامات الإلهية ، وكما ذكر من
قبل ، أن الله ، عز وجل ، عدّهما من آيات ودلائل وجوده ،
وقدرته ، وحكمته ، ولهذا السبب ، ولامتيازات كثيرة أخرى
فيهما ، استحقاقاً أن يكونا مورد قسم ، يقسم به الله ، تبارك
وتعالى .

ومع ذكر هذه المقدمات نستدل بها على أن الآيات التكوينية
الإلهية ، على قسمين :

(أ) الآيات الأفاقية : وهي مجموعة صنع الله المتقن

= المؤمنين (ع) ، تلى رسول الله (ص) ، ونفثه بالعلم نفثاً . (اللوامع
النورانية : ص ٥١٥) .

المنتشرة في السماوات والأرضين ، وما فيها من الشمس ، والقمر ، والكواكب ، والسيارات ، وعجائب المخلوقات ، البرية والبحرية ، وما أبدع الله في خلقتها ، ونظامها ، وإدارتها ، وتسييرها ، مما لا يترك مجالاً للناظر العاقل فيها ، إلا الإعتراف والإقرار بوجود صانع قدير ، ومدبّر حكيم لها .

ومن حيث أن هذه المشهودات منتشرة في الآفاق الكونية ، وخارج نفس الناظر والشاهد ، سُميت بـ «الآيات التكوينية الآفاقية» .

(ب) الآيات الأنفسية : وهي القسم الداخلي من الآيات والدلائل على الله ، عز وجل ، وما أودع في خلقه الإنسان من عجائب الصنع في عينه ، وأذنه ، وقلبه ، وعقله ، وسائر أجزاء جسمه ، وما ترك فيها بمجموعها ، ومفرداتها ، من نظام في العمل ، والترتيب ، والدقة ، مما يكفي الناظر البصير فيها ، والمتممّن في أسرارها ، لأن يعتقد ويستيقن بصانع ، وخالق ، قادر ، حكيم ، لها .

ولأنّ هذا الصنف من الآيات ، في وجود الإنسان نفسه ، وفي باطنه ، فلذلك سُميت : بـ «الآيات التكوينية الأنفسية» . وإشارة إلى هذا ، يقول الله ، عزّ وجل : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾^(١) .

ومن الواضح بمكان أن (الآيات الآفاقية) أمثال الشمس ، والقمر ، والنجوم ، محكومة بالفناء والزوال ، كما يقول القرآن

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

الكريم : ﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت﴾^(١) ولم تثبت لها العودة والوجود ، في عالم الآخرة ، بعد زوالها وفنائها ، في دار الدنيا .

وذلك بعكس (الآيات الأنفسية) ، فإن لها وجوداً وحياءً دائمة باقية ، في الآخرة ، بعد موتها وفنائها ، في دار الدنيا .

وهذا ما يؤكد عليه القرآن الشريف ، بآياته الكثيرة الصريحة^(٢) .

وبيديهي أن الموجودات الباقية الدائمة أشرف من تلك الفانية والزائلة ، مع الأخذ بعين الاعتبار ، العام والخاص ، أن (الآيات الأفاقية) مثل الشمس والقمر ، تفقد العقل والإدراك ، بخلاف (الآيات الأنفسية) ، لأن الإنسان الذي تتجسد فيه تلك الآيات ،

(١) سورة التكوير ، الايتان : ١ - ٢ .

(٢) إن مسألة خلود الإنسان في الجنة أو في النار ، بنص القرآن الكريم ، يؤكد وجهة نظر سماحة المؤلف - حفظه المولى - كقول الله ، تبارك وتعالى : ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ (البقرة : ٨١ - ٨٢) . وإذا استمعنا إلى الخالق القدير ، سبحانه وتعالى يقول : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦) ، وقوله تعالى : ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلقت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ (الأعراف : ٣٨) ، علمنا أن الآيات التكوينية الأنفسية في الإنس والجن ، سيكون لها وجود وحياءً دائمة وباقية في الآخرة بعد موتها وفنائها في الدنيا (العسيلي) .

يملك العقل ، والمنطق ، والإدراك ، وبهذه يفضل الإنسان ، ويمتاز عن الآيات الأفاقية .

ونستنتج أن المقصود من الشمس والقمر ، المقسم بهما ، في الآيات المذكورة ، هو الشمس والقمر الأنفسية ، إضافة إلى الأفاقية منها ، وهما لا يتصوران إلا في النبي العظيم (ص) ، وأمير المؤمنين (ع) ، لأن ما ذكرناه من المميزات ، في الشمس والقمر ، الأفاقيتين ، موجودة في النبي (ص) ، وعلي (ع) ، وبشكل أعم وأكمل .

أما أولاً : فلأنهما ضياء ونور ، بل منبع الأضواء والأنوار ، ولنا على ذلك شواهد كثيرة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنيراً ﴾^(١) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾^(٢) .

«تفسير العياشي» : عن عبد الله بن سليمان ، قال : سألت الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) ، عن هذه الآية فقال : «البرهان : محمد (ص) ، والنور : علي عليه السلام»^(٣) .

فالنبي الأكرم (ص) هو الشمس المشرقة في العالم المعنوي ، وهو (ص) الذي قال : «أول ما خلق الله نوري»^(٤) فإنه

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٤٥ - ٤٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٧٤ .

(٣) تفسير العياشي : ٢٨٥/١ .

(٤) ينابيع المودة : ص ٩ . وفيه : «وحدِيث : كنت نبياً وآدم بين الماء =

(الشمس) الذي أضاء نوره ظلمات زوايا هذا الكون ، وعلي (ع) هو القمر المنير فيه .

فكما أن القمر يقتبس نوره من الشمس ، فإنَّ علياً (ع) قد اقتبس نوره وضيائه ، من نور الرسول الأكرم (ص) .

وأما ثانياً : فإنهما ، عليهما الصلاة والسلام ، الهاديان والمرشدان للخليقة والموجودات عامة من جهة التكوين ، ومن جهة التشريع ، وفي هذا آيات قرآنية كثيرة منها قوله ، عز وجل : ﴿إنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾^(١) ، وقوله : ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾^(٢) .

«أصول الكافي» : حسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن محمد بن إسماعيل ، عن معدان ، عن أبي بصير ، أنه سأل الإمام جعفر الصادق (ع) ، عن الآية المباركة ، فقال : رسول الله (ص) المنذر ، وعلي الهادي»^(٣) .

= والطين» ، وحديث : «أول ما خلق الله روجي» ، و«أول ما خلق الله نوري . . .» ، و«أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» ، كلها دلائل على سبق نوره صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٧ .

(٣) أصول الكافي : ١٩٢/١ . وفي (فرائد السمطين : ١٤٨/١) : «عن

عبد الله بن عباس ، قال : لما نزلت : ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾

(الرعد : ٧) ، قال النبي (ص) : أنا المنذر ، وعلي الهادي ، وبك يا=

«تفسير علي بن إبراهيم القمي» بأسناده عن أبي بصير ، عن الإمام الصادق (ع) ، أنه قال : المنذر رسول الله (ص) ، والهادي أمير المؤمنين (ع) ، وبعده الأئمة (ع) ، وهو قوله (ولكل قوم هادي) : أي في كل زمان إمام هاد مبین» (١) .

فثبت من الآيات المذكورة ، التي هي جزء من الآيات الكثيرة في هذا الصدد ، أن الرسول الأكرم (ص) ، وأمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من ولده ، عليهم الصلاة والسلام ، هم الهداة للخليفة كلها ، ونقصد من (الهداية) هنا : التربية المعنوية «التكوينية التشريعية» لموجودات الكون ، فهما وأولادهما الأطهار (ع) ، الهداة للكون والخلائق أجمعين .

وأما ثالثاً : فإنهما ، عليهما الصلاة والسلام ، من الآيات الإلهية ، مثل الشمس والقمر بل أعظم وأكبر الآيات الإلهية ، ومن تتبع وتدبّر في آثار أهل البيت (ع) وأقوالهم (٢) ، تجلّى له بدهشة ذلك ، حيث الآيات والأخبار المتكاثرة في ذلك ، ونشير إلى بعضها :

١ - «أصول الكافي» : بأسناده عن داود الرقي قال : «سألت أبا عبد الله (ع) ، عن قول الله ، تبارك وتعالى : ﴿وما تغني

= علي يهتدي المهتدون بعدي» وانظر في (شواهد التنزيل : ٢٩٨/١ - ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد : ٤٥١/١ - ومستدرك الحاكم : ١٢٩/٣) .

(١) تفسير القمي : ٣٥٩/١ .

(٢) كان أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، عليه صلوات الله وسلامه يقول : «ما لله ، عز وجل ، آية هي أكبر مني ، ولا لله من نبأ أعظم مني» . (أصول الكافي : ٢٠٧/١ - ح ٣) .

الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون»^(١) ، قال : الآيات هم الأئمة ، والنذر هم الأنبياء» على نبينا وعليهم الصلاة والسلام^(٢) .

٢- «أصول الكافي» : عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر (ع) ، قال : قلت له : جعلت فداك ! إنَّ الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية ﴿عم يتساءلون * عن النبا العظيم﴾^(٣) ، قال : ... هي في أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، كان أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، يقول : ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ، ولا لله من نبا أعظم مني»^(٤) .

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠١ .

(٢) الأصول من الكافي : ٢٠٧/١ .

(٣) سورة النبا ، الآيتان : ١- ٢ .

(٤) أصول الكافي : ٢٠٧/١ . وفي (شواهد التنزيل : ٣١٧/٢) : «عن أبي حمزة الثمالي ، قال : سألت أبا جعفر عن قول الله تعالى : ﴿عم يتساءلون * عن النبا العظيم﴾ ، فقال : كان علي يقول لأصحابه : أنا والله النبا العظيم الذي اختلف في جميع الأمم بألستها ، والله ما لله نبا أعظم مني ، ولا لله آية أعظم مني» وفيه : «عن أبان بن تغلب قال : سألت أبا جعفر (ع) ، عن قول الله ، تبارك وتعالى : ﴿عن النبا العظيم﴾ ، قال : النبا العظيم : عليّ ، وفيه اختلفوا ، لأنَّ رسول الله (ص) ليس فيه اختلاف» . وقال ابن العاص في قصيدته المعروفة بـ (الجلجلية) ، مخاطباً معاوية :

نصرناك من جهلنا يا بن هند على النبا الأعظم الأفضل

وقال غيره ، وقيل : بل هو لابن العاص أيضاً :

هو النبا العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب

وراجع أيضاً : تفسير فرات الكوفي : ص ٥٣٤ - والبحار : ٣/٣٦ -

والصفار في (بصائر الدرجات) .

٣- «أصول الكافي» «عن أبي عبد الله (ع) ، في قوله تعالى : ﴿عم يتساءلون * عن النبأ العظيم﴾ ، قال : النبأ العظيم : الولاية»^(١) .

٤- «عيون أخبار الرضا» : بأسناده عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) ، عن آبائه (ع) ، أن رسول الله (ص) ، قال لعلي (ع) : يا علي ! أنت حجة الله ، وأنت باب الله ، وأنت الطريق إلى الله ، وأنت النبأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم ، وأنت المثل الأعلى . . .»^(٢) .

نستخلص مما تقدم : إن الآية الإلهية الكبرى هي «الإمام» ، وفسر «الشمس والقمر» بالرسول الأكرم (ص) ، وعلي (ع) ، في الأغلب ، وعلى هذا فالمقصود بالسراج والضيء ، زمن ظهور الإمام ، وإشراق نوره وضيائه ، وبالليل وظلامه ، غيبته واختفاؤه ، بسبب ظلم أهل الجور ، وفي هذا روايات كثيرة نشير إلى بعض منها :

«تفسير الصافي» : في رواية عن الإمام الصادق (ع) ، أنه قال : «الشمس : رسول الله (ص) به أوضح الله للناس دينهم ، والقمر : أمير المؤمنين ، تلا رسول الله ، ونفثه بالعلم نفثاً ، والليل : أئمة الجور الذي استبدوا بالأمر دون آل الرسول (ع) ، وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم ، فغشوا دين الله بالظلم والجور ، فحكى الله فعلهم ، وقال : ﴿والليل إذا

(١) الأصول من الكافي ١/٤١٨ - ح ٣٤ .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) : ٦/٢ - ح ١٣ .

يغشاها ﴿﴾ ، والنهار : الإمام من ذرية فاطمة (ع) ، يُسأل عن دين رسول الله (ص) ، فيجلبه لمن شاء له ﴿﴾^(١) .
ومن الروايات الصحيحة ما روي عن محمد بن عباس بأسناده عن سليمان الديلمي عن الإمام محمد الباقر (ع) ، قال :
«سألته عن قول الله ، عزَّ وجل : ﴿والشمس وضحاها﴾ ؟
قال (ع) :

«الشمس : رسول الله ، أوضح للناس دينهم .

«قلت : ﴿والقمر إذا تلاها﴾ ؟ قال (ع) :

«ذاك أمير المؤمنين ، تلى رسول الله .

«قلت : ﴿والنهار إذا جلاها﴾ ؟ قال (ع) :

«ذاك الإمام ، من ذرية فاطمة ، نسل رسول الله ، فيجلبى

ظلام الجور والظلم ، فحكى الله سبحانه عنه ، وقال (ع) :

﴿والنهار إذا جلاها﴾ يعني به القائم (ع)^(٢) ..

بالدراسة التفصيلية لتأويل الآيات المذكورة ، نستحصل على

تأويل الآيات المباركة التالية : ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ ،

ويتبين أنَّ المقصود من «الضحى» ، عصر الرسالة ، وزمن الرسول

الأكرم (ص) ، وارتفاع أمر الدين ، وظهوره ، وكمال قدرته ،

وبتطبيقها مع رواية سليمان الديلمي ، عن الإمام الصادق (ع)

(١) تفسير الصافي : ٣٣٣/٥ - اللوامع النورانية : ص ٥١٥ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ص ٥٦٣ - تفسير القمي : ص ٤٢٤ - وباختلاف

يسير في تفسير الصافي : ٣٣٣/٥ - وأيضاً في شواهد التنزيل :

٣٣٣/٢ - ونور الثقلين : ٥٨٥/٥ .

تُوَوَّل كذلك بعصر ظهور الإمام الحجة القائم بن الحسن العسكري (ع) ، وتؤيد كل منهما الأخرى ، وتتطابق ، ولا تتعارض .

وكذلك المقصود من ﴿والليل إذا سجي﴾ ، أيام غيبة الإمام ، وظهور الحكومات الظالمة والجاثرة ، حيث أسدلوا ستار الظلم والجور ، على ولاية أهل البيت ، وخفيت خلفه حقيقة الدين ومعالمه ، إلا عن الخواص من الشيعة ، وموالي أهل البيت (ع) ، لأنهم موضع الأسرار .

قال ، عزُّ من قائل : ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ :

«تفسير مجمع البيان» ، و«تفسير الصافي» ، عن «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ، بأسناده عن الإمام محمد الباقر (ع) ، في تأويل الآية المباركة ، أنه قال : «إنَّ جبرئيل أبطأ عن رسول الله (ص) ، وأنه كانت أول سورة نزلت ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ، ثم أبطأ عليه ، فقالت خديجة : لعلَّ ربك قد تركك ، فلا يرسل إليك ! فأنزل الله ، تبارك وتعالى : ﴿ما ودَّعك ربك وما قلى﴾ (١) .

يُفهم من منطوق الآية ، وخطاب الله ، عزَّ وجل ، لنبيه بعدم تركه ، وعدم بغضه ، أنَّه في طهارة دائمة ، ومنزَّه عن كل مذموم ، ومعصوم ومبرأ من كل عيب ، ولولا ذلك ، وكان ممن يصدر منه

(١) تفسير القمي : ٤٢٨/٢ - تفسير الصافي : ٣٤٠/٥ ، وفيه : «روي أنَّ الوحي قد احتبس عنه أياماً ، فقال المشركون : إنَّ محمداً (ص) ، ودَّعه ربه ، وقلاه ، فنزلت» (اهـ) - مجمع البيان : ٥٠٤/٥ - نور الثقلين : ٥٤٠/٥ - الدر المنثور للسيوطي : ٥٤٠/٨ .

معصية وخطأ^(١) ، أن يستوجب الغضب من الله ، عز وجل ، فمن انتفاء الغضب الإلهي ، عليه ، نستدل على عدم صدور ذلك منه ،

(١) قال العلامة الحلبي (ت ٧٢٦ هـ) : «في أن النبي [ص] يجب أن يكون

معصوماً : اختلف المسلمون هنا : فذهبت طائفة منهم إلى أن النبي

يجب أن يكون معصوماً ، من الخطأ والمعصية ، صغيرة كانت أو كبيرة .

وذهب آخرون إلى : أنه لا يجب ذلك فيهم ، فجوزوا على النبي (ع) ،

سرقه درهم وحبّة ، والكذب ، والتطيف في الكيل ، وغير ذلك من

الفواحش . والأول أصح ، وإلا لجاز منه الإخلال ببعض الشرائع ،

والزيادة في بعضها ، والتحريف والتبديل ، والكذب على الله تعالى ،

فيتنفي الوثوق بإخباره ، ويسقط محله من القلوب ، ولا يحصل الجزم

بصدقه ، بل ولا الظن ، فلا تحصل فائدة البعثة . ولأنه إذا فعل

معصية ، وجب الإنكار عليه ، وإيذاؤه وزجره عنها ، وذلك ينافي وجوب

طاعته ، والقبول منه ، وتحريم إيذائه . وأي عاقل يرتضي لنفسه الإنقياد

إلى تقليد من يعتقد هذه المقالة ، ويجعله واسطة بينه وبين الله تعالى ؟

وأي عذر يكون له عند النبي (ص) ، إذا جمع المحشر بينهما ، واضطر

إلى شفاعته ، وقد اعتقد فيه هذه النقائص ؟» (اهـ) . وجاء في

الهامش : «قال العلامة : مذهبنا أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة

خلافاً لـ (الفضيلية) ، وعن الكبائر خلافاً لـ (الحشوية) ، وعن الصغائر

عمداً خلافاً لـ (جماعة من المعتزلة) ، والخطأ في التأويل خلافاً

لـ (الجبائين) ، وسهواً خلافاً للباقيين» (اهـ) (مبادئ الوصول إلى علم

الأصول : ص ١٧١) (راجع الرسالة السعدية للعلامة الحلبي :

ص ٧١) . وقال جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) :

«ونعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، معصومون ، لا يصدر عنهم

ذنب ، لا كبيرة ولا صغيرة ، لا عمداً ولا سهواً ، لكرامتهم على الله

تعالى ، بل ومن المكروه ، لأن وقوع المكروه من التقي نادر ، فكيف

من النبي» . (إتمام الدراية لقراء النقاية : ص ١٩) .

وهذا من دلائل عصمته وطهارته ، وأهل بيته ، عليه وعليهم آلاف التحية والثناء .

﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ :

عندما وعد الله ، سبحانه وتعالى ، نبيه (ص) ، بالآيات السابقة ، وبشّره بظهور دولة الحق ، المتمثلة في ظهور ولده المهدي (ع) ، وألمح من خلالها بدولة الباطل ، وإشاعة الظلم والجور ، تبين أن دولة الباطل قبل دولة الحق ، ولذلك قال الله ، عز وجل ، مخاطباً نبيه : ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ ، لأنّ المتقدمة منهما متلازمة مع الإنقضاء والإنهاء ، ومتعارضة مع الدوام والإستقرار ، بعكس المتأخرة ، فلا منافاة بينها وبين الدوام والبقاء .

ولذلك قدر الحكيم المتعال أن تكون دولة الحق بعد دولة الباطل . وبديهي ظاهر ، أن علة إيجاد الدولتين ، هي امتحان واختبار الناس ، ولأنه لا بد أن يفترق ويتميز الحق من الباطل ، فكان لا بد أن يتعاقب الحق والباطل ودولتهما .

وهكذا نجد أنه ليس المقصود من «الآخرة» ، في الآية ، الآخرة المقابلة لـ (الدنيا) ، بل وعلى حسب ما يفهم من رواية القمي ، عن الإمام جعفر الصادق (ع) ، هي بمعنى : عاقبة الأمر ، وظهور دولة الحق ، مع ظهور الإمام الثاني عشر ، الحجة بن الحسن العسكري ، أرواحنا فداه ، وعجّل الله تعالى فرجه الشريف .

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ :

ما يفهم من الآية الشريفة (وعلى ضوء تسلسل الآيات

قبلها) ، كأنَّ الله ، عزَّ وجل ، خاطب رسوله الكريم (ص) ،
قائلاً : إنَّ ما تحرص عليه من إعلاء كلمة الدين ، وكثرة المؤمنين
برسالتك ، وعزَّتْهم ، سيكون مع ظهور ولدك القائم من آلِكَ
(ع) ، بحيث أنه سيسخر لدينك الشرق والغرب ، ويرتفع أمره
عالياً ، ويشيع الإيمان ، ويزداد المؤمنون ، حتى يبلغ أملك ،
ويحصل رضاك وطلبك .

ورأى بعض المفسرين^(١) ، استناداً إلى أحاديث الأئمة
الطاهرين (ع) : أنَّ المقصود من هذه الآية الكريمة : «الشفاعة» ،
وهي التي وعد الله بإعطائها إلى النبي (ص) ، فيرضى .

وعليه ، يكون معنى الآية : سيدخل من المؤمنين المذنبين
الجنة بشفاعتك ، وشفاعة أهل بيتك ، بمقدار ترضى معه .
وهذا ما يؤيد التفسير السابق من ظهور دولة الحق ،
وإعلاء وسيطرة كلمة الإيمان والتوحيد ، بما يزداد معها عدد
المؤمنين ، فيدخل الله بشفاعة النبي وآله عدداً كبيراً من المؤمنين
المذنبين ، بحيث يؤدي ذلك إلى سرور النبي ورضاه ، علماً بأنَّ

(١) روى الفيض الكاشاني ، رضوان الله تعالى عليه : عن الإمام الصادق
(ع) ، أنه قال : «رضى جدي أن لا يبقى في النار موحد . وقال
محمد بن الحنفية : يا أهل العراق ! تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله
تعالى : ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية . وأنا أهل البيت نقول : أرجى
آية في كتاب الله ، عزَّ وجل : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ﴿ : هي
والله الشفاعة ليعطينا في أهل لا إله إلا الله حتى يقول : ربي رضيت» .
تفسير الصافي : ٣٤١/٥ - وفي (المجمع : ٥٠٥/٥) : «معناه :
وسيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة ، والحوض ، وسائر أنواع
الكرامة فيك ، وفي أمك ما ترضى به» . (اهـ) .

الكفار ، والمنافقين ، ومنكري ولاية أهل البيت ، لا يدخل الجنة منهم أحد البتة .

﴿ألم يجدك يتيماً فاوى﴾^(١) :

اليتيم في اللغة^(٢) : على معنيين :

(١) قال النسفي (ت ٧٠١ هـ) في تفسير الآية : «فاوى : أي فاواك إلى عمك أبي طالب ، وضمك إليه حتى كفلك ورباك ﴿ووجدك ضالاً﴾ : أي غير عالم ، ولا واقف على معالم النبوة ، وأحكام الشريعة ، وما طريقة السمع ﴿فهدى﴾ : فعرفك الشرائع والقرآن . وقيل : ضل في طريق الشام ، حين خرج به أبو طالب ، فرده إلى القافلة . ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ، ووقوع في غي ، فقد كان ، عليه الصلاة والسلام ، من أول حاله إلى نزول الوحي عليه ، معصوماً من عبادة الأوثان ، وقاذورات أهل الفسق والعصيان» (اهـ) . (تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) : ٣/١٩٧٥) .

(٢) ● قال الياس كلانترى : اليتيم هو الذي مات أبوه وهو صغير ، قبل البلوغ ، وكل حيوان يتيم من قبل أمه إلا الإنسان فإنه من قبل أبيه . (مفردات القرآن في مجمع البيان : ص ٤٢٨) .

● وقال القيومي (ت ٧٧٠ هـ) : «اليتيم في الناس من قبل الأب فيقال : صغير يتيم والجمع (أيتام) ، و (يتامى) ، وصغيرة يتيمة ، وجمعها (يتامى) ، وفي غير الناس من قبل الأم ، و (أيتمت) المرأة (إيتاماً) فهي (موتم) : صار أولادها (يتامى) ، فإن مات الأبوان ، فالصغير (لطيم) ، وإن ماتت أمه فقط ، فهو (عجى) ، ودرّة يتيمة : أي لا نظير لها ، ومن هنا أطلق (اليتيم) على كل فرد يعزّ نظيره» (المصباح المنير : ص ٦٧٩) .

● وقال ابن منظور الأفرقي (ت ٧١١ هـ) : اليتيم الذي مات أبوه ، فهو يتيم حتى يبلغ ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم . . . ويقال للمرأة =

١ - الطفل الذي فقد أبويه أو أحدهما .

٢ - من يكون وحيداً بين أقرانه ، وبلا نظير مثله .

والملاحظ أنها تنطبق على النبي بالمعنيين معاً :

أما على المعنى الأول : فمعروف أن النبي (ص) ، ولد بعد مرور أشهر على وفاة والده ، وتكفله جده عبد المطلب ، وتوفي جده وعمره ثمانية أعوام ، ثم قام عمه أبو طالب بكفالته ورعايته ، ولذلك يذكر الله ، عز وجل ، النبي (ص) ، بأنه كان يتيماً فاقد الأب ، فأواه الله وحفظه بوسيلة جده وعمه ، ولم يتركه بلا حافظ ، وكفيل .

وأما على المعنى الثاني : فمعلوم أن الله ، تبارك وتعالى ، خلق أول ما خلق نور محمد (ص) ، وذلك على حسب قوله ، عليه الصلاة والسلام : «أول ما خلق الله نوري» ، ثم خلق الكون والكائنات جميعها لأجله ، ومن شعاع نوره ، وهذه واحدة من صفات كثيرة امتاز بها ، وانفرد من خلالها ، عن جميع الكائنات والموجودات .

وبهذا التقريب يكون معنى الآية ، ما ورد عن الإمام الرضا (ع) أنه قال في الآية : «أي ألم يجعدك وحيداً ، فأوى إليك

= يتيمة ، لا يزول عنها اسم اليتيم أبداً ، وقال أبو عبيدة : تدعى يتيمة ما لم تتزوج ، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتيم . . . وكل شيء مفرد بغير نظيره ، فهو يتيم ، يقال : درة يتيمة ، وكل مفرد ومنفردة عند العرب ، يتيم ويتيمة» (لسان العرب : (يتيم) .

الناس»^(١) بمعنى خلقك أولاً ، ثم خلق الخلق من أجلك ، ومن نورك .

﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ :

يعني : كنت ضائعاً ومجهولاً بين الناس ، لا يعرفون قدرك ، وعظمتك ، ثم عرفك الله لهم ، وهداهم إليك .

وفي كتاب «عيون أخبار الرضا ، عليه السلام» بأسناده إليه ، أنه قال في تفسير الآية : «وضالاً في قوم لا يعرفون فضلك ، فهداهم إليك»^(٢) .

﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ :

المقصود من العائلة ، في الآية المباركة : أمة محمد والمسلمين ، بمعنى أن الله ، عز وجل ، أغنى أمة محمد (ص) ، بعلوم محمد (ص) ، وهدايته لهم ، كما في «تفسير الصافي»^(٣) بأسناده عن الإمام الرضا (ع) قال : «وعائلاً تعول أقواماً بالعلم ، فأغناهم الله بك» .

﴿فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر﴾ :

(١) نور الثقلين : ٥٩٥/٥ - تفسير العياشي : لم نجده في المطبوع سنة (١٣٨١ هـ) إذ انتهى المجلد الثاني من التفسير بالعبارة التالية : «إلى هنا تم الجزء الثاني حسب تجزئتنا ، وبه تم ما ظفرنا به من هذا الكتاب . . .» والعمروسي الحويزي نقل كلام الإمام الرضا (ع) الوارد في المتن ، عن تفسير العياشي ، لذلك اقتضى التنويه فتدبر (العسيلي) .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) : ١٥٨/١ .

(٣) تفسير الصافي : ٣٤١/٥ نقلاً عن تفسير العياشي .

الخطاب في منطوق الآيتين للنبي (ص) ، ولكن لسمع ويقراً الناس عبر هذا التخاطب ، من باب (إياك أدعو واسمعي يا جارة) ، ولا يحتاج النبي بنفسه إلى هذه الوصية ، وهو الذي يحدث التاريخ عنه ، أنه كان مأوى الأيتام ، وملجأ الفقراء ، من أيام طفولته ، ولم يردّ سائلاً ، أو يتيماً ، عن بابه قط ، ومن كان هكذا فلا يحتاج إلى تلك الوصية .

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ :

يعني : يا رسول الله ! حدث وأبلغ الناس عن نعمة «الولاية» التي وهبك الله ، عزّ وجل ، إياها ، ليتعرّف الناس على علو مقامك ، وفضل منزلتك عند الله ، لأنّ في معرفتهم لك ، ولآل بيتك ، والإعتراف بولايتكم ، عبادة لله ، عزّ وجل ، وخير وسيلة يتقربون بها إلى الله ، سبحانه وتعالى .

مع ما مضى من بيان تفسير أهل البيت (ع) ، لسورة «الضحى» ، ثبت أنّ المقصود من «الضلال» في السورة ، ليس «الإنزلاق» ، والوقوع في الضلال» ، في مقابل «الهداية» ، كما قال بعض أهل الظاهر ، الذين لم يتعرفوا على فكر أهل البيت ، وموقعهم العلمي الرفيع ، فوقعوا في متاهات الجهل ، وأسأؤوا إلى النبي ، بنسبتهم إليه (ص) ، عدم الهداية ، وعدم المعرفة بالله ، فضلوا هم^(١) ، وأضلوا أتباعهم السذج .

وكذلك شأن كل آية ، ينسب ظاهرها عدم الهداية ،

(١) قال الشيخ جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤ هـ) في تفسير الآية : «ووجدك ضالاً : عما أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فهدي﴾ : أي فهداك إليها» (تفسير الجلالين : ص ٥١٣) .

والإنحراف ، والخطأ ، إلى أحد من الأنبياء والأولياء ، فإنها ،
وباليقين ، من الآيات المتشابهة ، التي تضطر في تفسيرها وتأويلها
للرجوع إلى أهل البيت (ع) ، وتفسيرهم ، وإرشادهم إلى ما هو
الحق فيها ، وبيان إرادة الله تعالى ، ومقصوده منها .

وأما من يأخذ بظاهر الآيات ، ويعتمد في تفسيرها على فكره
القاصر ، وينسب الذنب والمعصية إلى الأنبياء والأولياء ، فإنه آثم
قطعاً ، بانحرافه هو ، وحمل الآخرين على الإنحراف عن العقيدة
السليمة ، والصراط المستقيم ، وبذلك يقترفون أكبر الإثم تجاه
التوحيد ، والقرآن ، والدين ، بحيث يشكل ذلك كسراً لا يجبره
شيء .

إلى هنا ، وقد ذكرنا ، فيما مضى ، بعض الآيات القرآنية
المتشابهة ، المتكاثرة في القرآن ، وذكرنا تأويلها الحق ، عن أهل
البيت (ع) ، من باب التمثيل ، لا الحصر ، ليتعرف المطالع
الكريم ، من خلالها ، على نماذج من علم أهل البيت بالقرآن ،
فيقتبس من نورهم ، ويهتدي بهداهم ، ويسترشد بالوقوف على
المعاني الحقيقية للآيات القرآنية ، ثم نتقل بعد ذلك إلى بحوث
ومفاهيم أخرى من القرآن الكريم ، وما توفيقني إلا بالله ، عليه
توكلت ، وإليه أنيب .

الحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ
فِي فَوَاحِشِ السُّورِ الْفَرَّانِيَّةِ

الحروف المقطعة في فواتح السور القرآنية :

إنَّ بعض السور القرآنية ، تبتدىء بكلمات مثل : (ألم) ، (المر) ، (المص) ، (كهيعص) ، (حم) ، وأمثالها ، ولم تكن لها معان واضحة ظاهرة ، وهذه الكلمات تسمى : «الحروف المقطعة» ، أو فواتح السور» ، وإنها من الآيات المتشابهة ، عند أكثر المفسرين ، وذكروا لها معاني وتفسيرات مختلفة ، نشير إلى بعضها :

١ - عن ابن عباس ، قال : إنَّ كل كلمة منها تشير إلى اسم من أسماء الله ، تبارك وتعالى ، مثلاً : (الم) يعني : «أنا الله أعلم» ، و(المر) يعني : «أنا الله أعلم وأرى» ، و(المص) يعني : «أنا الله أعلم وأفصل»^(١) .

٢ - سعيد بن جبير ، يقول : إنَّ الحروف المقطعة يتألف منها «الإسم الأعظم» لمن كان يعرف كيفية تأليفها ، مثلاً : يتألف من

(١) راجع مجمع البيان : ٣٢/١ .

تركيب ثلاثة أسماء منها ، وهي (الر . حم . ن) كلمة «الرحمن» ،
الذي هو من أسماء الله ، عز وجل ، ولكن علم التأليف هذا
مخصوص بالمعصومين ، ومن عندهم علم الكتاب^(١) .

٣ - قتادة : من رأيه أن كلاً من الحروف المقطعة ، إسم من
أسماء القرآن^(٢) .

٤ - عكرمة ، يقول : إنَّ كلاً منها إسم من أسماء الله ،
فأقسم الله بها^(٣) .

٥ - الثعلبي في تفسيره : مسنداً إلى علي بن موسى الرضا
(ع) ، قال : سئل جعفر بن محمد الصادق (ع) عن قوله «الم» ،
فقال : «في (الألف) ست صفات من صفات الله ، عز وجل :

١ - الإبتداء : فإن الله عز وجل ابتداء جميع الخلق ، والألف
ابتداء الحروف .

٢ - الإستواء : فهو عادل غير جائر ، والألف مستو في ذاته .

٣ - الإنفراد : فالله فرد ، والألف فرد .

٤ - اتصال الخلق بالله : والله لا يتصل بالخلق ، وكلهم
يحتاجون إليه ، والله غني عنهم .

٥ - والألف كذلك لا يتصل بالحروف ، والحروف متصلة

(١) المصدر نفسه : ٣٣/١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

به ، وهو منقطع عن غيره .

٦ - والله تعالى باين بجميع صفاته من خلقه ، ومعناه من «الألفة» فكما أن الله ، عز وجل ، سبب ألفة الخلق ، فكذلك (الألف) ، عليه تألفت الحروف ، وهو سبب ألفتها^(١) .

٧ - حبيب الله النجومي ، في كتابه «ديوان دين» : رفض كل الأقوال المذكورة ، وحمل عليها بشدة ، وراح يذكر للحروف المقطعة تأويلات وتفسيرات من نسجه ، ولأنه لم يستند فيها إلى دليل مقبول ، ويتعارض بعضها مع قواعد اللغة ، ولم يلحظ فيها أقوال المعصومين (ع) ، فإن أقواله ساقطة عن الإعتبارات العلمية ، ولا قيمة لها عند العلماء والمحققين منهم .

٨ - والقول الحق في الموضوع هو قول المسلمين الشيعة ، ووافقهم عليه بعض علماء العامة : إن الحروف المقطعة هي من الأسرار الإلهية ، ولا يطلع عليها إلا المعصومون ، عليهم الصلاة والسلام ، وإن معانيها عندهم ، وإنها رموز بين الله ، وبين أوليائه المصطفين ، محمد وآله الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وعلى كل حال ، إنها تسع وعشرون سورة ، افتتحت بالحروف المقطعة ، وفيها ، وفي فواتحها أقوال ونكات لطيفة نذكر منها ما يلي :

إذا حذفنا الحروف المتكررة منها ، تبقى أربعة عشر حرفاً ، وهي نصف حروف اللغة العربية ، وتتألف منها الجملة الآتية :

(١) المصدر نفسه : ٣٢/١ - تفسير نور الثقلين : ٣٠/١ - ح ٩ .

«صراط عليّ حق نمسكه»^(١) ، ويؤيد هذا المعنى ما يلي :

(أ) قول الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير^(٢) : «ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب ، فقد اهتدى» ، وروي عن رسول الله (ص) أنه قال : «اللهم أدر الحق مع علي حيثما دار»^(٣) .

(ب) شهاب الدين الألوسي في تفسيره «روح المعاني» : «ومن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى» .

(ج) تفسير الزواري : عن رسول الله (ص) ، قال : «حب علي إيمان ، وبغضه كفر»^(٤) .

(١) راجع مصباح المتعبد للشيخ الطوسي - الطبعة الحجرية : ص ٣٨٢ - وتفسير الصافي : ٧٨/١ .

(٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ١١١/١ .

(٣) أخرج ابن مردويه في «المناقب» ، عن أبي ذر ، أنه سئل عن اختلاف الناس ، فقال : عليك بكتاب الله ، والشيخ علي بن أبي طالب (ع) ، فإنني سمعت النبي (ص) يقول : عليّ مع الحق ، والحق مع علي ، وعلى لسانه ، والحق يدور حيثما دار عليّ» (الغدِير : ١٧٨/٣) . وقد صح عنه (ص) ، قوله : «رحم الله علياً ، اللهم أدر الحق معه حيث دار» (مستدرک الحاكم : ١٢٥/٣ - وجامع الترمذي : ٢١٣/٢ - كنز العمال : ١٧٥/٦ ويمكن مراجعة مصادر الحديث وألفاظه ، في الغدير : ١٧٦/٣ وما بعدها - وراجع أيضاً المناقب للخوارزمي : ٥٦/١) .

(٤) عقد أخطب خوارزم في (مناقبه : ص ٢٥) ، فصلاً بعنوان : «في محبة الرسول (ص) إياه - يعني علي بن أبي طالب (ع) - وتحريضه على =

.....

= محبته ، ومولاته ، ونهيه عن بغضه» . كما أن الكنجي الشافعي (المقتول ٦٥٨ هـ) أفرد فصلاً في كتابه (كفاية الطالب : ص ٦٨) بعنوان : «في أن محبة علي (ع) ، آية الإيمان ، وبغضه آية النفاق» . وأفرد الشيخ شمس الدين أبي الخير محمد الجزري الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) في كتابه (أسنى المطالب : ص ٥٠) عنواناً جاء فيه : «ما تواتر عن علي (ع) ، ورواه عنه جماعة من أرباب الصحاح الست وغيرهم ، من أن رسول الله (ص) ، عهد إليه أنه : «لا يحبه إلا مؤمن ، ولا يبغضه إلا منافق» . وراجع أيضاً عن الحديث : (مناقب ابن المغازلي الشافعي (ت ٤٨٣) : ص ١٨٥) . وقد توسع العلامة الأميني ، عليه الرحمة ، وله الرضوان ، في كتابه (الغدير : ١٨٣/٣) بذكر مجموعة ضخمة من أصول ومصادر العامة الحديثية ، تحدد ورود الحديث بوجوه وأسناد ، وألفاظه .

النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم :

تعريف النسخ :

● (النسخ) في اللغة^(١) : الإزالة ، والإبطال ، والنقل ،

(١) ● قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : «نسخ : النسخ إزالة شيء بشيء يتعقبه ، كنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس ، والشيب الشباب . فتارة يُفهم منه الإزالة ، وتارة يُفهم منه الإثبات ، وتارة يُفهم منه الأمران . ونسخ الكتاب : إزالة الحكم بحكم يتعقبه ، قال تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها﴾ (البقرة : ١٠٦) : قيل معناه ما نزيل العمل بها ، أو نحذفها عن قلوب العباد ، وقيل : معناه ، ما نوجده وننزله من قولهم «نسخت الكتاب» ، وما نسأه : أي نؤخره فلم ننزله ، (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) . ونسخ الكتاب : نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر ، وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى ، بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى ، كاتخاذ نقش الخاتم في شموع كثيرة . والاستنساخ : التقدم بنسخ الشيء والترشح للنسخ . وقد يُعبر بالنسخ عن الاستنساخ ، قال : ﴿إننا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ والمناسخة في الميراث : هو أن يموت ورثة بعد ورثة ، والميراث قائم =

نسخت الشمس الظل : أي أزالته ، وأبطلته ، وفي الحديث :
«شهر رمضان نسخ كل صوم : أي أزاله وأبطله» . ومنها الآية
الكريمة : ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾^(١) :
أي فيزيل الله .

والنسخ في الكتابة : بمعنى الانتقال من حرف إلى حرف ،
غالباً من دون تغيير . و(نسخ الكتاب) : أي نقله واكتبه حرفاً
بحرف ، وفي هذا المعنى ، قوله ، عز وجل : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ
مَا كُتِبَ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) . وجاء (النسخ) بمعنى التابع ، والتوالي ،
والتعاقب ، مثل : «تناسخ الأزمنة» . و(التناسخ) : انتقال الروح
من بدن إلى بدن آخر ، كما قالوا .

و(التناسخ) في الميراث : موت الورثة واحداً بعد آخر ، قبل
توزيع الإرث وتقسيمه .
و(النسخ) في اصطلاح المشرعة وعلماء التفسير^(٣) : «رفع

= لم يُقسم ، وتناسخ الأزمنة والقرون : مضي قوم بعد قوم يخلفهم .
والقائلون بالتناسخ : قوم ينكرون البعث على ما أثبتته الشريعة ،
ويزعمون أن الأرواح تنتقل إلى الأجسام على التأيد» . (اهـ) (المفردات
في غريب القرآن : ص ٤٩٠) .

● وقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) : «النسخ في اللغة : عبارة
عن التبديل ، والرفع ، والإزالة ، يُقال : نسخت الشمس الظل ،
أزالته» . (اهـ) . (التعريفات : ص ٢٤٠) .

(١) سورة الحج ، الآية : ٥٢ .

(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٢٩ .

(٣) قال الشريف الجرجاني : «النسخ في الشريعة : هو بيان انتهاء الحكم
الشرعي في حق صاحب الشرع ، وكان انتهاؤه عند الله تعالى معلوماً ، =

الحكم الشرعي بدليل متأخر عن الدليل المتقدم»، أو «رفع الحكم الشرعي الثابت بانقضاء زمانه ومدته» .

● ما هو البداء ؟

إنَّ موضوع البداء ، خارج بذاته عن بحثنا ، ولكننا نذكره باختصار ، لشدة ارتباطه ومناسبته مع «النسخ» .

قلنا : إنَّ النسخ في مصطلح أهل الشرع : رفع حكم ثابت وشرعي ، بانقضاء زمانه ، ولا بد من القول ، في تعريف (البداء) : إذا كان الرفع في التشريع ، فهو «نسخ» ، وإذا كان في التكوين فهو «البداء» .

وبعبارة أخرى : «النسخ» بداء في التشريع ، و«البداء» نسخ في التكوين ، ولنا في البداء آيات في القرآن الكريم : ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^(١) ، وكذلك : ﴿إنَّ يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾^(٢) ، وكذلك : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾^(٣) .

والآيات المذكورة دليل على وقوع البداء في التكوينات ، وتتفرع من البداء ، مسائل اعتقادية فلسفية كثيرة ، لا مجال لذكرها في هذا المجال الضيق ، وسوف نببحثها في الأجزاء القادمة من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

= إلا أن في علمنا كان استمراره ودوامه بالناسخ ، علمنا انتهاءه ، وكان في حقنا تبديلاً وتغييراً» . (اهـ) . (التعريفات : ص ٢٤٠) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٣٩ .

● هل حصل النسخ ؟ :

قال بعضهم باستحالة حصول النسخ في الشريعة ، لأنَّ النسخ فيها - على حد قولهم - يعني إبطال حكم ونقضه ، لأنَّ إبطال حكم وإبداله بحكم آخر ، لا يكون إلا بعامل الجهل ، أو الندامة ، وهما ممنوعان على الله ، عزَّ وجل ، وهو منزَّه عن نسبة النقص إليه .

ولكن هذا القول توهم باطل ، ناشىء من عدم التتبع والتحقيق في المعنى الواقعي للنسخ ، لأنَّ النسخ في الشرايع والأحكام ، ليس من باب الإبطال والنقض ، بل هو كما قلنا من قبل ، بمعنى : انتهاء الحكم الشرعي ، وانقضاء مفهومه ، لأنَّ الأحكام قابلة للتعديل والتغيير من قبل الله ، تبارك وتعالى ، حسب المصالح المكانية والزمنية التي يرتئها ، وهذا ما اتفق عليه المسلمون ، فمثلاً : شريعة موسى نسخت قسماً من شريعة إبراهيم (ع) ، ونسخ الإنجيل بعض ما في التوراة ، وأخيراً نسخ الإسلام جميع الشرايع والأديان السابقة .

والعلة في ذلك : أنَّ الأحكام الشرعية ، إنما وضعت على حسب مصالح البشر ، والمصالح هذه تتغير وتتبدل مع تغيير الزمن ، فتقتضي الحكمة الإلهية أن يشرع لكل زمان ما يتماشى ويتلاءم معه ، وكما يجوز أن ينسخ شريعة بأخرى ، كذلك يجوز أن ينسخ قسماً من أحكام شريعة ، بأحكام أخرى متأخرة ، ولنا في تغيير القبلة ، ونسخها بأخرى خير دليل على ذلك .

وانفرد أبو مسلم ، محمد بن بحر الأصفهاني^(١) في رأيه

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، أبو مسلم (٢٥٤ - ٣٢٢ هـ / ٨٦٨ - =

أنه : لم يقع النسخ في أية آية قرآنية^(١) ، ويعتقد أن النسخ في

= (٩٣٤ م) : وال من أهل أصفهان . معتزلي من كبار الكتاب . كان عالماً بالتفسير ، وبغيره من صنوف العلم ، وله شعر . ولي (أصفهان) وبلاد فارس ، للمقتدر العباسي ، واستمر إلى أن دخل ابن بويه (أصفهان) سنة (٣٢١ هـ) ، فعزل . من كتبه : جامع التأويل : في التفسير ، أربعة عشر مجلداً ، جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصاً منه ، وردت في «مفاتيح الغيب» ، المعروف بـ «تفسير الفخر الرازي» ، وسماها : «ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل» طبع في جزء صغير . ومن كتبه أيضاً : الناسخ والمنسوخ . وكتاب في النحو ، و«مجموع رسائله» . (إرشاد الأريب : ٤٢٠/٦ - ابن النديم : ص ١٣٦ - مقدمة ملتقط جامع التأويل - الأعلام للزركلي : ٥٠/٦) .

(١) قال أبو بكر محمد بن حازم الهمداني (ت ٥٨٤ هـ) : «النسخ في القرآن هو إبطال الحكم مع إثبات الخط ، وكذلك هو في السنة ، أما في الكتاب : فهو أن تكون الآية الناسخة والمنسوخة ، ثابتتين في التلاوة ، إلا أن المنسوخة لا يعمل بها ، مثل عدة المتوفى عنها زوجها ، كانت سنة لقوله تعالى : ﴿متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ (البقرة : ٢٤٠) ، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر ، في قوله تعالى : ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ (البقرة : ٢٣٤) ، أما في السنة : فعلى نحو من ذلك أيضاً لأن الغالب أنهم نقلوا المنسوخ ، كما نقلوا الناسخ» (اهـ) (الإعبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار : ص ٨) .

● وقال ابن البارزي (ت ٧٣٨ هـ) : «النسخ في القرآن لمعنيين : نقل الكتابة ، كقوله تعالى : ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ (الجاثية : ٢٩) ، ورفع حكم ثابت بخطاب ثان لولاه لكان ذلك الحكم ثابتاً بالخطاب الأول . والناسخ : رافع الحكم ، والمنسوخ المرفوع المتروك حكمه والعمل به ، وأصله ثلاثة أنواع : أحدها : ما نسخ حكمه وخطه كما قال ابن مسعود (ت ٣٢ هـ) . . . والثاني : ما رفع خطه ، وحكمه =

القبلة لم يتوجه إلى آية قرآنية ، بل إلى حكم لا نعرف مصدره ، هل كان اجتهاداً من النبي (ص) ، أم كان وحياً بأمر إلهي خارج عن القرآن ، لأن الوحي لم ينحصر بالقرآن !

ولكن هذا الرأي مردود، بإجماع المسلمين على إمكان نسخ آية بآية قرآنية أخرى ، ولا مانع من بقاء الآية المنسوخة في القرآن ، يثاب المسلمون بتلاوتها ، ويتذكرون اللطف والرحمة الإلهية بإلغاء حكم كان مطابقاً لمصلحة المسلمين ، في صدر الإسلام، والاستبدال به حكماً آخر يتماشى مع كل الأزمنة ، ويتطابق مع مصلحة المسلمين في كل العصور .

وعلى كل الأحوال ، لا يمنع في العقل من أن يشرع الله ، الحكيم القادر ، حكماً لمصلحة يعرفها ، لمدة زمنية يعلمها هو ، ويخفيها عن الناس ، وعند بلوغ الأجل المعين عنده ، يشرع حكماً جديداً ، ينسخ الحكم الماضي . وذلك لأن عقول

= ثابت نحو آية الرجم . . . والثالث : ما نُسخ حكمه ولم يرفع خطه ، وهو المحدود والمقصود بالتصنيف . . . » (اهـ) (ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه : ص ١٩) .

● وقال مكّي بن أبي طالب المغربي : (ت ٤٣٧ هـ) : «النسخ في الإصطلاح : هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر ، فالحكم المرفوع يسمى : «المنسوخ» ، والدليل الرافع يسمى : «الناسخ» ، ويُسمى الرفع : «النسخ» . (اهـ) . (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : ص ٤١) ، وينظر في معنى النسخ : مقاييس اللغة : ٤٢٤/٥ - مفردات الراغب : ص ٥١١ - الإعتبار للحازمي : ص ٥ - اللسان والتاج (نسخ) - المصنفى بأكف أهل الرسوخ لابن الجوزي : ص ١٢ - الناسخ والمنسوخ للزهري : ص ١٦) .

البشرية ، تتقدم في سيرها التكاملي ، ولا بد للأحكام الإلهية ، أن تواكب هذا التكامل بما يتلاءم وعقولها ، وبهذا تتوضح إمكانية النسخ ، بل وجوب ذلك في بعض الموارد ، فإنَّ لبعض الأحكام ، حكماً ثابتاً ، مهما تغيرت الأزمنة والأمكنة ، مثل : حرمة شرب الخمر ، ونكاح المحارم ، والقمار .

ولكن البعض الآخر معرض للتعديل والتغيير ، مع اختلاف الأزمنة والأعصار ، إلا في حال يُحكم على العقول والأفكار ، أنها بلغت حدّها من الكمال ، أو أن الحكم النازل يتمشى مع كل العصور والعقول ، وأنها لاحظت مصالح البشرية في أدوارها كلها ، مثل «القرآن الكريم» الذي لا تفقد أحكامه صلاحيتها ، مع تحولات العقول والأفكار ، ويظل يوافق متطلبات كل العصور ، ويحافظ على دوره الإعجازي في كل المجالات العلمية ، والفكرية ، في شرق الأرض وغربها ، كما وصفه الله ، عزَّ وجل ، في قوله : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾^(١) .

إنه مهما تطور المستوى العلمي ، وتعمق البشر في أسرار الخلقة ، ورموز الكون ، فإنَّ القرآن يتجلى أبداً بإعجازه ، وعمقه العلمي .

وكذلك الجانب التشريعي فيه ، فإنه يضمن سعادة البشرية في كل أدوارها ، ومجتمعاتها ، ويلبي حاجاتها الإنسانية ، والأخلاقية ، والمعيشية ، وغيرها من الأمور ، مما لا مفر للإنسان المتتبع لمفاهيمه ، والمنصف في حكمه ، إلا أن يدعن ، ويقر به ، إنه : الكتاب السماوي الذي يسع عقول الناس جميعهم ،

(١) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

ويساير ركبهم ، في الأزمنة كلها ، وهو الناسخ لكل الشرايع قبله ،
ولا تنسخه شريعة بعده .

● أقسام النسخ :

١ - نسخ التلاوة والحكم : كما في رواية عائشة ، أنها
قالت : « كان فيما أنزل الله عشر رضعات يحرم من ، فنسخت
بخمس»^(١) .

٢ - نسخ التلاوة فقط : كما في الرواية التالية : « كان في
القرآن : « الشيخ والشيخة ، إذا زنيا فارجموهما نكالا من الله ،
والله عليم حكيم»^(٢) فلا توجد الآية في القرآن ، ونسخت منه ،
وإن كان الحكم ثابتاً فيه .

(١) الإعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار : ص ١٨٧ - مناهل العرفان :
١١٠/٢ .

(٢) عن ابن عباس ، قال : « قال عمر بن الخطاب : لقد خشيت أن يطول
زمان ، حتى يقول قائل ما أجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك
فريضة من فرائض الله ، ألا وإنَّ الرجم حق ، إذا أحسن الرجل ، وقامت
البينة ، أو كان حمل ، أو اعتراف ، وقد قرأتها : « الشيخ والشيخة إذا
زنيا فارجموهما البتة» رجم رسول الله (ص) ، ورجمنا بعده» (شرح سنن
ابن ماجه : ١١٦/٢ - ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه : ص ١٩ - مناهل
العرفان : ١١١/٢ - الفرقان : ص ١٥٧ . وقال ابن الخطيب بخصوص
الآية المزعومة : « ويزعمون أن عمر (رض) قد همَّ بكتابتها فعلاً في
المصحف ، لولا أنه لم يجد شاهدين يؤيدانه عليها . وهذا قول فاسد ،
باطل ، مردود . فلو أراد عمر كتابتها ما استطاع منعه إنسان . . . » وقال
ابن الخطيب قبل ذلك : « ويستدلون على باطلهم هذا بإيراد آية من هذا
النوع يدعون نسخها ، ويعلم الله تعالى أنها ليست من القرآن ، ولو
كانت منه لما أغفلها الصحابة ، رضوان الله تعالى عليهم ، ولدونها =

٣ - نسخ الحكم دون التلاوة : مثل الآية المباركة : ﴿فأينما تولّوا فثم وجه الله﴾^(١) ، فإنها نسخت بالآية الكريمة : ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾^(٢) ، والآية الأولى موجودة في القرآن ، وإن نُسخ حكمها .

والنسخ بالشكلين الأولين : حاله حال تحريف القرآن ، فإن القول به ، والإعتقاد فيه ، خطأ كبير ، ومساوق ومعاذل للكفر ، وإنَّ الحديثين المرويين من الأخبار الشاذة ، ومن الأحاد ، ولا يترتب عليهما أي أثر علمي .

ولكن النسخ بالمعنى الثالث : فإنَّ المحققين من العلماء ، أقرّوا بذلك ، واعترفوا والتزموا بأنَّ في القرآن آيات نسخت أحكاماً لشرايع ماضية ، كما أن فيه آيات نسخت أحكاماً نازلة في صدر الإسلام ، بأحكام أخرى غيرها .

● أقسام النسخ^(٣) :

١ - نسخ الحكم القرآني بالسنة المتواترة ، أو الإجماع

= السلف الصالح في مصاحفهم وهي : «الشيخ والشيخة . . .» ، و«إنا أنزلنا المال . . .» ، و«إن ذات الدين عند الله . . .» ، «إن الله سيؤيد هذا الدين . . .» ، «يا أيها الذين آمنوا . . .» وكثير غير هذا يضيق المقام عن ذكره ، ويعلم العقلاء أنه ليس بكلام الخالق تعالى ، وليست له حلاوته ، وليست به حلاوته وعذوبته ، وليست عليه بهجته ، بل وتبرأ من ركاكته المخلوقون ، فكيف برب العالمين» . (اهـ) .
(الفرقان : ص ١٥٨) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

(٣) قال ابن البارزي (ت ٧٣٨ هـ) : «النسخ أربعة أنواع : أحدها : نسخ =

المحصل ، الكاشف عن قول المعصوم ، وهو لا غبار على إمكان حصوله ، وهو ثابت لا إشكال فيه عقلاً ، ولا نقلاً .

٢- نسخ الحكم الثابت في القرآن ، بآية أخرى ، بحيث أن الآية الثانية ، ترفع حكم الآية الأولى ، وهذا النوع أيضاً لا إشكال فيه ، من العقل والنقل .

٣- نسخ الحكم الثابت في القرآن ، بآية أخرى لا تبين رفع حكم الآية الأولى ، بل حصول التنافي بين الآيتين ، يدلنا على نسخ الآية السابقة بالآية اللاحقة ، فلا وجود لهكذا نسخ في القرآن ، وكيف يمكن وجود ما يؤدي إلى التناقض في الآيات القرآنية ، وهذا أمر محال ، تشير إليه الآية الكريمة : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(١) ، فإنها تنفي أي اختلاف بين ألفاظ ومعاني القرآن الكريم .

● شروط النسخ^(٢) :

١- أن يكون النسخ بالخطاب ، فزوال الحكم عن المكلف

= الكتاب بالكتاب ، وهو جائز لقوله تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها (ننساها - خ ل) نأتٍ بخير منها أو مثلها﴾ (البقرة : ١٠٦) ، ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ (النحل : ١٠١) . الثاني : نسخ السنة بالكتاب ، وهو جائز . . . الثالث : نسخ السنة بالسنة ، وهو جائز . . . الرابع : نسخ الكتاب بالسنة : فهو جائز عند أبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ) ، ممتنع عند الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) . (اهـ) (ناسخ القرآن العزيز : ص ٢٠) .

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٢ .

(٢) قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : «شروط النسخ خمسة : أحدها : أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متناقضاً ، فلا يمكن العمل بهما . =

بموته ، ليس ناسخاً .

٢ - أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً ، فإن الأمور العقلية الملغاة بالحكم الشرعي ، ليست من أقسام النسخ .

٣ - أن يكون الحكم المنسوخ ظاهراً في الإستمرار والدوام ، فانتهاه الحكم بانتهاه زمانه المحدد ، وانتفاء الشروط المقيد بها . فإن هذا ليس من النسخ .

٤ - أن يكون الناسخ كلاماً مستقلاً ، ومنفصلاً عما قبله ، فالمخصص بالاستثناء وأمثاله ، لم يكن نسخاً .

٥ - أن يكون نزول الناسخ بعد المنسوخ زمنياً .

٦ - أن يكون حصول الناسخ بالشروط المذكورة بعد العمل بالحكم السابق - المنسوخ ، فإذا نسخ حكم قبل العمل به ، فإنه تخصيص للحكم وليس نسخاً ، وهذا ما تحقق وتقرر في علم الأصول .

٧ - أن يكون بين الناسخ والمنسوخ تبايناً كاملاً ، وإن لم

والثاني : أن يكون حكم المنسوخ ثابتاً قبل ثبوت حكم الناسخ .

والثالث : أن يكون حكم المنسوخ ثابتاً بالشرع ، لا بالعادة والعرف ،

فإنه إذا ثبت بالعادة ، لم يكن رافعه ناسخاً بل يكون ابتداء شرع آخر .

والرابع : كون حكم الناسخ مشروعاً بطريق النقل كثبوت المنسوخ ، فأما

ما ليس مشروعاً بطريق النقل ، فلا يجوز أن يكون ناسخاً للمنقول ،

ولهذا إذا ثبت حكم منقول ، لم يجز نسخه بإجماع ولا بقياس .

والخامس : كون الطريق الذي ثبت به الناسخ ، مثل طريق ثبوت

المنسوخ ، أو أقوى منه ، ولهذا نقول : لا يجوز نسخ القرآن بالسنة»

(اهـ) (المصطفى بأكف أهل الرسوخ : ص ١٢) .

يكن كذلك ، فإنه من قبيل المطلق والمقيد ، أو عموم المطلق ، أو عموم من وجه .

● الآيات المنسوخة في القرآن الكريم :

الآيات المنسوخة ، كما ذكرها «علم الهدى السيد المرتضى»^(١) في رسالته «المحكم والمتشابه» ، عن الإمام أمير المؤمنين (ع) ، كما يلي :

(١) الشريف المرتضى ، علم الهدى ، أبو القاسم ، علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم الموسوي العلوي (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٤ م) : من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب . نقيب الطالبين ، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر ، مولده ووفاته ببغداد ، تتلمذ على عظماء عصره أمثال الشيخ المفيد ، وابن نباتة السعدي ، والمرزباني ، وأبي علي الفارسي النحوي ، والتلعكبري ، وغيرهم . وتلمذ على يديه جماعة من شيوخ العلم أمثال الشيخ الطوسي ، وسلار ، وأبي الصلاح ، والقاضي ابن البراج ، والكراچكي ، والقاضي عبد العزيز الطرابلسي ، وأبي الفرج البيهقي ، وغيرهم . له مناظرات كتبية وشفوية تدل على علومه الواسعة ، وامكانه الكثيرة ، واطلاعه الوافر على شتى المعارف والفنون الشائعة في عصره . ألف في العلوم الإسلامية كتباً كثيرة تقرب من ثمانين كتاباً ورسالة من مختصر ومطول . ومن مؤلفاته : الأمالي - الشافي في الإمامة - طيف الخيال - الشهاب في الشيب والشباب - تنزيه الأنبياء - الانتصار - المقنع في الغيبة ، وغيرها . (مقدمة رسالته جمل العلم والعمل : ص ٧ - روضات الجنات : ٢٩٤/٤ - ميزان الاعتدال : ٢٢٣/٢ - إرشاد الأريب : ١٧٣/٥ - لسان الميزان : ٢٢٣/٤ - جمهرة الأنساب : ص ٥٦ ، وفيه وفاته سنة (٤٣٧ هـ) - تمة اليتيمة : ص ٥٣ ، وفيه مختارات من شعره - ابن خلكان : ٣٣٦/١ - أعيان الشيعة : ٤١/ =

١ - ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنَّ أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهنَّ في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهنَّ سبيلاً﴾ * واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إنَّ الله كان تواباً رحيماً﴾^(١) .

يقول أمير المؤمنين (ع) ، في كيفية النسخ في هذه الآية : كان في عصر الجاهلية ، ما قبل الإسلام ، إذا زنت امرأة حبسوها في بيتها حتى يأتيها أجلها ، فتموت ، وأما الزاني فيزجر بالشم والضرب حتى يتوب . ولما بُعث الرسول (ص) ، رحمة للعالمين ، وأمره الله بالرفقة والمداراة للناس ، نزلت الآية المباركة ، تثبت وتؤيد عقوبتهم للزاني والزانية . وعند انتشار الإسلام ، وقوته ، وإقبال الناس عليه ، وعلى تعاليمه ، وتركهم العادات والتقاليد الجاهلية ، نسخ الله ، عز وجل ، آية حبس الزانية ، وزجر الزاني ، بأية الجلد التالية : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾^(٢) .

= ٢١٣ - أمل الأمل : ١٨٢/٢ - إنباه الرواة : ٢٤٩/٢ - بغية الوعاة : ١٦٢/٢ - تايخ بغداد : ٤٠٢/١٢ - تنقيح المقال : ٢٨٤/٢ - فهرست الطوسي : ص ٩٨ - الأعلام : ٢٧٨/٤) .

(١) سورة النساء ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .
(٢) سورة النور ، الآية : ٢ . مناهل العرفان : ١٦٠/٢ - وقال قتادة السدوسي (ت ١١٧ هـ) : «كان هذا بدء عقوبة الزنا ، كانت المرأة تحبس فيؤذيان جميعاً ، فيعيران بالقول جميعاً في الشتيمة ، بعد ذلك . ثم إنَّ الله ، عز وجل ، نسخ ذلك بعد في سورة النور ، فجعل لهن سبيلاً فقال ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ (الآية ٢ : سورة النور) ، وصارت السنة فيمن أحصن جلد مائة ثم الرجم بالحجارة ، وفيمن لم يحصن =

٢ - ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾^(١) : كانت المرأة في العهد الجاهلي - قبل الإسلام - إذا مات عنها زوجها ، تأخذ مقداراً من البعرة ، وتقول : «إن هذا أحبُّ إليَّ من الزوج !» - كناية عن رفضها للزواج المجدد - وكانت تمتنع من الزينة ، والكحل ، والعطر ، لسنة واحدة ، ولا تتزوج ، ولا تخرج من البيت ، وكانت نفقتها من تركه زوجها المتوفى ، فنزلت الآية هذه في صدر الإسلام ، ثم نسخت بالآية التالية : ﴿والذين يتوفون منكم يذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾^(٢) .

٣ - ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾^(٣) .

كان الرسول في مبتدأ الرسالة مأموراً بدعوة الناس للإسلام ، والتحاشي عن المقابلة مع المشركين ، ومنازعتهم ، ومقاتلتهم ، حتى أنه اضطر إلى الهجرة من مكة ، عندما أحسَّ بالخطر على حياته ، ولكن بعد ذلك نسخ الأمر بالمهادنة هذه بالآية التالية : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم

= جلد مئة ونفي سنة . هذا سبيل الزانية والزاني « (اهـ) . (الناسخ والمنسوخ : ص ٣٩) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ . وراجع الناسخ والمنسوخ : ص ٣٦ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات : ٤٥ حتى ٤٨ .

لقدير ﴿١﴾ .

٤ - في معركة (بدر) التي كانت أول مقابلة بين المسلمين والمشركين ، أنزل الله على رسوله الآية التالية يشجعه فيها على المصالحة معهم : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾^(٢) ، وعندما اشتدت قوة الإسلام ، وكثر عدد المسلمين ، واشتد عناد المشركين ، نسخ الله أمره بالصلح ، بالآية التالية : ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾^(٣) .

وأخيراً ومع قوة الإسلام ، وقدرة المسلمين ، وتعتت المشركين المتزايد ، نزل أمر الجهاد ، على المسلمين بالآية التالية : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾^(٤) .

٥ - ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾^(٥) ، نسخت هذه الآية الشريفة بالآية التالية : ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله﴾^(٦) .

(١) سورة الحج ، الآية : ٣٩ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .

(٣) سورة محمد (ص) ، الآية : ٣٥ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٦٥ .

(٦) سورة الأنفال : الآية : ٦٦ . راجع مناهل العرفان : ١٦١/٢ .

٦ - آخى رسول الله (ص) ، بين المهاجرين والأنصار من أصحابه ، وأمر بالتوارث بينهم بالأخوة الإيمانية فقط ، ولم يلحظ فيه القرابة النسبية ، أو السببية على حسب الآية الكريمة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا﴾^(١) ، على أن يكون الولي في الآية بمعنى : «الوارث» .

وعندما كثر المسلمون عدداً وعدة ، واستقر أمرهم ، نسخ الله الآية بالآية التالية : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾^(٢) .

٧ - ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٣) ونسخت هذه الآية بالآية التالية : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾^(٤) .

٨ - بعد البعثة النبوية ، ونزول وجوب الصلاة جعل (بيت المقدس) - وهو قبلة اليهود - قبلة لصلاتهم ، طوال وجود النبي (ص) في (مكة) ولأشهر ، بعد الهجرة إلى (المدينة المنورة) ، فأبدل الله ، عزَّ وجلَّ ، قبلتهم وجعلها الكعبة ، بالآية الشريفة :

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٨ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١ .

﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (١) .

وبنزول الآية التالية ، بين الله ، عز وجل ، علة عدم تغيير القبلة طوال الفترة الماضية :

﴿وما جعلنا القبلة التي كنتَ عليها إلا لنَعْلَمَ من يتَّبِع الرسولَ ممن يَنقلِبُ على عَقبِهِ وإنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إلا على الذين هَدَى اللهُ وما كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانكم إنَّ اللهُ بالناسِ لرؤوف رحيم﴾ (٢) .

٩- لقد أثبت الله ، عز وجل ، حكم القصاص الذي كان قد أنزله في التوراة بالآية التالية : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ (٣) .

ثم نسخها الله ، عز وجل ، بالآية التالية : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ (٤) .

١٠- كان الصيام على المسلمين ، في صدر الإسلام ، على ما كان في التوراة بالآية الشريفة : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧٨ .

عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم ﴿^(١)﴾ .

ووقت الصوم في التوراة ، من بعد صلاة العشاء ، إلى غروب الشمس ، من اليوم الثاني ، وكذلك إذا نام الصائم قبل وقت الإفطار ، ولم يستيقظ ، يجب عليه البقاء صائماً حتى الليلة الثانية ، وكانت مباشرة النساء محرمة عليهم طوال شهر رمضان ، ولكن الله خفف على الأمة المشاق ، بنسخ تحريم النساء ، بالآية التالية : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ^(٢) .

وكذلك تعين ابتداء الصوم : من طلوع الفجر حتى الغروب فقط ، بدلاً من بعد العشاء ، بالآية الكريمة : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ ^(٣) .

قال البيضاوي في (أنوار التنزيل) ^(٤) ، وأبو السعود في (إرشاد العقل السليم) ^(٥) ، في سبب نزول الآية المباركة ، ﴿أُحِلَّ

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : نفسها .

(٤) تفسير البيضاوي ، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ١٧١/١ ، في تفسير الآية رقم (١٨٧) من سورة البقرة .

(٥) تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) :

٢٠١/١ في تفسير الآية رقم (١٨٧) ، من الطبعة الثانية في دار إحياء

التراث العربي ، بيروت ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

لكم ليلة الصيام الرفث . . . ﴿ : أن عمر بن الخطاب جامع زوجته ليلة من شهر رمضان ، بعد العشاء ، ثم ندم من عمله هذا ، فلما أصبح ، أخبر رسول الله (ص) بذلك ، وكان آخرون مثله ، استحيوا من إخبار النبي (ص) ، فأنزل الله ، تبارك وتعالى ، هذه الآية ، تيسيراً لهم .

وقال أبو الفتوح الرازي^(١) ، في شأن نزول الآية : ﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . . . ﴾ ، قيل :

«نزلت الآية في رجل أنصاري ، اختلف في اسمه ، فعن معاذ بن جبل : إن اسمه أبو صرمة ، وعن البراء بن عازب : إن اسمه قيس بن صرمة ، وعن عكرمة والسدي قالوا : إن اسمه أبو قيس بن صرمة بن مالك بن عدي النجار .

عمل هذا الرجل طوال النهار في نخل له كان يملكها ، حتى إذا أمسى ، أتى أهله ، ومعه بعض التمر أعطاه لزوجته ، لتصلح له طعاماً ، ولما انصرفت المرأة لتهيئة الطعام ، وأبطأت عليه ، غلبه النوم حتى حان وقت صلاة العشاء ، وهو لا يزال صائماً ، فأيقظ وقد حرم عليه الأكل والشراب والطعام ، ولم يتناول منه طبقاً للشريعة ، خوفاً من الله ، عز وجل ، فأضاف إلى يوم الصوم يوماً آخر ، وكان متعباً جداً ، فرآه الرسول (ص) ، فرق له وانزعج ، ولأجل رفع الأذى والإنزعاج عن رسول الله (ص) ، فقد

(١) معرّب عن تفسير أبي الفتوح الرازي بالفارسية : ٣٠١/١ ، من منشورات النجفي المرعشي قم ١٤٠٤ هـ . ، وراجع مجمع البيان : ٢٨٠/١ ، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ ، وراجع تفسير الصافي ٢٠٦/١ .

أنزل الله سبحانه وتعالى ، هذه الآية المباركة .

١١ - أمر الله ، عزَّ وجل ، بالتَّقوى ، بما يليق بشأنه تعالى ، وعظَّمته ، في الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

وكان ذلك من الصعب عليهم أن يبلغوه نسبة إلى حق الله الذي لا يدرك بالمطلق ، فنسخ الله ذلك ليجعل تقواهم بمقدار طاقتهم ووسعهم ، بالآية الشريفة : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ . . . ﴾ (٢) .

١٢ - قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (٣) ، نسخت هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٤) .

١٣ - قوله ، عزَّ وجل ، : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٥) ، فنسخت الآية ، ليستثني الله ، عزَّ وجل ، «المؤمنين» من دخول النار ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ عنها مُبْعَدُونَ ﴾ (٦) .

١٤ - عقد النبي (ص) معاهدة الصلح مع اليهود ، على أثر

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة التغابن ، الآية : ١٦ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٦٧ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٣٣ .

(٥) سورة مريم ، الآية : ٧١ .

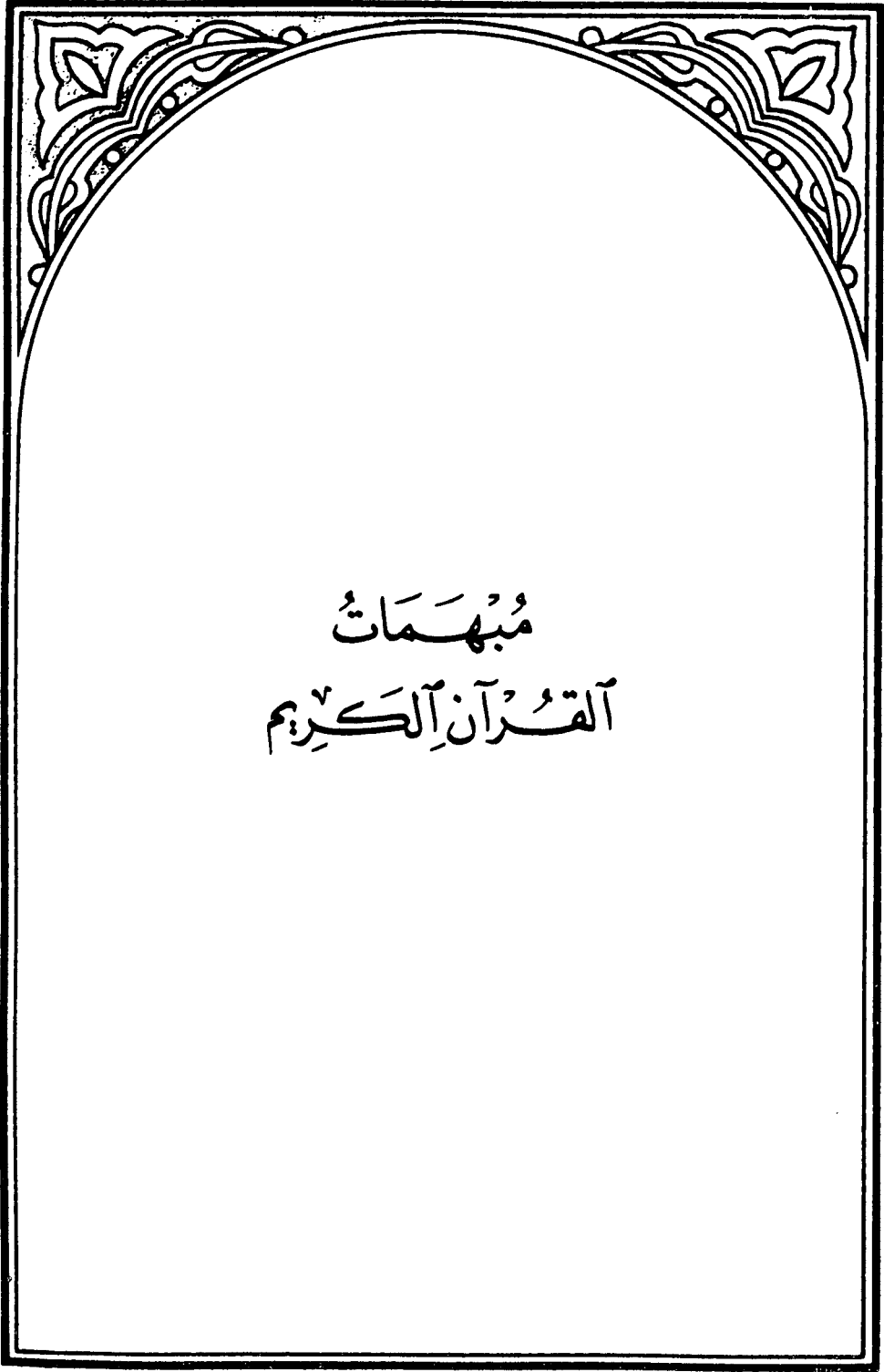
(٦) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠١ .

هذه الآية الشريفة : ﴿وقولوا للناس حسناً﴾^(١) .

وعند رجوعه من (غزوة تبوك) ، وكان اليهود قد نقضوا
عهدهم مع الرسول (ص) ، نُسخَت آية الصلح هذه ، بآية
المقاتلة : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا
يُحرّمون ما حرّم الله ورسولُهُ ولا يدينون دين الحق من الذين
أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٢) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .



مُبَهَّمَاتُ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

مبهمات القرآن الكريم :

المبهمات^(١) : هي الكلمات التي ليس لها معنى ظاهر من

(١) عقد جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) فصلاً كاملاً في مبهمات القرآن ، وهو النوع السبعون من أنواع كتابه : راجع الإتيان في علوم القرآن : ١٤٥/٢ . وقال جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) : «المبهمات في القرآن كثيرة جداً ، ولم يستوفها البلقيني ، ولا قارب ، وفيها تصنيف مستقل للسهيلي ، والبدرين جماعة ، وقد استوعبتها في التحبير ، فلم أَدع منها شيئاً ، ورتبتها على فصول . . . » (إتمام الدراية لقراء النقاية : ص ٤٦) . وفك بعض رموز هذه المبهمات بقوله : «مؤمن آل فرعون الذي في سورة غافر اسمه (حزقيل) ، والرجل الذي في سورة (يس) ، في قوله تعالى : ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ اسمه : (حبيب بن موسى النجار) ، وفتى موسى الذي في (سورة الكهف) هو (يوشع بن نون) ، والرجلان اللذان في سورة (المائدة) ، في قوله تعالى : ﴿قال رجلان من الذين يخافون﴾ ، هما : (يوشع ، وكالب) ، و (أم موسى) إسمها (يوحانذ) بضم الياء التحتية ، وبالحاء المهملة ، وكسر النون ، وبالذال المعجمة . وامرأة فرعون : (آسية بنت مزاحم) ، والعبد في سورة (الكهف) في قوله =

ألفاظها ، مثل : الموصولات والنكرات ، وقد استعملت في القرآن كثيراً ، بحيث أصبحت الآية مبهمة في مفهومها الواقعي ، إلا لمن له دليل على معناها ، من خارج الآية ، ولولا ذلك لا يتسنى الوصول إلى المعنى ، ونذكر بعضاً منها للنموذج :

١ - ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾^(١) : فلم يتبين المقصود جلياً من هم الذين أنعم الله تعالى ، عليهم ، في منطوق الآية ، بل نحتاج في ذلك إلى بسط وتوضيح أكثر .

٢ - ﴿فقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾^(٢) : فإن قارئ الآية لم يتعرف ، من خلالها ، على زوجة آدم^(٣) ، من هي إلا بسابقة ذهنية .

٣ - ﴿وَسئَلُهُم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾^(٤) : ما هي هذه القرية ؟ ما اسمها ؟ أين تقع ؟ كل هذا لا يعرف من منطوق الآية^(٥) .

٤ - ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه

= تعالى : ﴿فوجدوا عبداً من عبادنا﴾ هو (الخضر) . والغلام الذي في القصة ، في قوله تعالى : ﴿لقيا غلاماً فقتله﴾ إسمه (حيسور) بالحاء المهملة ، وقيل نون آخره . . . الخ» (إتمام الدراية : ص ٤٥) . ولدينا نسخة من كتابه (مفحمت الأقران في مبهمات القرآن) .

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

(٣) قال السيوطي : «سميت حواء لأنها خلقت من حي» (مفحمت الأقران :

ص ١١) - (مجمع البيان : ١/٨٥) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٣ .

(٥) قال ابن عباس هي (إيلة) . (مفحمت الأقران : ص ٤٦) . وقيل : هي

(مدين) . وقيل : هي (طبرية) . (مجمع البيان : ٢/٤٩١) .

الموت فقد وقع أجره على الله ﴿١﴾ : ما هي حدود الهجرة إلى الله ورسوله ، ومن المقصود في الآية (٢) ؟

٥ - ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ (٣) : من يقصد الله ، عز وجل ، بالآية الكريمة (٤) ؟ .

٦ - ﴿إن شئتكم هو الأبر﴾ (٥) : من هو الأبر الملام في الآية (٦) ؟ .

نكتفي بهذه النماذج الستة ، من استعمال المبهمات الكثيرة في القرآن ، ولكن لا بد من القول إن في استعمالها سرّاً معقولاً ،

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٠ .

(٢) قيل : لما نزلت آيات الهجرة ، سمعها رجل من المسلمين وهو جندع ، أو جندب بن ضمرة ، وكان بـ (مكة) فقال : «والله ! ما أنا ممن استثنى الله ، إني لأجد قوة ، وإني لعالم بالطريق ، وكان مريضاً شديداً المرض ، فقال لبيه : والله لا أبيت بـ (مكة) حتى أخرج منها فلاني أخاف أن أموت فيها . فخرجوا يحملونه على سرير ، حتى إذا بلغ (التنعيم) مات ، فنزلت الآية (مجمع البيان : ١٠٠/٢) - مفحّمات الأقران : ص ٣٤) .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣٣ .

(٤) قال قتادة : ﴿والذي جاء بالصدق﴾ : هو النبي (ص) . وقال السدي : هو جبريل . ﴿وصدق به﴾ : هو النبي (ص) (مفحّمات الأقران : ص ٩٤) . وقيل : ﴿والذي جاء بالصدق﴾ : محمد (ص) . ﴿وصدق به﴾ : علي بن أبي طالب (ع) ، وهو المروي عن أئمة الهدى (ع) من آل محمد (ص) . (مجمع البيان : ٤٩٨/٤) .

(٥) سورة الكوثر ، الآية : ٣ .

(٦) ﴿إن شئتكم﴾ : قال ابن عباس : هو أبو جهل . وقال عطاء : هو أبو لهب . وقال عكرمة : هو العاص بن وائل . وفي رواية عن ابن عباس : =

وحكمة منطقية ، ذكرها ، وفصلها ، وشرحها ، علماء التفسير ،
ونشير إلى بعضها :

١ - إذا كانت الكلمة مفسرة وموضحة ، في آية قرآنية ، فلا
لزوم للتوضيح والتفسير ، عند كل استعمال لها ، فالمقصود من
الآية الكريمة المبهمة :

﴿الذين أنعمت عليهم﴾ : تبين وتوضح في الآية الشريفة :
﴿وأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين
والشهداء والصالحين﴾^(٨) .

٢ - إذا كان المبهم مشهوراً ومعروفاً عند الناس ، فلا حاجة
للتوضيح والتعريف ، مثل : الآية الثانية ، فإنّ الناس عامة يعرفون
أنّ زوجة آدم (ع) ، هي حواء ، وأنه ليس لآدم (ع) ، زوجة
غيرها ، ولذلك لم يُسمها في الآية ، ولم يذكرها باسمها .

٣ - أن لا تكون فائدة تستوجب البسط والتفصيل ، بل حلاوة
الكلام ، ولطافته يستوجبان الإبهام ، مثل تعيين القرية وتوصيفها
في الآية الثالثة .

= هو كعب بن الأشرف . وقال شمر بن عطية : هو عقبه بن أبي معيط .
(مفحّمات الأقران : ص ١٢١) . وقيل : نزلت السورة في العاص بن
وائل السهمي ، وذلك أنه رأى رسول الله (ص) ، يخرج من المسجد ،
فالتقيا عند باب بني سهم ، وتحدثا ، وأناس من صناديد قريش ، جلوس
في المسجد ، فلما دخل العاص ، قالوا : من الذي كنت تتحدث معه ؟
قال : ذلك الأبتري ! ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله
(ص) ، وهو من خديجة ، وكانوا يسمون من ليس له ابن ، «أبتري» فسمته
قريش عند موت ابنه «أبتري» و«صنبوراً» . (مجمع البيان : ٥/٥٤٩) .

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٩ .

٤ - عند ذكر المبهم وإرادة العموم منها ، فلا مجال للتعين والتجديد ، كما هو في الآية الرابعة ، فإنه لم يكن المقصود فيها شخصاً معيناً ، أو ناساً معينين ، بل يمكن أن تنطبق على كثيرين من غير تعيين .

٥ - إذا كان المقصود منها المدح والتعظيم ، مثل الآية الخامسة .

٦ - إذا كان القصد منها الذم ، والتنقيص ، والتحقير ، كما في الآية السادسة .

العَامُّ وَالْخَاصُّ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

العام والخاص في القرآن الكريم :

● اللفظ العام :

العام^(١) : هو كل كلمة تضم كل أفراد النوع الواحد ، أو الجنس من حقيقة واحدة ، وهي كثيرة الإستعمال في القرآن ،

(١) قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) : «العام لفظ وضع وضعاً واحداً ، لكثير غير محصور ، مستغرق جميع ما يصلح له ، فقوله : «وضعاً واحداً» : يخرج المشترك لكونه بأوضاع ، «ولكثير» : يخرج ما لم يوضع لكثير كزيد وعمرو . وقوله : «غير محصور» : يخرج أسماء العدد ، فإن المائة مثلاً ، وضعت وضعاً واحداً لكثير ، وهو مستغرق ما يصلح له ، لكن الكثير محصور . وقوله : «مستغرق جميع ما يصلح له» : يخرج الجمع المنكر ، نحو : رأيت رجالاً ، لأن جميع الرجال غير مرثي له . وهو إما عام بصيغته ومعناه كالرجال ، وإما عام بمعناه فقط ، كالرهنم والقوم» . (اهـ) . (التعريفات : ص ١٤٥) .

● وقال مناع القطان (مدير المعهد العالي للقضاء بالرياض) : «العام : هو اللفظ المستغرق لما يصلح له ، من غير حصر» . (مباحث في علوم القرآن : ص ٢٢١ - الإتيقان في علوم القرآن : ١٦/٢) .

منها : كل ، الذي ، التي ، أي ، من ، ما ، في الآيات التالية :

- ١ - ﴿كل من عليها فان﴾^(١) .
- ٢ - ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾^(٢) .
- ٣ - ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾^(٣) .
- ٤ - ﴿أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحُسنَى﴾^(٤) .
- ٥ - ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾^(٥) .
- ٦ - ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٦) .

٧ - من كلمات العام : اسم الجنس ، وكذلك الجمع المحلَّى بالألف واللام ، مثال الأول : ﴿والعصر * إِنَّ الإنسان لفي خُسْر﴾^(٧) ، ومثال الثاني : ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(٨) .

٨ - ومن العام : اسم الجنس المضاف ، مثل : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾^(٩) .

-
- (١) سورة الرَّحْمَن ، الآية : ٢٦ .
 - (٢) سورة الأحقاف ، الآية : ١٧ .
 - (٣) سورة النساء ، الآية : ١٥ .
 - (٤) سورة الإسراء ، الآية : ١١٠ .
 - (٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٨ .
 - (٦) سورة النساء ، الآية : ١٢٣ .
 - (٧) سورة العصر ، الآيتان : ١ - ٢ .
 - (٨) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١ - ٢ .
 - (٩) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

٩- ومنه إسم النكرة في سياق النفي ، أو النهي ، مثل :
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾^(٢) .

● أنواع «العام» في القرآن الكريم :
العام في القرآن على ثلاثة أنواع :
الأول : الآيات التي استعمل فيها لفظ العام ، والقصد منه العموم والشمول ، مثل :

(أ) ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ : فالحمد : عام محليّ بالألف واللام ، بمعنى كل أنواع الحمد ، وأشكاله ، أو جنس الحمد .

(ب) ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٣) : الناس : في الآية عام ، والمقصود منه «العموم» ، أي عموم الناس .

(ج) ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾^(٤) : الناس في الآية هذه ، كسابقها ، ومعنى الآية : ان الناس ، كل الناس ، كانوا أمة واحدة ، على عرف واحد ، وتقاليد واحدة ، ثم حصل الخلاف ، ووقع الاختلاف بينهم ، وذلك قبل بعثة نوح ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، عندها أرسل الله ، عزَّ وجل ، الرسل ، إليهم ليعلّموهم ويرشدوهم ، ويبينوا لهم طريق الخير ، ويبشروهم أن بالسير عليه دخول الجنة ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

وكذلك ليعرفوهم طريق الشر ويحذروهم أن في السير عليه ولوج النار والعذاب .

الثاني : الآيات التي استعملت فيها ألفاظ الـ «عام» ، وأراد منها معنى «الخاص» ، أي فرداً خاصاً ، أو أفراداً منه ، مثل الآية الكريمة :

(أ) ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(١) : ففيها «الذين» التي تفيد العموم ، ولكن المقصود منها ، فرد واحد ، وهو شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، كما جاء في تفسير الفريقين ، عند ذكرنا لذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب ، من خلال البحث المفصل والمستدل ، فعلى الطالب أن يراجعه هناك^(٢) .

(ب) ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٣) : فالناس في هذه الآية تفيد عموم الناس ، ولكن الله ، عزَّ وجل ، قصد منها الرسول الأكرم (ص) ، وأهل بيته المعصومين (ع) ، الذين هم معه كالنفس الواحدة .

(ج) ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(٤) : لفظ «الناس» بمعنى العموم ، والمقصود منه معنى «الخاص» ، وهو - كما ذكرت التفاسير - رجل من قبيلة «أشجع» اسمه «نعيم بن مسعود» ، وشأن نزول الآية نخصره بما يلي :

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٢) راجع كتاب الولاية : ٩٩/١ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٤ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣ .

عندما كانت معركة (أُحد) ، بين المسلمين والمشركين ، وانتهت إلى فشل المسلمين ، بسبب طمع البعض ، وخيانة البعض ، واستشهد عم النبي ، حمزة بن عبد المطلب ، مع عدد من المسلمين ، وجرح بعضهم ، ولم يبق مع النبي (ص) سوى علي بن أبي طالب (ع) ، وأبو دجانة الأنصاري ، وأم عمارة ، ورجع الرسول (ص) إلى المدينة .

عندما كان ذلك ، نزل جبريل (ع) على الرسول الأكرم (ص) ، وأبلغه أمر الله ، عز وجل ، بوجود تعقب المشركين ومقاتلتهم ، على أن لا يخرج معه إلا الجرحى من أصحابه ، فأخبر النبي (ص) المسلمين بذلك .

عندها ضمد الجرحى من المسلمين جراحاتهم ، وخرجوا مع النبي (ص) بعزم ثابت ، وشجاعة مستعرة ، من المدينة المنورة ، يتعقبون المشركين العائدين إلى مكة ، حتى وصلوا إلى «حمراء الأسد»^(١) ، فنزلوا بها .

وبلغ المشركين خبر خروج المسلمين ، وملاحقتهم ، فأرعبهم ذلك ، ودخلهم الذعر والخوف .

وكان شخص من قبيلة «أشجع» ، يقال له : «نعيم بن

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، إليه انتهى رسول الله (ص) ، يوم أُحد في طلب المشركين (ياقوت في معجم البلدان : ٣٠٠/٢) . وقال جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، في تفسير الآية المباركة : ﴿الذين قال لهم الناس﴾ : «أي نعيم بن مسعود الأشجعي ، لقيامه مقام كثير في تشييط المؤمنين عن الخروج ، بما قاله» . (إتمام الدراية لقراء النقاية : ص ٤١) .

مسعود» ، قد خرج من مكة متوجهاً إلى المدينة ، فالتقى بالمشركين في بعض الطريق ، فعرض عليه أبو سفيان ، وهو قائدهم ، أن يعطيه عشرة من الإبل ، على أن يميل في طريقه إلى «حمراء الأسد» ، ويلتقي محمداً (ص) ، والمسلمين ، ويبلغهم أن قريشاً قد اجتمعوا بعدد كبير من قبائل «كنانة» ، وعدة قوية ، وخرجوا في طلبهم ، للقتل والغلبة عليهم ، وذلك ، ليدخل القلق والرعب في قلوب المسلمين ، علَّهم يرجعون إلى المدينة المنورة .

وقبل «نعيم بن مسعود» هذا العرض ، وأكمل طريقه ، ثم مال نحو «حمراء الأسد» ، حيث أخبر النبي (ص) والمسلمين ، بخبر قريش ، وبشكل مضخم ، وذلك ليرعبهم ، وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس . . . ﴾ : فالناس في الآية ، عام قصد منه فرد واحد ، وهو «نعيم بن مسعود» .

لكن «نعيم» هذا فشل في مهمته ، وما ازداد المسلمون من تخويفه ، إلا ثباتاً ، وعزماً ، وتصميماً على متابعة المسير إلى المشركين ، مستمدين العزم والقوة من الله ، عز وجل .

الثالث : الآيات التي استعمل فيها لفظ الـ«عام» ، وخصص

قسم منه ، مثل :

(أ) (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضَّلْتُكُمْ على العالمين)^(١) .

(ب) ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) :

(١) سورة البقرة ، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٣٣ .

فلفظة «العالمين» في الآيتين ، جاءت عامة ، ولكن المقصود منها زمان بني إسرائيل فحسب ، دون الأزمنة الأخرى ، في الآية الأولى ، وزمان الأنبياء آدم ، ونوح ، وآل إبراهيم ، وآل عمران فقط ، دون غيره ، في الآية الثانية . وأمثال هذا الإستعمال العام للمورد الخاص كثير في القرآن .

● الفرق بين العام المراد منه الخاص، والعام المخصص :

- ١ - إنَّ المخصص في الأول عقلي ، وفي الثاني لفظي .
- ٢ - المخصص لا ينفك عن العام ، في الأول ، وقابل للفصل في الثاني .
- ٣ - إرادة الفرد الواحد صحيحة في الأول ، وفي الثاني مختلف فيها ، ولا يصححها الكثيرون .

● اللفظ الخاص :

اللفظ الخاص^(١) : هو ما يشمل الفرد الواحد من الجنس ، أو النوع في الأغلب . واستعماله في القرآن على نحوين :

- ١ - أن لا يقصد من لفظ الخاص غير الخاص ، مثل الآية الكريمة :

(أ) ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢) :

(١) قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) : «الخاص : هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الإنفراد . المراد بالمعنى : ما وضع له اللفظ عين كان ، أو عرضاً . وبالإنفراد : اختصاص اللفظ بذلك المعنى ، وإنما قيده بالإنفراد ، لتمييز عن المشترك» . (اهـ) . (التعريفات : ص ٩٥) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

ففيها اللفظ الخاص «الرسول» ، واستعمل خطاباً للنبي محمد (ص) .

(ب) ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾^(١) : فالمراد من اللفظ الخاص في الآية «هذا النبي» : المفهوم الخاص الذي هو خاتم الأنبياء محمد (ص) .

٢ - أن يطلق اللفظ الخاص ، ويقصد منه المعنى العام ، كما في الآية الكريمة : ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢) .

فروى علم الهدى ، الشريف المرتضى ، حديثاً ، عن أمير المؤمنين (ع) ، أنه قال في ذيل الآية : نزل هذا الحكم على بني إسرائيل في اللفظ والخطاب خاصة ، ولكن معناه عام يشمل جميع الأمم ، من الأولين والآخرين^(٣) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣٢ .

(٣) المحكم والمتشابه : ص ٢٥ .

الظهُرُ وَالْبَطْنُ وَالْجَدُّ وَالْمَطْلَعُ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الظهر والبطن والحد والمطلع في القرآن الكريم :

هناك حديث مشهور ، رواه أكثر المفسرين عن الأئمة الأطهار (ع) ، وممن ذكره الفيض الكاشاني ، في مقدمة تفسيره «الصافي» ، أنهم قالوا : «إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً ، وحداً ومطلعاً»^(١) ، وقال المفسرون في معناه :

١ - الظهر : ظاهر القرآن ، وهو ما اتفق عليه أرباب اللغة وعلماء العربية .

٢ - البطن : باطن القرآن ، وهو خاص لأصحاب اليقين ، وليس لكل أحد الوصول إليه ، وإن كان حاذقاً في العربية وقواعدها .

٣ - الحدّ : آخر ما يفهم من معاني كلمات القرآن .

٤ - المطلع : نهاية ما يحصل من معاني القرآن ، لمن له نصيب من النورانية، والصفاء القلبي ، وإلى هذه المنزلة ، أشار

(١) راجع تفسير الصافي ٢٨/١ .

الحديث الشريف : «ليس العلم بكثرة تعلمه وتعليمه ، إنما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»^(١) .

ونُقل عن الإمام الصادق (ع) ، في هذا المجال ، أنه قال : «أساس القرآن أربعة أمور : العبارة ، والإشارة ، واللطائف ، والحقائق»^(٢) .

وقيل في شرح هذا الحديث :

العبارة : خاصة لعامة الناس الذين يكتبون بالمعنى الظاهر من عبارة القرآن ، وليس لهم نصيب من بواطنه ، ولبابه .

الإشارة : خاصة لأهل المعنى ، والخواص الذين لا يكتبون بالظاهر ، بل يتعمقون بباطنه ، وما يحويه من حقائق، ودقائق المعاني .

اللطائف : لأولياء الله تعالى ، من أهل اليقين الذين شملتهم الألفاظ الإلهية .

الحقائق : من مختصات الأنبياء والأئمة من أهل البيت ، عليهم الصلوات والسلام ، الذين هم خزان علوم القرآن ، ومعارفه ، وأسراره .

(١) قال الإمام الصادق (ع) ، من حديث طويل مع عنوان البصري : «ليس العلم بالتعلم ، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله ، تبارك وتعالى ، أن يهديه ، فإن أردت العلم ، فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية ، واطلب العلم باستعماله ، واستفهم الله يفهمك . . .» (البحار : ٢٢٥/١ - الباب السابع : آداب طلب العلم وأحكامه) . و(الأربعين الهاشمية : ص ٧٧) .

(٢) تفسير الصافي ٢٩/١ .

وقال صاحب «بحر الحقائق» :

«ظاهر القرآن : للقراءة والتلاوة ، وباطن القرآن : للفهم والدراية ، وَحَدَّ القرآن : أحكام الحلال والحرام ، والعبارة : حظ الأذن من الصوت فقط ، والإشارة : خاصة للعقل وما يفهمه من الحقائق ، والمعاني اللطائف : خاصة للقلب الذي هو محل الإشراقات النورانية ، والحقائق : خاصة للروح ، وبها تتعالى وتكبر» .

وقيل في معناها أيضاً :

العبارة : تقوّم الطبع الإنساني في مقام فهم الظواهر .

الإشارة : تقوي وتقوم القلب في درك الأسرار .

اللطائف : تجلّي الروح لاستقبال الأنوار الصفاتية .

الحقائق : تحرك الأسرار لاقتباس التجليات الذاتية .

فالعبارة والإشارة : عامة لكل الناس ، وأما اللطائف والحقائق : لا يعرفها إلا الصفوة والمقربون من عباد الله وخواصه .

يقول المؤلف : نكتفي بهذا المقدار من مقدمات علم التفسير ، وإن كانت هناك مباحث أخرى في هذا المجال ، تستحق الذكر .

وبه نتوصل إلى نهاية ما ارتسمناه من ذكر فضائل أهل البيت (ع) ، وبيان بحوث من علوم القرآن لتكون مدخلاً لتفسير القرآن الكريم ، وهو (الجزء الثاني) من كتابنا : «الولاية» . فأسأل الله ، عز وجل ، أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، وأن يتقبل مني هذه البضاعة المزجاة بلطفه وكرمه ، وأن يوفقني لطبع ونشر

الأجزاء الأخرى منه ، بمحمد وآله الطاهرين ، عليهم الصلاة
والسلام ، والحمد لله رب العالمين .

خَادِمُ الشَّرِيعَةِ الْفَرَّاءِ
مِيرزا عَبْدِ الرَّسُولِ الْخَائِرِيِّ الرَّهْمَانِيِّ
مِيرزا عَجَبُ الرَّسُولِ الْخَائِرِيِّ الرَّهْمَانِيِّ

مَصَادِرُ الْكِتَابِ

(أ)

القرآن الكريم .

الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر
السُّيُوطِي الشافعي (ت ٩١١ هـ) - ط . المكتبة الثقافية
- بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

الإحتجاج : أبو منصور ، أحمد بن علي بن أبي طالب
الطُّبرسي ، من علماء القرن السادس - تح . السيد محمد
باقر خراسان - ط . مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠١ هـ /
١٩٨١ م .

الإختصاص : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان
العكبري ، البغدادي ، الملقب بـ (الشيخ المفيد)
(ت ٤١٣ هـ) - ط . مكتبة الصدوق - طهران ١٣٧٩ هـ /
١٩٦٠ م .

الأربعين الهاشمية في شرح جملة من الأحاديث الواردة في العلوم

الدينية : إبنة الحاج السيد محمد علي «أمين النجار»
الإصبهاني - ط . مكتبة مسجد الإمام زين العابدين (ع)
- الكويت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أنظر : تفسير أبي
السُّعود .

الإرشاد : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري ،
البغدادي ، الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ) - ط/٣
- مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٩٧٩ م .

الإستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن
محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ، القرطبي ، المالكي
(ت ٤٦٣ هـ) - على هامش «الإصابة» لابن حجر .

الإصابة في تمييز الصحابة : شهاب الدين ، أبو الفضل ،
أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني ،
العسقلاني ، المصري ، الشافعي ، المعروف بـ (ابن حجر)
(ت ٨٥٢ هـ) - مصورة الطبعة الأولى في مطبعة السعادة
- مصر ١٣٢٨ هـ ، عن مكتبة المثنى - بغداد .

الإعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار : أبو بكر ، محمد بن
موسى بن عثمان بن حازم الهمداني (ت ٥٨٤ هـ) - نشره
وعلق عليه راتب حاكمي - الطبعة الأولى - مطبعة الأندلس
- حمص ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

الإعجاز والإيجاز : أبو منصور ، عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل الثعالبي ، النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) - تح .

د . محمد التونجي - ط/١ - دار النفائس - بيروت ١٤١٢ هـ /
١٩٩٢ م .

الأعلام : خير الدين الزركلي - ط/٥ - دار العلم للملايين - بيروت
١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .

الأغاني : عليّ بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب ، المعروف
بـ (الإصفهاني) (ت ٣٥٦ هـ) - مصورة عن طبعة دار الكتب /
مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

الإمامة والسياسة : أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) - تح . د . طه محمد الزيّني
- ط . مؤسسة الحلبي وشركاه - مصر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل : أنظر : تفسير البيضاوي .

الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة : السيد عبد الله شبر
- ط . مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

الأنوار النعمانية : السيد نعمة الله بن عبد الله بن محمد الجزائري
(ت ١١١٢ هـ) ط/٤ - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٤ هـ /
١٩٨٤ م .

إتمام الدراية لقراء النقاية : جلال الدين ، عبد الرحمن السيوطي
(ت ٩١١ هـ) - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

إحقاق الحق وإزهاق الباطل : السيد نور الله الحسيني المرعشي
التستري (الشهيد سنة ١٠١٩ هـ) - ط . المطبعة الإسلامية
- طهران - دون تاريخ .

إحياء الميت بفضائل أهل البيت (ع) : أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت ٩١٠ هـ) - ط . مؤسسة الوفاء - بيروت ١٩٨٣ م .

إرشاد القلوب : أبو محمد ، الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي (ت ٤٤٨ هـ) - ط . مكتبة التعاون - بيروت - دون تاريخ .

أساس البلاغة : للزمخشري .

أسباب النزول : أبو الحسن ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) - ط/٢ - القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .

ألف باء : أبو الحجاج ، يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوي ، المالقي ، الأندلسي ، المالكي ، المعروف بـ (ابن الشيخ) (ت ٦٠٤ هـ) - ط/٢ - عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

أمالي الشيخ الطوسي : أبو جعفر ، محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بـ (شيخ الطائفة) (ت ٤٦٠ هـ) - ط/٢ - مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

أمالي الصدوق : أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط/٥ - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

أمل الأمل في علماء جبل عامل : الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشفري (ت ١١٠٤ هـ) - تح . السيد أحمد الحسيني - الطبعة الأولى

- مكتبة الأندلس - بغداد ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

إنباه الرواة على أنباه النحاة : الوزير جمال الدين ، أبو الحسن ،
علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ) - تح . محمد أبو
الفضل إبراهيم - ط . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ /
١٩٥٠ م .

(ب)

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : المولى الشيخ
محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠ / ١١١١ هـ) - ط / ٢
- مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

بدائع الزهور في وقائع الدهور : أبو البركات محمد بن أحمد بن
إياس الناصري الحنفي (ت نحو ٩٣٠ هـ) .

البداية والنهاية : أنظر : تاريخ ابن كثير .

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : محمد بن علي
الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) مصورة الطبعة الأولى - مطبعة
السعادة - مصر ١٣٤٨ هـ - عن دار المعرفة بيروت .

البرهان في تفسير القرآن : أنظر : تفسير البرهان .

البرهان في علوم القرآن : بدر الدين ، محمد بن عبد الله بن بهادر
الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) - تح . محمد أبو الفضل إبراهيم
- منشورات المكتبة العصرية - بيروت ، عن الطبعة المصرية
الثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .

بصائر الدرجات : أبو جعفر ، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار
(ت ٢٩٠ هـ) - ط . مطبعة الأحمدية - طهران ١٤٠٤ هـ /

١٩٨٤ م .

بنية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس : أحمد بن يحيى بن
أحمد بن عميرة الضبّي (ت ٥٩٩ هـ) - ط . مجريط
١٨٨٤ م .

بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين ، عبد
الرحمن السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ) - تح . محمد أبو
الفضل إبراهيم - مصورة الطبعة المصرية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- عن دار الفكر - بيروت .

البيان في غريب إعراب القرآن : كمال الدين ، أبو البركات ، عبد
الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن مصعب بن أبي سعيد
الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) - تح . د . طه عبد الحميد طه
- ط . دار الهجرة - قم ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(ت)

تاج العروس من جواهر القاموس : السيد محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) - تح . عبد الستار فراج - ط . وزارة
الإرشاد والأنباء - الكويت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي بن حبيب زيدان
(ت ١٣٣٢ هـ) - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

تاريخ ابن الأثير : (الكامل في التاريخ) : عز الدين ، أبو
الحسن ، علي بن أبي الكرم ، محمد بن محمد بن عبد
الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بـ (ابن الأثير

الجزري) (ت ٦٣٠ هـ) - ط . دار صادر وبيروت في بيروت
١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

تاريخ ابن كثير : (البداية والنهاية) : عماد الدين ، أبو الفداء ،
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ، الدمشقي
(ت ٧٧٤ هـ) - ط . دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ هـ /
١٩٧٨ م .

تاريخ البغدادي : (تاريخ بغداد) : أبو بكر ، أحمد بن علي
الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) - ط . دار الكتب العلمية
- بيروت - دون تاريخ .

تاريخ الخلفاء : جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
الشافعي (ت ٩١١ هـ) - تح . محمد محيي الدين عبد
الحميد - الطبعة الأولى - مطبعة السعادة - مصر ١٣٧١ هـ /
١٩٥٢ م .

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : حسين بن محمد بن
الحسن الدياربكري (ت ٩٦٦ هـ) - ط . مؤسسة شعبان
- بيروت - دون تاريخ .

تاريخ الطبري : (تاريخ الرسل والملوك) : أبو جعفر ، محمد بن
جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) - تح . محمد أبو الفضل إبراهيم
- ط / ٢ - دار المعارف - مصر ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

تذكرة الخواص : شمس الدين ، أبو المظفر ، يوسف بن
فُرغلي بن عبد الله البغدادي ، المعروف بـ (سبط ابن
الجوزي) (ت ٦٥٤ هـ) - ط . مؤسسة أهل البيت (ع)
- بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

تراجم مشاهير الشرق : جرجي بن حبيب زيدان (ت ١٣٣٢ هـ)
- ط/٣ - دار مكتبة الحياة - بيروت - دون تاريخ .

التعريفات : علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) - الطبعة
الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

تفسير أبي السعود : (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن
الكريم) : أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي
(ت ٩٥١ هـ) - ط/٢ - دار إحياء التراث العربي - بيروت
١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

تفسير البرهان : (البرهان في تفسير القرآن) : السيد هاشم بن
سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني ، البحراني ،
الثوبلي ، الكتكاني (ت ١١٠٩ هـ) - ط . مؤسسة الوفاء
- بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

تفسير البيضاوي : (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ناصر الدين ،
أبو سعيد ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي
(ت ٦٨٥ هـ) - الطبعة الأولى - مؤسسة الأعلمي - بيروت
١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

تفسير الثعالبي : (جواهر الحسان في تفسير القرآن) : أبو زيد ،
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري
(ت ٨٧٥ هـ) - ط . مؤسسة الأعلمي - بيروت - دون تاريخ .

تفسير الدر المنثور : (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) : عبد
الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)
- الطبعة الأولى - دار الفكر - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

تفسير الصافي : محمد محسن بن مرتضى بن محمود ، المعروف
بـ (الفيض الكاشاني) (ت ١٠٩١ هـ) - ط . مؤسسة الأعلمي
- بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

تفسير العسكري : الإمام أبو محمد ، الحسن بن علي العسكري
(ع) (ت ٢٦٠ هـ) - ط . مدرسة الإمام المهدي (عج) - قم
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

تفسير العمروسي : (نور الثقلين) : عبد علي بن جمعة العمروسي
الحويزي ، الشيرازي (ت ١١١٢ هـ) - ط / ٢ - المطبعة
العلمية - قم ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .

تفسير العياشي : أبو النضر ، محمد بن مسعود بن عياش السلمي ،
السمرقندي ، المعروف بـ (العياشي) (من أعلام القرن الثالث
والرابع) - ط . المكتبة العلمية الإسلامية - طهران ١٣٨٠ هـ /
١٩٦١ م .

تفسير فرات الكوفي : فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (من
علماء القرن الثالث) - ط . المطبعة الحيدرية في (النجف
الأشرف) - دون تاريخ .

تفسير القمي : أبو الحسن ، علي بن إبراهيم القمي (من أعلام
القرنين الثالث والرابع) - ط / ٣ - مؤسسة دار الكتاب للطباعة
والنشر - قم ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

تفسير الكشاف : (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل) : أبو القاسم ، جبار الله ، محمود بن عمر
الزَمَخْشَرِي ، الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) ط . الدار العالمية
- بيروت - دون تاريخ .

تفسير مجمع البيان : (مجمع البيان في تفسير القرآن) : أبو علي ، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) - نشر المكتبة العلمية الإسلامية - طهران - دون تاريخ .

تفسير النسفي : (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) : أبو البركات ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧٠١ هـ) - الطبعة الأولى - دار القلم - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٩ م .

التفسير والمفسرون : د. محمد حسين الذهبي - الطبعة الأولى - دار القلم - بيروت - دون تاريخ .

تقريب المعارف في الكلام : أبو الصلاح ، تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد الحلبي (ت ٤٤٧ هـ) - تح. رضا الأستاذي - ط . مؤسسة أهل البيت (ع) - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

تنزيه الأنبياء : السيد الشريف المرتضى ، علم الهدى - الطبعة الأولى - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

تنقيح المقال في علم الرجال : الشيخ عبد الله المامقاني - ط . حجرية - طهران ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م .

تهذيب أسنى المطالب : محمد بن محمد الجزري ، الدمشقي ، الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) - ط . المحمودي - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(ث)

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : للرماني ، والخطابي ، وعبد القاهر الجرجاني - تح. محمد خلف الله ، ود. محمد

زغلول سلام - ط/٢ - دار المعارف - مصر ١٣٨٧ هـ /
١٩٦٨ م .

ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : أبو جعفر ، محمد بن علي بن
الحسين بن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق)
(ت ٣٨١ هـ) - مكتبة الصدوق - طهران ١٣٩١ هـ /
١٩٧١ م .

(ج)

جامع الأخبار والآثار عن النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع) : (كتاب
القرآن) : السيد محمد باقر بن المرتضى الموحد الأبطحي
الإصفهاني - تح . ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عج)
- الطبعة الأولى - المطبعة العلمية - قم ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

(ح)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله
الإصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية
- بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

حياة محمد (ص) : محمد بن حسين بن سالم هيكلي
(ت ١٣٧٦ هـ) - الطبعة الأولى - دار الكتب المصرية
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .

(خ)

الخصال : أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه
القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)
- ط . مكتبة الصدوق - طهران ١٣٨٩ هـ .

(د)

الدر المنثور في التفسير بالمأثور : أنظر : تفسير الدر المنثور .
الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : شهاب الدين ، أحمد بن
علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ، الشهير بـ (ابن
حجر العسقلاني) (ت ٨٥٢ هـ) - ط . دار الجيل - بيروت
- دون تاريخ .

ديوان مارون عبود : ط . دار المكشوف الأولى - بيروت
١٩٤٦ م .

(ر)

رسالة الإيمان : الحاج ميرزا حسن الحائري الإحفاقي الأسكوئي
- ط/٢ - بيروت - منشورات مكتبة الإمام الصادق (ع) العامة
- الكويت - ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

رسالة التوحيد : محمد عبده بن حسن خير الله التركماني
(ت ١٣٢٣ هـ) - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

الرسالة المستطرفة في بيان مشهور كتب السنة المشرفة :
محمد بن جعفر الكتاني - ط . دار الكتب العلمية - بيروت
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية : أبو القاسم ، عبد
الرحمن السهيلي (ت ٥٨١ هـ) - ط . مصر ١٣٩٣ هـ /
١٩٧٣ م .

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : ميرزا محمد باقر

الموسوي الخوانساري الإصبهاني - ط . المطبعة الحيدرية
- طهران ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

الرياض النضرة في مناقب العشرة : أبو العباس ، أحمد بن
عبد الله بن محمد ، الشهير بـ (المحبّ الطبري) (ت ٦٩٤ هـ)
- ط . دار الكتب العلمية - بيروت - دون تاريخ .

(س)

سفينة البحار : الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي
(ت ١٣٥٩ هـ) - ط . دار المرتضى - بيروت - دون تاريخ .

السيرة النبوية : أبو محمد ، عبد الملك بن هشام بن أيوب
الحميري المعافري (ت ٢١٣ هـ) - تح . السقا ، الإبياري ،
شليبي - ط . مصر - دون تاريخ .

(ش)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح ، عبد الحي بن
العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) - ط / ٢ - دار المسيرة - بيروت
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

شرح سنن ابن ماجه القزويني : أبو الحسن الحنفي المعروف
بـ (السندي) - ط . دار الجيل - بيروت - دون تاريخ .

شرح نهج البلاغة : محمد عبده - ط . الدار الإسلامية - بيروت
١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

شرح نهج البلاغة : عز الدين ، أبو حامد بن هبة الله ابن أبي
الحديد المدائني المعتزلي (ت ٦٥٥ / ٦٥٦ هـ) - تح .
محمد أبو الفضل إبراهيم - ط / ٢ - القاهرة ١٣٨٥ هـ /
١٩٦٥ م .

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : أبو بكر ، محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) - تح . عبد السلام هارون - ط/٢ - دار المعارف - مصر ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .

شواهد التنزيل لقواعد التفضيل : عبيد الله بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ (الحاكم الحسكاني) (من أعلام القرن الخامس) - تح . محمد باقر المحمودي - الطبعة الأولى - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٤ م .

(ص)

صحيفة الأبرار : ميرزا محمد تقي ، الملقب بـ (حجة الإسلام) (ت ١٣١٢ هـ) - إعتناء وتصحيح حجة الإسلام ، ميرزا عبد الرسول الحائري الإحفاقي الأسكوئي - ط . دار الجيل - بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

صفات الشيعة : أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) - تح . ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عج) - قم ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

صفة الصفوة : جمال الدين ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن جعفر الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) - تح . محمود فاخوري - ط/٣ - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ) - ط/٢ - القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(ض)

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين ، أبو الخير ،
محمد بن عبد الرحمن ابن محمد السخاوي الشافعي
(ت ٩٠٢ هـ) - ط . دار مكتبة الحياة - بيروت - دون تاريخ .

(ط)

طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين ، أبو النصر ، عبد
الوهاب بن تقي الدين ، علي بن عبد الكافي بن تمام
الأنصاري ، السبكي ، الشافعي (ت ٧٧١ هـ) - ط/٢
- (أوفست) - دار المعرفة - بيروت - دون تاريخ .

طبقات ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)
- ط . دار بيروت - ١٣٩٨ هـ / ١٩٦٥ م .

طبقات المفسرين : جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر
السُّيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ) - الطبعة الأولى - دار الكتب
العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(ع)

عصمة الأنبياء : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي
البكري ، المعروف بـ (فخر الدين الرازي) (ت ٦٠٦ هـ)
- الطبعة الأولى - مؤسسة البلاغ - بيروت ١٤٠٨ هـ /
١٩٨٨ م .

علل الشرائع : أبو جعفر ، محمد بن علي ، ابن بابويه القمي ،
المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط . المطبعة
الحيدرية - النجف الأشرف - دون تاريخ .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي ، الحسن بن
رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦ هـ) - تح. محمد محيي
الدين عبد الحميد - ط/٤ - دار الجيل - بيروت ١٣٩١ هـ/
١٩٧٢ م .

عيون أخبار الرضا (ع) : أبو جعفر ، محمد بن علي ، ابن بابويه
القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)
- ط . المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ/
١٩٧٠ م .

(غ)

الغدير في الكتاب ، والسنة ، والأدب : الشيخ عبد الحسين أحمد
الأميني النجفي - ط/٢ - دار الكتاب العربي - بيروت
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(ف)

فتوح البلدان : أبو الحسن ، أحمد بن يحيى بن جبر البغدادي ،
البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) - ط . دار الكتب العلمية - بيروت
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين :
إبراهيم بن محمد ، ابن محمد الجويني الخراساني
(ت ٧٣٠ هـ) - تح. المحمودي - الطبعة الأولى - مؤسسة
المحمودي - بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

الفردوس بمأثور الخطاب : ابن شيرويه الديلمي (ت ٥٠٩ هـ)
- الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦ هـ/
١٩٨٦ م .

الفصحى لغة القرآن : أنور الجندي - ط . دار الكتاب اللبناني
- بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

فضائل الشيعة : أبو جعفر ، محمد بن علي ، ابن بابويه القمي
(ت ٣٨١ هـ) تح . ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عج)
- الطبعة الأولى - قم ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة : علي بن محمد بن أحمد
المالكي ، المكي ، الشهير بـ (ابن الصبَّاغ) (ت ٨٥٥ هـ)
- ط . مطبعة العدل - النجف الأشرف - دون تاريخ .

فوات الوفيات : محمد بن شاکر الکتبي (ت ٧٦٤ هـ) - تح .
د . إحسان عباس - ط . دار صادر - بيروت ١٣٩٣ هـ /
١٩٧٣ م .

(ق)

القاموس المحيط : مجد الدين ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
(ت ٨١٧ هـ) - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة - بيروت
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(ك)

الكافي : أبو جعفر ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي
(ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) - ط . دار الكتب الإسلامية - طهران
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

كشف الحق ونهج الصدق : جمال الدين ، أبو منصور ،
الحسن بن يوسف بن علي بن محمد ، ابن المطهر الحلي ،
المعروف بـ (العلامة) (ت ٧٢٦ / ٧٣٦ هـ) - ط . دار الكتاب

البناني ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (ع) : أبو عبد الله ،
محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (قتل سنة ٦٥٨ هـ)
- تح . محمد هادي الأميني - ط / ٣ - دار إحياء تراث أهل
البيت (ع) - طهران ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

الكني والألقاب : الشيخ عباس بن محمد ، رضا بن أبي القاسم
القمي (ت ١٣٥٩ هـ) - ط / ٤ - طهران ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

(ل)

لسان العرب : جمال الدين ، أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن
علي ابن منظور الأفرقي (ت ٧١١ هـ) - ط . دار المعارف
المصرية - دون تاريخ .

لسان الميزان : شهاب الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن علي بن
حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) - ط . مؤسسة الأعلمي
- بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

اللوامع النورانية في أسماء عليّ وأهل بيته (ع) القرآنية : السيد
هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني ،
البحراني ، الثوبلي ، الكتكاني (ت ١١٠٩ هـ) - الطبعة
الأولى - المطبعة العلمية - قم ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

(م)

مباحث في علوم القرآن : مناع القطان .

متشابه القرآن : ابن شهر آشوب المازندراني .

مجمع البحرين : فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي

(ت ١٠٨٥ هـ) - تح. أحمد الحسيني - ط. مؤسسة الوفاء
- بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

مجمع البيان في تفسير القرآن : أنظر : تفسير مجمع البيان .
المحبر : أبو جعفر ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي
البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) - منشورات المكتب التجاري - بيروت
- دون تاريخ .

المحكم والمتشابه : السيد المرتضى ، علم الهدى - دار
الشبستري للمطبوعات - قم - دون تاريخ .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان :
أبو محمد ، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي
اليميني ، المكي (ت ٧٦٨ هـ) - ط/٢ - مؤسسة الأعلمي
- بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م - مصورة الطبعة الأولى
- حيدرآباد الدكن ١٣٧٧ هـ .

المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث : أبو عبد الله ، محمد بن
عبد الله ، المعروف بـ (الحاكم النيسابوري) (ت ٤٠٥ هـ)
- نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض / دون تاريخ .

مسند أحمد : أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني
المروزي البغدادي (ت ٢٤١ هـ) - ط . دار الفكر - بيروت
- دون تاريخ .

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن
علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) - تح. عبد العظيم
الشناوي - ط . دار المعارف المصرية ١٩٧٧ م .

مصباح المتهجد وسلاح المتعبّد : أبو جعفر ، محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، المعروف بـ (شيخ الطائفة) (ت ٤٦٠ هـ) - ط . حجرية - قم - دون تاريخ .

المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ : جمال الدين ، أبو الفرج ، عبد الرحمن ابن الجوزي - تح . د . حاتم صالح الضامن - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

معجم المطبوعات العربية والمعربة : يوسف إيلان سركيس - مطبعة سركيس - مصر ١٣٤٦ هـ .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة : أحمد بن مصطفى ، الشهرير بـ (طاش كبرى زاده - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن : جلال الدين السيوطي - الطبعة الأولى - مؤسسة علوم القرآن - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم ، الحسن بن محمد ، المعروف بـ (الراغب الإصفهاني) (ت ٥٠٢ هـ) - ط . دار المعرفة - بيروت - دون تاريخ .

مناقب آل أبي طالب : رشيد الدين ، أبو جعفر ، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السّروي (ت ٥٨٨ هـ) - ط . دار الأضواء - بيروت ١٣٩٥ هـ / ١٩٨٥ م .

مناقب علي بن أبي طالب (ع) : أبو الحسن ، علي بن محمد

الشافعي ، الشهير بـ (ابن المغازلي) (ت ٤٨٣ هـ) تح .
اليهودي - منشورات دار الأضواء - بيروت ١٤٠٣ هـ /
١٩٨٣ م .

المناقب : أبو المؤيد ، الموفق بن أحمد بن محمد البكري ،
الحنفي ، المكي ، المعروف بـ (أخطب خوارزم)
(ت ٥٦٨ هـ) - ط . مكتبة نينوى الحديثة - طهران - دون
تاريخ .

منتخب كنز العمال في السنن والأقوال والأفعال (على هامش
المسند) : علي بن حسام الدين ، الشهير بـ (المتقي الهندي)
- ط . دار الفكر - بيروت - دون تاريخ .

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : مير حبيب الله بن محمد بن
هاشم بن عبد الحسين الخوثي (ت ١٣٢٤ هـ) - الطبعة الثانية
- مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

منية المرید في آداب المفيد والمستفيد : زين الدين بن علي بن
أحمد العاملي ، الشامي (ت ٩٦٥ هـ) - لقب بالشهيد الثاني
- ط . دار المرتضى - بيروت - دون تاريخ .

موجز علوم القرآن : د . داود العطار - الطبعة الثانية - مؤسسة
الأعلمي - بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

الموسوعة العربية الميسرة : طبعة دار الشعب / مصر - ومؤسسة
فرانكلين للطباعة والنشر - بإشراف محمد غربال ١٩٥٩ م .

ميزان الاعتدال : محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) - تح .
البحاوي - ط . دار المعرفة - بيروت - دون تاريخ .

(ن)

الناسخ والمنسوخ : قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ)
- تح . د . حاتم صالح الضامن - الطبعة الأولى - مؤسسة
الرسالة - بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه : هبة الله بن عبد الرحيم بن
إبراهيم ، المعروف بـ (شرف الدين ابن البارزي)
(ت ٧٣٨ هـ) - تح . د . حاتم صالح الضامن - ط / ٢
- مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

نقد الرجال : السيد مير مصطفى الحسيني التفريشي (من أعلام
القرن العاشر الهجري) - ط . حجرية - قم - دون تاريخ .

نَكْتُ الهميان في نِكْتِ الأعيان : صلاح الدين ، خليل بن أيبك
الصفدي - ط . المطبعة الجمالية - مصر ١٣٢٩ هـ /
١٩١١ م .

النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين ، أبو السعادات ،
المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبياني الجزري ، الموصلية ، الشافعية (ت ٦٠٦ هـ)
- تح . الزاوي والطناجي - ط . إسماعيليان - قم - دون
تاريخ .

الوافي بالوفيات : صلاح الدين ، خليل بن أيبك الصفدي - باعتناء
هلموت ريتير - ط . الدار الألمانية - بيروت ١٤٠١ هـ /
١٩٨١ م .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس ، شمس الدين ،
أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) - تح .

إحسان عباس - ط . دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ /
١٩٧٨ م .

الوحي المحمدي : السيد محمد رشيد رضا - ط/٣ - دار عز الدين
- بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

الولاية (بحث حول الولاية من وحي القرآن) : الحاج ميرزا عبد
الرسول الحائري الإحقاقي - تح . الحاج علي العسيلي
العالمي - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .

الوافي : المولى محسن ، الملقب بالفيض الكاشاني - ط . إيران
- دون تاريخ .

(ي)

ينابيع المودة : الشيخ سليمان بن إبراهيم بن محمد القندوزي
الحنفي (ت ١٢٧٠ هـ) - مصورة الطبعة الأولى ب (إستانبول)
- منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - دون تاريخ .

المحقق

الحاج علي بن عبد الحسن
العسيلي الرشافي العالمي

مُجْتَوِيَاتُ الْكِتَابِ

٩	الإهداء
١٣	نبذة من حياة المؤلف
٤٥	صور النسخ الأصلية للإجازات
٥٩	مقدمة المؤلف
٦٣	● القرآن الكريم الظاهرة السماوية الأبدية
٧٦	- الوليد بن المغيرة والقرآن الكريم
٨٥	● قصيدة مارون عبود والقرآن الكريم
٨٧	- وقعة أُحُد
٨٨	- فوز الأبد
٨٨	- أم عمارة
٨٩	- أبودجانة
٨٩	- فتح مكة
٩٠	- النبي (ص)
٩٠	- المعلم البطل
٩١	- روح الإسلام
	● القرآن الكريم الوحي الإلهي على نبي الرحمة (ص) ،
٩٥	وأكمل الكتب السماوية

- ٩٩ - ماهية الوحي
- ١٠٢ - أقسام الوحي
- ١٠٤ - أسماء القرآن الكريم
- ١١٠ - السور القرآنية
- ١١٤ - أسماء السور القرآنية
- ١١٧ ● فضيلة تلاوة القرآن الكريم
- ١٢٥ ● ترجمة القرآن الكريم
- ١٣٣ ● تفسير القرآن الكريم
- ١٤٥ ● تأويل القرآن الكريم
- ١٤٩ - التأويل في الإصطلاح القرآني
- ١٥٥ ● تفسير الآية المباركة السابعة من سورة (آل عمران)
- ١٥٩ - العقل ونظرية الوقف على لفظة الجلالة
- ١٦٥ ● كلمة حول «الراسخون في العلم»
- ١٦٧ - الرسوخ في العلم
- ١٧٥ - اعتراف الخلفاء الثلاثة بالمقام العلمي لعلي (ع)
- - المقصود من «الراسخون في العلم» : بعد رسول الله
- ١٩٨ (ص) هم علي وأولاده الأطهار (ع)
- ٢٠٢ - علي مصدر كل علم
- ٢١١ ● بعض الآيات المتشابهة وتأويلها
- ٢٣٣ ● كلام حول العصمة
- ٢٤٥ ● تأويل بعض الآيات من سورة (الفتح)
- ٢٦٣ ● تأويل آيات سورة (الضحى)
- ٢٨٥ ● الحروف المقطعة في فواتح السور القرآنية
- ٢٩٣ ● الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

٢٩٧	- ما هو البداء
٢٩٨	- هل حصل النسخ
٣٠٢	- أقسام النسخ
٣٠٣	- أقسام الناسخ
٣٠٤	- شروط النسخ
٣٠٦	- الآيات المنسوخة في القرآن الكريم
٣١٧	● مبهمات القرآن الكريم
٣٢٥	● العام والخاص في القرآن الكريم
٣٢٧	- اللفظ العام
٣٢٩	- أنواع العام في القرآن الكريم
٣٣٣	- الفرق بين العام المراد منه الخاص والعام المخصص
٣٣٣	- اللفظ الخاص
٣٣٥	● الظهر والبطن والحد والمطلع في القرآن الكريم
٣٤١	● مصادر التحقيق
٣٦٥	● محتويات الكتاب

الولاية

بِحَثِّ حَوْلِ الْوَلَايَةِ
مِنْ وَحْيِ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الولاءية

بمحة حول الولاءية
من وحي القرآن

تأليف

سماحة آية الله العظيمة
الحاج ميرزا عبد الرسول الخايري الكاظمي
(١٣٤٧ - ١٤٢٤ هـ)

تحقيق

الحاج علي العسيلي العاملي

الجزء الثاني

موسسة شمس هجر

موسسة البلاغ
بيروت - لبنان

اسم الكتاب: الولاية

المؤلف: آية الله المعظم المولى

الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الإحراقي

المحقق: الحاج علي العسيلي العاملي

الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة شمس هجر

الطبعة: الثانية

التاريخ: ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م

جميع حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة شمس هجر

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع



المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط ٣ - المستودع ، حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - مقابل نادي السلطان
ص ب ١١١ - ٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : (٠١/٥٤١٨٥٤) - فاكس : (٠٣/٥١٤٩٠٥) - لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار العسنيين (ع) - هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤

الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com

E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ .

المائدة: ٥٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:

وَلَايَةٌ عَلَيَّ حِصْنِي فَ مَنْ
دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي .

مشارك انوار اليقين : ص ٢٤

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

« مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ »

منخب كنز العمال : ٢٠/٥

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

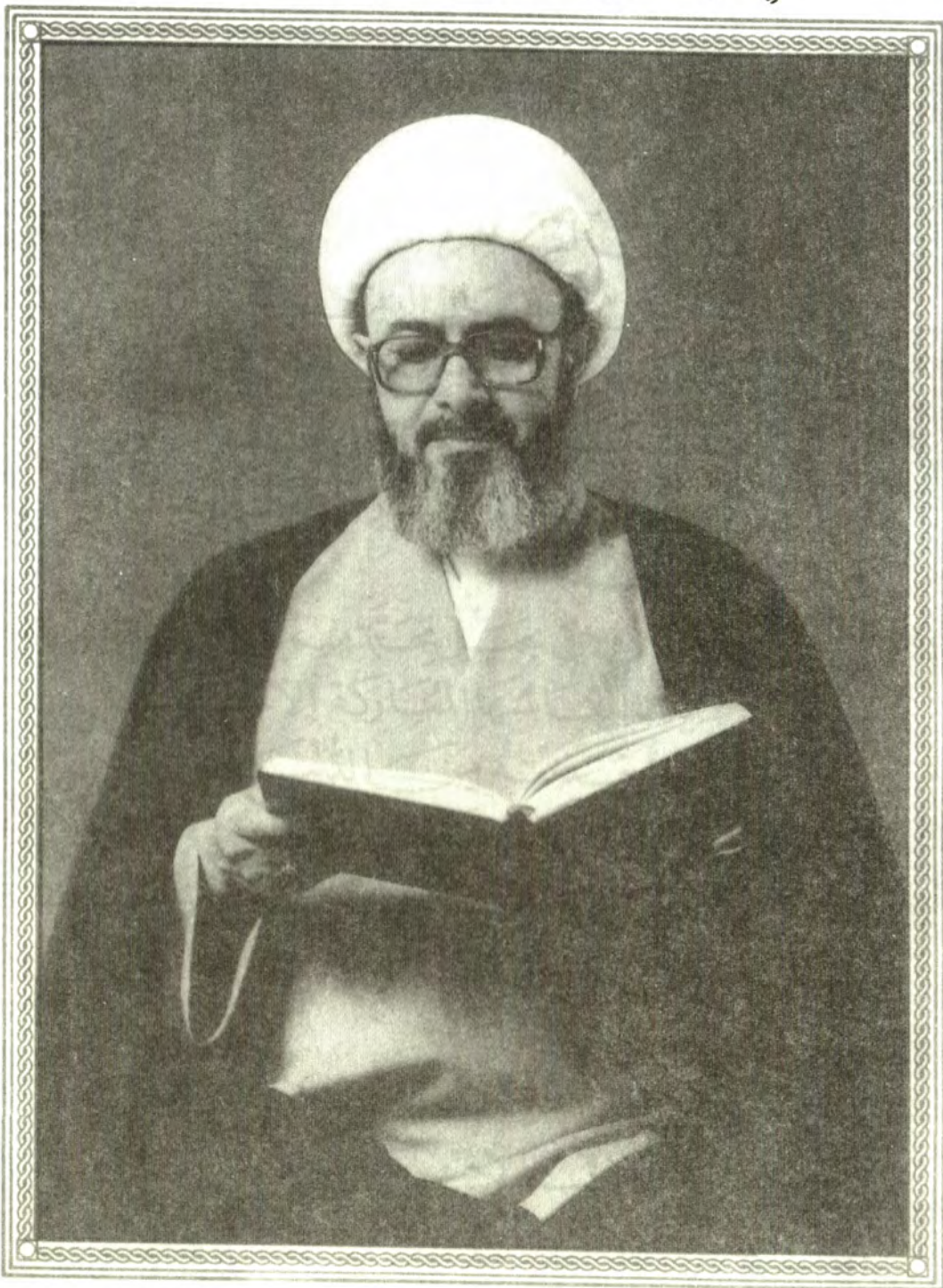
« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ »

مُسْتَدَّ أَحْمَدَ ١/ ٢٣١

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ ، قَالَ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَاسْأَلُوهُ فِي الْوَسِيلَةِ ، فَسُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ : هِيَ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ أَلْفُ مِرْقَاهُ ، مَا بَيْنَ الْمِرْقَاهِ إِلَى الْمِرْقَاهِ بِسِيرِ الْفَرَسِ الْجَوَادِ شَهْرًا ، مِرْقَاهُ زَرْجَدٌ ، إِلَى مِرْقَاهِ لَوْلُو ، إِلَى مِرْقَاهِ يَاقُوتَ ، إِلَى مِرْقَاهِ زَمْزَمَ ، إِلَى مِرْقَاهِ مَرْجَانٍ ، إِلَى مِرْقَاهِ كَافُورٍ ، إِلَى مِرْقَاهِ عُنْبُرٍ إِلَى مِرْقَاهِ يَلْجُوجَ ، إِلَى مِرْقَاهِ نُورٍ ، وَهَكَذَا مِنْ أَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ ، فَهِيَ بَيْنَ دَرَجَاتِ النَّبِيِّينَ ، كَالْقَمَرِ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ فَيُنَادِي الْمُنَادِي : هَذِهِ دَرَجَةٌ مُحَمَّدَ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ! وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُتَزَرٌّ بِرِبْطَةٍ مِنْ نُورٍ ، عَلَى رَأْسِي تَسَاجُجُ الرِّسَالَةِ وَإِكْلِيلُ الْكِرَامَةِ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيٌّ ، بِيَدِهِ لَوَائِي ، وَهُوَ لِي وَاءُ الْحَمْدِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ ، وَأَوْلِيَاءُ عَلِيِّ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ بِاللَّهِ . حَتَّى أَصْعَدَ عَلِيٌّ دَرَجَةً مِنْهَا ، وَعَلِيٌّ أَسْفَلَ مِنِّي دَرَجَةً ، وَبِيَدِي لَوَائِي فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ رَسُولٌ ، وَلَا نَبِيٌّ ، وَلَا صِدِّيقٌ ، وَلَا شَهِيدٌ ، وَلَا مُؤْمِنٌ ، إِلَّا رَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا وَيَقُولُونَ : طُوبَى لِهَذَيْنِ الْعَبْدَيْنِ ، مَا أَكْرَمَهُمَا عَلَى اللَّهِ ! فَيُنَادِي الْمُنَادِي ، يَسْمَعُ نِدَاءَهُ جَمِيعُ الْجَلَائِقِ : هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، وَهَذَا وَلِيُّ اللَّهِ عَلِيُّ ! فَيَأْتِي رُضْوَانُ خَازِنِ الْجَنَّةِ ، يَقُولُ : أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ آتِيكَ بِمَفَاتِحِ الْجَنَّةِ فَأَدْفَعُهَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَقْبَلُهَا أَنَا ، فَأَدْفَعُهَا إِلَى أَخِي عَلِيٍّ ، ثُمَّ يَأْتِي مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ ، يَقُولُ : أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ آتِيكَ بِمَقَالِيدِ النَّارِ ، فَأَدْفَعُهَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَقْبَلُهَا أَنَا ، فَأَدْفَعُهَا إِلَى أَخِي عَلِيٍّ ، فَيَفِيضُ عَلِيٌّ عَلَى عَجْرَةِ جَهَنَّمَ ، وَبِأَخْذِ زَمَامِهَا بِيَدِهِ ، وَقَبْعَلًا زَفِيرَهَا ، وَأَسْتَدْحَرُهَا ، فَيُنَادِي جَهَنَّمَ يَا عَلِيُّ ! ذَرْنِي ، فَتَدَأُ طَلْقًا نُورُكَ لَهَبِي ! يَقُولُ لَهَا عَلِيُّ : ذَرْنِي هَذَا وَلِيِّي وَحُذِي هَذَا عَدُوِّي . فَلَجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ مُطَابَعَةً لِعَلِيِّ فَيَأْمُرُهَا بِهِ مِنْ رِقِّ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ « عَلِيٌّ قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ » .

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ



سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ يُؤْتِ اللَّهُ حِكْمًا فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا نَسِيئًا

اللَّهُمَّ

اللَّهُمَّ رُوحَ أُمِّي الطَّاهِرَةَ ...

إِلَى الَّتِي رَبَّبْتَنِي فِي أَحْضَانِ الدِّينِ ...
إِلَى الَّتِي مَكَزَجْتَ رُوحِي وَجِسْمِي بِمَجْلِبِ الْمَحَبَّةِ وَالْوَلَايَةِ ...
إِلَى الَّتِي أَنْارْتَ حَيَاتِي بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَوَّدْتَ
لِسَانِي عَلَى ذِكْرِ الْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ، أَصْحَابِ الْفَضْلِ،
وَالْفَخْرِ وَالْعِظَمَةِ .

إِلَى الَّتِي عَصَمْتَ رُوحِي بِمَجْلِبِ مَحَبَّتِهِمْ وَوَلَائِهِمْ ...
إِلَى الَّتِي مَا عَرَفْتَ أَنْفَاسَهَا الْمُبَارَكَةَ إِلَّا حُبَّهُمْ ،
وَهُوَ آخِرُ مَا أَخَذْتَهُ مِنَ الدُّنْيَا ...
إِلَى الَّتِي فَارَقْتَ الْحَيَاةَ ، وَشَوَّقْتَ عَظِيمٌ ، وَحَيْنٌ
دَافِقٌ يَسُودُهَا إِلَى لِقَائِهِمْ ، فَكَانَتْ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ،
مُبَارَكَةٌ مَعَ الْأَنْبَارِ وَالصَّالِحِينَ ...

اللَّهُمَّ يَا أُمِّي الطَّاهِرَةَ أُمِّي مَا كُنْتُ ، رَاجِعًا
فَضْلَ الْمَشَارَكَةِ فِي الْأَجْرِ وَالشَّوَابِ !

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين . . .

السلام على مولانا أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وسيد الوصيين ، وأبي الأئمة الطيبين الطاهرين ، وبعد :

هذا الكتاب الذي بين يديك الكريمتين ، هو الجزء الأول من كتاب (الولاية) ، وفيه بحث حول الولاية من وحي القرآن ، مستند إلى التفكير في الآيات المباركة النازلة بشأن الرسول الأعظم (ص) ، وآل محمد (ع) ، وتفسيرها ، وبيان فضائلهم ومقامهم الشامخ ، من خلالها ، وقد ذكرت الآيات المباركات حسب أهميتها ، وكلها مهم ، ثم سعيت إلى أن أستند في تفسير هذه الآيات إلى ذكر الأحاديث والأخبار المتفق عليها من كلا الفريقين ، كما سعيت إلى الإبتعاد عن ذكر الأخبار والأحاديث الضعيفة

السند ، والأخبار النادرة ، وغير المتواترة . . .

وبعد انقضاء زمن طويل على تأليفه ، ألحَّ عدد كبير من الأخوان المؤمنين ، المشتاقين إلى سماع وقراءة فضائل آل البيت المعصومين (عليهم السلام) ، أن أقوم بطبع هذا الكتاب ، ووضعه في متناول أيدي الناس ، وقد وفقني الله تعالى لذلك ، وتم طبع هذا المجلد لأول مرة سنة (١٩٩٢ م) . وهذه هي الطبعة الثانية .

كما طبع الجزء الثاني منه لأول مرة سنة (١٩٩٣ م)^(١) .

وإنه لمن دواعي سروري أن أجد عملي هذا موضع رضى وقبول أصحاب العلم والأدب والفضيلة ، وذلك بتوفيق من صاحب الولاية الإلهية ، حضرة بقية الله الأعظم ، ولي العصر (عج) ، أرواحنا لمقدمه الفداء . . .

وقد أرسل الأساتذة العلماء ، وأهل العلم والأدب ، والشباب المتعلم منهم ، على وجه الخصوص ، مقيمين ومغتربين ، أو من اتصلوا بي هاتفياً ، تقديرهم ، فوجدت أن الجميع يشجعني على الاستمرار في الكتابة .

وفي الأخير ، أتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة ، والعلماء العظام ، ومعهم كل من شجعني على السير في هذا

(١) لا يخفى على القارئ اللبيب أن هذا المجلد تم طبعه باللغة الفارسية سنة (١٣٥٢ . ش) الموافق لسنة (١٩٧٣ م) . كما طبع الجزء الثاني منه ، باللغة الفارسية سنة (١٣٥٣ . ش) ، الموافق لسنة (١٩٧٤ م) .
وتتعرّف إلى نشاطات سماحة المؤلف ، مع نبذة عن حياته في مقدمة المجلد الثاني من هذا الكتاب .

السبيل ، آملاً أن يوفقني الله عزّ وجلّ ، بتأييد منه ، وصاحب الولاية
والأمر ، وتشجيع الأصدقاء ، على طبع سائر الأجزاء ، التي تبين
فضائل ومناقب أهل بيت العصمة (ع) ، وهذا ما نهدف إليه ، والله
سبحانه مولانا ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير . . .

خَادِمُ الشَّرِيعَةِ الْفَرَّاءِ
مِيرزا عَبْدِ الرَّسُولِ الْخَائِرِيِّ الرَّاهِقَانِيِّ
مِيرزا عَبْدِ الرَّسُولِ الرَّاهِقَانِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً لا يحصيه العادون ، والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا ونبينا محمد (ص) ،
وعلى آله الطيبين الطاهرين .

السلام على أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وحجته على
العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وقاتل
الناكثين^(١) ، والقاسطين^(٢) ، والمارقين^(٣) ، أمير البررة ،
وأعظمهم حسباً ، وأكرمهم نسباً ، وأرحمهم بالرعية ، وأعدلهم
بالسوية ، وأبصرهم بالقضية ، أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم
إيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأكثرهم علماً ، وأوفرهم حلماً ،
وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم كفاً ، وأخوفهم لله ، عز وجل ،
وأعظمهم عناء ، وأكثرهم بلاء ، وأحوطهم على رسول الله

(١) الناكثين : بايعوه بالمدينة ، ونكثوا بالبصرة .

(٢) القاسطين : ابن أبي سفيان وأصحابه من أهل الشام .

(٣) المارقين : أصحاب النهروان .

(ص) ، الإمام الباهر ، والبحر الزاخر ، والسيف الباتر ، وقسيم الجنة والنار ، وإمام الأخيار ، أسد الله الغالب ، وصاحب المناصب والمناقب ، المرتضى ، علي بن أبي طالب (ع) .

وبعد :

إنني لا أتجاوز في هذا الكتاب مضمون ولاية علي (ع) ، وإثبات هذه الولاية ، كولاية هارون على قوم موسى ، إلا النبوة ، غير معتمد ، إلا على الكتاب والسنة ، مستنداً إلى الأصول من المراجع والمصادر ، وكتب التفسير التي تعتبر عند الفريقين من الخاصة والعامة ، فأبادر ، بحول الله وقوته ، إلى إثبات ذلك من القرآن الكريم .

من كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
(عليه السلام) :

«لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا ، على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا بجمّاتها^(١) على المنافق ، على أن يحبني ، ما أحبني ، وذلك أنه قُضي فانقضى على لسان النبي الأمي (ص) أنه قال : «يا علي ! لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق» . (نهج البلاغة : قصار الحكم ص : ٥٣٠) .

(١) الجمّات : ج . جمّة - بفتح الجيم - وهو من السفينة مجتمع الماء المترشح من ألواحها ، أي لو كفأت عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها . ونقله القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة : ٤٦/١) .

تَفْسِيرُ

الْأَيْمَانِ بِبَارِكَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ

فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ

مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

المائدة ٦٧

● قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿يا أيُّها الرسول بَلِّغْ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل ، فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾^(١) .

اتفق المفسرون ، الخاصة والعامة ، على أن هذه الآية المباركة ، نزلت على رسول الله (ص) في يوم الغدير^(٢) ، بخصوص تعيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، خليفة على المسلمين ، بعد النبي (ص) ، ووردت الروايات والأخبار من الفريقين ، تؤيد هذا الخصوص ، وهي كثيرة ، بحيث أنها تجاوزت حد التواتر ، ونحن نذكر بعض ذلك في ما يلي :

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .

(٢) يوم الغدير : نسبة إلى غدير خم . و (خم) : واد بين مكة والمدينة عند (الجحفة) ، به غدير ، عنده خطب رسول الله (ص) (ياقوت : ٣٨٩/٢) .

١ - ذكر الثعلبي^(١) في تفسيره ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، والحموي^(٢) في (فرائد السمطين)^(٣) ، والمالكي^(٤) في

(١) الثعلبي : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (ت ٤٢٧ هـ) ، مفسر ، من أهل نيسابور ، له اشتغال بالتاريخ . من كتبه (عرائس المجالس - ط .) و (الكشف والبيان في تفسير القرآن - خ .) يعرف بتفسير الثعلبي (الاعلام : ٢١٢/١ - ابن خلكان : ٢٢/١ - إنباه الرواة : ١١٩/١ - البداية والنهاية : ٤٠/١٢ - اللباب : ١٩٤/١ - وسركيس : ٦٦٣ - الرسالة المستطرفة : ص ٥٩) .

(٢) الحموي : إبراهيم بن محمد بن المؤيد ، أبو بكر بن حمويه الجويني ، صدر الدين أبو المجمع (ت ٧٢٢ هـ) وقد جعل الشيخ محمد باقر المحمودي وفاته سنة (٧٣٠ هـ) : والحموي شيخ خراسان في وقته من أهل (جوين) بها . رحل في طلب الحديث ، فسمع بالعراق ، والشام ، والحجاز ، وتبريز ، وآمل وطبرستان ، وغيرها . توفي بالعراق ، جعله الأمين العاملي من أعيان الشيعة ، ولقبه بـ (الحموي) نسبة إلى جده حمويه ، وقال : له «فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين» وللكتاب نسخة خطية في طهران (الجامعة المركزية ٥٨٣) في ١٦٠ ورقة وقد طبع الكتاب في مجلدين في مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر في بيروت سنة ١٩٧٨ م / ١٣٩٨ هـ ، بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي (الاعلام : ٦٣/١ - الدرر الكامنة : ٦٧/١ - أعيان الشيعة : ٤٥٨/٥) .

(٣) راجع فرائد السمطين ٧٣/١ .

(٤) علي بن محمد بن أحمد ، نور الدين ، ابن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ) : فقيه مالكي ، من أهل مكة ، مولداً ، ووفاة . أصله من سفاقس . له كتب ، منها «الفصول المهمة لمعرفة الأئمة» ، و «العبر فيمن شفه النظر» . قال السحاوي : أجاز لي (الاعلام : ٨/٥ - الضوء اللامع : ٢٨٣/٥ - بروكلمان : ٢٢٤/٢) .

(الفصول المهمة)^(١) ، بأسانيدهم نقلوا : إن هذه الآية الكريمة نزلت في يوم الغدير ، على الرسول الأكرم ، (ص) بشأن تبليغ ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

٢ - أبو سعيد مسعود السجستاني ، ومسلم في صحيحه^(٢) ، والبخاري^(٣) ، وأحمد بن حنبل في مسنده^(٤) ، بأسانيدهم عن ابن عباس وعائشة ، حيث نقلوا : إن هذه الآية المباركة نزلت على النبي (ص) في يوم الغدير ، بشأن ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) ، على الناس .

٣ - الفقيه الشافعي ابن المغازلي^(٥) ، في كتابه (المناقب) ،

(١) راجع الفصول المهمة : ص ٤٢ . ط . الأعلمي / طهران .

(٢) راجع صحيح مسلم : ١٨٨/١٥ .

(٣) راجع صحيح البخاري ٨٣/٥ .

(٤) مسند أحمد : ٢٨١/٤ .

(٥) هو الحافظ أبو الحسن ، أو أبو محمد ، علي بن محمد الشهير بابن المغازلي ، وهو أشهر كناه ومن ألقابه : الجلابي ، والواسطي ، ومؤرخ واسط ، وخطيب واسط . ولد ببلدة واسط ثم انتقل في أواخر عمره إلى بغداد وبها توفي . كان شافعيًا فروعاً ، أشعرياً أصولاً ، كما هو طريقة أكثر الشافعية . كان من أجلة حفاظ الحديث عند الخاصة والعامة . والأقوال في تحديد سنة وفاته متضاربة . فهناك قول بأنه مات سنة (٥٣٤ هـ) كما ذكر ابن الأثير في (اللباب) .. وتبعه الزبيدي في (تاج العروس) . وقول بأنه مات في سنة (٤٣٨ هـ) ، وهو الذي صرح به ونص عليه السمعاني حيث قال : «غرق ببغداد في دجلة في صفر سنة (٤٣٨ هـ) وحمل ميتاً إلى واسط ، ودفن بها» وهو الأوجه . (راجع مقدمة كتاب (المناقب) لابن المغازلي الشافعي بتحقيق محمد باقر المحمودي . ط . دار الأضواء / بيروت ١٩٨٣ م .

وأبو بكر بن مردويه بأسناده عن أبي سعيد الخدري ، نقلوا : إنَّ هذه الآية المباركة نزلت على النبي الأكرم (ص) ، بشأن ولاية علي (ع) في (يوم الغدير) .

٤ - محمد بن جرير الطبري ، صاحب كتاب (الرد على الحرقوصية)^(١) ، وقد ذكر في ذلك الكتاب (حديث الغدير) بخمس وسبعين طريقاً عن العامة والخاصة ، ومنهم عميرة بن سعد ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدري .

٥ - أحمد بن عقدة الحافظ^(٢) نقل في كتابه (الولاية) حديث

(١) الحرقوصية : لقب أطلق على الخوارج الذين كانوا مع حرقوص بن زهير السعدي الذي خرج على علي (ع) بـ (صفين) . كان منافقاً ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ (التوبة : ٥٨) ، وكان صحابياً ، أمدَّ به الخليفة الثاني المسلمين الذين نزلوا (الأهواز) ، فافتتح حرقوص سوقها ، وله أثر كبير في قتل الهرمزان . (معجم الفرق الإسلامية : ص ٩٤) .

(٢) أبو العباس ، أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الحافظ ، المعروف بـ (ابن عقدة) ، المتوفى سنة (٣٣٣ هـ) . له كتاب (الولاية) في طرق (حديث الغدير) رواه بمئة وخمس طرق . أكثر النقل عنه ابن الأثير في (أسد الغابة) وابن حجر في (الإصابة) وقال في (تهذيب التهذيب : ٣٣٧/٧) ، بعد ذكر حديث الغدير : «صححه واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة ، فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر . . .» وقال في (فتح الباري) : «أما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي ، وهو كثير الطرق جداً ، وقد استودعها ابن عقدة في كتاب مفرد ، وكثير من أسانيدھا صحيح وحسان» . وذكر له شمس الدين المناوي الشافعي في (فيض القدير : ٢١٨/٦) وحكى قول =

الغدِير من مئة وخمس طرق عن رسول الله (ص) .

٦ - المرحوم العلامة الأميني أعلى الله مقامه في كتابه (الغدِير) ، نقل عن ثلاثمئة وستين عالماً ، من علماء السنة ، مع ذكر أسمائهم وطبقاتهم ، وقد رووا حديث الغدير .

٧ - خمسة وعشرون عالماً من علماء السنة منهم : الطبري ، والدارقطني^(١) ، وغيرهما قد نقلوا في كتبهم رواية (غدِير خم) بشأن ولاية أمير المؤمنين علي (ع) .

٨ - ونقل عن أبي المعالي الجويني أنه كان يتعجب ويقول : شأهت مجلداً في بغداد بيد صحّاف فيه روايات هذا الخبر - يعني حديث الغدير - مكتوباً عليه : «المجلدة الثامنة والعشرون

= ابن حجر «حديث صحيح الطرق صححه . . . الخ» ونسبه إليه الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب : ص ١٥) ، وذكره له النجاشي في (فهرسته : ص ٦٧) . وقال السيد ابن طاووس في (الإقبال : ص ٦٦٣) : «وجدته قد كتب في زمن أبي العباس مصنفه في سنة (٣٣٠ هـ) ، وعليه خط الشيخ الطوسي وجماعة من شيوخ الإسلام ، وقد روى فيه نص النبي (ص) بولاية علي (ع) من مئة وخمس طرق ، والآن موجود عندي . وقال الهدّار في (القول الفصل : ٤٤٥/١) : «أخرج الحديث ابن عقدة عن مئة وخمسة من الصحابة» (راجع الغدير : ١٥٣/١) .

(١) الدارقطني : نسبة إلى (دار القطن) ، محلة كبيرة ببغداد ، البغدادي الشافعي ، صاحب (السنن) ، و(العلل) ، و(الإلزامات) ، وغيرها . كان أميراً في الحديث ، ولم يُر مثل نفسه ، المتوفى ببغداد سنة (٣٨٥ هـ) . (الرسالة المستطرفة : ص ١٨) .

من طرق «من كنت مولاه فعلي مولاه» ، ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون»^(١) .

أقول : إنَّ ما ذكرت من الروايات والأحاديث ، حول الولاية ومسألة الغدير ، هو عبارة عن نموذج من مئات الكتب ، نقلًا عن علماء السنة العامة ، وكلها تؤيد نزول الآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ . . .﴾ في شأن أمير المؤمنين علي (ع) ، وولايته ، وخلافته ، بعد الرسول الأعظم (ص) بلا فصل .

وقد نقلت عن علمائنا الشيعة ، روايات كثيرة بهذا الخصوص ، أذكر على سبيل المثال ، وليس الحصر ، حديث الغدير المنقول عن الطبرسي^(٢) في كتابه (الاحتجاج) :

حديث الغدير :

«حدثني السيد ، العالم ، العابد ، أبو جعفر ، مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي (رضي الله عنه)^(٣) ، قال : أخبرنا

(١) راجع إحقاق الحق للقاضي نور الله الحسيني المرعشي التستري (استشهد سنة ١٠١٩ هـ) : ٤٨٧/٢ .

(٢) أبو منصور الطبرسي : هو أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي : عالم ، فاضل ، فقيه ، محدث ثقة ، وهو من الأجلء المتقدمين ، وكتابه (الاحتجاج) معتبر ، معروف بين الطائفة الإمامية ، مشتمل على كل ما اطلع عليه من احتجاجات النبي (ص) والأئمة (ع) ، له طرف ومؤلفات ، وله كتاب (الكافي في الفقه) ، و (تاريخ الأئمة) و (فضائل الزهراء عليها السلام) راجع مقدمة كتاب سنن النبي (ص) للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس سره) .

(٣) مهدي بن أبي الحرب المرعشي ، من أجلء الطائفة الإمامية ، وصف =

الشيخ أبو علي الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر ، محمد بن الحسن الطوسي (رضي الله عنه)^(١) ، قال : أخبرني الشيخ السعيد ، الوالد ، أبو جعفر (قدس الله روحه)^(٢) ، قال : أخبرني جماعة ، عن أبي محمد ، هارون بن موسى التلعكبري^(٣) ، قال : أخبرنا أبو علي ، محمد بن همام^(٤) ، قال : أخبرنا علي

= بالعالم ، العابد ، العادل ، الموثق ، يروي عن كثير من شيوخ الطائفة وخاصة الشيخ الصدوق (رجال المامقاني : ٢٦١/٣ - كشكول البحراني : ٣٠١/١ - مقدمة كتاب الاحتجاج للعلامة الجليل السيد محمد بحر العلوم : ص ٥ هامش) .

(١) أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ، قرأ على والده ، شيخ الطائفة ، محمد بن الحسن الطوسي جميع تصانيفه ، كان عالماً ، فقيهاً ، محدثاً ، ثقة . له كتاب (الأمالي) و(شرح النهاية) ، وغيرهما . راجع (تنقيح المقال : ٣٠٦/١) . (هامش الإحتجاج : ٥٥/١) .

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، شيخ الطائفة الإمامية الاثني عشرية ، قدم العراق من طوس ، وهاجر إلى النجف الأشرف ، وبقي فيها مدرساً ومحدثاً إلى سنة وفاته (٤٦٠ هـ) ، تخرج من تدرسه كثير من الجهابذة المجتهدين . (الكنى والألقاب : ٣٥٧/٢ وما بعدها) . (حاشية كتاب الاحتجاج : ٥٥/١) .

(٣) أبو محمد هارون بن موسى الشيباني . كان من وجه أصحابنا الشيعة ، واسع الرواية ، ومعتمد عليه . توفي سنة (٣٨٥ هـ) . (الكنى والألقاب : ١٠٨/٢ - حاشية كتاب الاحتجاج : ٥٥/١) .

(٤) أبو علي ، محمد بن أبي بكر ، همام بن سهيل الكاتب الإسكافي ، له منزلة عظيمة ، وهو شيخ أصحابنا ، كثير الحديث . توفي سنة (٣٣٦ هـ) ، (رجال النجاشي : ص ٢٩٤) .

السوري ، قال : أخبرنا أبو محمد العلوي^(١) ، من ولد الأفتس - وكان من عباد الله الصالحين - قال : حدثنا محمد بن موسى الهمداني^(٢) ، قال : حدثنا محمد بن خالد الطيالسي^(٣) ، قال : حدثنا سيف بن عميرة^(٤) ، وصالح بن عقبة ، جميعاً ، عن قيس بن سمعان ، عن علقمة بن محمد الحضرمي :

عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) أنه قال :
حجَّ رسول الله (ص) من المدينة ، وقد بلغ جميع الشرائع قومه ، غير الحج والولاية ، فاتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال له :
يا محمد ! إنَّ الله ، جلَّ اسمه ، يقرئك السلام ، ويقول لك : إني لم أقبض نبياً من أنبيائي ، ولا رسولاً من رسلي ، إلا بعد إكمال ديني ، وتأكيد حجتي ، وقد بقي عليك من ذاك فريضتان ، مما تحتاج أن تبلغهما قومك : فريضة الحج ، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك ، فإني لم أخل أرضي من حجة ، ولن أخلها أبداً ، فإن الله جل ثناؤه ، يأمرك أن تبلغ قومك الحج ، وتحج ، ويحج معك من استطاع إليه سبيلاً ، من أهل الحضرمي ،

(١) أبو محمد العلوي ، المكنى يحيى ، علوي ، فقيه ، من أهل نيشابور ، له كتب كثيرة ، ثقة في الرواية والحديث . (رجال النجاشي : ص ٣٤٥) .

(٢) محمد بن موسى بن عيسى ، أبو جعفر الهمداني السَّمان ، اتهموه بالغلو ، وله كتاب (الرد على الغلاة) (رجال النجاشي : ص ٢٦١) .

(٣) أبو عبد الله محمد بن خالد الطيالسي التميمي . كان يقيم في الكوفة (ت ٢٥٩ هـ) (تنقيح المقال : ٣/١٢١٤) .

(٤) سيف بن عميرة النخعي : عربي ثقة ، كوفي (النجاشي : ص ١٤٣) .

والأطراف ، والأعراب ، وتعلمهم من معالم حجهم ، مثل ما علمتهم من صلاتهم ، وزكاتهم ، وصيامهم ، وتوقفهم من ذلك على مثال الذي أوقفتم عليه ، من جميع ما بلغتهم من الشرائع .
فنادى منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الناس :

ألا إنَّ رسول الله يريد الحج ، وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع دينكم ، ويوقفكم من ذاك على ما أوقفكم عليه من غيره .

فخرج (ص) ، وخرج معه الناس ، وأصغوا إليه ، لينظروا ما يصنع ، فيصنعوا مثله ، فحج بهم ، وبلغ من حج مع رسول الله (ص) من أهل المدينة ، وأهل الأطراف ، والأعراب ، سبعين ألف إنسان ، أو يزيدون ، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً ، الذين أخذ عليهم بيعة هارون ، فنكثوا واتبعوا العجل والسامري ، وكذلك أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى ، فنكثوا البيعة ، واتبعوا العجل والسامري ، سنَّة بسنَّة ، ومثلاً بمثل ، واتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة .

فلما وقف بالموقف ، أتاه جبرئيل (عليه السلام) عن الله ، عز وجل ، فقال :

يا محمد ! إنَّ الله ، عز وجل ، يقرئك السلام ، ويقول لك : إنه قد دنا أجلك ومدتك ، وأنا مستقدمك على ما لا بد منه ، ولا عنه محيص ، فاعهد عهدك ، وقدم وصيتك ، واعمد إلى ما عندك من العلم ، وميراث علوم الأنبياء من قبلك ،

والسلاح والتابوت ، وجميع ما عندك من آيات الأنبياء ، فسلمه إلى وصيّك ، وخليفتك من بعدك ، حجتي البالغة على خلقي ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأقمه للناس علماً ، وجدّد عهده وميثاقه ، وبيعته ، وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي ، وميثاقي ، الذي واثقتهم ، وعهدي الذي عهدت إليهم ، من ولاية وليي ، ومولاهم ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإني لم أقبض نبياً من الأنبياء ، إلا من بعد إكمال ديني وحجتي ، وإتمام نعمتي ، بولاية أوليائي ، ومعاداة أعدائي ، وذلك كمال توحيد وديني ، وإتمام نعمتي على خلقي ، باتباع وليي ، وطاعته ، وذلك أني لا أترك أرضي بغير ولي ولا قيم ، ليكون لي حجة على خلقي ، فاليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ، بولاية وليي ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، عليّ عدي ، ووصي نبيي ، والخليفة من بعده ، وحجتي البالغة على خلقي ، مقرون طاعته بطاعة محمد نبيي ، ومقرون طاعته مع طاعة محمد بطاعتي ، من أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علماً بيني وبين خلقي ، من عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن أشرك ببعته كان مشركاً ، ومن لقيني بولايته دخل الجنة ، ومن لقيني بعداوته دخل النار .

فأقم يا محمد علياً علماً ، وخذ عليهم البيعة ، وجدد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه ، فإني قابضك إليّ ، ومستقدمك عليّ .

فخشي رسول الله (ص) من قومه ، وأهل النفاق والشقاق ، أن يتفرقوا ويرجعوا إلى الجاهلية ، لما عرف من عداوتهم ، ولما تنطوي عليه أنفسهم لعلي ، من العداوة والبغضاء ، وسأل جبرئيل

أن يسأل ربه العصمة من الناس ، وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس عن الله ، جل اسمه ، فأخر ذلك إلى أن بلغ (مسجد الخيف)^(١) ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) في (مسجد الخيف) ، فأمره بأن يعهد عهده ويقيم علياً علماً للناس يهتدون به ، ولم يأتيه بالعصمة من الله ، جل جلاله ، بالذي أراد ، حتى بلغ (كراع الغميم)^(٢) ، بين مكة والمدينة ، فأتاه جبرئيل ، وأمره بالذي أتاه فيه من قبل الله ، ولم يأتيه بالعصمة .

فقال : يا جبرئيل ! إني أخشى قومي أن يكذبوني ، ولا يقبلوا قولي في علي (عليه السلام) !

فرحل ، فلما بلغ (غدير خم)^(٣) قبل (الجحفة) بثلاثة

(١) مسجد الخيف : هو مسجد بـ (منى) ، والخيف : هو منحدر ارتفع عن سيل الماء (مراصد الاطلاع : ٤٩٥/١) .

(٢) كراع الغميم : موضع بالحجاز ، بين مكة والمدينة ، أمام عسفان بثمانية أميال ، وهذا الكراع جبل أسود في طرف الحرّة تميل إليه (مراصد الاطلاع : ١٥٣/٣) .

(٣) غدير خم : بضم الخاء وتشديد الميم . واد بين الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) عند الجحفة ، به غدير عنده خطب رسول الله (ص) وقال يا قوت قبل ما نقلناه :

قال الزمخشري : خم : اسم رجل صباغ ، أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة ، وقيل هو على ثلاثة أميال من الجحفة . . . إلى أن قال : وخم موضع تصب فيه عين ، بين الغدير والعين وبينهما مسجد رسول الله (ص) .

وقال الزبيدي : وغدير خم : معروف على ثلاثة أميال بالجحفة . وقال النضر : ودون الجحفة على ميل بين الحرمين الشريفين . وقال ابن الأثير

أميال ، أتاه جبرئيل (عليه السلام) على خمس ساعات مضت من النهار ، بالزجر والانتهار ، والعصمة من الناس ، فقال :

يا محمد : إِنَّ الله ، عز وجل ، يقرئك السلام ويقول لك : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ - في عليّ - ﴿وإن لم تفعل ، فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس﴾^(١) .

وكان أوائلهم قريباً من (الجحفة) ، فأمر بأن يُردّ من تقدم منهم ، ويُحبس من تأخر عنهم ، في ذلك المكان ، ليقيم علياً علماً للناس ، ويبلغهم ما أنزل الله تعالى في عليّ ، وأخبره بأن الله ، عز وجل ، قد عصمه من الناس .

فأمر رسول الله (ص) عندما جاءته العصمة منادياً ينادي في الناس بالصلاة جامعة ، ويردّ من تقدم منهم ، ويحبس من تأخر ، وتنحى عن يمين الطريق ، إلى جنب مسجد الغدير ، أمره بذلك جبرئيل ، عن الله ، عز وجل ، وكان في الموضع سلمات ، فأمر رسول الله (ص) ، أن يُقمّ ما تحتهن ، وينصب له حجارة كهيئة المنبر ، ليشرق على الناس . فتراجع الناس ، واحتبس أواخرهم ، في ذلك المكان ، لا يزالون .

«فقام رسول الله (ص) فوق تلك الأحجار ، ثم مجد الله تعالى ، وأثنى عليه . . .» ، ثم ألقى (ص) عليهم ، خطبة الغدير .

في (النهاية) : «غدير خم : موضع بين مكة والمدينة ، تصب فيه عين هناك ، وبينهما مسجد رسول الله (ص) . . . الخ .
(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .

نصّ خطبة الفدير

«الحمد لله الذي علا في توّحده ، ودنا في تفرده ، وجلّ في سلطانه ، وعظم في أركانه ، وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانه ، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه ، مجيداً لم يزل ، محموداً لا يزال ، بارئ المسموكات ، وداحي المدحوات ، وجبار الأرضين والسموات ، قدوس ، سبوح ، رب الملائكة والروح ، متفضل على جميع من برأه ، متطول على جميع من أنشأه ، يلحظ كل عين ، والعيون لا تراه ، كريم حلیم ذو أناة ، قد وسع كل شيء رحمته ، ومنّ عليهم بنعمته ، لا يعجل بانتقامه ، ولا يبادر إليهم بما استحقوا من عذابه ، قد فهم السرائر ، وعلم الضمائر ، ولم تخف عليه المكنونات ، ولا اشتبهت عليه الخفيات ، له الإحاطة بكل شيء ، والغلبة على كل شيء ، والقوة في كل شيء ، والقدرة على كل شيء ، وليس مثله شيء ، وهو منشاء الشيء حين لا شيء ، دائم ، قائم بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، جلّ عن أن تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، لا يلحق أحد وصفه من معاينة ، ولا يجد أحد كيف هو ، من سرّ وعلائية ، إلا بما دلّ ، عزّ وجلّ ، على نفسه .

وأشهد أنه الله الذي ملأ الدهر قدسه ، والذي يغشي الأبد

نوره ، والذي ينفذ أمره بلا مشاورة مشير ، ولا معه شريك في تقدير ، ولا تفاوت في تدبير ، صور ما أبدع على غير مثال ، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ، ولا تكلف ، ولا احتيال ، أنشأها فكانت ، وبرأها فبانت ، فهو الله الذي لا إله إلا هو المتقن الصنعة ، الحسن الصنعة ، العدل الذي لا يجور ، والأكرم الذي ترجع إليه الأمور .

وأشهد أنه الذي تواضع كل شيء لقدرته ، وخضع كل شيء لهيبته ، ملك الأملاك ، وفلك الأفلاك ، ومسخر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى ، يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل ، يطلبه حيثاً ، قاصم كل جبار عنيد ، ومهلك كل شيطان مريد ، لم يكن معه ضد ، ولا ند ، أحد صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، إله واحد ، ورب ماجد ، يشاء فيمضي ، ويريد فيقضي ، ويعلم فيحصي ، ويميت ويحيي ، ويفقر ويفني ، ويضحك ويبكي ، ويمنع ويعطي .

له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، لا إله إلا هو العزيز الغفار ، مجيب الدعاء ، ومجزل العطاء ، محصي الأنفاس ، ورب الجنة والناس ، لا يشكل عليه شيء ، ولا يضجره صراخ المستصرخين ، ولا ييرمه إلحاح الملحّين ، العاصم للصالحين ، والموفق للمفلحين ، ومولى العالمين الذي استحق من كل من خلق أن يشكره ويحمده .

أحمده على السراء والضراء ، والشدة والرّخاء ، وأؤمن به ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، أسمع أمره ، وأطيع ، وأبادر إلى كل ما يرضاه ، وأستسلم لقضائه ، رغبة في طاعته ، وخوفاً من عقوبته ، لأنه الله الذي لا يؤمن مكره ، ولا يخاف جوره ، وأقر له على نفسي بالعبودية ، وأشهد له بالربوبية ، وأؤدي ما أوحى إليّ حذراً من أن لا

أفعل ، فتحلّ بي منه قارعة ، لا يدفعها عني أحد ، وإن عظمت
حيلته ، لا إله إلا هو لأنه قد أعلمني أنني إن لم أبلغ ما أنزل إليّ ،
فما بلّغت رسالته ، وقد ضمن لي ، تبارك وتعالى ، العصمة ، وهو الله
الكافي الكريم ، فأوحى إليّ :

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم : ﴿يا أيها الرسول ! بلغ ما أنزل إليك
من ربك﴾ في عليّ ، يعني في الخلافة لعلي بن أبي طالب (عليه
السلام) ﴿وإن لم تفعل ، فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس﴾ .
معاشر الناس ! ما قصرت في تبليغ ما أنزل الله تعالى إليّ ، وأنا
مبيّن لكم سبب نزول هذه الآية :

إن جبرئيل (عليه السلام) هبط إليّ مراراً ثلاثاً ، يأمرني عن
السلام ربّي وهو السلام ، أن أقوم في هذا المشهد ، فأعلم كل أبيض
وأسود ، أنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أخي ، ووصيي ،
وخليفتي ، والإمام من بعدي ، الذي محله مني محل هارون من
موسى ، إلا أنه لا نبيّ بعدي ، وهو وليكم من بعد الله ورسوله ، وقد
أنزل الله ، تبارك وتعالى ، عليّ بذلك آية من كتابه : ﴿إنما وليكم
الله ، ورسوله ، والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ،
وهم راعون﴾^(١) ، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أقام الصلاة ،

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٥ . وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿إنما
وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا . . .﴾ قال : «نزلت في علي ،
عليه السّلام» (مناقب ابن المغازلي : ص ٣١١ - تفسير الطبري :
١٦٥/٦ - تفسير ابن كثير : ٧١/٢ - والواحد في أسباب النزول :
ص ١٤٨ - والسيوطي في الدر المنثور : ٢٩٥/٢ - وكنز العمال :
٤٠٥/٦ - العمدة لابن البطريق : ص ٦٠ - وكفاية الطالب : ص ٢٥٠ -
تفسير القرطبي : ٣٣٦/٩ - ينابيع المودة : ص ٢٠٢ - فرائد السمطين :
١٩٢/١) .

وأتى الزكاة ، يريد الله ، عزَّ وجل ، في كل حال .

وسألت جبرئيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم - أيها الناس - لعلمي بقلَّة المتقين ، وكثرة المنافقين ، وإدغال الأثمين ، وختل المستهزئين بالإسلام ، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ويحسبونه هيناً ، وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لي في غير مرة ، حتى سمّوني أذنأً وزعموا أنني كذلك لكثرة ملازمته إياي ، وإقبالي عليه ، حتى أنزل الله ، عزَّ وجل في ذلك قرآناً : ﴿ومنها الذين يؤذون النبي ، ويقولون : هو أذن قل : أذن﴾ - على الذين يزعمون أنه أذن - ﴿خير لكم ، يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين﴾ الآية .

ولو شئت أن أسمى بأسمائهم لسمّيت ، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومات ، وأن أدلَّ عليهم لددلت ، ولكني والله في أمورهم قد تكرمت ، وكل ذلك لا يرضي الله مني ، إلا أن أبلغ ما أنزل إليّ ، ثم تلا (ص) : ﴿يا أيها الرسول ! بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ - في عليّ - ﴿وإن لم تفعل ، فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس﴾ .

فاعلموا معاشر الناس ! إن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً مفترضاً طاعته ، على المهاجرين والأنصار ، وعلى التابعين لهم بإحسان ، وعلى البادي والحاضر ، وعلى الأعجمي والعربي ، والحر والمملوك ، والصغير والكبير ، وعلى الأبيض والأسود ، وعلى كل موحد ، ماض حكمه ، جائر قوله ، نافذ أمره ، ملعون من خالفه ، مرحوم من تبعه ، مؤمن من صدقه فقد غفر الله له ، ولمن سمع منه ، وأطاع له .

معاشر الناس ! إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد ، فاسمعوا وأطيعوا ، وانقادوا لأمر ربكم ، فإن الله ، عز وجل ، هو مولاكم

وإلهكم ، ثم من دونه محمد (ص) وليكم القائم المخاطب لكم ، ثم من بعدي علي وليكم^(١) وإمامكم ، بأمر ربكم ، ثم الإمامة في ذريتي من ولده ، إلى يوم تلقون الله ورسوله ، لا حلال إلا ما أحلَّه الله ، ولا حرام إلا ما حرَّمه الله ، عرفني الحلال والحرام ، وأنا أفضيت لما علمني ربي من كتابه ، وحلاله وحرامه ، إليه .

معاشر الناس ! ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ ، وكل علم علّمت ، فقد أحصيته في إمام المتقين ، وما من علم إلا علمته عليا ، وهو الإمام المبين .

معاشر الناس ! لا تضلوا عنه ، ولا تنفروا منه ، ولا تستكبروا [ولا تستنكفوا - خ ل -] من ولايته ، فهو الذي يهدي إلى الحق ، ويعمل به ، ويزهق الباطل ، وينهى عنه ، ولا تأخذه في الله لومة لائم . ثم إنه أول من آمن بالله ورسوله ، وهو الذي فدى رسوله بنفسه ، وهو الذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره .

معاشر الناس ! فضّلوه فقد فضّله الله ، واقبلوه فقد نصبه الله .

معاشر الناس ! إنه إمام من الله ، ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته ولن يغفر الله له ، حتماً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه ، وأن يعذبه عذاباً شديداً ، نكراً ، أبد الأباد ، ودهر الدهور ، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين .

(١) عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) : «من كنت وليه ، فعليّ وليه» (مناقب ابن المغازلي الشافعي : ص ٢٤ - منتخب كنز العمال ، على هامش (المسند) : ٣٠ / ١) .

أيها الناس ! بي والله بشر الأولون من النبيين والمرسلين ، وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين ، والحجة على جميع المخلوقين ، من أهل السماوات والأرضين فمن شك في ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الأولى ، ومن شك في شيء من قولي هذا ، فقد شك في الكل منه ، والشاك في ذلك فله النار .

معاشر الناس ! حباني الله بهذه الفضيلة ، مناً منه عليّ ، وإحساناً منه إليّ ، ولا إله إلا هو ، له الحمد مني أبد الأبدين ، ودهر الدهرين على كل حال .

معاشر الناس ! فضلوا علياً فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى بنا أنزل الله الرزق ، وبقي الخلق ، ملعون ملعون ، مغضوب مغضوب ، من ردّ عليّ قولي هذا ولم يوافقه ، ألا إن جبرئيل خبّرني عن الله تعالى بذلك ، ويقول : «من عادى علياً ، ولم يتولّه ، فعليه لعنتي وغضبي»^(١) ، فلتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله أن تخالفوه ، فتزل قدم بعد ثبوتها ، إن الله خبير بما تعملون .

معاشر الناس ! إنه جنب الله الذي ذكر في كتابه فقال تعالى : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ : يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٢) .

(١) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن أبيه ، عن جده ، مرفوعاً ، قال (ص) : «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله ، عز وجل» (منتخب كنز العمال على هامش (المسند) : ٣٢/٥ - مناقب ابن المغازلي : ص ٢٣٠ - الرياض النضرة : ١٦٥/١ - ذخائر العقبى : ص ٦٥) .

(٢) سورة الزمر ؛ الآية : ٥٦ .

معاشر الناس ! تدبروا القرآن ، وافهموا آياته ، وانظروا إلى محكماته ، ولا تتبعوا متشابهه ، فوالله لن يبين لكم زواجره ، ولا يوضح لكم تفسيره ، إلا الذي أنا آخذ بيده ، ومصعده إليّ ، وشائل بعضده ، ومعلمكم : أن من كنت مولاه ، فهذا عليّ مولاه^(١) ، وهو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أخي ، ووصيي ، وموالاته من الله ، عز وجل ، أنزلها عليّ .

معاشر الناس ! إن علياً والطيبين من ولدي هم الثقل الأصغر ، والقرآن الثقل الأكبر ، فكل واحد منبىء عن صاحبه ، وموافق له ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، هم أمناء الله في خلقه ، وحكماؤه في أرضه ، ألا وقد أديت ، ألا وقد بلغت ، ألا وقد أسمعت ، ألا وقد أوضحت ، ألا وإن الله عز وجل قال ، وأنا قلت عن الله عز وجل : ألا إنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا ، ولا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره .

ثم ضرب (ص) بيده إلى عضده (ص) فرفعه ، وكان منذ أول ما صعد رسول الله (ص) ، شال علياً حتى صارت رجله مع ركة رسول الله (ص) ، ثم قال :

معاشر الناس ! هذا عليّ ، أخي ، ووصيي ، وواعي علمي ،

(١) (راجع منتخب كنز العمال على هامش (المسند) : ٣٢/٥ - ينابيع المودة : ٢٨/١ - مناقب ابن المغازلي : ص ٨١ ، وذكر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) خبر يوم الغدير وطرقه من خمس وسبعين طريقاً ، وأفرد له كتاباً سماه (الولاية) - فرائد السمطين : ٦٣/١ ترجمة أمير المؤمنين من (تاريخ دمشق) : ٤٧/٢ - الغدير : ٨/١ وقد ذكر الشيخ عبد الحسين الأميني ، ما يزيد على ثلاثمئة وستين مصدراً وراوية للحديث .

وخليفتي على أمتي ، وعلى تفسير كتاب الله عز وجل ، والداعي إليه ،
والعامل بما يرضاه ، والمحارب لأعدائه ، والموالي على طاعته ،
والناهي عن معصيته ، خليفة رسول الله ، وأمير المؤمنين ، والإمام
الهادي ، وقاتل الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين ، بأمر الله .

أقول وما يبدل القول لدي بأمر ربي ، أقول :

اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، والعن من أنكراه ،
واغضب على من جحد حقه .

اللهم إنك أنزلت عليّ أن الإمامة بعدي لعلّي وليك ، عند تبياني
ذلك ، ونصبي إياه ، بما أكملت لعبادك من دينهم ، وأتممت عليهم
بنعمتك ، ورضيت لهم الإسلام ديناً ، فقلت : ﴿ومن يتبع غير الإسلام
ديناً ، فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(١) . اللهم إني
أشهدك ، وكفى بك شهيداً : أنني قد بلغت .

معاشر الناس ! إنما أكمل الله ، عز وجل ، دينكم بإمامته ، فمن
لم يأتّم به ، وبمن يقوم مقامه من ولدي ، من صلبه ، إلى يوم
القيامة ، والعرض على الله ، عز وجل ، فأولئك الذين حبّطت
أعمالهم ، وفي النار هم فيها خالدون ، لا يخفف عنهم العذاب ، ولا
هم ينظرون .

معاشر الناس ! هذا عليّ أنصركم لي ، وأحقكم بي ، وأقربكم
إليّ ، وأعزكم عليّ ، والله ، عز وجل ، وأنا عنه راضيان وما نزلت آية
رضى إلا فيه ، وما خاطب الله الذين آمنوا ، إلا بدأ به ، ولا نزلت آية
مدح في القرآن ، إلا فيه ، ولا شهد بالجنة في ﴿هل أتى على
الإنسان﴾ إلا له ، ولا أنزلها في سواه ، ولا مدح بها غيره .

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٨٥ .

معاشر الناس ! هو ناصر دين الله ، والمجادل عن رسول الله ،
وهو التقى ، النقي ، الهادي ، المهدي ، نبيكم خير نبي ، ووصيكم
خير وصي ، وبنوه خير الأوصياء .

معاشر الناس ! ذرية كل نبي من صلبه ، وذريتي من صلب
عليّ (١) .

معاشر الناس ! إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد ، فلا
تحسدوه فتحبط أعمالكم ، وتزل أقدامكم ، فإن آدم أهبط إلى الأرض
لخطيئة واحدة ، وهو صفوة الله عز وجل ، وكيف بكم وأنتم أنتم ،
ومنكم أعداء الله ، إنه لا يبغض علياً إلا شقي ، ولا يتوالى علياً إلا
تقي ، ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص ، وفي عليّ ، والله ، نزلت سورة
والعصر : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، والعصر ، إن الإنسان لفي
خسر﴾ إلى آخرها .

معاشر الناس ! قد استشهدت الله وبلغتكم رسالتي ، وما على
الرسول إلا البلاغ المبين .

معاشر الناس ! اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم
مسلمون .

معاشر الناس ! آمنوا بالله ، ورسوله ، والنور الذي أنزل معه ،
من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها .

(١) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله (ص) : «إنَّ الله
جعل ذرية كل نبي من صلبه ، وإن الله ، عزَّ وعلا ، جعل ذرية محمد
من صلب علي بن أبي طالب» (مناقب ابن المغازلي الشافعي : ص ٤٩ -
الصواعق المحرقة : ص ٧٤ - السيوطي في الجامع الصغير : ٢٣٠/١ -
الرياض النضرة : ١٦٨/٢) .

معاشر الناس ! النور من الله ، عز وجل ، في مسلك ، ثم في عليّ ، ثم في النّسل منه ، إلى القائم المهدي^(١) ، الذي يأخذ بحق الله ، وبكل حق هو لنا ، لأنّ الله ، عز وجل ، قد جعلنا حجة على المقصرين ، والمعاندين ، والمخالفين ، والخائنين ، والأثمين ، والظالمين ، من جميع العالمين .

معاشر الناس ! أنذركم أني رسول الله ، قد خلت من قبلي الرسل ، أفإن متّ ، أو قُتلت ، انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبه ، فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين ، ألا وإنّ علياً هو الموصوف بالصبر ، والشكر ، ثم من بعده ولدي من صلبه .

معاشر الناس ! لا تمنوا على الله إسلامكم ، فيسخط عليكم ، ويصيبكم بعداب من عنده ، إنه لبالمرصاد .

معاشر الناس ! إنه سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر الناس ! إن الله وأنا بريثان منهم .

معاشر الناس ! إنهم ، وأنصارهم ، وأتباعهم ، وأشياعهم ، في الدرك الأسفل من النار ، ولبئس مثوى المتكبرين ، ألا إنهم أصحاب (الصحيفة) ، فلينظر أحدكم في صحيفته . قال : فذهب على الناس - إلا شردمة منهم - أمر الصحيفة .

(١) عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري ، عن جعفر الصادق ، عن أبيه ، عن جده عليّ بن الحسين ، قال : حدثنا عمي الحسن ، قال : سمعت جدي ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، يقول : «خلقت من نور الله عزّ وجلّ ، وخلق أهل بيتي من نوري ، وخلق محبيهم من نورهم . . .» (ينابيع المودة : ١٠/١ - فرائد السمطين : ٤١/١) .

معاشر الناس ! إني أدعها إمامة ووراثة في عقبي إلى يوم
القيامة ، وقد بلغت ما أمرت بتبليغه ، حجة على كل حاضر وغائب ،
وعلى كل أحد ممن شهد ، أو لم يشهد ، ولد أو لم يولد ، فليبلغ
الحاضر الغائب ، والوالد الولد ، إلى يوم القيامة ، وسيجعلونها ملكاً
واغتصاباً ، ألا لعن الله الفاصبين والمفتصبين ، وعندها سنفرخ لكم
أيها الثقلان ، فيرسل عليكم شواظ من نار ونحاس ، فلا تنتصران .

معاشر الناس ! إنَّ الله ، عز وجل ، لم يكن يذركم على ما أنتم
عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان ليطلعكم على الغيب .

معاشر الناس ! إنه ما من قرية إلا والله مهلكها بتكذيبها ،
وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة ، كما ذكر الله تعالى ، وهذا علي
إمامكم ووليكم ، وهو مواعيد الله ، والله يصدق ما وعده .

معاشر الناس ! قد ضلَّ قبلكم أكثر الأولين ، والله لقد أهلك
الأولين ، وهو مهلك الآخرين ، قال الله تعالى :

﴿ألم نهلك الأولين ، ثم نتبعهم الآخرين ، كذلك نفعل
بالمجرمين ، ويل يومئذ للمكذبين﴾^(١) .

معاشر الناس ! إنَّ الله قد أمرني ونهاني ، وقد أمرت علياً
ونهيته ، فعلم الأمر والنهي من ربه ، عز وجل ، فاسمعوا لأمره
تسلموا ، وأطيعوا تهتدوا ، وانتهوا لنهيته ترشدوا ، وصيروا إلى
مراده ، ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله .

معاشر الناس ! أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه ، ثم
علي من بعدي ، ثم ولدي من صلبه ، أئمة يهدون إلى الحق ، وبه

(١) سورة المرسلات ؛ الآيات : ١٦ - ١٩ .

يعدلون^(١) ، ثم قرأ : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخرها ، وقال :
في نزلت ، وفيهم نزلت ، ولهم عمّت ، وإياهم خصّت ، أولئك أولياء
الله ، لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، ألا إن حزب الله هم
الغالبون ، ألا إن أعداء عليّ هم أهل الشقاق والنفاق ، والحادون ،
وهم العادون ، وإخوان الشياطين الذين يوحى بعضهم إلى بعض
زخرف القول غروراً .

ألا إن أولياءهم الذين ذكرهم الله في كتابه ، فقال ، عز
وجل ، : ﴿لا تجد قوماً ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حادّ
الله ورسوله﴾^(٢) إلى آخر الآية .

ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله ، عز وجل ، فقال : ﴿الذين
آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم
مهتدون﴾^(٣) .

ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله ، عز وجل ، فقال : ﴿الذين
يدخلون الجنة آمنين﴾ تتلقاهم الملائكة بالتسليم ، أن طبتم فادخلوها
خالدين .

ألا إن أولياءهم الذين قال لهم الله ، عز وجل ، يدخلون الجنة
بغير حساب .

ألا إن أعداءهم يصلون سعيراً ، ألا إن أعداءهم الذين يسمعون

(١) أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن زاذان ، عن علي رضي الله عنه ،
قال : «تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة . إثنان وسبعون في
النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الذين قال الله ، عز وجل ، في حقهم :
﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون﴾ وهم أنا ، ومحبي ،
وأتباعي» (ينابيع المودة : ١٠٩/١) .

(٢) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ٨٢ .

لجهنم شهيقاً وهي تفور ولها زفير ، ألا إن أعداءهم الذين قال الله فيهم : ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾^(١) ، ألا إن أعداءهم الذين قال الله ، عز وجل ، : ﴿كلما ألقى فيها فوج ، سألهم خزنتها : ألم يأتكم نذير؟ قالوا : بلى ، قد جاءنا نذير فكذبنا ، وقلنا : ما نزل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾^(٢) .

ألا إن أولياءهم : ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب ، لهم مغفرة وأجر كبير﴾ .

معاشر الناس ! شتان ما بين السعير والجنة ، عدونا من ذمه الله ولعنه ، وولينا من مدحه الله وأحبه .

معاشر الناس ! ألا وإني منذر ، وعلي هاد^(٣) .

معاشر الناس ! إني نبي ، وعلي وصي ، ألا إن خاتم الأئمة منا القائم المهدي . ألا إنه الظاهر على الدين ، ألا إنه المنتقم من الظالمين ، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها ، ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك ، ألا إنه مدرك بكل ثار لأولياء الله ، ألا إنه الناصر لدين الله ، ألا إنه الغرّاف في بحر عميق ، ألا إنه يسم كل ذي فضل بفضله ، وكل ذي جهل بجهله ، ألا إنه خيرة الله ومختاره ، ألا إنه وارث كل علم والمحيط به ، ألا إنه المخبر عن ربه عز وجل ، والمنبه بأمر إيمانه ، ألا إنه الرشيد السديد ، ألا إنه المفوض إليه ، ألا إنه قد بشر به من سلف بين يديه .

ألا إنه الباقي حجة ، ولا حجة بعده ، ولا حق إلا معه ، ولا

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٨ .

(٢) سورة الملك ؛ الآيتان : ٨ - ٩ .

(٣) عن ابن عباس (رض) قال : لما نزلت ﴿إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد﴾

(الرعد : ٧) قال النبي (ص) : «أنا المنذر ، وعلي الهادي ، وبك يا

علي يهتدي المهتدون بعدي» (فرائد السمطين : ١/١٤٨) .

نور إلا عنده ، ألا إنه لا غالب له ، ولا منصور عليه ، ألا وإنه ولي الله في أرضه ، وحكمه في خلقه ، وأمينه في سره وعلانيته .

معاشر الناس ! قد بينت لكم ، وأفهمتكم ، وهذا علي يفهمكم بعدي ، ألا وإني عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي على بيعته ، والإقرار به ، ثم مصافقته بعدي .

ألا وإني قد بايعت الله ، وعليّ قد بايعني ، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله ، عز وجل ، ﴿فمن نكث ، فإنما ينكث على نفسه﴾^(١) الآية .

معاشر الناس ! إنَّ الحج ، والصفاء ، والمروة ، والعمرة ، من شعائر الله ﴿فمن حج البيت أو اعتمر ، فلا جناح عليه ، أن يطوف بهما﴾^(٢) الآية .

معاشر الناس ! حجوا البيت ، فما وردة أهل البيت إلا استغنوا ، ولا تخلفوا عنه إلا افتقروا .

معاشر الناس ! ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك ، فإذا انقضت حجته استؤنف عمله .

معاشر الناس ! الحجاج معاونون ، ونفقاتهم مخلفة ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

معاشر الناس ! حجوا البيت بكمال الدين ، والتفقه ، ولا تنصرفوا عن المشاهد إلا بتوبة وإقلاع .

معاشر الناس ! أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، كما أمركم الله ، عز وجل ، لئن طال عليكم الأمد ، فقصرتم ، أو نسيتم ، فعليّ

(١) سورة الفتح ؛ الآية : ١٠ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٨ .

وليكنم ، ومبين لكم ، الذي نصبه الله ، عز وجل ، بعدي ، ومن خلفه
الله مني ، ومنه يخبركم بما تسألون عنه ، ويبين لكم ما لا تعلمون .

ألا إنَّ الحلال والحرام أكثر من أن أحصيها ، وأعرّفهما ، فأمر
بالحلال ، وأنهى عن الحرام ، في مقام واحد ، فأمرت أن آخذ البيعة
منكم ، والصفقة لكم ، بقبول ما جئت به عن الله ، عز وجل ، في
عليّ ، أمير المؤمنين ، والأئمة من بعده ، الذين هم مني ومنه ، أئمة
قائمة ، منهم المهدي ، إلى يوم القيامة ، الذي يقضي بالحق .

معاشر الناس ! وكل حلال دللتكم عليه ، أو حرام نهيتكم عنه ،
فإني لم أرجع عن ذلك ، ولم أبدل ، ألا فاذكروا ذلك واحفظوه ،
وتواصوا به ، ولا تبدلوه ، ولا تغيروه .

ألا وإني أجدد القول : ألا فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وأمروا بالمعروف ، وانهاؤا عن المنكر .

ألا وإنَّ رأس الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : أن تنتهوا
إلى قولي ، وتبلغوه من لم يحضر ، وتأمروه بقبوله ، وتنهوه عن
مخالفته ، فإنه أمر من الله ، عز وجل ، ومني ، ولا أمر بمعروف ،
ولا نهي عن منكر ، إلا مع إمام معصوم .

معاشر الناس ! القرآن يعرفكم أن الأئمة من بعده ولده ،
وعرفتكم أنه مني ، وأنا منه ، حيث يقول الله في كتابه : ﴿وجعلها
كلمة باقية في عقبه﴾^(١) ، وقلت : «لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما» .

معاشر الناس ! التقوى ، التقوى ! احذروا الساعة كما قال الله
، عز وجل ، : ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾^(٢) . اذكروا الممات ،
والحساب ، والموازين ، والمحاسبة بين يدي رب العالمين ،

(١) سورة الزخرف ؛ الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الحج ؛ الآية : ١ .

والشواب ، والعقاب ، فمن جاء بالحسنة ، أئيب عليها ، ومن جاء بالسيئة ، فليس له في الجنان نصيب .

معاشر الناس ! إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة ، وقد أمرني الله (عز وجل) أن أخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلّي من إمرة المؤمنين ، ومن جاء بعده من الأئمة مني ، ومنه ، على ما أعلمتكم : أن ذريتي من صلبه فقولوا بأجمعكم : «إنا سامعون ، مطيعون ، راضون ، منقادون لما بلّغت عن ربنا وربك ، في أمر عليّ ، وأمر ولده من صلبه ، من الأئمة ، نبايعك على ذلك بقلوبنا ، وأنفسنا ، وألسنتنا ، وأيدينا ، على ذلك نحيا ، ونموت ، ونبعث ، ولا نغير ، ولا نبذل ، ولا نشك ، ولا نرتاب ، ولا نرجع عن عهد ، ولا ننقض الميثاق ، نطيع الله ونطيعك ، وعلياً أمير المؤمنين ، وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريتك من صلبه ، بعد الحسن والحسين اللذين قد عرفتكم مكانهما مني ، ومحلها عندي ، ومنزلتهما من ربي ، عز وجل ، فقد أدّيت ذلك إليكم ، وإنهما سيذا شباب أهل الجنة ، وأنهما الإمامان بعد أبيهما علي ، وأنا أبوهما قبله» .

وقولوا : «أطعنا الله بذلك ، وإياك ، وعلياً ، والحسن والحسين ، والأئمة الذين ذكرت ، عهداً ، وميثاقاً مأخوذاً لأمير المؤمنين ، من قلوبنا ، وأنفسنا ، وألسنتنا ، ومصافقة أيدينا ، من أدركهما بيده ، وأقرّ بهما بلسانه ، ولا نبغي بذلك بدلاً ، ولا نرى من أنفسنا عنه حولاً أبداً ، أشهدنا الله ، وكفى بالله شهيداً ، وأنت علينا به شهيد ، وكل من أطاع ممن ظهر ، واستتر ، وملائكة الله ، وجنوده ، وعباده ، والله أكبر من كل شهيد» .

معاشر الناس ! ما تقولون ؟ فإن الله يعلم كل صوت وخافية في كل نفس ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضلّ ، فإنما يضلّ عليها ، ومن بايع فإنما يبايع الله ، يد الله فوق أيديهم .

معاشر الناس ! فاتقوا الله ، وبايعوا علياً أمير المؤمنين ،

والحسن ، والحسين ، والأئمة ، كلمة طيبة باقية ، يهلك الله من
غدر ، ويرحم الله من وفى ، ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾^(١)
الآية .

معاشر الناس ! قولوا الذي قلت لكم ، وسلموا على عليّ بإمرة
المؤمنين ، وقولوا : ﴿سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك
المصير﴾^(٢) ، وقولوا : ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله﴾^(٣) الآية .

معاشر الناس ! إن فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند
الله ، عز وجل ، وقد أنزلها في القرآن أكثر من أن أحصيتها في مقام
واحد ، فمن أنبأكم بها وعرفها ، فصدقوه .

معاشر الناس ! من يطع الله ، ورسوله ، وعلياً ، والأئمة الذين
ذكرتهم ، فقد فاز فوزاً عظيماً .

معاشر الناس ! السابقون السابقون ، إلى مبايعته ، وموالاته ،
والتسليم عليه بإمرة المؤمنين ، أولئك هم الفائزون في جنات النعيم .

معاشر الناس ! قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول ، ﴿إن
تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً ، فإن الله لغني حميد﴾^(٤) .

اللهم اغفر للمؤمنين ، واغضب على الكافرين ، والحمد لله رب
العالمين^(٥) .

(١) سورة الفتح ؛ الآية : ١٠ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٥ .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٣ .

(٤) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٨ .

(٥) ذكر حديث الغدير ببعض ألفاظ الخطبة كل من القاضي أبي بكر الباقلاني =

فناداه القوم : «سمعنا وأطعنا على أمر الله ، وأمر رسوله ، بقلوبنا ، وألسنتنا ، وأيدينا» .

وتداكوا على رسول الله (ص) ، وعلى عليّ ، عليه السلام ، فصافقوا بأيديهم ، فكان أول من صافق رسول الله (ص) ، الأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، والخامس ، وباقي المهاجرين والأنصار ، وباقي الناس على طبقاتهم ، وقدر منازلهم ، إلى أن صليت المغرب والعتمة في وقت واحد ، ووصلوا البيعة والمصافحة ثلاثاً ، ورسول الله يقول كلما بايع قوم : «الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين» . وصارت المصافحة سنة ورسماً ، وربما يستعملها من ليس له حق فيها .

وروي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال :

= البصري (ت ٤٠٣ هـ) في (التمهيد) ، والقاضي عبد الرحمن الابجي الشافعي (ت ٧٥٦ هـ) في (المواقف : ص ٤٠٥) ، والشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) في (شرح المواقف : ٣٦٠/٨) ، والبيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في (طوالع الأنوار) ، والتفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) في (شرح المقاصد) ، والقوشجي المولى علاء الدين (ت ٨٧٩ هـ) في (شرح التجريد) ، وهذا لفظهم : «إنَّ النبي (ص) قد جمع الناس يوم غدير خم ، موضع بين مكة والمدينة ، بـ (الجحفة) ، وذلك بعد رجوعه من حجة الوداع ، وكان يوماً صائفاً ، حتى إنَّ الرجل ليضع رداءه تحت قدميه ، من شدة الحر ، وجمع الرجال ، وصعد عليها ، وقال مخاطباً : «معاشر المسلمين ! ألسنت أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : اللّهُمَّ بلى ، قال : من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللّهُمَّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله» (راجع الغدير : ٨/١ ، وينابيع المودة : ٢٦/١) .

لما فرغ رسول الله (ص) ، من هذه الخطبة ، رأى الناس رجلاً جميلاً ، بهياً ، طيب الريح ، فقال : تالله ما رأيت محمداً كالיום قط ، ما أشد ما يؤكد لابن عمه ، وإنه يعقد عقداً لا يحله إلا كافر بالله العظيم ، ورسوله ، ويل طويل لمن حلَّ عقده» .

قال : والتفت إليه عمر بن الخطاب ، حين سمع كلامه ، فأعجبه هيأته ، ثم التفت إلى النبي (ص) وقال : أما سمعت ما قال هذا الرجل ، قال كذا وكذا ؟

فقال النبي (ص) : يا عمر ! أتدري من ذاك الرجل ؟ قال : لا . قال : ذاك الروح الأمين جبرئيل ، فإياك أن تحلَّه ، فإنك إن فعلت ، فالله ، ورسوله ، وملائكته ، والمؤمنون منك براء^(١) .

بالإمعان في الحديث الذي نقلناه بطوله في هذا الكتاب ، وكذلك بالتعمق في الآيات القرآنية ، والأحاديث الكثيرة المأثورة في موضوع (الغدير) ، تتجلى حقيقة أن الإقرار بالوحدانية لله ، عز وجل ، ونبوة الرسول الأكرم (ص) ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاعتراف بولاية وإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده الطاهرين ، وإنَّ للكلمات الثلاثة الطيبات : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليّ ولي الله ، تماسكاً غير قابل للتفكيك بينها ، وإنَّ الولاية المطلقة لعلي بن أبي طالب (ع) ، وجدت منذ وجود رسالة ونبوة الرسول الأعظم (ص) ، والتوحيد لله ، تبارك وتعالى ، من أول الدهر إلى آخره .

إن صريح الآية المباركة : ﴿يا أيها الرسول بلغ...﴾ ،

(١) راجع الاحتجاج : ص ٥٥ - ٦٧ .

وآية : ﴿إنما وليكم الله . . . ﴾ والآيات والروايات الكثيرة ، تثبت أنه لا جدوى من الإقرار اللساني بالتوحيد والنبوة ، إلا بالاعتراف والإقرار بالولاية .

ونقول أكثر من ذلك ، بناء لما تقدم : إن كمال الدين ، وتمام النعمة ، وقبول الأعمال ، والدخول إلى الجنة ، والنجاة من النار ، والجواز على الصراط وغير ذلك من جلائل الأعمال والنتائج ، كلها متوقفة على الإقرار والاعتراف بولاية أمير المؤمنين ، والأئمة الأطهار (ع) .

وللاستدلال على ما قلناه نورد بعض الأحاديث الشريفة :

١ - عن أبي جعفر (ع) : «بني الإسلام على خمس : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم شهر رمضان ، والولاية لنا أهل البيت ، فجعل في أربع منها رخصة ، ولم يجعل في الولاية رخصة : من لم يكن له مال ، لم يكن عليه الزكاة ، ومن لم يكن عنده مال ، فليس عليه حج ، ومن كان مريضاً ، صلى قاعداً ، وأفطر شهر رمضان . والولاية : صحيحاً كان أو مريضاً ، أو ذا مال ، أو لا مال له فهي لازمة ، واجبة»^(١) .

٢ - المناقب لابن شاذان^(٢) : عن أبي سلمى راعي رسول الله (ص) قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«ليلة أسري بي إلى السماء ، قال لي الجليل ، جل جلاله : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ - قلت -

(١) الخصال : ص ٢٧٧ .

(٢) المنقبة (١٧) ص ٣٧ .

﴿والمؤمنون كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله﴾^(١) .

قال : صدقت يا محمد ، من خلفت في أمتك ؟ قلت :
خيرها . قال : علي بن أبي طالب ، عليه السلام ؟ قلت : نعم يا
رب .

قال : يا محمد إني أطلعت إلى الأرض اطلاعة ، فاخترتك
منها ، فشقت لك إسماً من أسمائي ، فلا أذكر في موضع إلا
ذكرت معي ، فأنا المحمود وأنت محمد .

ثم اطلعت الثانية ، فاخترت منها علياً ، فشقت له إسماً من
أسمائي ، فأنا العلي الأعلى ، وهو علي .

يا محمد ! إني خلقتك ، وخلقت علياً ، وفاطمة ،
والحسن ، والحسين ، والأئمة من ولده ، من سنخ نوري ،
وعرضت ولايتكم على أهل السماوات ، وأهل الأرضين ، فمن
قبلها كان عندي من المؤمنين ، ومن جحدها كان عندي من
الكافرين .

يا محمد ! لو أن عبداً من عبيدي ، عبدني حتى ينقطع ،
ويصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاهداً لولايتكم ما غفرت له ،
حتى يقر بولايتكم»^(٢) .

٣ - المناقب لابن شاذان^(٣) : عن عبد الله بن مسعود قال :
قال رسول الله (ص) : لما خلق الله آدم ، ونفخ فيه من روحه ،

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٥ .

(٢) في عيون أخبار الرضا (ع) : ٤٧/١ باختلاف يسير في اللفظ .

(٣) المنقبة الخمسون : ص ٨٢ .

عطس آدم وقال : « الحمد لله » . فأوحى الله تعالى إليه : حمدتني عبدي ، وعزتي وجلالي ! لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك . قال : إلهي فيكونان مني ؟ قال : نعم يا آدم ، إرفع رأسك وانظر ، فرفع رأسه ، فإذا مكتوب على العرش :
« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، نبي الرحمة ، وعلي مقيم الحجّة . . . » .

٤ - عيون أخبار الرضا^(١) : عن عبد السلام بن صالح الهروي ، قال : قلت للرضا (ع) : يا بن رسول الله ! أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ، ما كانت ؟ فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من يروي أنها الحنطة ، ومنهم من يروي أنها العنب ، ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد .

فقال (ع) : كل ذلك حق . قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال : يا أبا الصلت ! إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً ، فكانت شجرة الحنطة ، وفيها عنب ، وليست كشجرة الدنيا ، وإن آدم (ع) لما أكرمه الله تعالى ، ذكره بإسجاد ملائكته ، وبإدخاله الجنة ، قال في نفسه : هل خلق الله بشراً أفضل مني ؟ فعلم الله ، عز وجل ، ما وقع في نفسه ، فناداه ارفع رأسك يا آدم ، وانظر إلى ساق العرش .

فرفع آدم رأسه ، فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً :
« لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ، وعلي بن أبي طالب (ع) أمير المؤمنين ، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ، والحسن

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ٢٣٩/١ - الحديث (٦٧) .

والحسين سيذا شباب أهل الجنة» .

فقال آدم (ع) : يا رب ! من هؤلاء ؟ فقال ، عز وجل : هؤلاء من ذريتك ، وهم خير منك ، ومن جميع خلقي ، ولولاهم ما خلقتك ، ولا خلقت الجنة والنار» .

٥ - (مدينة المعاجز) للمقدس السيد هاشم البحراني^(١) ، المسنود إلى جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي (ص) في حديث مفصل منه :

«... ثم إن الله تعالى ، خلق القلم ، وقال له : أكتب . قال : وما أكتب يا رب ؟ قال : أكتب توحيددي . فمكث القلم سكران من قول الله ، عز وجل ، عشرة آلاف عام ، ثم أفاق بعد ذلك ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب : «لا إله إلا الله ، محمد

(١) السيد الجليل ، العديم المثل ، السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد البحراني الثوبلي الكتكاني ، نسبة إلى كتكان (قرية من الثوبلي من البحرين) ، المعروف بالعلامة . كان فاضلاً ، محدثاً ، متبوعاً للأخبار . صنف كتباً عديدة ، وكانت بمعظمها مجرد جمع وتأليف . انتهت رئاسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد إليه ، فقام بالقضاء في البلاد ، وتولى الأمور الحسبية ، وقمع أيدي الظلمة . كان من الأتقياء المتورعين ، شديداً على الملوك والسلاطين . توفي (قدس سره) في قرية (نعيم) سنة (١١٠٩ هـ) ، ونقل نعشه إلى قرية (توبلي) ، ودفن بها في مقبرة (ماثني) . وقبره مزار معروف . ومن مصنفاته : (البرهان في تفسير القرآن) (معالم الزلفي) ، و(مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ، ودلائل الحجج على البشر) وهو الكتاب الذي نقل منه النص ، وغيرها كثير . (أنوار البدرين : ص ١٣٦) .

رسول الله ، علي ولي الله .

«فلما فرغ القلم من كتابة الأسماء ، قال : يا رب ! ومن هؤلاء الذين قرنت اسمهما باسمك ؟ قال الله تعالى : يا قلم ! محمد نبي وخاتم أوليائي وأنبيائي ، وعليّ وليي وخليفتي علي عبادي ، وحجتي عليهم ، وعزتي وجلالي ، لولاهما ما خلقتك ، ولا خلقت اللوح المحفوظ ...»^(١) .

٦ - (مناقب الخوارزمي) : «عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : لما عرج بي إلى السماء ، رأيت علي باب الجنة مكتوباً «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي حبيب الله ، الحسن والحسين صفوة الله ، فاطمة أمة الله ، علي مبغضيهم لعنة الله»^(٢) .

٧ - (مدينة المعاجز) : في الحديث المفصل ، المروي عن رسول الله (ص) وخلاصته : أنه قال : «رأيت ليلة المعراج مكتوباً علي باب الجنة من نور : «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، وعلي الباب الخامس منها مكتوباً : «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، من أراد أن لا يُذَل ، فلا يذَل ، ومن أراد أن لا يُشتم ، فلا يشتم ، ومن أراد أن لا يُظلم ، فلا يُظلم ، ومن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى يقول : لا إله إلا

(١) مدينة المعاجز : ص ١٥١ . الباب الأول : الحديث (٤٢١) .

(٢) المناقب للخوارزمي : أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري ، المكي الحنفي ، المعروف بـ (أخطب خوارزم) . (ت ٥٦٨ هـ) : ص ٢١٤ . ومدينة المعاجز : ص ١٤٩ - كلمة الله هي العليا : ص ٩٤ .

الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله . . . »^(١) .

٨ - (الإحتجاج) للطبرسي) : في رواية عن علي بن أبي حمزة^(٢) ، عن الإمام جعفر الصادق (ع) ، عن آبائه ، عن رسول الله (ص) أنه قال :

«حدثني جبرئيل ، عن رب العزة ، جل جلاله ، أنه قال : من علم أن لا إله إلا أنا وحدي ، وأن محمداً عبدي ورسولي ، وأن علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، ولي ، وخليفتي ، وأن الأئمة من ولده حججي ، أدخلته الجنة برحمتي ، ونجيته من النار بعفوي ، وأبحت له جواربي ، فأوجبت له كرامتي ، وأتممت عليه نعمتي ، وجعلته من خاصتي وخالصتي ، إن ناداني لبيته ، وإن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت ابتدأته ، وإن أساء رحمته ، وإن فرّ مني دعوته ، وإن رجع إليّ قبلته ، وإن قرع بابي فتحتة .

ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي ، أو شهد بذلك ، ولم يشهد أن محمداً عبدي ورسولي ، أو شهد بذلك ، ولم يشهد أن علي بن أبي طالب خليفتي ، أو شهد بذلك ، ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي ، فقد جحد نعمتي ، وصغر عظمتي ، وكفر بآياتي وكتبي ، إن قصدني حجبتة ، وإن سألني حرمتة ، وإن ناداني لم أسمع نداءه ، وإن دعاني لم أستجب دعاءه ، وإن

(١) مدينة المعاجز : ص ١٥٠ - الحديث (٤١٧) - ص ٩٤ .

(٢) علي بن أبي حمزة ، مولى الأنصار الكوفي ، روى عن أبي عبد الله الصادق (ع) وأبي الحسن موسى (ع) وصنف كتباً (رجال النجاشي : ص ١٨٨) .

رجاني خيبته ، وذلك جزاؤه مني ، وما أنا بظلام للعبيد» .

فقام جابر بن عبدالله الأنصاري ، فقال : يا رسول الله ، ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب ؟

فقال : الحسن والحسين ، سيدي شباب أهل الجنة ، ثم زين العابدين في زمانه ، علي بن الحسين ، ثم الباقر محمد بن علي ، وستدركه يا جابر ، فإذا أدركته ، فاقرئه مني السّلام ، ثم الصادق ، جعفر بن محمد ، ثم الكاظم ، موسى بن جعفر ، ثم الرضا ، علي بن موسى ، ثم التقي ، الجواد ، محمد بن علي ، ثم النقي ، علي بن محمد ، ثم الزكي ، الحسن بن علي ، ثم ابنه القائم بالحق ، مهدي أمّتي ، محمد بن الحسن ، صاحب الزمان - صلوات الله عليهم أجمعين - الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً .

هؤلاء يا جابر خلفائي ، وأوصيائي ، وأولادي ، وعترتي ، من أطاعهم فقد أطاعني ، ومن عصاهم فقد عصاني ، ومن أنكرهم ، أو أنكر واحداً منهم ، فقد أنكرني ، بهم يمسك الله عز وجل ، السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها . . .»^(١) .

٩ - (مناقب الخوارزمي) : من حديث طويل ، عن ابن عباس (ره) ، أن رسول الله (ص) قال : «يا فاطمة ! يكسى أبوك حلتين من حلل الجنة ، ويكسى علي حلتين من حلل الجنة ، ولواء الحمد في يدي ، وأمّتي تحت لوائي ، فأناوله علياً ، لكرامة

(١) الاحتجاج : ٦٨/١ .

عليّ على الله ، وينادي منادٍ : «يا محمد ! نعم الجدد جدك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي بن أبي طالب !» ، وإذا دعاني رب العالمين ، دعا علياً معي ، وإذا حبيت حبي علي معي ، وإذا أشفعت شفّع عليّ معي ، وإذا أجبت أجيب علي معي ، وأنه في المقام المحمود معي ، عوني على مفاتيح الجنة ، قومي يا فاطمة ، إنّ علياً وشيعته هم الفائزون غداً...»^(١) .

١٠ - (السلافة في أمر الخلافة) للشيخ عبدالله المراغي المصري ، من علماء العامة :

«إنّ سلمان الفارسي كان يشهد بالولاية لعلي ، عليه السلام ، بعد الشهادتين في أذانه ، فسمعه أحد المسلمين ، وجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال : يا رسول الله ! سمعت سلمان يشهد لعلي بالولاية ! (يعني ، يقول : «أشهد أنّ علياً ولي الله» بعد شهادته بالرسالة في الأذان .

فقال النبي ، صلى الله عليه وآله : سمعت خيراً .

وروى أيضاً الشيخ عبدالله المراغي المصري : «جاء رجل إلى رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وقال : يا رسول الله ! إنّ أبا ذر يقول في أذانه بعد الشهادة بالرسالة : (أشهد أنّ علياً ولي الله) !!

فقال له النبي (ص) : «الحق ما سمعته من أبي ذر ، وهل نسيتم قولني في غدِير خم ؟ ألم أقل : «من كنت مولاه ، فهذا علي مولاه» ؟! فمن نكث بعهدّه ، فإنما أذل نفسه !! .

(١) المناقب : ص ٢٠٦ .

١١ - (الاحتجاج للطبرسي) : روى قاسم بن معاوية بن عمار ، حديثاً مفصلاً في ذكر الشهادة الثالثة عن الإمام الصادق (عليه السلام) خلاصته :

مكتوب على العرش والماء ، والكرسي ، واللوح ، والسموات ، والأرضين ، والشمس ، والقمر ، والجبال (علي أمير المؤمنين) ، «فإذا قال أحدكم : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله» ، فليقل : «علي أمير المؤمنين»^(١) .

فبناء لكل ما تقدم نجد أن الأخبار التي تجاوزت حد التواتر ، صريحة بأن إسم علي (ع) في كل مكان ، بدءاً بالعرش ، ثم في أبواب الجنان ، وفي السماوات والأرضين وعبادة سلمان (ع) وأبي ذر (ع) ، وقد اقترن ذكره بذكر الله ورسوله ، وكلما ذكر التوحيد والرسالة ، كانت الولاية ، وإنّ علياً (ولي الله) متمماً ومكماً لذكرهما .

فينبغي بعد هذا أن لا نتردد في ذكر الولاية ، بعد كل شهادة للتوحيد والرسالة ، ولا يجوز لمؤمن ، إثني عشري ، ترك ذلك ، بل فيه مخالفة للمحبة والولاية ، والتردد والتشكيك في ذلك ، بعد ورود الأوامر المؤكدة بذكر «علي ولي الله» عند كل «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله» ، إساءة بالأدب ، وتخلّ عن الواجب ، وجزاء ذلك معروف !

ولنذكر هنا بالمناسبة ، كلام العلامة الأجل الأستاذ المعظم ، آية الله ، الشيخ عبد النبي العراقي ، الذي هو من المراجع العظام

(١) الاحتجاج : ١٥٨/١ .

في قم ، وصاحب المؤلفات المهمة والمفيدة حيث يقول :

« . . . من المؤكد أن قليلاً من الأحكام الفقهية ، تستند على أدلة قوية محكمة ، كأدلة الشهادة الثالثة ، حيث أن الفقهاء يستفيدون في أكثر المسائل بالخبر الواحد ، أو بالإجماع المنقول ويكتفون بها .

والحال إنَّ الشهادة الثالثة (أشهد أن علياً ولي الله) مدعومة بأكثر من عشرة أحاديث مسندة . . . » ، ويضيف : «إنَّ اختياري في مشروعية الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة أنها جزء أصل منهما . . . » .

ويقول المرحوم ، سند الأعلام ، الشيخ محمد حسن ، صاحب كتاب (جواهر الكلام) (رحمه الله) في كتابه المذكور ، في باب الأذان والإقامة :

«لا مانع من ذكر الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة ، ولكن ليس بقصد الجزئية ، عملاً بالخبر المذكور ، وذكر الشهادة الثالثة ، لا يضر بالموالاة والترتيب في الأذان والإقامة ، بل مثلها مثل الصلوات على محمد وآل محمد . ولولا مسالمة الأصحاب ، لكان ينبغي ادعاء جزئية الشهادة الثالثة (أشهد أن علياً ولي الله) في الأذان والإقامة . . . »^(١) .

(١) قال الشيخ في (النهاية : ٢٩٣/١ - ط . قم ١٤١٢ هـ) ، بعد ذكر المشهور في فصول الأذان :

« . . . لكن لا ريب في أن الاحتياط لا يقتصر على المشهور . فأما ما روي من شواذ الأخبار من قول : «إن علياً ولي الله وآل محمد خير البرية» فمما لا يعمل عليه في الأذان والإقامة ، فمن عمل به كان مخطئاً» وقال في =

ومن الواضح أن مسالمة الأصحاب ، يعني أنهم اعتبروا

= (الفقيه) بعد ذكر حديث الحضرمي وكليب : «هذا هو الأذان الصحيح لا يزداد فيه ولا ينقص منه ، والمفوضة لعنهم الله ، قد وضعوا أخباراً زادوا بها في الأذان «محمد وآل محمد خير البرية» مرتين ، وفي بعض رواياتهم بعد أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن علياً ولي الله ، مرتين ، ومنهم من روى بدل ذلك «أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً» مرتين ، ولا شك في أن علياً ولي الله ، وأمير المؤمنين حقاً ، وأن محمداً وآله ، صلى الله عليهم ، خير البرية ، ولكن ليس ذلك في أصل الأذان - قال - : وإنما ذكرت ذلك ليعرف بهذه الزيادة المتهمون بالتفويض المدلسون أنفسهم في جملتنا» . قال صاحب (الجواهر) : وتبعهما غيرهما على ذلك ، ويشهد له خلو النصوص عن الإشارة إلى شيء من ذلك ، ولعل المراد بالشواذ في كلام الشيخ وغيره ، ما رواه المفوضة ، لكن ومع ذلك كله فعن المجلسي أنه لا يبعد كون الشهادة بالولاية من الأجزاء المستحبة للأذان استناداً إلى هذه المراسيل التي رميت بالشذوذ ، وأنه مما لا يجوز العمل بها ، وإلى ما في خبر القاسم بن معاوية المروي في (البحار : ١٦٢/١٨) عن احتجاج الطبرسي ، عن الصادق عليه السلام : «إذا قال أحدكم : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فليقل : علي أمير المؤمنين» وهو كما ترى ، إلا أنه لا بأس بذكر ذلك ، لا على سبيل الجزئية عملاً بالخبر المزبور ، ولا يقدر مثله في الموالات والترتيب ، بل هي كالصلاة على محمد ، صلى الله عليه وآله ، عند سماع اسمه ، وإلى ذلك أشار العلامة الطباطبائي في منظومته عند ذكر سنن الأذان وآدابه ، فقال :

صل إذا ما اسم محمد بدا	عليه وآل فصل لتحمدا
وأكمل الشهادتين بالتالي	قد أكمل الدين بها في الملة
وأنها مثل الصلاة خارجة	عن الخصوص بالعموم والجة =

الأخبار والآيات الدالة على الوجوب ظاهرياً ، من باب التقية المستحبة .

وقد ذكرت في كتابي (نداء الشيعة) ، أسماء أكثر من ثلاثة وتسعين عالماً ومجتهداً ، اتفقوا بالإجماع على ذكر الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة ، وأكدوا على ذلك ، وحتى أن بعضهم ، مثل المرحوم ، آية الله ، الشيخ مرتضى آل يس (أعلى الله مقامه) ، الذي كان من المراجع الأوائل في النجف الأشرف ، أجاز ذكر الشهادة الثالثة في الصلاة ، وبعد الشهادة بالرسالة النبوية .

وجاء نص كلامه في تعليقه على كتاب (الصحيفة البيضاء) ، تأليف الخطيب الشهير السيد عبد اللطيف ، طبع بغداد ، بما يلي :

«أما حضرة الوالد والأخ (قدس الله تعالى سرهما) ، فمتفقان على مشروعية الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة ، من دون قصد الجزئية ، وأنا موافق على هذا الرأي ، بل على استحبابهما ، حتى في الصلاة» .

والفقيه ، آية الله ، السيد محسن الحكيم (قدس سره) ، يقول في (منتخب الرسائل) :

« . . . ويستحب إكمال شهادة التوحيد والرسالة ، بالشهادة

= بل لولا تسالم الأصحاب لأمكن دعوى الجزئية ، بناءً على صلاحية العموم لمشروعية الخصوصية ، والأمر سهل . (راجع جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : ٥٤٦/٣ ، للشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ) ، دار المؤرخ العربي - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .

بولاية علي (عليه السلام) وذكره بلقب «أمير المؤمنين» وهو
مستحب في الأذان وغيره» .

ونكمل هذا البحث بيت من الشعر للمرحوم (بحر العلوم) ،
أعلى الله تعالى مقامه ، حيث يقول :

وأكمل الشهادتين بالتي قد أكمل الدين بها في الملة^(١)

(١) البيت من منظومة العلامة الطباطبائي .

تَفْسِيرُ

الْآيَةِ الْبَارِكَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

السَّائِدَةُ ٣

كَمَالِ الدِّينِ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ (ع)

٢ - وقال الله تعالى :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(١) .

اتفق جمهور المفسرين ، أن الآية المباركة نزلت في يوم (غدیر خم) ، عندما بَلَغَ النبي (ص) المسلمين ، بالولاية الكلية المطلقة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، بأمر من الله ، عز وجل ، .

ومعنى الآية ، إن الله ، عز وجل ، يقول للمسلمين : إنه لا كمال للدين ، ولا تمام لنعمة الإسلام ، إلا بولاية علي بن أبي طالب ، بحيث إن لم تبلغ إليكم كأصل أساس للإسلام ، ولم تعترفوا بذلك ، وتلتزموا به ، كان إسلامكم ناقصاً ، ومرفوضاً ، وغير مقبول عندي .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

ونفهم من ذلك ، أن الذين نقضوا البيعة ، ولم يقروا بولاية أمير المؤمنين ، بعد إبلاغهم ، وعهدهم ، وبيعتهم ، دينهم ناقص ، ولا نصيب لهم من النعمة الإلهية التي هي الولاية ، وأن الله يرفض إسلام أولئك الذين لم يلتزموا بالولاية ، ولا يرضى منهم دينهم . وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة ، نورد بعضاً منها :

١ - تفسير (مجمع البيان) : روي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) أنهما قالا : «... إنه إنما أنزلت بعد أن نصب النبي (ص) علياً (ع) ، علماً يوم (غدير خم) ، منصرفه عن حجة الوداع ، قالا : وهي آخر فريضة أنزلها الله تعالى ، ثم لم ينزل بعدها فريضة...»^(١) .

٢ - تفسير (مجمع البيان) ، و (تأويل الآيات) : يروي جمهور المفسرين ، من الشيعة والسنة ، عن أبي سعيد الخدري ، أنه قال :

«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا الناس إلى علي يوم (غدير خم) ، وأمر بقلع ما تحت الشجر من الشوك ، وقام فدعا علياً عليه السلام ، فأخذ بضبعيه ، حتى نظر الناس إلى إبطيه . وقال :

«من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، ثم لم يفترقا

(١) مجمع البيان : ١٥٩/٢ . وعنه البرهان : ٤٥٣/١ . وعنه تفسير الصافي : ١٠/٢ .

حتى أنزل الله ، عز وجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم . . .﴾
الآية فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : الله أكبر على إكمال الدين
وإتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، وبولاية علي من
بعدي»^(١) .

٣ - (أصول الكافي) ، و (تفسير الصافي) : عن الباقر (ع) :
«كانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى ، وكانت الولاية آخر
الفرائض ، فأنزل الله : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ، قال : لا
أنزل بعد هذه الفريضة ، قد أكملت لكم الفرائض . . .»^(٢) .

أقول : إن الذين آمنوا بالرسول بعد بعثته ، وانتشار رسالته ،
إيماناً قلبياً ، وراسخاً ، هم عدة قليلة ، ومعدودون ، ولكن
البقية ، والمستكبرين من قريش خاصة ، أمثال أبو سفيان ،
وأعراب البادية ، لم يعتقدوا بالإسلام من قلوبهم ، لأنهم وجدوا
في الإسلام مانعاً ، وسداً ، يمنعهم من ميولهم ، وشهواتهم
النفسية ، وسيطرتهم ، ونزواتهم ، وكبرياتهم .

إن الإسلام في نظامه السماوي ، قطع أيدي الظلم والطغيان
عن أرواح الناس وأموالهم ، ونواميسهم ، وأوجد نظاماً على أساس
العدل والتقوى ، يقاوم كل أنواع السيطرة والاستعمار ، مهما
تطاوت أعناق متداوليها .

(١) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة : ١/١٤٥ - وأورده
الخوارزمي في مناقبه : ص ٨٠ وفي مقتله : ص ٤٧ تفسير فرات :
ص ١٩ - وفي فرائد السمطين : ١/٧٢ - راجع إحقاق الحق :
٣٥٥/٦ .

(٢) تفسير الصافي : ١٠/٢ .

ولذلك ، لم يتمكن طغاة الجاهلية من استدامة مواقعهم الاجتماعية ، فراحوا يترصدون الفرص لهدم ما جاء به الإسلام ، والعودة إلى ممارسة الوحشية التي استهدفت أموال وأرواح الناس المستضعفين .

وبهذا يكون تظاهرهم بالإسلام :

إما طمعاً في الحصول على مآربهم ، من خلال النظام الجديد .

وإما خوفاً من الذل والسقوط من مواقعهم . . .

ولذلك يقول القرآن الكريم واصفاً إياهم : ﴿قالت الأعراب : آمناً ، قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم . . .﴾ (١) .

وقال في موضع آخر : ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ، ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم﴾ (٢) .

وقال عز من قائل : ﴿الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم﴾ (٣) .

وقال تعالى في نفاقهم وتلونهم : ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق ، لا

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٩٨ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٩٧ .

تعلمهم ، نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ، ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴿١﴾ .

وهكذا ، وبعد التعمق في الآيات المذكورة ، والآيات الكثيرة الأخرى من القرآن الكريم ، يثبت أن إسلام أكثر المسلمين ، لم يكن من قلب سليم ، وعقيدة راسخة ، وان هؤلاء هم المنافقون الذين كانوا يمثلون الأكثرية من المسلمين ذاك اليوم ، ولم يلتزموا بالقوانين الإسلامية عملياً ، ولم تكن عندهم رغبة وميول في تلك القوانين ، بل راحوا يفتشون عن الفرصة المناسبة ، لطمسها ، وسحقها ، حتى انتهزوا حدث وفاة النبي (ص) ، لينشروا بذور النفاق بين المسلمين ، ويسلبوا زمام أمور المسلمين من يد صاحب الولاية بنص القرآن .

إنها الفرصة الثمينة المناسبة التي وجدوها بعد أن كانوا يعدون لها الأيام . . .

وفي قبالهم العدد القليل من المسلمين الذين رسخ الإسلام والإيمان في قلوبهم ، وتشربوه في أفكارهم وأرواحهم ، ولم تكن عندهم القدرة والنباهة في حفظ تفسير القرآن وأحكامه ، ومفاهيمه ، وإبلاغ ذلك إلى المسلمين القاطنين في البلاد الإسلامية الواسعة ، والأجيال الصاعدة ، فيمكنوهم من الوقوف أمام الإتجاه الفاسد والعنيد من الأعداء . . .

وعليه ، كان على الله سبحانه ، ومن باب اللطف ، وحرصاً منه على حفظ وحماية دينه ، وحرصاً عليه من التحريف ، أن

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠١ .

يجعل على المسلمين إماماً ، وخليفة ، معصوماً ، وقادراً ، لأن يكون حافظاً وحارساً للدين من الإندراس ، بعد وفاة الرسول (ص) وشارحاً للقرآن ، مانعاً بذلك من حدوث الفتن ، والبدع فيه . . .

وكذلك كان على الله ، عز وجل ، أن يعين أوصياء لهذا الخليفة ، ليكونوا الأمناء على الرسالة ، وحاملي الراية ، وحافظي الوحي والعلوم الإلهية ، وهؤلاء الأوصياء حريصون على غرس الدين الإسلامي ، وشريعته السمحاء ، لوقوفهم أمام أصحاب البدع والأهواء ، وأعداء الدين . . .

إن الله ، عز وجل ، كما عين أوصياء للأنبياء السابقين بنفسه ، وعينهم بإرادته ، ولم يشرك أحداً من الناس في قراره ، ولم يترك الأمر للناس شورى ، ولا رأي ، ولا إجماع ، وغير ذلك ، كذلك فعل في تعيين خليفة آخر الأنبياء ، وعينه بنفسه ، ولم يشرك أحداً في قراره . . .

إن هذا الخليفة العظيم الذي كان في الواقع حافظ العلوم الإلهية ، ومنفذ الأوامر والواجبات العظيمة ، لزم عقلاً أن يكون عالماً وقادراً على ذلك ، وأن يكون قوي البرهان ، وقوي الإيمان ، كما كان الرسول الأعظم (ص) مهياً للتصدي وتحمل كل هذه المشاق والصعوبات . . .

فعندما نتصفح كتاب التاريخ نجد : إن صاحب الشخصية العظيمة الوحيدة ، الذي كان بمنزلة نفس الرسول (ص) في خصائصه ومواصفاته ، هو أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب^(١) (ع) فقط ،

(١) في حديث آية المبالغة ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ دليل على ما يقول سماحة =

وأن هذا الرداء الملكوتي لا يمكن أن يرتديه أحد غيره ، وهو الوحيد القادر على حفظ هذه الأمانة ، وتحمل مسؤولية الدين الإسلامي الحنيف ، بما كان يحتوي عليه من علم وتقوى ، وفضائل خرجت من بين المؤلفين والمخالفين . . .

إن الله سبحانه ، ورسوله الأكرم (ص) ، اختصا كرسي الولاية والخلافة بأمير المؤمنين علي (ع) ، وأولاده الطاهرين (صلوات الله عليهم) لأن لا أحد سواهم يستحق ذلك الموقع والمكانة ، ومن كان له أدنى معرفة بتاريخ الإسلام ، وتبصر بعين الحقيقة المجردة ، يجد صحة هذا الكلام جلياً وواضحاً . . .

إن أعداء علي (ع) ، - فضلاً عن أحيائه - ومع كل العناد الذي كانوا يضمرونه له ، لم يتمكنوا أن ينكروا فضله وموقعه ، وراحوا يعترفون بمقامه الشامخ في الإسلام ، وأن لا مثيل له ، ولا نظير ، بعد رسول الله (ص) . وها هي الكتب مشحونة بتصاريحهم بذلك ، وسجلها التاريخ ، بحيث لا مجال لنا بذكرها في هذا المجال المختصر ، ومن شاء التأكد من صحة ما نقول فليرجع إلى بطون الكتب ، وهوامش المصنفات . . .

وهنا أرى من المناسب واللازم أن نذكر بعض تلك الأقوال والشهادات بأن علياً (ع) هو الذي ورث علم الرسول ، واستحق بذلك المقام الرفيع ، فأذكر بعض هذه النصوص من طرق أهل السنة ، من باب المجادلة «بالتي هي أحسن» .

= المؤلف (حفظه المولى) . وروى الخوارزمي في مناقبه : ص ٩٠ :
«قالت عائشة : من خير الناس بعدك يا رسول الله ؟ قال : علي بن أبي طالب هو نفسي ، وأنا نفسه» .

١ - (منتخب كنز العمال)^(١) : عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري : قال رسول الله (ص) : «أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٢) .

٢ - عن ابن مسعود أن رسول الله (ص) ، قال : «قسمت الحكمة عشرة أجزاء ، فأعطي علي تسعة أجزاء ، والناس جزءاً واحداً ، وعلي أعلم بالواحد منهم»^(٣) .

٣ - عن علي (ع) قال : أحاج الناس يوم القيامة بتسع : بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والعدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، والجهد في سبيل الله ، وإقامة الحدود وأشباهاها»^(٤) .

٤ - أخرج الحاكم في (المستدرک علی الصحیحین) قال : عن ابن عباس ، عن رسول الله (ص) أنه قال : «أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب» .

وهذا الحديث ذكره السيوطي^(٥) في كتابه (الجامع الصغير :

(١) على هامش مسند أحمد بن حنبل .

(٢) منتخب : ٣٠/٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٣/٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٥٤/٥ .

(٥) الحافظ جلال الدين ، أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، ابن أبي بكر ، بن عثمان ، بن محمد ، بن خضر ، بن أيوب ، بن محمد ، بن همام الدين الخضير السيوطي المتوفى (٩١١/٩١٠ هـ) : عالم مشارك في أنواع العلوم ، صنف في مختلف المواضيع ، وقد استقصى الداودي مؤلفاته فتجاوزت عدتها الخمسمئة مؤلف ، وقد أخذ =

ص ١٠٧) ، وألف الإمام أحمد بن محمد الصديق المغربي المصري (ت ١٣٨٠ هـ)^(١) ، كتاباً صحح فيه هذا الحديث وأسماه «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي» ، وطبع في المطبعة الإسلامية بأزهر مصر عام (١٣٥٤ هـ)^(٢) .

٥ - (كنز العمال) : عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : «علي باب علمي ، ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به ، حبه إيمان ، وبغضه نفاق»^(٣) .

= عن غالب علماء عصره ، وبلغ شيوخه نحو ثلاثمئة شيخ . ومن أهم مؤلفاته رسالة في الحديث أسماها : (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) (راجع كشف الظنون ١٤٩٤/٢ والغدير : ١٢٨/٣ ، ومقدمة كتاب (فتح الملك العلي : ص ١٨) .

(١) أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الحسيني المغربي المتوفى (١٣٨٠ هـ) : محدث حافظ من أهل المغرب الأقصى ، اشتغل بالحديث والتفقه فيه ، وانصرف إلى دراسته وتدريسه وأصبح حافظاً ومحدثاً . له مؤلفات وكتابات كثيرة منها : (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) وطبع في المرة الأولى في القاهرة عام (١٣٥٤ هـ) ويحتوي على (١٠٢ صفحة) ، و(سبل السعادة وأبوابها ، بصحة حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها) ذكره في كتابه فتح الملك العلي (ص ١٠٢) ط . الأولى ، و(إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) ، و(المعجم السوجيز للمستجيز) . (راجع معجم المؤلفين : ٣٦٨/١٣ ، ومقدمة كتاب (فتح الملك العلي : ص ٩ - ١٠) .

(٢) الكتاب صور في بيروت بتحقيق محمد هادي الأميني / توزيع دار الكتاب الإسلامي .

(٣) كنز العمال : ١٥٦/٦ .

٦ - (مناقب ابن المغازلي الشافعي) : «عن ابن عباس ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «علي مني مثل رأسي من بدني»^(١) .

٧ - (الصواعق المحرقة) لابن حجر : «عن أبي بكر ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : «علي مني بمنزلي من ربي»^(٢) .

٨ - (مستدرک الحاكم النيسابوري) : «عن أنس بن مالك ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي (ع) : «يا علي أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»^(٣) .

يقول صاحب كتاب (المراجعات) في ذيل هذا الحديث : «من تدبر في هذا الحديث وأمثاله يعلم أن علياً من رسول الله بمنزلة رسول الله من الله ، عز وجل ، ، يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه : ﴿ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ، وهدى ، ورحمة لقوم يؤمنون﴾ ، والرسول يقول لعلي : «يا علي ! أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي . . .

٩ - (كنز العمال) : عن أبي بكر ، عن رسول الله (ص) أنه

(١) المناقب : ص ٩٢ ، ومناقب الخوارزمي : ص ٨٩ و ٩١ ، والصواعق المحرقة : ص ٧٥ ، ومنتخب كنز العمال : ٣٠/١ ورواه القندوزي في (ينابيع المودة) من طريق ابن المغازلي .

(٢) الصواعق : المقصد الخامس من مقاصد الآية (١٤) من آيات الباب (١١) .

(٣) المستدرک : ١٢٢/٣ ، و(كنز العمال ١٥٦/٦) .

قال : «كفي وكفّ علي في العدل سواء»^(١) .

١٠ - (كنز العمال) : روى الديلمي ، عن رسول الله (ص) أنه قال : «أنا المنذر وعلي الهادي ، وبك يا علي يهتدي المهتدون»^(٢) .

١١ - (ميزان الإعتدال) : عن ابن عباس ، قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في حكمته ، وإلى إبراهيم في حلمه ، فلينظر إلى علي (ع)^(٣) .

١٢ - ونرغب هنا في هذا المجال أن ننقل لكم مجموعة من

(١) كنز العمال : حديث ٢٥٣٩ ، ص ١٥٣ ، ج ٦ . وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه : ٣٧/٥ والخوارزمي في مناقبه : ص ٢٣٥ .

(٢) كنز العمال : ١٥٧/٦ ، حديث ٢٦٣١ .

(٣) ميزان الاعتدال لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق علي محمد البجاري : ٩٩/٤ . وفي الباب حديث أبي الحمراء قال : قال رسول الله (ص) : «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، وإلى موسى بن عمران في بطشه ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب» . أخرجه أخطب خوارزم في مناقبه : ٤٩ ، و ٢٤٥ ، والمحب الطبري في الرياض النضرة : ٢١٧/٢ وذخائر العقبى : ص ٩٣ ، ورواه ابن أبي الحديد في شرحه على النهج : ٢٢٩/٢ وقال : ورواه أحمد في المسند ، ورواه البيهقي في صحيحه (راجع البداية والنهاية : ٣٥٦/٧ ، لسان الميزان : ٢٤/٦ - مناقب ابن المغازلي : ص ٢١٢ ، وهامشه أيضاً) .

الأحاديث المختلفة والمتفرقة التي تناول أمير المؤمنين بفضائله ومآثره ، فنقول :

(أ) روي عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «أما بعد : فإنني أمرت بسد هذه الأبواب ، غير باب علي ، فقال فيه قائلكم ، وإني والله ما سددت شيئاً ، ولا فتحته ، ولكنني أمرت بشيء فاتبعته» .

(ب) عن أبي سعيد الخدري (رض) ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : «يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد ، غيري وغيرك» .

(ج) عن ابن عباس ، عن رسول الله (ص) : «ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي ، ولا أنا تركته ، ولكن الله أخرجكم وتركه ، إنما أنا عبد مأمور ، ما أمرت به فعلت ، إن أتبع إلا ما يوحى إليّ» .

(د) عن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله (ص) : «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق» .

(هـ) ابن منده ، عن رابع مولى عائشة مرفوعاً : «عادى الله من عادى علياً» .

(و) عن أنس مرفوعاً : «عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب» .

(ز) عن عمرو بن شأس مرفوعاً : «من آذى علياً فقد آذاني» .

(ح) عن سلمان (رض) مرفوعاً : «من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني» .

(ط) عن أم سلمة مرفوعاً : «من سب علياً فقد سبني ،
ومن سبني فقد سبَّ الله» .

(ي) عن جابر بن عبد الله الأنصاري مرفوعاً : «علي إمام
البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله» .

(ك) عن ابن عباس مرفوعاً : «علي باب حطة ، من دخل
منه كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً» .

(ل) عن ابن عمر مرفوعاً : «أنت أخي في الدنيا والآخرة»
قاله (ص) لعلي (ع) .

(م) عن البراء بن عازب مرفوعاً : «أنت مني وأنا منك»
قاله لعلي (ع) .

(ن) عن عمران بن حصين مرفوعاً : «ما تريدون من
علي ، إنَّ علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي» .

(س) عن البراء ، عن بريدة مرفوعاً : «من كنت مولاه ،
فعلي مولاه» .

(ع) عن بريدة مرفوعاً : «من كنت وليه فعلي وليه» .

(ف) عن حبشي بن جنادة مرفوعاً : «علي مني وأنا من
علي ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي» .

(ص) عن أم سلمة مرفوعاً : «علي مع القرآن ، والقرآن
مع علي ، لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض» .

(ق) عن ابن عمر مرفوعاً : «ألا أرضيك يا علي ! أنت
أخي ، ووزيرني ، تقضي ديني ، وتنجز موعدي ، وتبريء ذمتي ،

فمن أحبك في حياة مني ، فقد قضى نجه ، ومن أحبك في حياة منك بعدي ، ختم الله له بالأمن والإيمان ، ومن أحبك بعدي ، ولم يرك ، ختم الله له بالأمن والإيمان ، وآمنه يوم الفرع ، ومن مات وهو يبغضك ، يا علي ، مات ميتة جاهلية ، يحاسبه الله بما عمل في الإسلام»^(١) .

١٣ - (ينابيع المودة)^(٢): بالأسناد إلى علي بن الحسن ، عن علي الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن الرسول الأكرم (ص) ، في حديث له إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وفي آخر الحديث يقول الرسول لعلي (ع) :

«يا علي ! من قتلك فقد قتلني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبك فقد سبني ، لأنك مني كنفي ، روحك من روحي ، وطينتك من طينتي ، وإن الله تبارك وتعالى ، خلقني وخلقك من نوره ، واصطفاني واصطفاك ، فاختراني للنبوّة ، واختارك للإمامة ، فمن أنكر إمامتك ، فقد أنكر نبوتي .

(١) سماحة المؤلف - حفظه المولى سبحانه - أتحف القراء الأعزاء بمجموعة من الأحاديث استلّها من كتاب (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) على هامش (مسند أحمد بن حنبل - ط . دار الفكر بيروت : ٢٩/٥ وما بعدها) .

(٢) ينابيع المودة : سجلّ عظيم للأحاديث النبوية في مناقب الإمام علي وأهل البيت (عليهم السلام) ، وهو من تأليف وتصنيف العلامة السند شيخ سليمان ابن شيخ إبراهيم المعروف بـ (خواجة كلان) ابن شيخ محمد معروف المشتهر به باب خواجه الحسيني البلخي القندوزي الحنفي (ت ١٢٧٠ هـ) .

«يا علي ! أنت وصيي ، ووارثي ، وأبو ولدي ، وزوج ابنتي ، أمرك أمري ، ونهيك نهيي ، أقسم بالله الذي بعثني بالنبوة ، وجعلني خير البرية ، إنك لحجة الله على خلقه ، وأمينه على سرّه ، وخليفة الله على عباده»^(١) .

بعد نقل هذه الأحاديث التي مرت عليك ، والتي كلها عبارة عن جزء من آلاف الأحاديث المعتبرة ، المنقولة عن أكابر علماء أهل السنة ، لم يبق مجال للشك ، أو الإنكار ، بأن علي بن أبي طالب (ع) هو الشخص الوحيد الذي يحق له إحراز مقام الولاية والخلافة بعد الرسول الأكرم (ص) ، ونظن بأن هذا المقدار من الأحاديث التي أثبتناها وغيرها من الأحاديث التي تجدها في مظانها من كتب المناقب يكفي لإثبات ذلك ، ولا يصرّ بعد هذا على إنكار أحقية علي بن أبي طالب (ع) بالولاية والخلافة ، إلا المعاند الجاهل .

وهناك أمر آخر يجب أن يهتم به ، ولأجل الإيضاح نذكره هنا :

بعد وفاة الرسول الأكرم (ص) ، ثبت بالإعتماد على كثير من الروايات والأحاديث المعتبرة ، أن أمير المؤمنين (ع) ، وفي أيام الخلفاء الثلاثة ، كان يصحح كثيراً من الفتاوى والأحكام ، والقضاء منها على وجه الخصوص ، التي كانوا يصدرونها خطأ في غالب الأحيان ، والتي كانت خلاف الشرع ، حتى إن الخليفة الثاني ذكر مراراً ، وجهاراً : (لولا علي لهلك عمر)^(٢) .

(١) ينابيع المودة : ٥١/١ .

(٢) قال عمر (رض) : «عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب ، =

ولكن في عهد خلافة أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، أو في موارد أخرى ، كان الإمام يحكم ، ويقضي ، في القضية المعترضة ، أو الحادثة ، وما كان يحتاج إلى مشورة أحد ، وما كان يسمح لأحد أن يتدخل في ذلك .

وبعد مرور أربعة عشر قرناً ، على زمان علي (ع) ، لا زالت أحكام القضاء والفتاوى العادلة ، والخطب الرنانة البليغة ، التي كان يلقيها على المسلمين ، وكلماته التي كانت جميعها مملوءة بالحكمة والموعظة ، كلها منبعاً لمفكري العالم ، وملهماً لآثارهم النفيسة ، التي تركها نوابغ العلم والأدب ، إلى عصرنا الحاضر .

= ولولا علي لهلك عمر» (فرائد السمطين : ٣٥١/١) . وقال عمر (رض) : «أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن - يعني علي بن أبي طالب (عليه السلام)» (فرائد السمطين : ٢٤٥/١) . وقال : «اللهم لا تنزلن بي شديدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي» (فرائد السمطين : ٣٤٣/١) وقال (رض) : «اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حياً» (فرائد السمطين : ٣٤٨/١) وقال : «أعوذ بالله من معضلة لا علي لها» (فرائد السمطين : ٣٤٨/١) . وأخذ عمر (رض) برأس علي ، وقبل بين عينيه ثم قال : «بأبي أنتم ! بكم هدانا الله ، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور !» (فرائد السمطين : ٣٤٩/١) . وكان عمر بن الخطاب (رض) يقول لعلي (عليه السلام) - فيما كان يسأله عنه فيفرج عنه - : «لا أبقاني الله بعدك يا علي !» (فرائد السمطين : ٣٤٩/١) . وقال عمر (رض) : «كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب» (أخرجه الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب : ص ٩٦) ، (ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة : ص ١٨) و(راجع الغدير في السنة والأدب : ٩٣/٦ وما بعدها) .

وبناء على ما تقدم ، يثبت أن خليفة الرسول الأعظم ، خاتم الأنبياء محمد (ص) ، الحقيقي ، ووارث علومه ودرجاته ، لم يكن غير مولى المتقين علي (ع) ، بشهادة واعتراف الخلفاء الثلاثة ، وعلماء ومفكري العالم ، وإن علياً (ع) وأولاده الأطهار (ع) هم خلفاء الرسول من بعده ، وهم أقدر من غيرهم على حمل الرسالة الإسلامية المقدسة ، وأدائها .

وعليه : إن إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، لا يكون مطلقاً ، إلا بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والإسلام من دون الولاية لعلي (ع) ، وأولاده الأئمة الأطهار ، إسلام ناقص ، بالموازين الإلهية ، وتوصيات وقرارات رسول الله (ص) ، وليس لهذا الإسلام الناقص أي وزن .

تَفْسِيرُ

الْأَيِّمِ الْمَبَاهِجَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

المائة ٥٥

● قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون﴾^(١) .

اتفق جمهور من العلماء الخاصة ، وأكثر علماء العامة ، ومنهم أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي^(٢) ، في تفسيره الكبير ، وأبو عبدالله الرازي^(٣) ،

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبدالله ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : الإمام المفسر ، شهير زمانه في المعقول ، والمنقول ، وعلوم الأوائل . قرشي النسب ، أصله من (طبرستان) ، ومولده في (الري) ، وإليها نسبته ، ويقال له : «ابن خطيب الري» . رحل إلى (خوارزم) ، وما وراء النهر ، و(خراسان) ، وتوفي في (هراة) . أقبل الناس على كتبه في حياته ، يتدارسونها . وكان =

وغيرهما ، نقلوا :

«روي عن أبي ذر (رضي الله عنه) أنه قال : صليت مع رسول الله (ص) يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء ، وقال : «اللهم اشهد أنني سألت في مسجد الرسول (ص) فما أعطاني أحد شيئاً!» وعليّ (ع) كان راکعاً ، فأوماً إليه بخنصره اليمنى ، وكان فيها خاتم . فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمراءى النبي (ص) ، فقال :

«اللهم إن أخي موسى سألک فقال : ﴿رب اشرح لي صدري﴾ إلى قوله : ﴿وأشركه في أمري﴾ ، فأنزلت قرآناً ناطقاً : ﴿سنشد عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطاناً﴾ .

«اللهم وأنا محمد ، نبيك ، وصفيك ، فاشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، علياً أشدد به ظهري !» .

قال أبو ذر (رضي الله تعالى عنه) :

«فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة ، حتى نزل جبريل ،

= يحسن الفارسية . من تصانيفه (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم ، المباحث المشرقية ، معالم أصول الدين ، وغيرها كثير (مفتاح السعادة : ٤٤٥/١ - وفيات الأعيان : ٤٧٤/١ - طبقات الأطباء : ٢٣/٢ - آداب اللغة : ٩٤/٣ - لسان الميزان : ٤٢٦/٤ - مختصر تاريخ الدول : ص ٤١٨ - البداية والنهاية : ٥٥/١٣ - معجم المطبوعات : ص ٩١٥ - طبقات الشافعية : ٣٣/٥ - الأعلام للزركلي : ٣١٣/٦) .

فقال : يا محمد ! اقرأ : ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ إلى آخرها .
وروي أن عبدالله بن سلام قال : «لما نزلت هذه الآية ﴿إنما
وليكم . . .﴾ قلت : يا رسول الله ! أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه
على محتاج ، وهو راع ، فنحن نتولاه»^(١) .

وهكذا تثبت هذه الآية المباركة أن خلافة عليّ بن أبي طالب
(ع) بعد الرسول الأكرم (ص) ، هي خلافة بلا فصل ، وولايته
على المسلمين جميعاً ، هي ولاية كلية مطلقة ، وعلى جميع
الناس ، لأنّ رسالة النبي (ص) ، حسب نص الآية الكريمة ، من
القرآن : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ، ليكون للعالمين
نذيراً﴾^(٢) تدل على أن النبي (ص) مرسل إلى جميع الناس في
العالم ، وهو النذير العام لهم ، فكذلك شأن خليفته ووصيه
علي بن أبي طالب (ع) فإنه وأولاده الأئمة المعصومين ، لهم
الوصاية والولاية العامة الكلية على جميع الخلائق في العالم .

● تحقيق في معنى (الولي) :

إنّ كلمة (وليّ) من الألفاظ المشتركة ، وتجد لها معاني
كثيرة في القرآن الكريم خاصة ، وفي كتب اللغة عموماً ، ومنها ما
هو على قسم واحد : المالك ، العبد ، المحرّر (من حرّر عبداً) ،
المساعد ، الرفيق ، السيد ، الأمير ، السلطان ، الصديق ،

(١) راجع في الحديثين : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٦/١٢ - مناقب ابن

المغازلي : ص ٣١١ .

(٢) سورة الفرقان : الآية : ١ .

(١) الولاية : - بالفتح - تكون بمعنى التولية ، وعليه قوله تعالى : ﴿هنالك الولاية لله﴾ (الكهف : ٤٤) ، يعني يومئذ يتولون الله ، ويؤمنون به ، ويتبرؤون ممن كانوا يعبدون . وقوله تعالى : ﴿ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ (الأنفال : ٧٢) ، أي من توليتهم الميراث ، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة ، وتكون بمعنى النصره كما في (اللسان) ، وتكون بمعنى المحبة أيضاً .

والولاية : - بالكسر - تكون بمعنى الإمارة ، مصدر : وليت . وتكون بمعنى التولية والسلطان ، وقرائن الأحوال ، ومواضع الاستعمال ، تعين المقصود ، وتميز ما عداه .

الولي : بمعنى الأولى والأحق ، وهذه الأولوية والأحقية ، قد يعبر عنها بلفظ (الولي) ، وقد يعبر عنها بلفظ (الأولى) ، وقد يعبر عنها بلفظ (الولاية) .

١ - فمن مجيئها بلفظ (الولي) قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا . . .﴾ .

٢ - ومن مجيئها بلفظ (الأولى) ، قوله تعالى : ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم . . .﴾ (الأحزاب : ٦) ، ولما نزلت ، قال بعض المسلمين : يا رسول الله ! ما هذه الولاية التي جعلها الله لك علينا ؟ فقال (ص) : «السمع والطاعة ، فيما أحببتم وكرهتم !» . فقالوا : «سمعنا وأطعنا» فأنزل الله سبحانه : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم ، وميثاقه الذي واثقكم به ، إذ قلتم : سمعنا وأطعنا . . .﴾ (المائدة : ٧) . فإنك ترى من الآية ، التعبير عن هذه الأولوية بالأولى . وترى من الحديث التعبير عن هذه الأولوية بالولاية .

٣ - ومن مجيئها بلفظ (المولى) : قول رسول الله (ص) يوم (غدِير خم) ، وقد صعد المنبر ، أخذاً بيد علي (ع) ، قائلاً : «ألست أولى =

وبعض المفسرين يفسرون كلمة (وليّ) بمعنى صديق ،
ورفيق ، ولكن التعبير مخالف لمدلول الآية المباركة : ﴿إنما
وليكم الله﴾ حيث أنّ كلمة (إنما) التي جاءت للحصر ، بيّنت أنّ
غرض الباري ، عز وجل ، من معنى (الوليّ) ، ليس الصديق ، أو
الرفيق فقط ، ولو أنّ هذا المعنى مهم ، ولكن لا يمكن للباري
سبحانه ، وجل شأنه ، أن يحصر المحبة في المؤمنين ، في الله ،
ورسوله ، وعلي فقط ، في الوقت الذي يقول الباري ، جل
وعلا ، في آية أخرى : ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ : ومعناه إنّ جميع
المؤمنين بالله تعالى ، هم أخوة لبعضهم ، ومحبة بعضهم لبعض ،
واجبة ولازمة ، ولا يمكن لله تعالى ، بناء عليه ، أن يحصر المحبة
في نفسه سبحانه ، ورسوله (ص) ، وعلي (ع) .

وعلى هذا نجد : إنّ معنى كلمة (وليّ) في الآية : ﴿إنما
وليكم الله...﴾ هي الولاية الكلية الإلهية ، أو بمعنى : أولى به
التصرف ، حيث أنّ الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ،
هم حاملون لهذه الولاية ، وهي منحصرة في الله ورسوله (ص) ،
والأئمة الأطهار (ع) . وفيما يلي نذكر في هذا الشأن بعضاً من
الروايات الكثيرة التي جاءت تبين ما أثبتناه :

١ - الآية الكريمة : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من

= بكم من أنفسكم؟» قالوا : اللهم بلى . فقال : «من كنت مولاه ، فهذا
علي مولاه» والحديث مشهور وقد أثبتته سماحة المؤلف - حفظه المولى -
في (خطبة الغدير) التي مرت . (راجع (الإسراء والمعراج) من تأليف
الحاج علي العسيلي العاملي : ص ١١٠) .

أنفسهم... ﴿١﴾ ، وتفسيره أن النبي (ص) ، بالمؤمنين ، أولى بهم من أنفسهم .

٢ - (تفسير الصافي) (٢) ، و (أصول الكافي) : «عن سليم بن قيس قال : سمعت عبدالله بن جعفر الطيار يقول :

«كنا عند معاوية ، أنا ، والحسن ، والحسين ، وعبدالله بن عباس ، وعمر بن أم سلمة ، وأسامة بن زيد ، فجرى بيني وبين معاوية كلام ، فقلت لمعاوية :

«سمعت رسول الله (ص) يقول : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم أخي علي بن أبي طالب ، أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد علي ، فالحسن بن علي ، أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم إبن الحسين من بعده ، أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد ، فابنه علي بن الحسين ، أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وستدرکه يا علي ، ثم ابنه محمد بن علي ، أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وستدرکه يا حسين ، ثم تكلمة اثني عشر إماماً ، تسعة من ولد الحسين .

«قال عبدالله بن جعفر ، واستشهدت الحسن ، والحسين ، وعبدالله بن عباس ، وعمر بن أم سلمة ، وأسامة بن زيد ، فشهدوا لي عند معاوية .

«قال سليم : وقد سمعت ذلك من سلمان ، وأبي ذر ،

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥ .

(٢) تفسير الصافي : ١٦٤/٤ .

والمقداد ، وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله (ص) (١) .

٣ - (أصول الكافي) : «عن أبي عبد الله (ع) ، في قول الله ، عز وجل : ﴿إنما وليكم الله ، ورسوله . . .﴾ قال : إنما يعني أولى بكم ، أي أحق بكم ، وبأموركم ، وأنفسكم ، وأموالكم ، الله ، ورسوله ، ﴿والذين آمنوا﴾ ، يعني علياً وأولاده الأئمة عليهم السلام ، إلى يوم القيامة . . .» (٢) .

٤ - ابن الأثير ، في كتابه (أسد الغابة) ، والمتقي الهندي في كتابه (كنز العمال) والمناوي في كتابه (المجمع) ، كل هؤلاء من كبار ، وأجلاء علماء السنة ، وقد رووا جميعهم عن الرسول الأكرم (ص) ، قوله (ص) في شأن ولاية علي بن أبي طالب (ع) : «علي (ع) من بعدي ، أولى من جميع الناس بالتصرف بأنفسهم» (٣) .

٥ - أحمد بن حنبل في كتابه (المسند) ، وأبو نعيم الأصفهاني ، في كتابه (حلية الأولياء) ، وعشرات غيرهما من كبار علماء السنة ، يروون أن الرسول الأكرم (ص) يقول في شأن علي (ع) : «إنَّ علياً وليكم بعدي» (٤) .

ومن ذلك يتبين : إن قصد النبي (ص) من كلمة (الولاية) ، إثبات مقام الخلافة والولاية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

(١) أصول الكافي : ٥٢٩/١ - تفسير الصافي : ١٦٦/٤ - عيون أخبار الرضا (ع) : ٣٨/١ .

(٢) أصول الكافي : ٢٨٨/١ .

(٣) أسد الغابة : ٩٤/٥ - المجمع : ١٠٩/٩ - كنز العمال : ١٥٥/٦ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل : ٤٣٧/٤ و ٣٥٦/٥ - حلية الأولياء : ٢٩٤/٦ .

علي الناس . وليس مقبولاً من الرسول الأكرم (ص) أن يقول : إن علياً من بعدي ، هو صديقكم ، لأن الصداقة المذكورة في كلام النبي (ص) ليس معناها الصداقة بمفهومها ، وإنما القصد هو الولاية والخلافة .

بعد ذكر الأحاديث والروايات ، والأدلة والبراهين الجلية ، التي ذكرناها فيما سبق ، يظهر : إن مقصود الباري ، جلّ وعلا ، في الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ . . .﴾ من كلمة (ولي) : أولى بالتصرف ، وإن الله ، تبارك وتعالى ، بعد ذكر (إنما) التي هي من أدوات الحصر ، حصر الأولوية للكائنات في ذاته المقدسة ، وفي رسوله الكريم المحبوب ، وفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأولاده الأطهار (ع) ، حصراً محدوداً . وليس لغير هؤلاء الأئمة الأطهار ، والميامين ، حق التصرف في الأمور الشرعية ، والتكوينية ، للخلائق أجمعين .

ولقد ثبت المقصود من آية ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ . . .﴾ ، وآية ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أنها ولاية مطلقة .

وعلى هذا الأساس ، عندما يكون للباري ، جلّ وعلا ، حق التصرف في جميع العالم الحي ، وعلى جميع الموجودات والمخلوقات ، وأنه يفعل ما يشاء ، فقد يكون للرسول الأكرم (ص) وعلي (ع) ، وأولاده الطاهرين ، حق التصرف في جميع الكائنات ، وطبعاً يكون ذلك بإذن من الباري ، جلّ وعلا ، وأن ولايتهم ولاية تامة ، كلية ، عامة ، ومطلقة ، وهذا هو معنى الولاية الكلية .

والولي المطلق : هو الذي له حق التصرف في شؤون

الكائنات بإذن الله تعالى .

بعد توضيح هذا المطلب ، تحل الإشكالات التي يستشكلها بعض النفوس الضعيفة ، في أمر الولاية الكلية المطلقة ، لمحمد وآل محمد (ص) ، خصوصاً أن لنا في هذا الشأن روايات متواترة ، نذكر بعضاً منها فيما يلي :

● ولاية الأربعة عشر معصوماً على الملائكة :

١ - (مدينة المعاجز) : «عن عبدالله بن مسعود ، قال : أتيت فاطمة (صلوات الله عليها) فقلت لها : أين بعلك ؟ فقالت : عرج به جبرئيل إلى السماء ! فقلت : في ماذا ؟ فقالت : إن نفراً من الملائكة تشاجروا في شيء ، فسألوا حكماً من الآدميين ، فأوحى الله إليهم ، أن تخيروا ، فاختروا علي بن أبي طالب (ع)»^(١) .

٢ - (أصول الكافي) : «عن أبي جعفر (ع) ، قال : والله إن في السماء لسبعين صفّاً من الملائكة ، لو اجتمع أهل الأرض كلهم ، يحصون عدد كل صف منهم ، ما أحصوهم ، وإنهم ليدنون بولايتنا»^(٢) .

٣ - (بصائر الدرجات) : يروي حماد بن عيسى ، قال : «سأل رجل أبا عبدالله (ع) ، فقال : الملائكة أكثر ، أو بنو آدم ؟ فقال : والذي نفسي بيده ، لملائكة الله في السماوات ، أكثر من عدد التراب ، وما في السماء موضع قدم ، إلا وفيه ملك يسبحه

(١) مدينة المعاجز : ص ١٢ ونقله السيد البحراني عن (الإختصاص :

ص ٢١٣) من طبعة طهران .

(٢) أصول الكافي : ٤٣٧/١ .

ويقدسه (يقدر له - خ ل) ويسبح ، ولا في الأرض شجرة ، ولا مثل غرزة ، إلا وفيها ملك موكل بها ، يأتي الله كل يوم بعملها ، والله أعلم بها ، وما منهم أحد إلا ويتقرب إلى الله ، في كل يوم ، بولايتنا أهل البيت ، ويستغفر لمحبينا ، ويلعن أعداءنا ، ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب (من العذاب - خ ل) إرسالاً»^(١) .

٤ - (بصائر الدرجات) : «عن الإمام الصادق (ع) ، قال : إنَّ الكروبيين قوم من شيعتنا ، من الخلق الأول ، جعلهم الله خلف العرش ، لوقسم نور واحد منهم ، على أهل الأرض ، لكفاهم » . ثم قال : «إن موسى لما سأل ربه ، ما سأل ، أمر واحداً من الكروبيين ، فتجلى للجبل ، فجعله دكاً»^(٢) .

٥ - (بصائر الدرجات) : «عن الإمام الصادق (ع) أنه قال لأبي حمزة الثمالي : «يا أبا حمزة ! ألا ترى أنه اختار لأمرنا من الملائكة المقربين ، ومن الأنبياء والمرسلين ، ومن المؤمنين الممتحنين؟!»^(٣) .

● ولاية الأربعة عشر معصوماً على الأنبياء :

٦ - (بصائر الدرجات) : «عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبدالله (ع) يقول : ما من نبي نبيء ، ولا من رسول أرسل ، إلا بولايتنا ، وبفضلنا عن سوانا»^(٤) .

(١) بصائر الدرجات : ص ٨٩ .

(٢) بصائر الدرجات : ص ٨٩ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٨٨ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٩٤ .

٧- (بصائر الدرجات) : «عن جابر قال : قال أبو جعفر (ع) : ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها»^(١) .

٨- (بصائر الدرجات) : نقل محمد بن الفضيل ، عن الإمام موسى بن جعفر (ع) ، أنه قال : «ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة محمد ، وولاية وصيه علي (ع)»^(٢) .

٩- (بصائر الدرجات) : عن أبي سعيد الخدري قال : رأيت رسول الله (ص) وسمعتة يقول : «يا علي ! ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك ، طائعاً أو كارهاً»^(٣) .

١٠- (بصائر الدرجات) : عن ابن أبي عمير ، عن جميل والحسن بن راشد ، عن أبي عبدالله (ع) «في قول الله ، تبارك وتعالى ، ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ فقال : بولاية أمير المؤمنين علي (ع)»^(٤) وذلك أن الله ، جل وعلا ، شرح صدر نبيه (ص) بولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

١١- (بصائر الدرجات) : يقول محمد بن مسلم : «سمعت أبا جعفر (ع) يقول : إن الله ، تبارك وتعالى ، أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي ، وأخذ عهد النبيين بولاية علي ، عليه السلام»^(٥) .

(١) المصدر نفسه : ص ٩٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٩٢ .

(٤) بصائر الدرجات : ص ٩٣ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٩٣ .

١٢ - (بصائر الدرجات) : يروي حذيفة بن أسيد الغفاري ،
عن رسول الله (ص) أنه قال : «ما تكاملت النبوة في الأظلة ،
حتى عرضت عليه ولايتي ، وولاية أهل بيتي ، ومثلوا له ، فأقروا
بطاعتهم ، وولايتهم»^(١) .

١٣ - (الأنوار النعمانية)^(٢) : «عن صعصعة بن صوحان أنه
دخل على أمير المؤمنين (ع) لما ضرب فقال : يا أمير المؤمنين !
أنت أفضل أم آدم أبو البشر ؟

قال علي (ع) : تزكية المرء نفسه قبيح ، لكن قال الله
(تعالى) لآدم : ﴿يا آدم ! أسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها
رغداً ، حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من
الظالمين﴾^(٣) ، وأنا أكثر الأشياء أباحها لي ، وتركتها ، وما
قاربتها .

ثم قال : أنت أفضل يا أمير المؤمنين ، أم نوح ؟

قال علي (ع) : إن نوحاً دعا على قومه ، وأنا ما دعوت
على ظالمي حقي ، وابن نوح كان كافراً ، وإبناي سيدا شباب
أهل الجنة .

قال : أنت أفضل أم موسى ؟

قال علي (ع) : إن الله تعالى ، أرسل موسى إلى فرعون ،

(١) المصدر نفسه : ص ٩٣ .

(٢) لنعمة الله الموسوي الجزائري ، المتوفى (١١١٢ هـ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

فقال : ﴿رب إنني قتلت منهم نفساً ، فأخاف أن يقتلون﴾^(١) ،
حتى قال الله تعالى : ﴿لا تخف إنني لا يخاف لدي المرسلون﴾^(٢)
وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله (ص) بتبليغ سورة (براءة) ،
أن أقرأها على قريش في الموسم ، مع أنني كنت قتلت كثيراً من
صناديدهم ، فذهبت بها إليهم ، وقرأتها عليهم ، وما خفتهم .

ثم قال : أنت أفضل أم عيسى بن مريم ؟

قال (ع) : «عيسى (ع) ، كانت أمه في بيت المقدس ، فلما
جاء وقت ولادتها ، سمعت قائلاً يقول : أخرجني ! هذا بيت
العبادة ، لا بيت الولادة ، وأنا أمي فاطمة بنت أسد ، لما قرب
وضع حملها ، كانت في الحرم ، فانشق حائط الكعبة ، وسمعت
قائلاً يقول : أدخلني ! فدخلت في وسط البيت ، وأنا ولدت به ،
وليس لأحد هذه الفضيلة ، لا قبلي ، ولا بعدي»^(٣) .

١٤ - (بصائر الدرجات) : «عن أمير المؤمنين (ع) قال : إنَّ
لله بلدة خلف المغرب ، يقال لها (جابلقا) ، وفي (جابلقا) سبعون
ألف أمة ، ليس منها أمة إلا مثل هذه الأمة ، فما عصوا الله طرفة
عين ، فما يعملون عملاً ، ولا يقولون قولاً ، إلا الدعاء على
الأولين ، والبراءة منهما ، والولاية لأهل بيت رسول الله (ص)^(٤) .

١٥ - (بصائر الدرجات) : «قال الحسن بن علي (عليهما

(١) سورة القصص ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ١٠ .

(٣) الأنوار النعمانية : ٢٧/١ - ط . تبريز .

(٤) بصائر الدرجات : ص ٥١٠ .

السلام) : إِنَّ لَهِ مَدِينَةَ بِالمَشْرِقِ ، وَمَدِينَةَ بِالمَغْرِبِ ، عَلِيٌّ كُلُّ وَاحِدَةٍ سُوْرٍ مِّنْ حَدِيدٍ ، فِي كُلِّ سُوْرِ سَبْعُونَ أَلْفَ مِصْرَاعٍ مِّنْ ذَهَبٍ ، يَدْخُلُ مِنْ كُلِّ مِصْرَاعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ لُغَةٍ أَدَمِيٍّ ، وَليْسَ فِيهَا لُغَةٌ إِلاَّ مُخَالَفَةٌ لِلاُخْرَى ، وَمَا مِنْهَا لُغَةٌ إِلاَّ وَقَدْ عَلِمْتَهَا ، وَلاَ فِيهِمَا ، وَلاَ بَيْنَهُمَا ابْنُ نَبِيِّ غَيْرِي ، وَغَيْرِ أَخِي ، وَأَنَا الْحِجَّةُ لَهُمْ»^(١) .

١٦ - (بصائر الدرجات) : «عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (ع) ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مِنْجَمٌ . قَالَ : فَأَنْتَ عَرَّافٌ . قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : هَلْ أَدْرِكُكَ عَلِيٌّ رَجُلٌ قَدْ مَرَّ مَدْخَلْتَ عَلَيْنَا فِي أَرْبَعَةِ عَشْرَ عَالِمًا ، كُلُّ عَالَمٍ أَكْبَرُ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَمْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ . قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنَا ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا أَكَلْتُ ، وَمَا ادْخَرْتُ فِي بَيْتِكَ»^(٢) .

١٧ - (سرائر ابن إدريس) : «عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (ع) يَقُولُ : مَا مِنْ شَيْءٍ ، وَلاَ مِنْ أَدَمِيٍّ ، وَلاَ إِنْسِيٍّ ، وَلاَ جَنِيٍّ ، وَلاَ مَلِكٍ فِي السَّمَاوَاتِ ، إِلاَّ وَنَحْنُ الْحَجَجُ عَلَيْهِمْ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا إِلاَّ وَقَدْ عَرَضَ وَلايْتَنَا عَلَيْهِ ، وَاحْتَجَّ بِنَا عَلَيْهِ ، فَمُؤْمِنٌ بِنَا ، وَكَافِرٌ ، وَجَاهِدٌ ، حَتَّى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ»^(٣) .

ونشير في ما يلي إلى مدلول الآية الكريمة ، من سورة

(١) المصدر نفسه : ص ٥١٤ . البحار : ٣١/٢٧ .

(٢) بصائر الدرجات : ص ٤٢١ .

(٣) نقله بلفظه في البحار : ٤٦/٢٧ .

الأحزاب ، بأن ولاية المعصومين على جميع العوالم حتى الجمادات :

١٨ - (القرآن الكريم) : قال الله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً﴾^(١) .
وتفسير الآية : إنَّ الله سبحانه وتعالى ، عرض أمانته ، أي ولايتنا ، على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملنها خوفاً من حملها ، إلا أن الإنسان قبلها ، وحملها ، عن جهل بها ، وهو جاهل وظالم .

١٩ - (عيون أخبار الرضا) ، و(معاني الأخبار) : «عن الحسين بن خالد قال : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن قول الله ، عز وجل : ﴿إنا عرضنا الأمانة ، على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملنها . . .﴾ الآية ، فقال : الأمانة : الولاية ، من ادَّعأها بغير حق كفر»^(٢) .

٢٠ - (أصول الكافي) : «عن أبي عبدالله (ع) ، في قول الله عز وجل : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات ، والأرض ، والجبال . . .﴾ الآية ، قال : هي ولاية أمير المؤمنين ، عليه السلام»^(٣) .

٢١ - (بصائر الدرجات) : «عن أبي جعفر (ع) ، في قول

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

(٢) معاني الأخبار : ص ١١٠ .

(٣) أصول الكافي : ص ٣١٣/١ .

الله ، تبارك وتعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملنها ، واشفقن . . .﴾ قال : الولاية ، أبين أن يحملنها ، كفراً بها ، وعناداً ، وحملها الإنسان ، والإنسان الذي حملها أبو فلان»^(١) .

٢٢ - (معاني الأخبار) : «عن أبي بصير ، قال : سألت أبا عبدالله (ع) ، عن قول الله ، عز وجل : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً﴾^(٢) ، قال : الأمانة : الولاية ، والإنسان : أبو الشرور المنافق»^(٣) .

٢٣ - (تفسير الصافي) : عن الإمام الصادق (ع) ما ملخصه : «إن الله عرض أرواح الأئمة على السموات ، والأرض ، والجبال ، فغشيتها نورهم ، وقال في فضلهم ما قال ، ثم قال : فولايتهم أمانة عند خلقي ، فأيكم يحملها بأثقالها ، ويدعيها لنفسه ؟ فأبت من ادعاء منزلتها ، وتمني محلها من عظمة ربهم .

«فلما أسكن الله آدم (عليه السلام) وزوجته الجنة ، وقال لهما ما قال ، حملهما الشيطان على تمني منزلتهم ، فنظرا إليهم بعين الحسد ، فخذلا ، حتى أكلا من شجرة الحنطة ، وساق الحديث إلى أن قال : فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ، ويخبرون بها أوصيائهم ، والمخلصين من أمتهم ، فيأبون

(١) بصائر الدرجات : ص ٩٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

(٣) معاني الأخبار : ص ١١٠ .

حملها ، ، ويشفقون من ادعائها ، وحملها الإنسان الذي قد عرف بأصل كل ظلم منه ، إلى يوم القيامة ، وذلك قول الله ، عز وجل : ﴿إنا عرضنا الأمانة . . .﴾ الآية^(١) .

٢٤ - (تفسير الصافي) و (تفسير القمي) : «الأمانة : هي الإمامة ، والأمر ، والنهي ، والدليل على أن الأمانة هي الإمامة قوله ، عز وجل ، للأئمة : ﴿إنَّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾^(٢) ، يعني الإمامة . فالأمانة : هي الإمامة ، عرضت على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملنها ، أن يدعوها ، أو يغصبوها أهلها ، ﴿وأشفقن منها ، وحملها الإنسان﴾ : يعني الأول ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾^(٣) .

٢٥ - (ينابيع المودة) ، و (المناقب) للخوارزمي : «عن مجاهد قال : قيل لابن عباس : ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ فقال : ذكرت والله أحد الثقلين ، سبق بالشهادتين ، وصلى القبلتين ، وباع البيعتين ، وأعطى السبطين ، وهو أبو السبطين ، الحسن والحسين ، وردت عليه الشمس مرتين ، بعد ما غابت عن الثقلين ، وجرد السيف تارتين ، وهو صاحب الكررتين ، فمثله في الأمة مثل ذي القرنين ، ذاك مولاي علي بن أبي طالب ، عليه السلام»^(٤) .

(١) تفسير الصافي : ٢٠٧/٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

(٣) تفسير الصافي : ٢٠٧/٤ - تفسير القمي : ١٩٨/٢ .

(٤) مناقب الخوارزمي : ص ٢٣٦ - ينابيع المودة : ١٣٨/١ - الباب (٤٧) - وقال ابن عباس : قال رسول الله (ص) : لو أن البحر مداد ، والغياض =

وورد النص نفسه في (ينابيع المودة) ولكن في نهاية الحديث : «وهو مولاي ، ومولى الثقلين» .

٢٦ - (فرائد السمطين) : «عن المصطفى ، محمد الأمين ، سيد الأولين والآخرين (صلى الله عليه وآله أجمعين) قال لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن ! كلم الشمس ، فإنها تكلمك ! فقال علي (عليه السلام) : السلام عليك يا أيها العبد المطيع لله . فقال الشمس : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين . يا علي ! أنت وشيعتك في الجنة .

يا علي ! أول من تنشق عنه الأرض محمد ، ثم أنت ، وأول من يحيا محمد ، ثم أنت ، وأول من يكسى محمد ، ثم أنت .

= أقلام ، والإنس كتاب ، والجن حساب ، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن ، قاله لعلي بن أبي طالب (ع) . (المناقب للخوارزمي : ص ٢٣٥) . «وعن سعيد بن جبیر قال : أتيت عبد الله بن عباس فقلت له : يا بن عم رسول الله ! إني جئتك أسألك عن علي بن أبي طالب ، واختلاف الناس فيه ، فقال ابن عباس : يا بن جبیر ! جئتني تسألني عن خير خلق الله من الأمة بعد محمد نبي الله ، جئتني تسألني عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة وهي ليلة القربة . يا بن جبیر ! جئتني تسألني عن وصي رسول الله (ص) ، ووزيره ، وخليفته ، وصاحب حوضه ، ولوائه ، وشفاعته ، والذي نفس ابن عباس بيده ! لو كانت بحار الدنيا مداداً ، والأشجار أقلاماً ، وأهلها كتاباً ، فكتبوا مناقب علي بن أبي طالب (ع) ، وفضائله ، من يوم خلق الله (عز وجل) الدنيا إلى أن يفنيها ما بلغوا معشار ما آتاه الله تبارك وتعالى (أمالي الصدوق : ص ٤٤٧) .

فسجد علي لله تعالى ، وعيناه تذرطان بالدموع ، فأقبل عليه النبي (ص) ، فقال : يا أخي وحببي ! ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات»^(١) .

٢٧ - موفق بن أحمد الخوارزمي ، وابن شيرويه الديلمي ، وعبدوس الهمداني ، جميعهم ذكروا في كتبهم الرواية السابقة ، بأسناد معتبرة^(٢) وقد ذكروا أن الشمس أجابته بقولها : «وعليك السلام يا أخا رسول الله ، ووصيه ، وحجة الله على خلقه»^(٣) .

بعد ذكر ما تقدم من الآيات ، والروايات ، لا تبقى نقطة إبهام ، أو إشكال ، بأن ولاية الأربعة عشر معصوماً ، ولاية كلية ، تشمل جميع الموجودات والمخلوقات من الأنبياء ، والملائكة ، والنباتات والجمادات ، وكل شيء ، ما عدا الله ، سبحانه وتعالى ، بإذن الله ، تبارك وتعالى ، تحت إمرة ورقابة هؤلاء المعصومين ، وليس في الكون مكان ، أو نقطة ، تستثنى من هذا القانون الإلهي .

● توضيحات في شأن الآية ﴿إنما وليكم الله﴾ :

سبق وأشرنا بأن مقصود الباري ، جل وعلا ، من الآية المباركة ﴿إنما وليكم الله﴾ ، ومن اللفظ ﴿والذين آمنوا﴾ هو : أمير المؤمنين ، وسيد المتقين ، وولي المؤمنين ، مولاي علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

(١) فرائد السمطين : ١٨٥/١ . ينابيع المودة : ١٤٠/١ .

(٢) ينابيع المودة : ١٤٠/١ .

(٣) (راجع البحار : ١٦٩/٤١ وما بعدها - ينابيع المودة : ١٤٠/١) .

ويجوز للبعض أن يستشكلوا ، فيقولوا : لو كان المقصود من (والذين آمنوا) هو الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، لكان ، وبحسب قواعد النحو ، يجب أن يكون لفظ الموصول ، وكلمة (آمنوا) وما بعدها من الكلمات كلها ، آتية بصيغة المفرد ، لا بصيغة الجمع ، كما جاء في الآية المباركة !

نقول في الجواب على هؤلاء :

أولاً : هناك قاعدة عامة في الأدب العربي تقول : إنه إذا كان المخاطب رجلاً ، ذا شأن ، ومنزلة كبيرة ، ومقام رفيع ، فإنه يلزم على الفرد أن يخاطبه بصيغة الجمع ، وذلك للتعظيم ، والتفخيم ، والاحترام . وقد جاء في القرآن الكريم ، وفي الحوار بين العرب ، كثير من هذا المعنى حتى في المكالمات اليومية ، وبين عامة الناس ، عندما يواجه فرد شخصاً محترماً ، ذا شأن ، يخاطبه بكلمة (أنتم) ، بدلاً من كلمة (أنت) . وهذه القاعدة متبعة في جميع لغات العالم .

فالله ، سبحانه وتعالى ، لأجل أن يبين المقام الرفيع ، الشامخ ، لصاحب كرسي الولاية ، وولي الله ، تبارك وتعالى ، يخاطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بصيغة الجمع ، حتى يكون قدوة للآخرين .

ثانياً : ولأن أولاد علي (عليه وعليهم السلام) هم أئمة حق في الإسلام ، وشأنهم شأن أبيهم في مقام الولاية الكلية المطلقة ، ولأنهم ورثة هذا المقام ، وتلك الدرجات ، فقد استعمل الباري جل وعلا ، لفظ الجمع ، إشارة إلى هذا الموضوع .

ثالثاً : إن اختصاص الآية المباركة ﴿إنما وليكم الله...﴾

بالإمام علي بن أبي طالب ، والأئمة الطاهرين (ع) من ولده ،
مورد ذكر في جميع كتب الأخبار والتفاسير ، وحتى في جميع كتب
الصحاح الستة العامة المعتبرة ، لدى أهل السنة والجماعة ، وهي
حجة كاملة لديهم ، حتى إن القوشجي ، الذي هو من أكابر علماء
أهل السنة ، وأئمتهم ، يقول في هذا الشأن : «إن الآية الكريمة
﴿إنما وليكم الله . . .﴾ نزلت في حق علي بن أبي طالب ، وليس
فيه خلاف ، وهذا الأمر مورد إجماع جميع المفسرين . . .»^(١) .

وعليه فإن اختصاص هذه الآية المباركة بأمر المؤمنين
علي بن أبي طالب (ع) ، والأئمة الطاهرين ، مسألة متفق عليها
بالإجماع بين الفريقين ، الشيعة والسنة ، ولا مجال للشك ، أو
التردد ، أو الإنكار ، لأحد في هذا الموضوع .

● الإجابة على الاعتراضات في خصوص

الولاية الكلية للمعصومين (ع) :

هناك بعض من ضعاف النفوس يتوسلون بأدلة واهية ، تدل
على قلة عقولهم ، كما تدل على أنهم أطفال صغار ، لأنهم
يريدون أن ينفوا مسألة الولاية الكلية عن الأربعة عشر معصوماً ،
ولا يدل ذلك إلا على عنادهم ، وعدائهم ، وحسدكم لأهل بيت
النبوة والقداسة ، ومقامهم الشامخ ، كما يدل على عدم علمهم
وفهمهم لآيات القرآن ، وآثار الأئمة الأطهار (ع) ، التي تثبت
ذلك .

ونحن في هذا المجال المختصر ، نشير إلى أهم الأدلة التي

(١) شرح التجريد .

يذكرونها ، ونجيب عليها واحدة بواحدة ، ومن الله التوفيق :

الإعتراض الأول : يقولون : إذا كان للرسول الأكرم (ص) ، والإمام ، الولاية على جميع الأشياء ، كان من الأولى أن يكون الباب ، والحائط ، والسيف ، والرمح ، لا تعمل دون إذنه ، وعليه إذا مسَّ سيف جسد الإمام ، أو أصاب جسد الرسول حجر ، كان ذلك بإذنه ، ولم يكن أحد قد ظلمهم ، وأن الأذى قد لحقهم بإذنه !

ونحن نجيب على هذا الإعتراض ، فنقول لهم : إنَّ هذا الإعتراض يرد على الباري ، جل وعلا ، في ولايته على جميع الأشياء ، وبضرورة مفروض الإعتراض ، يجب أن لا تعمل الأشياء ، مثل الباب ، والسيف ، والرمح ، من دون إذن الباري . فإذا نزل سيف على جسد الإمام ، وجرحه ، أو أصاب حجر جسم الرسول (ص) ، وأصابه بأذى ، كان ذلك بإذن الله ، تبارك وتعالى ، وأن الله ، جلَّ وعلا ، هو قد أنزل هذا البلاء على النبي (ص) ، والإمام (ع) ، وليس ذلك من طرف الأعداء ، ولا يكون قد ظلمهما أحد ، وأن الله ، عزَّ وجلَّ ، هو أراد أن ينزل بهما الأذى .

ولكن يجب أن نقول لهؤلاء الأغبياء : إنَّ الولاية الكلية تخص الله وحده ، وأن محمداً (ص) ، وآل محمد (ع) ، هم عباده ، وأن الله الرحمن الرحيم ، بموجب نص الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ﴾ ، وسائر الآيات ، والروايات المتواترة التي ذكرناها فيما سبق ، قد جعل هؤلاء المعصومين أولياء أمره ، وخلفاءه على جميع الكائنات ، وانه قد انتخبهم من بين عباده ، وفضلهم ، وميزهم ، وجعلهم وسطاء بينه وبين مخلوقاته ، وهم

وسيلة الرحمة لعباده ، وتَوَجَّه بهم بالولاية الكلية المطلقة ، التي كانت وما زالت لهم فخراً من قبل أن يخلق الخلق إلى يوم القيامة .

ولما كانت هذه الدنيا دار امتحان واختبار ، فقد جعل الله سبحانه وتعالى ، عباده أحراراً فيها ومخيرين ، ليظهر كل شخص جوهره وباطنه ، حتى تتم حجته يوم القيامة .

إن الله ، سبحانه وتعالى ، قادر على أن يجري أمره وإرادته على جميع الموجودات ، ويمنع الظالمين ، والمفسدين ، والطغاة ، من ظلم الناس ، ولكنه ، سبحانه ، يمهلهم في هذه الدنيا أياماً حتى يتبين الخبيث من الطيب فيجزي كلاً منهم جزاءه كما قال سبحانه : ﴿ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم ، انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ، ولهم عذاب مهين﴾^(١) ، فنرى في هذه الآية المباركة أن الله ، سبحانه وتعالى ، يمهله الكفار ليعملوا ما يشاؤون من أعمال السوء ، وليست هذه المهلة من قبيل العجز وعدم القدرة الإلهية ، وإنما هذه المهلة لأجل أن يظهر الكفار خبيثة أسرارهم وخبث باطنهم ، ولأجل أن يعصوا الله كما يشاؤون طوعاً ، حتى يحاسبهم الله ، يوم القيامة ، على أعمالهم السيئة ، ويؤاخذهم فيأخذهم بذنوبهم ومعاصيهم ، حيث لا تكون لهم حجة يدافعون بها عن أنفسهم تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ما كان الله ليذّر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾^(٢) ، وتفسير الآية الكريمة : إن الله ، سبحانه وتعالى ، لا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٩ .

يترك المؤمنين ، والمفسدين لحالهم ، وإنما يمهلهم ، حتى يميز الخبيث من الطيب .

وبناء على هذا فإن سكوت أولياء الله أمام الظالمين ، ليس عن عجز في القدرة ، أو عدم العلم ، بل لأجل أن يجرى المقدر عليهم من قبل الله تعالى ، وذلك لأجل رضى الله عنهم .

وتأييداً لما ذكر أعلاه ، فإن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) قد أوضح هذا الموضوع ببيانه الواضح ، حتى أزال الشك والتردد ، في إجاباته الوافية الكافية ، وأقنع الضعفاء ، والناس ، الذين يشكون من هذا الخصوص ، ويوسوسون للناس :

«عن الحسن بن الجهم قال : قلت للرضا (ع) : إن أمير المؤمنين (ع) ، قد عرف قاتله ، والليلة التي يقتل فيها ، والموضع الذي يقتل فيه ، وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار : «صوائح تتبعها نوائح !» ، وقول أم كلثوم : لو صليت الليلة داخل الدار ، وأمرت غيرك يصلي بالناس ، فأبى عليها ، وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة ، بلا سلاح ، وقد عرف ، عليه السلام ، أن ابن ملجم (لعنه الله) قاتله بالسيف ، كان هذا مما لم يجز تعرّضه !

«فقال (ع) : ذلك كان ، ولكنه خير في تلك الليلة لتمضي مقادير الله ، عز وجل»^(١) .

وتأييداً لما أقول ، أذكركم بقصة إبراهيم النبي (ع) المذكورة في القرآن بصورة مفصلة ، حيث ترون أن إبراهيم (ع) لأجل أن يمثل لأمر الله تعالى ، رضي بأن يذبح ولده بيده ، وذلك من أجل

(١) أصول الكافي : ص ٢٥٩ .

أن يرضى الله تعالى ، في حين أنه كان يستطيع أن لا ينفذ هذا الأمر الإلهي ، ولكن عندما وجد أن الرضى الإلهي في تقديم ابنه العزيز قرباناً لله مع الإمكانية والاستطاعة في العصيان ، اختار إجابة أمر الله تعالى ، وقام وهم فعلياً بذبح ولده ، فتدخلت العناية الإلهية .

وهكذا أئمتنا صلوات الله عليهم ، كانوا يستطيعون بإذن الله تبارك وتعالى ، أن يدفعوا عن أنفسهم جميع المصائب والبلايا ، ولكن كانوا جميعهم في حالة الرضى والتسليم لأمر الله تعالى ، ولأجل إجراء المقدر من قبل الله عليهم ، فكانوا مستسلمين أبداً للأوامر الإلهية ، وبلا تردد .

(عيون أخبار الرضا) : «روى هرثمة بن أعين قال : دخلت على سيدي ومولاي - يعني الرضا عليه السلام - في دار المأمون ، وكان قد ظهر في دار المأمون أن الرضا ، عليه السلام ، قد توفي ، ولم يصح هذا القول ، فدخلت أريد الإذن عليه . قال : وكان في بعض ثقات خدم المأمون غلام يقال له : صبيح الديلمي ، وكان يتوالى سيدي ، حق ولايته ، وإذا صبيح قد خرج ، فلما رأني قال لي :

يا هرثمة ! ألسنت تعلم أني ثقة المأمون على سره وعلانيته ؟

قلت بلى ، قال : أعلم يا هرثمة ، إنَّ المأمون دعاني وثلاثين غلاماً من ثقاته على سره وعلانيته ، في الثلث الأول من الليل ، فدخلت عليه ، وقد صار ليله نهراً من كثرة الشموع ، وبين يديه سيوف مسلولة ، مشحوزة ، مسمومة ، فدعا بنا غلاماً غلاماً ، وأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه ، وليس بحضرتنا أحد

من خلق الله غيرنا ، فقال لنا :

هذا العهد لازم لكم ، أنكم تفعلون ما أمركم به ، ولا تخالفوا فيه شيئاً . قال : فحلفنا له ، فقال :

يأخذ كل واحد منكم سيفاً بيده ، وامضوا حتى تدخلوا على علي بن موسى الرضا ، في حجرته ، فإن وجدتموه قائماً ، أو قاعداً ، أو نائماً ، فلا تكلموه ، وضعوا أسيافكم عليه ، واخلطوا لحمه ، ودمه ، وشعره ، وعظمه ، ومخه ، ثم اقبلوا عليه بساطه ، وامسحوا أسيافكم به ، وصيروا إليّ ، وقد جعلت لكل واحد منكم ، على هذا الفعل ، وكتمانه ، عشر بدر دراهم ، وعشر ضياع منتخبة ، والحظوظ عندي ما حييت ، وبقيت !

قال : فأخذنا الأسياف بأيدينا ، ودخلنا عليه في حجرته ، فوجدناه مضطجعاً ، يقلب طرف يديه ، ويتكلم بكلام لا نعرفه .

قال : فبادر الغلمان إليه بالسيوف ، ووضعت سيفي ، وأنا قائم أنظر إليه ، وكأنه قد كان علم مصيرنا إليه ، فليس على بدنه ما لا تعمل فيه السيوف ، فطووا عليه بساطه ، وخرجوا ، حتى دخلوا على المأمون ، فقال : ما صنعتم ؟

قالوا : فعلنا ما أمرتنا به يا أمير المؤمنين .

قال : لا تعيدوا شيئاً مما كان .

فلما كان عند تبليج الفجر ، خرج المأمون ، فجلس مجلسه مكشوف الرأس ، محلل الأزرار ، وأظهر وفاته ، وقعد للتعزية ، ثم قام حافياً حاسراً ، فمشى لينظر إليه وأنا بين يديه .

فلما دخل عليه حجرته ، سمع هممته ، فأرعد ، ثم قال :

من عنده؟ قلت لا علم لنا يا أمير المؤمنين ، فقال : أسرعوا وانظروا .

قال صبيح : فأسرعنا إلى البيت ، فإذا سيدي (ع) جالس في محرابه ، يصلي ويسبح ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! هوذا نرى شخصاً في محرابه يصلي ، ويسبح !

فانتفض المأمون ، وارتعد ، ثم قال : غدرتموني لعنكم الله ! ثم التفت إليّ من بين الجماعة ، فقال لي : يا صبيح ! أنت تعرفه ، فانظر من المصلي عنده ؟

قال صبيح : فدخلت ، وتولى المأمون راجعاً ، ثم صرت إليه عند عتبة الباب .

قال ، عليه السلام ، لي : يا صبيح ! قلت : لبيك يا مولاي ، وقد سقطت لوجهي . فقال : قم يرحمك الله ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون﴾^(١) .

قال : فرجعت إلى المأمون ، فوجدت وجهه كقطع الليل المظلم ، فقال لي : يا صبيح ! ما وراءك؟ فقلت له : يا أمير المؤمنين ! هو والله جالس في حجرته ، وقد ناداني ، وقال لي كيت ، وكيت .

قال : فشد أزراره ، وأمر برد أثوابه ، وقال : قولوا إنه كان غشي عليه ، وإنه قد أفاق !!

قال هرثمة : فأكثررت لله ، عز وجل ، شكراً وحمداً ، ثم

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٢ .

دخلت على سيدي الرضا ، عليه السلام ، فلما رأني قال : يا هرثمة ! لا تحدث أحداً بما حدثك به صبيح ، إلا من امتحن الله قلبه للإيمان بمحبتنا وولايتنا !

فقلت : نعم يا سيدي ، ثم قال (عليه السلام) : يا هرثمة ! والله لا يضرنا كيدهم شيئاً حتى يبلغ الكتاب أجله (١) .

أقول : ومن مطالعة هذه الرواية ، الصحيحة المعتبرة ، والمنقولة في معظم الكتب المعتبرة للشيعة (٢) ، نستطيع أن نجيب المعاندين بلسان الإمام الرضا (ع) حيث يقول ما مضمونه : صحيح أننا أصحاب الولاية الكلية الإلهية ، فعل ما نريد ، ونقدر على كل تصرف في الموجودات ، ونأمرها وننهاها ، ولكن لا يكون ذلك إلا بإذن من الله ، تبارك وتعالى ، وإرادته .

وفي هذا المجال روايات وأخبار كثيرة متواترة ، لا تدع مجالاً لأي فرد أن ينكر ، وخاصة إذا تجرد عن العناد والهوى ، فيقبل ما جاء في الروايات والأخبار عن مقام أهل البيت ، والأئمة الأطهار (ع) كما وصفهم الله تعالى ، ورسوله الأكرم (ص) .

وبعد معرفة الإنسان للمقام الشامخ ، والدرجات العالية للأئمة الطاهرين ، والعمل بما أوصوا به ، يكمل إيمانه ، وينجو من وساوس الشيطان الرجيم .

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ٢/٢١٥ وما بعدها .

(٢) راجع (عيون المعجزات) للشيخ حسين بن عبد الوهاب من علماء القرن

الخامس : ص ١١٠ - مدينة المعاجز : ص ٤٨٢ - البحار : ١٨٦/٤٩

- مناقب ابن شهر آشوب المازندراني : ٤/٣٤٩ ، وغيرها .

ولأجل إثبات ، وإيضاح ، وبيان ما قلناه ، نذكر رواية مشهورة أخرى حتى يعرف الضعفاء في الإيمان ، أن الشيعة المخلصين لأهل البيت المعصومين (ع) ، لا يعتقدون بمقام أهل البيت جزافاً ، وإنما جاء إيمانهم ، واعتقادهم الطاهر ، بناء على ما تعلموه من الأئمة المعصومين (ع) ، وهم يتبعونهم في عقائدهم المقدسة .

إن المعاندين الذين ينكرون فضل الأئمة ، بعد معرفتهم بالنصوص ، لا يعاندون الشيعة فقط ، وإنما يعاندون أهل البيت (ع) ، ويوجهون سهامهم المسمومة ، عن قصد أو غير قصد ، إلى التوحيد والولاية بشكل خاص .

لقد كان المعاندون لا يتركون فرصة إلا ويناظرون خلالها الأئمة الأطهار ، ويعترضون عليهم ، وبياحثونهم ، ولكن أهل البيت (ع) كانوا دوماً يردون عليهم بأجوبة مقنعة مسكنة ، لا يردها إلا المعاند ، الذي لا يريد أن يعرف عدد أصابع يده ، فيخرج المعاندون ، مسؤدة وجوههم في الدنيا والآخرة .

وهنا نورد رواية تبين مصدر عقائد المعاندين التي تحارب الدين ، كما تبين محاولاتهم لإطفاء نور الله (جل وعلا) ، وتكشف عن خيبة آمالهم في ذلك ، كما تظهر حقيقة ما قلناه :

(مناقب ابن شهرآشوب) : كان حميد بن مهران حاجباً خاصاً للمأمون ، ومن أشد الناس عداوة وحسداً للإمام الرضا (ع) ، وكان حميد هذا رجلاً خبيثاً دنيئاً ، ويتحين الفرص ، ليعترض على الإمام (ع) ، ويحقره أمام الناس ، عناداً لله ، جل وعلا ، ورسوله (ص) ، وخاصة بعد أن راحت تزداد شهرة الإمام الرضا (ع)

بازدياد الآيات البيئات ، والمعجزات الباهرات ، التي صدرت منه
(ع) فتجاوز في مقامه حدّاً ظاهراً ، جعل حميد وسيده المأمون
يحقدان عليه أشد الحقد ، ويطلبان له المهالك .

«ولما بويع الرضا (ع) ، قلّ المطر ، فقالوا : «هذا من
نكده»^(١) . فسأله المأمون أن يستسقي ، فقبل ، وقال : «رأيت
رسول الله (ص) في منامي يقول : يا بني انتظر يوم الاثنين ، وابرز
إلى الصحراء ، واستسق ، فإن الله يسقيهم ، وأخبرهم بما يريد
الله ، وهم لا يعلمون حالك ، ليزداد علمهم بفضلك ، ومكانك
من ربك .

«فبرز يوم الإثنين ، وصعد المنبر ، وحمد الله ، وأثنى
عليه ، ثم قال : «اللهم يا رب أنت عظمت حقنا أهل البيت ،
فتوسلوا بنا كما أمرت ، وأملوا فضلك ورحمتك ، وتوقعوا إحسانك
ونعمتك ، فاسقهم سقياً ، نافعاً ، عاماً ، غير راث ، ولا
ضائر»^(٢) ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا
إلى منازلهم ، ومقارهم» .

«فرعدت السماء ، وبرقت ، وهاجت الرياح ، فتحرك
الناس ، فنبأهم أنّ هذا العارض لبلدة كذا ، إلى تمام عشر
مرات ، ثم بدا عارض فقال : هذا لكم ، وأمرهم بالانصراف ،
وقال : لم تمطر عليكم ، ما لم تبلغوا منازلكم .

«ونزل من المنبر ، فكان كما قال ، فقالوا : هنيئاً لولد رسول

(١) رجل نكد : أي شؤم .

(٢) قال الجزري : غير راث : غير بطيء متأخر .

الله ، كرامات الله ، عز وجل !

«فلما حضر عند المأمون ، قال له حميد بن مهران :
تجاوزت حدك ، وصلت^(١) على قومك بناموسك^(٢) ، فإن صدقت
فأمر هذين الأسدين المصوَّرين ، اللذين على مسند المأمون أن
يأخذاني !!» .

وبعد فإنك تلاحظ كيفية انتقال الحدث ، من الولاية
التشريعية إلى الولاية التكوينية ، لأن إحياء صورة أسدين وتحويل
تلك الصورة إلى حقيقة واقعة وملموسة ، من خصائص الولاية
التكوينية ، ونحيل المعاندين إلى بقية الرواية ، بل إلى عدم
التجريح والظعن ، عناداً وجهلاً :

يقول الراوي : «فغضب الرضا (ع) ، ونادى : دونكما
الفاجر ، فافترساه ، ولا تبقياً له عيناً ولا أثراً !!
«فانقلبا ، وقطعاه ، وأكلاه ، ثم استقبلا الرضا (ع) .

أقول : لكم يشبه هذا الأمر قصة عصا موسى ، عندما أمرها
أن تتبدل إلى ثعبان ، وذلك بأمر الله ، عز وجل ، وأن الله ، جل
وعلا ، الذي أعطى موسى هذه القدرة على تبديل العصا اليابسة
لتحول بالقدرة الإلهية إلى أفعى ، أفلا يستطيع الباري ، جل
وعلا ، أن يعطي القدرة نفسها بكمالها ، وتمامها ، إلى نبيه محمد
(ص) ، وآل محمد (ع) ؟؟!

إنَّ هذا الاعتقاد نابع من كون المسلمين يؤمنون بأن الأئمة

(١) قوله : وصلت : من صال عليه : سطا عليه وقهره .

(٢) الناموس : ما تلبس به من الإحتيال .

الظاهرين المعصومين هم ورثة الأنبياء جميعاً ، بل وإن الله (سبحانه) قد فضلهم على جميع الأنبياء ومنحهم مميزات لم يمنحها نبياً سابقاً .

ولكن العجب كل العجب من بعض ضعاف النفوس حين يقبلون لموسى بن عمران (عليهما السلام) بعض الأعمال التي توسلها بالقدرة الإلهية الممنوحة ، لتبليغ رسالته ويستغربون ، بل وينكرون ، جهلاً ، أو عناداً بعد علم ، ما يقوم به أحد الأئمة المعصومين (ع) ، الأربعة عشر ، ولو تجاوز ما قام به موسى أو غيره من الأنبياء !

«وقالا : يا ولي الله في أرضه ! ماذا تأمرنا أن نفعل بهذا ؟
وأشارا إلى المأمون العباسي .

قال : فغشي عليه . فقال : أمكثا . ثم قال : صبوا عليه ماء ورد وطيويه . فلما صبَّ عليه أفاقه ، فقالا : أتأمرنا أن نلحقه بصاحبه ؟

فقال (ع) : لا ، لأن الله تعالى فيّ تدبيراً هو متممه ،
فقالا : فما تأمرنا ؟ قال : عودا إلى مقركما كما كنتما !

فصارا صورتين على المسند . فقال المأمون : الحمد لله الذي كفاني شر حميد بن مهران !»^(١) .

الإعتراض الثاني : يقولون : إنه إذا كان للرسول الأكرم (ص) ، والأئمة (ع) ، الولاية على كل شيء ، فلماذا لم يدفعوا

(١) مناقب ابن شهر آشوب : ٣٧٠/٤ .

الشر عن أنفسهم ، ويطلبوا من الله ، عز وجل ، أن يدفع عنهم
البلاء؟!!

ونقول في الجواب : الحقيقة إن هذا اعتراض البلهاء ،
واستدلال المخطىء ، ويدل على الجهل والحمق ، وعدم المعرفة
بآثار أهل بيت العصمة (ع) ، ونفي مطلق لمعرفة القرآن !

أولاً : يجب أن يعرفوا أن الولاية الكلية والمطلقة للأئمة
المعصومين (ع) ، ليس لها أي ارتباط بأدعيتهم ، ولا تتنافى مع
تلك الأدعية ، إلا إذا تصور المعاند أن الولاية الكلية المطلقة ،
تجعلهم في غنى عن حاجتهم وانقطاعهم عن الله تبارك وتعالى .
وبمعنى آخر : إنهم ينتظرون من الأئمة الأطهار (ع) أن يقطعوا
صلتهم بالله تعالى ، وقضائه ، وقدره ، ولا يحتاجوا بالتالي إليه
والعياذ بالله ، وهذا منطوق ظاهر البطلان ، واهي الدلالة ، لا يدل
إلا على عدم العقل والعلم .

وفي اعتقاد الشيعة الإمامية ، الإثني عشرية ، أن الأئمة
(ع) ، ولو أنهم منصوبون أولياء من قبل الله ، عز وجل ، وأنه
شرفهم بالولاية المطلقة ، لكن أي واحد منهم ، لم ولن يستغني
لحظة واحدة عن الله ، تبارك وتعالى ، وأنهم دائماً يطلبون المدد
منه ، جل شأنه ، لأنه مصدر الفيض ، ولم يدع أحد منهم أبداً
استقلالته عن الله ، تبارك وتعالى .

وكل من يظن أنهم في جميع الأمور مستقلون ، ومستغنون
عن الله ، عز وجل ، فهو كافر ، ومشرك ، بدليل الآية المباركة :
﴿عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون﴾^(١) .

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٧ .

ثانياً : إن قسماً من أعمال المعصومين (ع) ، يكون درساً ،
ونبراساً ، يستضيء به الناس ، ويتعلمون منه ، كالأدعية الموجودة
في (الصحيفة السجادية) فالإمام السجاد علي بن الحسين (ع) ،
عندما كان يدعو بهذه الأدعية ، ويبكي ، ويستغفر من ذنوبه ،
ويتوب إلى الله منها ، وهو واحد من الذين أذهب الله عنهم
الرجس ، وطهرهم تطهير ، إنما كان في الواقع يدعو لغايات كثيرة
ومنها : التربية والتدريس ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن
المنكر ، إلى آخر ما هنالك من غايات تناولها شراح (الصحيفة
السجادية) ، وآخرها ، بل وقبل آخر تلك الغايات أن يعلم
المسلمين جميعاً كيفية الاستغفار ، والتوبة ، والانتهاز عن الأعمال
القبیحة ، والنهوض من الغفلة قبل أن يدركهم الموت ، استعداداً
للقاء الله قولاً وعملاً .

وبالمناقشة العقلية البحتة : كيف يبعث الله أنبياء ، أو
ينتخب أوصياء أئمة ، لإرشاد الناس ، ويعرف البشر أنهم ليسوا
معصومين من الذنوب ، ويرتكبون الأخطاء ، في حين أنه سبحانه
وتعالى ينهى الناس عن المعاصي ؟

إنّ هذا المنطق في حد ذاته ينفي تحليل العقل السليم ،
وصريح منطوق القرآن الكريم ، حتى أن الأدب الإنساني
الصرف ، لا يجرؤ على مقام الأئمة ورميهم بالنقص ، لأن
النقص فيهم ، نقص بالتكليف الإلهي الذي يقودنا حتماً إلى نقص
في الذات الإلهية وهو خلاف لاتفاق جميع الفقهاء ، والعلماء ،
والدارسين ، وبني البشر ، من الذين أنعم الله ، عز وجل ، عليهم
بالعقل ، أو ببعضه ، أو بأدنى معرفة !!

ثالثاً : أنتم تقولون بما أن الأئمة المعصومين هم أصحاب
الولاية الكلية ، فلماذا لا يتوسلون إلى الله ، ويلتمسون منه
المساعدة ؟

فنجيبكم : إن التماس الأئمة (ع) العون والمساعدة ، من
الله جل وعلا ، لا ينافي مقام الولاية المطلقة لهم ، لأنهم لا
ينفصلون عنه تعالى نتيجة لطاعتهم المطلقة ، وإن التمسوا شيئاً ،
فليس ذلك بسبب ذنب ، وإنما تحبباً ، وتقرباً إليه جل شأنه ،
وكون هذا الالتماس في كثير من الأحيان درساً للمسلمين .

وبالمقارنة نقول : إن الله ، جل شأنه ، الذي هو خالق
المخلوقات ، وبارئ الموجودات ، يطلب من عباده العاجزين
فيقول : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾^(١) ، والمعنى
البيسط لهذه الآية المباركة أن الله ، تبارك وتعالى ، يطلب من
عباده قرضاً وعطاءً ، ومن المعلوم أنه لا يطلب القرض إلا
المحتاج ، وإن الله تبارك وتعالى ، غني عن العالمين وليس
محتاجاً إلى أحد ، بل الخلق كلهم محتاجون إليه ، ومع ذلك فإنه
عز وجل ، يطلب من عباده أن يقرضوه وما ذلك إلا ليعلم ويربي
الناس ، ويشجع المسلمين على مساعدة بعضهم البعض ، والذين
هم من المحتاجين خاصة .

ونلفت النظر إلى أن اليهود قد استفادوا من ظاهر الآية ،
وقالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وأنه يطلب منا أن نقرضه ،
وتمسكهم بظاهر الآية قادهم إلى الكفر والإلحاد .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٥ .

وهكذا ننظر إلى ظاهر الأدعية المنقولة عن الأئمة الأطهار ،
فنعبرهم مذنبين بسبب ظواهر هذه الأدعية ، مما يقود بالتالي إلى
الكفر والإلحاد ، بينما جميع الأدعية المأثورة عن الأئمة الأطهار
(ع) ، ما هي في الواقع والحقيقة ، إلا وجهة نظر تريبوية ،
وتعليمية ، وإرشادية للمسلمين ، ودروس عملية للناس ، فيجب
فهمها على أساس واقعيتها وحقيقتهم ، لا غير .

الإعتراض الثالث : بما أن الأئمة المعصومين (ع) لهم
القدرة بالولاية الكلية المطلقة ، كعزرائيل في قبضه أرواح
الجميع ، وإسرافيل الذي ينفخ في الصور ، فيحيي الموتى ، وان
الشمس تدير المنظومة الشمسية ، وأن الملائكة تتدخل في رحم
الأم ، وتعطي الطفل صورته وشكله ، بما أن الأئمة المعصومين
(ع) ، يتميزون بشأن عظيم ، ومقامهم أجل وأسمى من كل ما
ذكرناه ، فإنهم يستطيعون أن يخلقوا ، ويديروا ، ويتولوا أمور
الدنيا ، فكما أن عمل الملائكة لا يعتبر شركاً ، فإن أعمال النبي
(ص) والأئمة (ع) ، لا تعتبر شركاً .

ويجيبون على استدلالهم فيقولون :

إنَّ عزرائيل (ع) لا يستطيع قبض الأرواح بمفرده ، وإنما
يساعده أعوانه ، ومساعدوه من الملائكة ، وهكذا إسرافيل ، خلافاً
لرسول الله (ص) والأئمة (ع) ، فإن كلاً منهم فرد واحد !!

ونقول في الجواب :

أولاً : إنكم مشتبهون في ذلك أشد الإشتباه ، حيث أن
الرسول الأكرم (ص) والأئمة الطاهرين (ع) ليسوا وحدهم ، كما
تتصورون ، بل بأمر الله ، تبارك وتعالى ، لهم في السماوات

والأرض خدم كثير ، ومنهم الجن والملائكة^(١) .

عن أبي الحسن (ع) ، قال : « ما من ملك يهبطه الله في أمر ما ، إلا بدأ بالإمام ، فعرض ذلك عليه ، وإنَّ مختلف الملائكة من عند الله ، تبارك وتعالى ، إلى صاحب هذا الأمر^(٢) .

وقال أمير المؤمنين (ع) ، بعد قتل عثمان ، حين ناشد القوم : « نشدتكم الله هل فيكم أحد سلم عليه جبرئيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، في ثلاثة آلاف من الملائكة ، يوم بدر غيري ؟ قالوا : اللهم لا^(٣) .

ونضيف إلى ما تقدم : إنَّ الأئمة المعصومين (ع) بتأييد الباري (جلَّ شأنه) ليسوا محتاجين إلى مساعدة الملائكة ، أو غيرهم .

(١) عن مسمع كردين البصري قال من جملة حديث : مع أبي عبدالله (ع) : « . . . يا أبا سيار ، إنك تأكل طعام قوم صالحين ، تصافحهم الملائكة على فرشهم ، قال : قلت ، ويظهرون لكم ؟ قال : فمسح يده على بعض صبيانه ، فقال : هم ألطف بصبياننا منا بهم » (أصول الكافي : ٣٩٣/١) . « وعن أبي عبدالله (ع) ، قال : يا حسين - وضرب بيده إلى مساور (متكأ) في البيت - : مساور طال ما اتكت عليه الملائكة ، وربما التقطنا من زغبها » (أصول الكافي : ٣٩٣/١) . « وعن أبي جعفر (ع) : . . . إن لنا أتباعاً من الجن ، كما أن لنا أتباعاً من الإنس ، فإذا أردنا أمراً بعشائهم » (أصول الكافي : ٣٩٥/١ - بصائر الدرجات : ص ١١٦) .

(٢) أصول الكافي : ٣٩٤/١ - بصائر الدرجات : ص ١١٥ .

(٣) بصائر الدرجات : ص ١١٥ .

إن آصف بن برخيا ، كان وصي النبي سليمان (ع) ،
 وبموجب نص القرآن الكريم ، ودون مساعدة أحد ، أحضر عرش
 (بلقيس) ملكة (سبأ) في طرفة عين ، من مملكة سبأ في (اليمن)
 إلى مدينة (مدين) في فلسطين ، أو إلى القدس ، على اختلاف
 الروايات^(١) ، فكيف يقبل الجهلة هذا الأمر العجيب من آصف بن
 برخيا ، ولا يقبلونه من الأئمة المعصومين الذين هم أشرف
 المخلوقات؟! ولا نعتقد ذلك فيهم إلا لأنهم يجهلون أبسط
 فروع الدين ، أو قل يعاندونها ، فكيف في هذه المسألة وهي من
 أصول الدين!؟

ثانياً : إن القياس في فروع الدين باطل ، ولكن القياس في
 أصول الدين واجب ولازم ، لأن العلماء جميعاً متفقون على أن
 أصول الدين من العلوم العقلية ، وأنها تحتاج إلى الاستدلال ،
 وأساس الاستدلال القياس . وعلى هذا فإن استعمال القياس في
 إثبات موضوعات ومسائل أصول الدين من الواجبات .

ومن هنا يظهر أن هؤلاء المعترضين ، مع كل ما يدعونه ، لا
 يعرفون أبسط دلائل موضوعات العقل والدين ، بل وأبسط
 الاستدلالات ، وهم إلى الآن لم يعلموا أن القياس الباطل مربوط
 بفروع الدين ، لأن فروع الدين أمور عبادية ، ولا تحتاج إلى
 الاستدلال .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به
 قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده ، قال : هذا من فضل
 ربي لييلوني ، أشكر أم أكفر ، ومن شكر ، فإنما يشكر لنفسه ، ومن
 كفر ، فإن ربي غني كريم﴾ (سورة النمل ، الآية : ٤٠) .

ولما كان هؤلاء المعترضون ، لا يفقهون شيئاً ، وليس لهم عقل ، ولا علم بالدين ، فنقترح أن يراجعوا الكتب الابتدائية التي تعلم الأطفال مسألة وجود الباري ، جل وعلا ، بطريقة حسية ، كأن يقولوا لهم مثلاً : إذا أردتم صنع منضدة ستحتاجون إلى صانع لها ، ودون تدخل النجار ، لا يمكن أن تصنع المنضدة ، وعلى هذا الأساس فإن هذا الكون المصنوع يحتاج ، أو لا بد من صانع صنعه ، وإن الموحدين يسمون هذا الصانع (الله) ، وهذا نوع من القياس ، وفي هذا الشأن يقول الله ، سبحانه وتعالى ، في القرآن الكريم : ﴿أففي الله شك ، فاطر السموات والأرض﴾^(١) .

ثالثاً : يقولون : يجب أن يكون دليل على صحة هذا المطلب ، بأن الإمام يستطيع كأي ملك من الملائكة ، أن يدير شؤون العالم بالولاية المطلقة الكلية !

ونقول في الجواب : ليس هناك من شك في أن الأئمة المعصومين (ع) لهم الولاية المطلقة الكلية ، لوجود أدلة كثيرة على صحة ما نثبتته ، في القرآن الكريم ، وفي الآثار والكتب الإسلامية . ولكن عيونهم لا تبصر ذلك ، وهم عاجزون عن درك هذه الأدلة ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾^(٢) ، لأن كتب الشيعة مملوءة بالأدلة الكافية الوافية ، التي تؤيد هذا الموضوع ، والكتاب الذي بين أيديهم واحد منها ، لو يطالعونها بدقة تامة لوجدوا الأدلة التي قلنا عنها ! رابعاً : يقولون : إن قياس عمل الملائكة ، والشمس ، مع

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ .

عمل الرسول (ص) ، والإمام (ع) ، قياس مع الفارق ، حيث أن أفعال الملائكة والشمس ، منسوبة إلى الله ، عز وجل ، ولكن عمل الرسول والإمام ، منسوب إلى أنفسهم !

ونقول في الجواب : إنَّ قياس عمل الملائكة والشمس ، بعمل الرسول والإمام ، قياس ناقص على الكامل ، لا قياس مع الفارق ، لأنَّ القياس مع الفارق يكون بين شيئين متباينين تبايناً كلياً ، لا تشابه بينهما .

ولكن المسألة هنا تختلف كل الاختلاف ، حيث أن الملائكة ، أو الشمس ، كل منهما وسيلة من وسائل الخلق . فمثلاً إسرافيل وسيلة لنفخ الصور ، وعزرائيل وسيلة لقبض الأرواح ، والشمس وسيلة لنشر الروح والحرارة ، ولكن الأئمة المعصومين (ع) ، وحسبما جاء في القرآن الكريم ، وبروايات متواترة ، وعقيدة علماء الشيعة ، إنهم أعظم وسيلة ، وأكبر واسطة ، بين الله والمخلوقات .

وعليه ، فإنَّ وجه التشابه في هذه المسألة ، هو الوساطة بين الخالق والمخلوق التي توجد بين الطرفين . فهنا لا قياس مع الفارق ، بل هو جمع بين الطرفين ، وباصطلاح أهل المنطق هناك حد وسط موجود .

وحيث أن الملائكة والشمس ، وسائل ناقصة ، ومحمداً (ص) ، وآل محمد (ع) ، يعتبرون أعظم وسيلة ، وأكبر واسطة إلهية ، فالأساس هنا قياس ناقص على الكامل .

وأما قولهم : إنَّ أفعال الملائكة والشمس ، منسوبة إلى الله عز وجل ، وفعل الرسول والإمام منسوب إلى نفسه ، فإنه خطأ واشتباه ، لأن جميع أفعال الملائكة والشمس ، ليست منسوبة إلى

الله ، بموجب قول الله ، تبارك وتعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس﴾^(١) .

فإذا نسبنا فعل الملائكة إلى الله ، معنى ذلك أننا نقول : إنَّ الله سجد لآدم ، وهذا كفر صراح ، وكذلك قوله تعالى : ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾^(٢) .

وبناء على استدلالهم الخاطيء نقول : إن نسبة عمل الأشياء إلى أنفسها نسبة خالصة ، أو إلى الله ، عز وجل ، مسألة دقيقة جداً في موازين الشرع والعقل .

لهذا يجب أن نقول هنا : إنه إذا كانت الملائكة ، أو سائر مظاهر الوجود ، هي واسطة ، لإيصال الأوامر الإلهية المقدسة ، إلى المخلوقين ، فإنَّ أفعال المخلوقين تنسب إلى الله ، تبارك وتعالى ، مقيدة بتلك الأوامر ، كفعل عزرائيل (ع) في قبض الأرواح ، فإنَّ فعله منسوب إلى الله ، جل وعلا ، حيث أن الله تعالى ، يأمره بقبض أرواح المخلوقين ، فهو واسطة لإجراء أمر الله ، عز وجل ، وأمر الممات بيد الله تبارك وتعالى . وكذلك فعل جبرائيل (ع) في إنزال الوحي ، أو فعل إسرافيل (ع) في إيصال الروح إلى الجنين ، حيث أن هؤلاء الملائكة ، هم وسطاء لتنفيذ أمر الله ، سبحانه وتعالى ، لأن الإحياء ، والإماتة ، والوحي ، تنسب إليه عز وجل .

وهكذا فالمسألة بالنسبة للأئمة المعصومين (ع) ، المسألة إياها ، لأنهم أعظم واسطة بين الله ، تبارك وتعالى ، وبين

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٣٨ .

المخلوقات ، وهو ، جل شأنه ، ينسب أقوالهم وأفعالهم إلى نفسه بقوله : ﴿وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى﴾^(١) ، وبقوله تعالى : ﴿وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿إن الذين يبائعونك ، إنما يبائعون الله . . .﴾^(٣) ، فيعتبر بهذه الآية الكريمة أن مبايعتهم لرسول الله (ص) كمبايعتهم لله ، سبحانه وتعالى ، وفي آخر هذه الآية ، يقول تبارك وتعالى : ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ، وهنا يقصد الباري ، جل شأنه ، أن يد الرسول الأكرم (ص) التي صافقتها الناس ، هي يد الله بالتكليف ، لأن الله ليس بجسم حتى يكون له يد .

وأمثال هذه الآيات الكريمة كثيرة ، حيث ينسب الله ، سبحانه وتعالى ، أعمال وأقوال الرسول الأكرم (ص) ، وهؤلاء الأئمة الطاهرين (ع) إلى نفسه ، وهم أعظم واسطة بينه ، وبين جميع المخلوقات ، وأنه منحهم الولاية الكلية المطلقة على جميع العالمين ، وشرفهم بها .

الإعراض الرابع : يقولون : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾^(٤) ، وأن هذه الآية جاءت صريحة في ولاية رسول الله (ص) على المؤمنين ، وهذه الولاية هي الولاية التشريعية ، فإذا كانت الولاية ولاية تكوينية ، كان على الله أن يقول : «النبي أولى بالسموات والأرض» ، أو يقول : «النبي أولى بكل شيء» .

(١) سورة النجم ، الآية : ٣ - ٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

(٣) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٦ .

أجيب على ما يقولون : إنه بموجب القاعدة المشهورة : «إثبات الشيء لا ينفي ما عداه» أي إذا نسبنا إلى زيد صفة الشجاعة ، وقلنا : إن زيداً شجاع ، لا ينفي أن يكون زيد كريماً ، أو عالماً ، أو غير ذلك .

فهؤلاء بجهلهم القواعد العلمية ، وعدم قراءتهم القرآن بدقة وبصيرة نافذة ، ولو لمرة واحدة ، ونتيجة للقراءة السطحية ، إن حصلت ، نراهم يقعون في أخطاء كبيرة كثيرة ، واشتباهاً عديدة ، وبسبب هذه الأخطاء والاشتباهاً ، نرى كثيراً من الشباب اليوم ، ينحرفون عن طريق الصواب وينزلقون في عقائدهم المذهبية .

يقولون : إن الله ، تبارك وتعالى ، قد جعل ولاية النبي الأكرم على المؤمنين فقط ، وليس على سائر المخلوقات والموجودات . هؤلاء الجهلة لا يعلمون ، أو عناداً يتجاهلون أن ثبوت الولاية المطلقة للأئمة المعصومين (ع) ، على البشري ، الذي هو أشرف المخلوقات ، لا ينافي ولا يتهم المطلقة على سائر المخلوقات التي هي دون الإنسان درجة .

كما أن هؤلاء القوم ، إذا كان استدلالهم على النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) ، صحيحاً ، فقد يصح ذلك على الله ، ذي الجلال والإكرام ، الذي له الولاية الكلية على جميع العوالم ، بصورة قطعية ، حيث يقول تعالى : ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾^(١) ، ومعنى ذلك أن الله ، تبارك وتعالى ، وليُّ المؤمنين فقط ، وليس ولياً ، والعياذ بالله ، على سائر الموجودات ، كما يزعمون .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧ .

وبناء على ما ذكرناه نقول لهؤلاء الجهلة ، الذين يدعون فهم القرآن إنهم سيجدون جواب اعتراضهم في القرآن الكريم ، ويلتفتون إلى أنهم عندما يستشكلون في شيء لا يدعون بغضهم لأهل بيت العصمة يعمي أبصارهم حتى لا يروا الآية المباركة : ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ الموجودة في (سورة البقرة) .

وإذا قالوا : إن ولاية الله على السماوات والأرض تثبت بدلائل أخرى ، نقبل منهم ، ولكن يجب أن يعلموا ان الله ، تبارك وتعالى ، قد أثبت ولاية الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الطاهرين (ع) على جميع الكائنات والمخلوقات في القرآن الكريم بآيات كثيرة منها : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(١) ، وما هذه الرحمة إلا درجة من درجات الولاية الكلية المطلقة .

وأي دليل أقوى وأحسن من الله ، سبحانه وتعالى ، عندما يثبت لنفسه ، ولرسوله الكريم ، والأئمة الطاهرين الولاية الكلية المطلقة؟! ومنها : الآية المباركة : ﴿إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا . . .﴾^(٢) التي يثبت الله فيها الولاية الكلية المطلقة ، له ، جل شأنه ، ولرسوله الكريم ، وآله المعصومين (ع) .

وبناء على قواعد اللغة العربية ، فإن (واو) العطف ، ينقل حكم ما بعده عيناً إلى ما قبله ، بحيث أن الولاية الخاصة بالله ، جل وعلا ، ولاية عامة مطلقة ، على جميع المخلوقات ، وولاية الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الطاهرين (ع) ، على المنوال والأسلوب نفسه ، مع

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

فارق أن ولاية الله ، تبارك وتعالى ، ولاية بذاته وأصالته ، وأما ولاية الأئمة المعصومين ، فولاية تبعية تتعين بإذن الله تعالى .

الإعتراض الخامس : يقولون ، وقولهم يشبه العرفان ، إن ولاية الإمام ولاية إلهية ، ولكننا نقول : أين الدليل على هذا القول ، حيث لم يصلنا من الشرع شيء من ذلك ، فإذا ادعى شخص ذلك في فروع الدين ، فإن المسلمين يمنعونه ، أما في أصول الدين فكل ما يدعى لا مانع منه .

ونقول في الجواب : إنهم لا يعلمون ولا يريدون أن يفهموا بأنهم لا يعلمون ، لأن جميع الروايات ، والآيات المباركة ، التي تثبت الولاية الكلية ، للأئمة ، وأهل بيت العصمة (ع) يدعون بأن هذا شبه العرفان ، استهزاء ، وسخرية .

ونقول : إن العرفان ، المثبت ، الحقيقي ، هو أساس المعتقدات المذهبية الصحيحة ، وذلك بموجب الآية الكريمة : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١) وفي تفسيرها : إن العلة الغائية من خلق الجن والإنس هي العرفان ، أي معرفة الله ، التي تقود إلى العبادة .

وبعد فإننا نعجب من طلبهم الدليل على الولاية الكلية المطلقة لمحمد (ص) وآل محمد (ع) ! ولا ندري ، لعلمهم لم يقرأوا التفاسير ، وأخبار أهل بيت العصمة (ع) ، كما أنهم لم يقرأوا أي كتاب من كتب علماء الشيعة حتى إنهم لم يجلسوا أمام منبر المحدثين من الشيعة !

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

فهلأ أخذوا بعض كتب المنصفين من أهل السنة ، وقرأوها
لعلهم يعرفون أن الولاية الكلية للأئمة الطاهرين ليست مسألة خافية
على أي شخص ، لكثرة وجود الآيات القرآنية ، والروايات المعتمدة ،
والأدلة الوافية ، ولكونها تشبه الشمس في وضوح النهار .

لقد مضى على ظهور الإسلام ألف وأربعمئة سنة ، واسم علي
(ع) مقرون بكلمة الولاية ، والمؤلف والمخالف ، يعرفان علياً مع
الولاية . أما هؤلاء البؤساء فيطالبون بالدليل ولا ندري إن كانوا
يتظاهرون بعدم الفهم ، أم هم حقيقة لا يعلمون هذه الحقائق
الواضحة والمسلمة ، أم كانوا طوال هذه القرون ساهين غافلين .

إننا نؤكد أن أمر الولاية من عالم المشاهدة ، وأما كونها من عالم
المعنى فإن وجود الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، ملحوظ وحقيقة منذ
خلق الله الكائنات ، أي منذ بدء الخليقة ، كان قد تشرف بدرجة
الولاية الكلية من قبل الله ، سبحانه وتعالى ، بل قل إنه قبل أن يخلق
الخلق^(١) .

(١) قال الله تعالى في الحديث القدسي : «يا محمد ! إني خلقتك وعلياً نوراً
- يعني روحاً - بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي ، وعرشي ،
وبحري ، فلم تنزل تهللي ، وتمجدني ، ثم جمعت رويكما ،
فجعلتهما واحدة ، فكانت تسبحني ، وتقديسي ، وتهللي ، ثم قسمتها
ثنتين ، ثم قسمت الثنتين ، فصارت أربعة : محمد واحد ، وعلي
واحد ، والحسن والحسين اثنان» (راجع كلمة الله هي العليا نقلاً عن
الكافي) . «وعن جابر ، عن جعفر بن محمد الصادق (ع) قال : قلت
له : لم سميت فاطمة ؟ فقال : لأن الله خلقها من نور عظمته ، فلما
أشرقت أضواء السماوات والأرض بنورها ، وغشيت أبصار الملائكة ، =

ويقولون : كل من يدّعي شيئاً ، أو يعمل من عند نفسه ، من فروع الدين ، يمنعونه من العمل ، أما إذا ادعى بشيء من عند نفسه في أصول الدين فلا مانع في ذلك !

ونقول : إنّ هذا الإستدلال خطأ فاحش من جانبهم ، وأنهم هم الذين يدعون ذلك . أما عند الشيعة ، فإنه لا يجوز لأي فرد أن يدّعي ، أو يعمل ، أو يأمر بعمل من عند نفسه ، سواء أكان العمل في فروع الدين أم في أصوله ، لأن كل عقائدنا مستندة إلى القرآن الكريم ، ومأخوذة منه ، وإن آثار وكتب أساتذة القرآن الكريم - محمد ، وآل محمد (ص) - كلها مأخوذة من القرآن الكريم ، وإن شيعة علي (ع) كل ما أخذوه وذكروه ، سواء أكان في الأصول ، أم في الفروع ، مقتبس جميعه من مكتبة العظماء ، من الأئمة الطاهرين (ع) وأن علماء الشيعة لم يضيفوا من أنفسهم كلمة واحدة ، ولم ينقصوا كلمة واحدة .

إنّ الذين يطالعون كتب علماء وكبار مفكري الشيعة ، مطالعة دقيقة يجدون أن علماءنا عندما يريدون أن يفتوا ، أو يستخرجوا حكماً شرعياً ، يجد المطالع ، أي حد ، وأي دقة يعتمدهما هؤلاء العلماء والمفكرون ، حتى يخرجوا ذلك الحكم الشرعي ، ولكن

= وخرت الملائكة ، لله ساجدين ، وقالوا : إلهنا وسيدنا ! ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم : «هذا نور من نوري ، أسكته في سمائي ، وخلقته من عظمتي ، أخرج من صلب نبي من أنبيائي ، أفضله على جميع الأنبياء ، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ، ويهدون إلى حقي ، وأجعلهم خلفاء في أرضي ، بعد انقضاء وحيي» (علل الشرائع) .

الجهلاء من المعاندين وكلهم جاهل يدعون عناداً أن من يتبع مكتبة آل محمد (ص) المقدسة ، فإنما يتبعون باطلاً !!

في الحقيقة إن هذا الإعتراض يُرد عليهم ، لأنه باتفاق المراجع العلمية الإسلامية ، ومراجع التقليد ، إذا أرادوا أن يثبتوا مسألة شرعية ، أو يفتوا بها ، فإنهم يستندون إلى رواية أو خبر واحد ، أو روايتين وخبرين ، في حين أن أكثر الأصحاب قد اكتفوا بخبر واحد .

وعلى هذا الأساس ، كيف يجوز الإستناد إلى رواية واحدة ، أو خبر واحد ، في فروع الدين لإثبات الحكم الشرعي ، ولا يلتفتون إلى مئات من الأخبار والأحاديث المتواترة والصحيحة لإثبات الولاية المطلقة للأئمة المعصومين (ع) ؟ ثم يتجاسرون ليقولوا : إنه ليس لنا دليل واضح لإثبات هذا الأمر !

أقول : إن كتب الشيعة والسنة المعتمدة ، فيها الكثير من الأدلة والأخبار المتواترة ، وفي هذا الكتاب الذي بين أيديكم ، قد ذكرت أكثر من ثلاثين رواية ، أو خبر لإثبات الولاية الكلية لمحمد (ص) ، وآل محمد (ع) ! فكيف لا يرون ، ولا يقرأون هذه الروايات والأحاديث وينكرونها ، ثم يقولون إننا لا نملك أي دليل على ذلك !!

فإذا كانوا يستندون في فروع الدين على الأخبار ، فنحن نستند في إثبات الولاية الكلية على الأخبار أيضاً ، وإذا كانت الأخبار في فروع الدين صادرة عن الأئمة المعصومين (ع) ، فإن رواية تلك الأحاديث هم من أصحاب الأئمة الطاهرين ، وإذا كانت تلك الروايات المذكورة في كتب الشيعة المعتمدة ، فرواية هذه الأحاديث هم كذلك من أصحاب الأئمة الأطهار (ع) ، الموثقين ، ولا نعلم ما هو الفرق بين هاتين المجموعتين من الأخبار حتى أن هؤلاء الأغبياء

يقبلون قسماً ، ولا يقبلون بالقسم المتصل بفضائل ومقام أهل بيت العصمة (ع) ، ويردونه : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب ، وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون﴾^(١) .

أقول : إن هناك تفسيراً واحداً للمعارضات الواهية التي يتمسك بها هؤلاء الجهلاء ! ، إنه العناد لله تعالى ورسوله ، والجهل المركب الذي يقود إلى الضلالة . وإلا فكيف نفسرتعتهم ، وعنادهم إن لم يكن الأمر كذلك !؟

إنهم لا يريدون من فضائل الأئمة الأطهار أن تنتشر ، وتعم الخافقين ، وباعترافهم إن هذه الفضائل تزداد انتشاراً ، واتساعاً ، وهم يعملون جاهدين لوقفها ، ولكن هيهات لهم ذلك ، فإن الذين سبقوهم ، وكانوا أشد منهم قوة ، وسطوة ، من بني أمية ، وبني العباس ، لم يستطيعوا أن يوقفوا شعاع تلك الفضائل والمآثر ، فأين أولئك من هؤلاء !

إن معاندي أهل بيت العصمة ، يريدون أن يعطلوا مجالس نشر فضائل محمد (ص) ، وآل محمد (ع) كما أنهم يعملون جاهدين لتعطيل مجالس العزاء التي تقام ، لأجل مظلوم كربلاء ، وخامس أصحاب أهل الكساء ، الحسين بن علي ، أرواحنا له الفداء ، وكما تلاحظون ، فإن هذه المجالس تزداد انتشاراً وتعميماً ، والمناسبة الكربلائية ، بدأت ، بحول الله وقوته ، تأخذ مكانها على صعيد العالم الإسلامي ، لتوحد المسلمين حول

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٥ .

مقارعة الظلم ، والاستعباد ، والقهر ، وكانت العناية الإلهية تبطل خطط أعداء الإسلام ، وتمنعهم عن بلوغ إطفاء نور الله تعالى : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ، ولو كره الكافرون﴾^(١) .

الإعتراض السادس : يقولون : إن الولاية المطلقة الكلية ، إذا كانت للإمام ، فلا يبقى شيء لله تعالى !
ونقول في الجواب :

أولاً : من أين لهم الإحاطة بقدرة الله التي لا تنتهي حتى يقولوا : إن إثبات مقام الولاية المطلقة الكلية للأئمة المعصومين (ع) ، لا يبقى شيئاً من القدرة الإلهية !!؟

هل أحاطوا بجميع ذاتيات ومقامات الباري ، جل وعلا ، حتى يصدروا هذا الحكم ؟! وهل يتصورون أن العناية الإلهية المقدسة إذا منحت أهل بيت العصمة ، الولاية الكلية المطلقة ، تفرغ خزائن الله تبارك وتعالى التي لا تنفذ ؟! وهل يتصور هؤلاء البلهاء أن الذات الإلهية إذا منحت وأعطت وتفضلت على أهل البيت (ع) بالولاية الكلية ، لم يبق لله شيء ، فيحصل الفراغ الذي يتأثر به المخلوق ؟!

إنهم لا يعلمون التوحيد ، ولكم هم بحاجة إلى معرفة الله ، لأنهم لا يعلمون أن قدرة الباري ، جل وعلا ، الأزلية ، لا تتأثر ، ولا تنصرف ، ولا تقل ، بحيث أن عدداً من الجهال يتدخلون بها ، ويتصرفون فيها ، ويجعلون لها ، حداً ، وكماً ، وكيفاً .

(١) سورة الصف ، الآية : ٨ .

ثانياً : إن الرسول الأكرم محمد (ص) ، وآله الميامين الأَطهار (ع) ، منصوبون من طرف الباري ، جل وعلا ، ومعيّنون بالنص الإلهي المقدس ، وقد أثبت ، تبارك وتعالى ، لهم ، الولاية الكلية المطلقة بأمر وإذن منه جل شأنه ، وأعطاهم سبحانه ، حق التصرف في الكائنات ، علماً بأنهم (ع) من مخلوقات الله تعالى ، وعباده الطاهرين ، ولا مانع لما أعطى ، ولا قيد لما تصرف ، ولا حد لإرادته ، ولا إحاطة لقدرته ، أوليس هذا من فضل الله ، تبارك وتعالى ، دليلاً على أن له عباداً معصومين كاملين ، قد خلقهم ، وفضلهم ؟!

ثالثاً : إن اعتراضهم يكون وجيهاً ، عندما نفترض باطلاً ونقول : إن الله ، ذا الجلال والإكرام ، خلق محمداً (ص) ، وآل محمد (ع) ، وفوض إليهم أمور الوجود ، والخلق ، والرزق ، وغيرها ، وجعلهم فاعلين ومدبرين ، يتصرفون كما يشاؤون في عالم الكائنات ، دون أن يكون لرب العباد ، جل وعلا ، حق التدخل في شيء ! فيكون من الطبيعي ، ومن بديهيات المعرفة ، والقول : إن هذا كفر ، وشرك ، وباطل من أساسه ، بناء لهذا المنطق .

لكن القائلين بالولاية الكلية المطلقة لمحمد (ص) ، والأئمة المعصومين (ع) من ولده ، يقولون عكس ذلك تماماً ، حيث أنهم يعتقدون أن الفاعل على الإطلاق والمدبر بالاستقلال في عوالم الخلق والوجود ، هو الله ذو الجلال والإكرام ، ولا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى ، بمعنى أن الله ، تبارك وتعالى ، عندما جعل محمداً (ص) ، وآل محمد (ع) واسطة للتشريع ، أي إيصال

العلوم والأحكام ، بينه وبين مخلوقاته ، فقد جعلهم (ع) وسطاء في التكوين ، أي إيصال الرحمة والفيض الإلهي إلى عباد معينين . وهذه العقيدة بهذا المصداق ، يؤيدها ويفرضها ، ويصدقها العقل ، والقرآن ، وأخبار أهل بيت العصمة (ع) ، وليس لأحد من المسلمين أن يشكك أو يستشكل في ذلك ، وإن أهل البصيرة والتحقيق لا يخفى عليهم هذا الأمر ، ولا يكون التوحيد الكامل إلا من هذا الطريق .

الإعتراف السابع : إن المعاندين يفسرون الآية الكريمة : ﴿وما محمد إلا رسول ، قد خلت من قبله الرسل﴾^(١) ، بأن محمداً (ص) قد أعطي صفة الرسالة فقط ، من قبل الله ، جل شأنه ، كما جاء قبله الرسل ، وإن الرسل الذين سبقوا محمداً (ص) ، كانوا أصحاب الولاية في الأمور التشريعية فقط ، لا في الأمور التكوينية !

ونقول في الجواب : إن هؤلاء يفسرون آيات القرآن ، تبعاً لهوى نفوسهم ، دون أن يلتفتوا إلى شأن نزول الآية . وما فسروا الآية المباركة على هذا النحو ، إلا لغرض إغواء الناس ، فقلبوا مفهوم ومقصود الرب من هذه الآية ، على عكس ما يريد الباري جل وعلا .

فليراجع هؤلاء جميع التفاسير المعتبرة عند الشيعة ، من المتقدمين والمتأخرين ، وليقولوا : في أي تفسير من هذه التفاسير ورد هذا المعنى الخطأ ، والغلط ، والخلط ، الذي يذكره لتفسير

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

الآية ، دون إبداء أي دليل يذكرونه ، حتى إنهم في شرح الآية المباركة لم يراعوا جانب الأمانة والأدب ، ولم يشرحوها بصورة صحيحة .

وفي ما يلي نشرح ونفسر الآية المباركة ، بصورة صحيحة ، حتى تظهر الحقيقة واضحة أمام أنظار المطالعين ، والدارسين ، لتسود وجوه ، وتبيض وجوه !:

● قال الله تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول ، قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات ، أو قتل ، انقلبت على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه ، فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين﴾ (١) :

ذكر جميع المفسرين في شأن نزول هذه الآية المباركة أنه : عندما وقعت (غزوة أحد) بين المسلمين ، ومشركي مكة ، أدت هذه الغزوة إلى ضرر المسلمين ، وانكسارهم في الحرب ، وذلك بسبب طمع بعض المسلمين ، من ضعفاء النفوس ، بجمع الغنائم ، حيث تركوا أماكنهم التي أمرهم رسول الله (ص) بملازمتها ، والمحافضة عليها ، أثناء القتال ، ونزلوا إلى الميدان لجمع الغنائم .

وحيث أن الرسول الأكرم (ص) ، جرح في هذه المعركة ، فقد أشاع المشركون أن النبي (ص) قد قتل ، وأن المشركين قد قتلوه .

هذه الحيلة الحربية أثرت في معنوية جنود الإسلام ، مما

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

تحدا في هذه الأثناء بجمع من المنافقين ، أن ينادوا : أنه ما دام قد قتل النبي (ص) ، فلا حاجة لنا لإدامة الحرب ، والبقاء في دين الإسلام !

وقد ذكر الكاتب الكبير (محمد حسين هيكل)^(١) ، وزير التربية والتعليم ، السابق ، المصري ، في كتابه^(٢) ، وغيره من المؤرخين الشيعة^(٣) ، والسنة^(٤) ، أن عدداً من المسلمين الضعفاء

(١) الدكتور محمد حسين هيكل (١٣٠٥ - ١٣٧٦ هـ / ١٨٨٨ - ١٩٥٦ م) : محمد حسين هيكل كما عُرف هو محمد بن حسين بن سالم هيكل ، كاتب ، صحفي ، مؤرخ ، من أعضاء المجمع اللغوي ، ومن رجال السياسة بمصر ، ولد في قرية (كفرغنام) بـ (الدقهلية) ، وتخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة (١٩٠٩ م) ، وحصل على الدكتوراه في الحقوق من (السوربون) بـ (فرنسة) سنة (١٩١٤ م) ، وافتتح مكتباً للمحاماة بـ (المنصورة) ، وأكثر من الكتابة في جريدة (الجريدة) . كان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول ، وولي وزارة المعارف مرتين ، وكان أول ما أصدر مجلة (الفضيلة) ، يوزعها في قريته . صنف كتباً طبع منها «حياة محمد» ، و«في منزل الوحي» ، و«ثورة الأدب» ، و«الصديق أبو بكر» ، و«الفاروق عمر» ، و«عشرة أيام في السودان» . وتوفي بالقاهرة (راجع الأعلام للزركلي : ١٠٧/٦ - تراث الإسلام لعبد الرحمن زكي : ص ٢٠) . وقد ذكرنا ترجمته بطولها لأن البعض يخلط بين (محمد حسين هيكل) صاحب الترجمة ، وبين (محمد حسين هيكل) الصحفي المصري المعاصر المعروف .

(٢) راجع (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل : ص ٢٦٥ . الطبعة الأولى سنة (١٩٣٦) .

(٣) راجع (تفسير الصافي) : ٣٥٩/١ - مجمع البيان : ٥١٣/١ .

(٤) تفسير الكشاف : ٤٦٨/١ .

ومنهم أبو بكر وعمر ، اتجهوا إلى جانب الجبل ، وتركوا القتال ، ولم يبق مع الرسول الأكرم (ص) غير أسدالله الغالب ، وفارس المشارق والمغرب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، ومعه أبو دجانة .

وبهذه المناسبة ، نزلت الآية الكريمة : ﴿وما محمد إلا رسول . . .﴾ الآية ، لتنبه المسلمين بأنه إذا مات الرسول الأكرم (ص) ، أو حدث له شيء ، أو قتل ، لا يحق للمسلمين الارتداد عن دين الإسلام ، والرجوع إلى أيام الجاهلية والكفر .

وبناء على ما ذكرناه ، توضح سبب نزول هذه الآية الشائعة التي أشاعها المنافقون بوفاة النبي (ص) ، وسوق الناس لهذا السبب إلى الانهزام ، والارتداد ، والكفر .

والله ، جل وعلا ، برحمته الواسعة ، ولأجل أن يمنع المسلمين من الارتداد عن دين الإسلام أنزل هذه الآية المباركة ، وأوضح تعالى فيها أن السلف من الأنبياء عندما ماتوا وارتحلوا من هذه الدنيا لم تبطل أديانهم في التوحيد ، ولم يرتد المؤمنون نتيجة ذلك ، ولا زالوا باقين إلى يومنا هذا .

ولنفرض أن الرسول الأكرم (ص) ، قد مات ، أو قتل ، فليس معناه أن الدين الإسلامي يذهب ويندثر ، ويرتد المسلمون عن دينهم ، ويرجعون إلى الكفر والجاهلية .

وعلى هذا ، فقد أراد الله ، سبحانه وتعالى ، أن يبين من خلال الآية المباركة ، أنه على المسلمين التمسك بدين الإسلام الحنيف ، بعد وفاة رسول الله (ص) ، وعليهم أن يعملوا على تقويته واستمراره ، وهكذا نجد لهذه الآية فائدتين :

الفائدة الأولى : هي تقوية الروح المعنوية لجنود الإسلام ،
في غزوة أحد .

الفائدة الثانية : غلق أفواه المنافقين عن تشويق المسلمين
إلى الارتداد عن دين الإسلام ، والرجوع إلى الكفر ، ودرس
للمنافقين ، حتى يكفوا عن دعوة المسلمين إلى الارتداد أثناء
وجودهم مع الرسول (ص) وبعد وفاته .

وبعد : نسأل المنصفين ليحكموا وليقولوا : كيف يفسر
المعاندون جهلهم بقولهم : إن الرسول (ص) ليس له أية صفة غير
صفة الرسالة كالأنبياء السالفين ، في حين أن إجماع مسلمي العالم
يقول بأن الرسول (ص) ، كانت له مزايا وعناوين ، لم تكن لأحد
من الأنبياء السالفين ، ومنها :

أولاً : كان (ص) ، قد لقب بـ (خاتم الأنبياء) ، بصريح
الآيات والأخبار الإسلامية ، حيث لم يلقب قبله نبي من الأنبياء
(ع) . ومعنى ذلك أن الرسول الأكرم (ص) ، هو خاتم الأنبياء
حتى يوم القيامة ، ولن يبعث نبي بعده حسب الآية الكريمة :
﴿رسول الله ، وخاتم النبيين . . .﴾^(١) .

ثانياً : إن الرسول الأكرم (ص) ، كان أشرف الأنبياء
والمرسلين ، وأكمل الموجودات حيث أن الشيعة والسنة متفقون
بالإجماع ، بأن رسول الله (ص) هو أشرف الأنبياء والمرسلين ،
ولم يكن هذا الشرف لأي نبي من أنبياء السلف .

ثالثاً : لقد اتفق جميع مسلمي العالم ، أن رسالة محمد

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .

(ص) رسالة عامة ومطلقة ، ومعنى ذلك ، أن رسول الله (ص) ، قد بعث بالنبوة والرسالة ، من قبل الله ، تبارك وتعالى ، ليكون رسولاً وقائداً لجميع أفراد البشر في العالم ، في حين أن الرسل الذين بعثوا قبله ، كانت رسالتهم رسالة خاصة ، أي محدودة ، كإبراهيم (ع) الذي بعث إلى قوم معينين ، وموسى وعيسى (ع) كانت لهما وظيفة إرشاد بني إسرائيل فقط ، وهكذا باقي الرسل ، في حين أن مجال الدعوة الإسلامية التي كلف بها وحملها رسول الله (ص) ، مجال غير محدود ، بل لعموم أهل الأرض ، حيث قال ، تبارك وتعالى : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ، ليكون للعالمين نذيراً﴾^(١) ، وقال تبارك وتعالى ، في آية أخرى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(٢) .

ومعنى ذلك ، أن الرسول الأكرم (ص) ، قد أرسل رحمة ونذيراً للعالمين جميعاً ، سوى الله ، جل شأنه ، أي على جميع المخلوقات والموجودات إطلاقاً^(٣) . أي إنّ رسول الله (ص) كانت له مرتبة خاصة ، وكان له عنوان رفيع لم يشاركه فيه أي نبي من الأنبياء السالفين إضافة إلى مقامه الشامخ ، ورسالته العامة

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٣) عن ابن عباس أن رسول الله (ص) ، قال : «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ، ولا أقولهن فخراً : بعثت إلى الناس كافة ، الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي ، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً» . (مسند أحمد : ٣٠١/١) .

والمطلقة ، ودليلنا عليه : إجماع المسلمين ، والآيات البينات التي ذكرها الله تعالى ، في القرآن المجيد .

وما يقوله القائلون ، المعاندون ، الذين في قلوبهم مرض ، هو قول مخالف للنص الصريح ، الوارد في القرآن المجيد ، والذي بين المقام الرفيع للرسول الأكرم (ص) . ونذكر بالمثل الفارسي الذي يقول ما معناه : إن أقوال الجهلاء تشبه هبة ريح تحمل الغبار ، وهذا الغبار لا يعلق برداء النبي الأكرم (ص) ، ولا يجلس عليه !

وأما قولهم : بأن الأنبياء السلف ، كانت نبوتهم تشريعية ، وكانوا لا يملكون درجة الولاية التكوينية ، فهذا استدلال خاطيء ومردود ، بموجب نص القرآن الكريم ، وأخبار أهل بيت العصمة (ع) .

ونقول لهؤلاء ، رداً عليهم : إنه إذا كانت نبوة الأنبياء السلف ، نبوة تشريعية فقط ، ولم يكن لهم الولاية التكوينية ، فكيف يفسرون تصرف بعض الأنبياء ، تصرفات خارقة ، في الأمور الكونية ، وتظهر منهم العجائب التي ذكرها الله ، تعالى ، في القرآن الكريم ؟

ومع شديد الأسف إنهم يدعون أنهم يفهمون القرآن ، ويعتبرون أنفسهم فوق مستوى الرسول (ص) والأئمة (ع) ، الذين هم أساتذة في تفسير القرآن ، وبعد ذلك يقولون ، كأسلافهم : «كفانا كتاب الله»^(١) ، ولكنهم في وقت الامتحان ، يعجزون عن

(١) أشار سماحة المؤلف - حفظه المولى - إلى الحديث التالي : «عن ابن عباس قال : حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال ، وفيهم عمر بن =

فهم معاني القرآن ، حتى درك ظواهره ، مما يجعل الشخص الخبير المطلع أن يتصور أن هؤلاء لم يقرأوا ، ولم يفهموا حقيقة القرآن ، بل يجعلون عدداً من البسطاء ينحرفون عن طريق الصواب ، ويشككون بمقدسات الدين ، وكأنهم لم يقرأوا قصة سليمان بن داود في القرآن ، ولم يعلموا كما عرفهم الله ، عز وجل ، كيف أنه تعالى ، بلطفه وكرمه ، قد أعطى سليمان (ع) قدرة كبيرة وعجيبة بحيث أنه (ع) بواسطة هذه القدرة ، التي هي جزء من الولاية الكلية ، كان يتصرف بأمور الخليقة ، وأن تصرفه هذا ، كان في كثير من الأحيان ، تصرفاً تكوينياً نافذاً وجارياً .

والآية صريحة في تأكيد ما نقول :

يقول تعالى : ﴿فسخرنا له الريح ، تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين ، كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ (١) .

= الخطاب (رض) ، قال النبي (ص) : اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فقال عمر : إن رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع (إن رسول الله (ص) ليهجر - خ ل) وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله ! فاختلف أهل البيت ، فاختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، وفيهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف ، عند رسول الله (ص) ، قال رسول الله (ص) : قوموا . وكان ابن عباس يقول : الرزية كل الرزية ، ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولغظهم» (مسند أحمد : ١ / ٢٢٢ ، و ٢٩٣ ، و ٣٣٦) .

(١) سورة ص ، الآيات : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

فترى من هذه الآيات الكريمة ، أن الله سبحانه وتعالى ، يقول في لهجة صريحة ، انه ، تبارك وتعالى ، سخر لسليمان (ع) الرياح ، والشياطين ، والجن ، وكلهم يأترون بأمره ، ويكونون تحت تصرفه ، وسلطته ، وولايته ، وقصد الشيعة من الولاية ، هو الولاية التكوينية عند الأنبياء (ع) والتي ينكرها هؤلاء المعاندون .

وفي مكان آخر ، في السورة نفسها ، يقول تعالى بشأن سليمان (ع) : ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادَ * فَقَالَ : إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ، عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ، حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رَدُّوهَا عَلَيَّ ، فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(١) .

وتفسير ذلك : إنَّ سليمان بن داود (ع) ، لما عرضوا عليه الخيول الأصيلة قال : «إِنَّ حَبِيَّ لِلْخَيْوَلِ قَدْ أَنْسَانِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ !» فأمر الملائكة الموكِّلين بالشمس أن يردوا الشمس ، فصلى صلاة العصر في وقتها ، ثم طفق يمسح أعناق الخيول وسيقانها !

(مجمع البيان) : «قيل معناه أنه سأل الله تعالى ، أن يرد الشمس عليه ، فردَّها عليه حتى صلى العصر ، فالهاء في (ردوها) كناية عن الشمس ، عن علي بن أبي طالب . . . وقال ابن عباس : سألت علياً (ع) ، عن هذه الآية ، فقال : ما بلغك فيها يا ابن عباس ؟ قلت : سمعت كعباً يقول : اشتغل سليمان بعرض الأفراس ، حتى فاتته الصلاة ، فقال : «ردوها عَلَيَّ» يعني الأفراس ، كانت أربعة عشر ، فأمر بضرب سوقها ، وأعناقها ،

(١) سورة ص ، الآيات : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

بالسيف فقتلها ، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل بقتلها !

«فقال علي (ع) : كذب كعب ! لكن : اشتغل سليمان بعرض الأفراس ، ذات يوم ، لأنه أراد جهاد العدو ، حتى توارت الشمس بالحجاب ، فقال ، بأمر الله تعالى ، للملائكة الموكلين بالشمس : ردُّوها علي ! فرُدَّتْ ، فصلى العصر في وقتها ، وإن أنبياء الله ، لا يظلمون ، ولا يأمرون بالظلم ، لأنهم معصومون ، مطهرون»^(١) .

(التفسير الكبير) للفخر الرازي^(٢) : «روي أن سليمان بن داود عليه السلام ، لما اشتغل بالخيل ، فاتته صلاة العصر ، فسأل الله تعالى ، أن يرد الشمس . فقوله : (ردُّوها علي) ، إشارة إلى طلب رد الشمس»^(٣) .

وبناء على ما سبق ذكره ، تشاهدون ، وبالبرهان الواضح ، أن الله ، تبارك وتعالى ، قد جعل الشمس ، والملائكة ، الموكلين بأمر الشمس ، تحت سلطة وولاية النبي سليمان (ع) ، وأن سلطته (ع) ، قد امتدت إلى الشمس والملائكة الموكلين بها ، وأن هذه السلطة هي قسم من الولاية التكوينية التي ينكرها هؤلاء القوم ، فينقدها من هذه الآية المباركة نتيجتان :

أولاً : إن ولاية الأنبياء ، بإذن الله تعالى ، ولاية تشريعية ،

(١) مجمع البيان : ٤٧٥/٤ .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) التفسير الكبير : ٢٠٤/٢٦ .

وتكوينية ، تؤثر في أمور السماوات ، كما تؤثر في أمور الأرض ،
كفعل سليمان حين أمر فردّت الشمس بعد ما غربت^(١) .

ثانياً : إن الملائكة تكون تحت إمرة الولاية التكوينية ، وأمر
الأنبياء . والآية المباركة أثبتت الولاية التكوينية لسليمان بن داود
(ع) الذي لم يكن من الأنبياء أولي العزم .

فبناء على ما ذكرناه ندعو هؤلاء المعاندين إلى قراءة قصص
أنبياء أولي العزم العجيبة في القرآن الكريم ، ليتبينوا ولايتهم
التكوينية ، وتأثيرها في جميع الموجودات ، كما يشاهدوا كيف أن
الله ، تبارك وتعالى ، منح أنبياءه وأوصيائه ، ما منحهم من فضله
ولطفه ، وكيف فضلهم على العالمين بالولاية التكوينية
والتشريعية ، علّ هؤلاء الجهلاء المعاندين يخجلون ، ويتوبون من
أقوالهم التي لا أساس لها ، فيستغفرون الله ، سبحانه وتعالى ،
ويتوبون ، قبل أن يرتحلوا عن هذه الدنيا ، ويلاقوا شديد
العذاب !!

ألم يقرأ هؤلاء القوم ، في القرآن الكريم ، قصة النبي
عيسى (ع) العجيبة ؟ ألم يمنحه الباري ، جل وعلا ، القدرة على
إحياء الموتى ؟ ألم يمنحه القدرة في علاج المرضى الذين يشوا
من العلاج ؟ ألم يُشَفِّ العمي الذين ولدوا عُميّاً ، وجعلهم

(١) وكذلك ولاية الأئمة الأطهار (ع) ومنهم حيدر الكرار وأسد الله الغالب ،
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) : فخبّر ردّ الشمس له (ع) مشهور
عند جميع الرواة ومفاده : إنه لما رجع أمير المؤمنين (ع) من قتال أهل
النهران ، أخذ على النهروانات ، وأعمال العراق ، ولم يكن يومئذ بني
بيت ببغداد ، فلما وافى ناحية (برائنا) ، صلى بالناس الظهر ، فرحلوا ، =

= ودخل أرض (بابل) ، وقد وجبت صلاة العصر ، فصاح الناس : يا أمير المؤمنين ! هذا وقت العصر ، فقال أمير المؤمنين (ع) : هذه أرض مخسوف بها ، وقد خسف بها ثلاث مرات ، وبخشي عليها تمام الرابعة ، فلا يحل لنبي ، ولا لوصي نبي أن يصلي بها ، فمن أراد منكم أن يصلي ، فليصل ! فقال المنافقون منهم : «نعم ، هو لا يصلي ، ويقتل من يصلي !» يعنون بذلك أهل النهروان . قال جويرية بن مسهر العبدي : فتبعته في مائة فارس ، وقلت : والله لا أصلي ، أو يصلي هو ، وإلا قلدته صلاتي اليوم ، فقال أمير المؤمنين (ع) : «اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير» . فسارع إلى أن قطع أرض (بابل) ، وقد تدلت الشمس للغروب ، ثم غابت واحمر الأفق . قال : فالتفت إليّ ، وقال : يا جويرية ! هات الماء . قال : فقدمت إليه الإناء ، فتوضأ ، ثم قال : أذن يا جويرية ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! ما وجب وقت العشاء بعد !! قال (ع) : قم وأذن للعصر ، فقلت في نفسي : كيف يقول أذن للعصر ، وقد غربت الشمس؟! ولكن على الطاعة . فأذنت ، فقال لي : أقم ففعلت ، فبينما أنا في الإقامة ، إذ تحركت شفاته بكلام ، كأنه منطلق خطاطيف ، لا يفقه ، فرجعت الشمس بصرير عظيم ، حتى وقفت في مركزها من العصر فقام (ع) ، وكبر ، وصلى ، وصلينا وراءه ، فلما فرغ من صلاته ، وقعت الشمس كأنها سراحة ، في وسط ماء ، وغابت ، واشتبكت النجوم ، وأزهرت ، فالتفت إليّ ، وقال : أذن الآن للعشاء ، يا ضعيف اليقين!! قال : وردت له (ع) في حياة النبي (ص) بمكة ، وقد كان النبي (ص) ، قد غشيه الوحي ، فوضع رأسه في حجر أمير المؤمنين (ع) ، وحضر وقت العصر ، فلم يبرح من مكانه وموضعه ، حتى غربت الشمس ، فاستيقظ النبي (ص) وقال : اللهم إنَّ علياً كان في طاعتك ، فردَّ عليه الشمس ليصلي العصر . فردها الله عليه بيضاء نقية حتى صلى ، ثم غابت ، وقال السيد الحميري في ذلك قصيدته المعروفة بـ (المذهبة) ، ومنها :

ييصرون ؟ ألم يُحي الموتى الذين ماتوا قبل آلاف السنين^(١) ؟
 ألم يمنح الله ، جل وعلا ، النبي موسى القدرة على تبديل
 العصا ، وهي خشبة يابسة ، إلى أفعى سامة ؟ ألم يبذل موسى
 بإذن الله وقدرته ، مياه النيل في مصر إلى دم ؟ ألم يؤثر بقدرة الله

= ردت عليه الشمس لمافاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
 وعليه قد حبست ببابل مرة أخرى وما حبست لخلق معرب
 لإليوشع أوله ولحبسها ولردها تاويل أمر معجب
 ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي شارح (نهج البلاغة) في مدحه لأمير
 المؤمنين (ع) :

يا من له رُدَّتْ ذكاء ولم يفز بنظيرها من قبل الايوشع
 (راجع الفضائل لابن شاذان (ت . حوالي ٦٦٠ هـ) : ص ٦٨ .
 ط . مكتبة العرفان) .

(١) بلى ، بشهادة الله تعالى ، وهو أصدق القائلين حكاية عن عيسى (ع) :
 ﴿ويعلمه الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والإنجيل ، ورسولا إلى بني
 إسرائيل ، أني قد جئتكم بآية من ربكم ، أني أخلق لكم من الطين
 كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرئ الأكمه ،
 والأبرص ، وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون
 في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران ،
 الآية : ٤٩) . و﴿إذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ! أذكر نعمتي عليك ،
 وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد ،
 وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والإنجيل ، وإذ
 تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ، فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ،
 وتبرئ الأكمه ، والأبرص ، بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني ، وإذ
 كففت بني إسرائيل عنك إذ جتتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم :
 إن هذا إلا سحر مبين﴾ (المائدة ، الآية : ١١٠) .

تعالى في النباتات ، والجمادات ، والبحار ، بحسب القدرة التكوينية ؟

ألم يمنح الله ، تبارك وتعالى ، داود (ع) قدرة تليين الحديد في يده ، ليصنع منه الدروع^(١) ، دون حاجته (ع) إلى المطرقة ، والسندان ، والنار ، لتليين الحديد .

ألم يجد هؤلاء القوم كل هذه الوقائع النادرة في القرآن الكريم ؟ فإذا عرفوها فلماذا ينكرون الولاية التكوينية ، ويتجرأون على عدم الاعتراف بها ، وبالتالي ينكرون آيات القرآن الكريم ؟ فإن قالوا : إنَّ هذه الأمور كلها معاجز ، وبأمر الله تبارك وتعالى !

قلنا : إننا نؤكد قولهم بكونها معاجز ، ولكن الله القادر المتعال ، يستطيع أن يمنح هذه القدرة إلى الخلفاء الذين اختارهم واصطفاهم من بين بني البشر ، ويمنحهم ، ويفضل عليهم بتنفيذ أمرهم في الأمور التكوينية الجارية ، ويجري أمرهم وقدرتهم ، في السماوات ، والأرض ، واليابسة ، والملائكة ، والجن ، والشياطين كذلك .

فليسّم هؤلاء المعاندون ، الأمور الصادرة عن الأئمة الأطهار معجزة ، كرامة ، أموراً فوق طاقة البشر ، أو الولاية ، ولا تتناقض معهم في الألفاظ ، ولكن نطلب منهم أن لا ينكروا حقيقة الأمر ،

(١) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ، يَا جِبَالِ أَوِّبِي مَعَهُ ، وَالطَّيْرَ ، وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السُّرْدِ ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ ، الآية : ١١) .

وأصل الموضوع !

وأمام كل هذه المسائل ، التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ، من إحياء الموتى ، ورد الشمس ، والتأثير في البحر ، وتسخير الرياح والملائكة ، والإنس ، والجن ، فكلها من تأثير الولاية التكوينية التي منحهم الله إياها .

ولما كانت رسالة الأنبياء السلف جزئية إلى قوم معدودين ، كانت تصرفاتهم في الأمور الكونية محدودة ومعجزاتهم معدودة ، وولايتهم الكلية محدودة .

أما بالنسبة لنبينا الرسول الأكرم محمد (ص) ، وآله الطاهرين المعصومين (ع) ، فقد كانت ولايتهم كلية ومطلقة ، وإن أوامره بإذن الله تعالى ، كانت نافذة في جميع الكائنات ، وكانوا يتصرفون حسب الولاية التكوينية ، ولكن بشرط أن يكون مسموحاً لهم من الباري ، جل وعلا ، وكانت ولايتهم ، من بداية الخليقة إلى يوم القيامة ، سارية بأمر الله ، تبارك وتعالى .

ونعود فنقول للمعاندين : إنه ليس لكم القدرة على درك هذه المقامات الرفيعة ، وليس لكم أن تسمعوا هذه الأمور ، أو تفهموها ، فنتنازل معكم إلى درجة أقل من ذلك مع أحد تلامذة النبي سليمان (ع) ، وواحد من خدمه ، فإنه لم يكن نبياً مرسلأ ، بل كان وصياً له في قسم من الأمور التكوينية ، فماذا قال الله سبحانه وتعالى ، في حق (أصف بن برخيا) ، وما كان أثره في الأمور التكوينية ؟

﴿قصة النبي سليمان (ع)
والملكة بلقيس ملكة اليمن :

كانت بلقيس ملكة تحكم بلاد الحبشة ، أو اليمن الحالية ، التي كانت تسمى فيما مضى دولة سبأ ، وكانت ملكة عظيمة الشأن والجلال والسلطان . وكانت مع قومها تعبد الشمس . فأراد سليمان (ع) أن يهدي هؤلاء القوم ، ويرشدهم إلى عبادة الله تعالى . فكتب رسالة يدعوهم فيها إلى عبادة الله ، وحملها الهدد ، إلى الملكة بلقيس ، على أن يلقيها في مقرها ، وأمام عرشها . فلما قرأت بلقيس الرسالة ، جمعت وزراءها ، وقوادها ، وأصحاب الرأي في بلادها ، وقالت لهم :

﴿يا أيُّها الملؤا ! إني ألقى إلي كتاب كريم ، إنه ، من سليمان ، وإنه : «بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا عليّ ، وأتوني مسلمين . قالت : يا أيُّها الملؤا ! أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون . قالوا : نحن أولوا قوة ، وأولوا بأس شديد ، والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين . قالت : إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون . وإني مرسله إليهم بهدية ، فناظرة بم يرجع المرسلون﴾^(١) .

فلما وصل رسل بلقيس إلى سليمان ، وهم محملون بالهدايا ، قال سليمان لهم : أتريدون أن تمنعوني من غزو

(١) سورة النمل ، الآيات : ٢٩ - ٣٥ .

بلادكم ، ببعض الهدايا والمجوهرات ؟ إنكم لا تعلمون أن الله سبحانه وتعالى ، قد أعطاني من الملك والمال مقداراً كبيراً ، وأحسن بكثير من هداياكم هذه ، وأنتم أهل دنيا تفرحون بهذه الأموال !

يا رسل بلقيس ! ارجعوا بهداياكم إلى بلادكم ، وأخبروا بلقيس ملكتكم ، بأني سأبعث إلى قومكم جيشاً ، لا قبل لهم به ، عدداً وقوة ، ولا تستطيع قوة أن تقف في وجهه ، ولسوف أخرجهم من تلك البلاد بالذل والهوان !

ولما رجع رسل بلقيس ، وأخبروها بما رأوا من قدرة وعظمة سليمان (ع) ، وعرفوها انه نبي مرسل من قبل الباري ، جل وعلا ، وجدت بلقيس أنه لا مناص لها من التسليم لإرادة النبي الكريم (ع) ، فرأت من الحكمة أن تزور سليمان (ع) في جمع يضم وزراءها ، وأهل بلاطها ، وقوادها ، وبعض جنودها .

فخرجت من سبأ متجهة إلى (مدين) في فلسطين ، وكان لها عرش مرصع بأنواع المجوهرات الثمينة ، تحبه كثيراً ، فتركته في العاصمة ، في مكان حريز ، بحراسة أشد جنودها .

ثم أخذت بلقيس ، مع حاشيتها ، يطوون البلاد ، ويجدون في السير ، ليل نهار ، حتى وصلوا (مدين) ، قريباً من مقر سليمان (ع) .

ولما علم نبي الله سليمان (ع) ، باقتراب بلقيس من بلاده ، أراد إظهار مقامه الرفيع ، وجلالة سلطته المعنوية على الأمور التكوينية ، وذلك بأن يجلب عرشها من عاصمتها ، وبالسرعة المطلوبة .

ومع أنه (ع) كان قادراً على إنجاز هذا العمل وحده ، لكنه أراد أن يفهم بلقيس بأن أوصيائه ، وخدمه قادرون على ذلك ، بفضل الله ، تبارك وتعالى ، وقادرون أيضاً على التصرف في الأمور الكونية ، كما أنه أراد (ع) أن يُشعر شعبه بمقام وصيه آصف بن برخيا . فقال لمن حوله من قومه : ﴿يا أيها الملؤا ! أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده ، قال : هذا من فضل ربي﴾^(١) .

وعليه فقد عرفنا أن آصف بن برخيا ، الذي هو أحد أتباع النبي سليمان (ع) ، كان له التصرف في الأمور الكونية بحيث استطاع في طرفة عين ، أن يجلب عرش بلقيس ، من (سبأ) إلى (مدين) !

وبعد أفلا يستطيع الله ، سبحانه وتعالى ، أن يَمُنَّ ويكرم محمداً (ص) وآله المعصومين (ع) ، بهذه القدرة ، علماً بأنهم منبع علوم الأنبياء ، ومن ضمنهم سليمان بن داود (ع) ، حيث أن الله ، تبارك وتعالى ، منح الأنبياء ما منحهم من التصرف في الأمور الكونية ، بفضل محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، وفيما يلي نذكر بعض الروايات التي تؤيد ذلك :

١ - (أصول الكافي) : «عن الإمام أبي جعفر (ع) قال : إنَّ

(١) سورة النمل ، الآيات : ٣٨ - ٤٠ .

اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد ، فتكلم به ، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ، حتى تناول السرير بيده ، ثم عادت الأرض كما كانت ، أسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله تعالى ، استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١) .

٢ - (أصول الكافي) : «عن سدير ، عن الإمام الصادق (ع) ، قال : يا سدير ! ألم تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾^(٢) ، قال ، قلت : جعلت فداك قد قرأته . قال : فهل عرفت الرجل ؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب ؟ قال ، قلت : أخبرني به ؟ قال : قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر ، فما يكون ذلك من علم الكتاب ؟

قال : قلت ، جعلت فداك ما أقل هذا . فقال : يا سدير ! ما أكثر هذا ، أن ينسبه الله ، عز وجل ، إلى العلم الذي أخبرك به ، يا سدير ! فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ، عز وجل ، أيضاً : ﴿قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب﴾^(٣) .

قال : قلت ، قد قرأته جعلت فداك . قال : أفمن عنده علم

(١) أصول الكافي : ٢٣٠ / ١ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

الكتاب كله أفهم ، أم من عنده علم الكتاب بعضه؟

قلت : لا ، بل من عنده علم الكتاب كله . قال : فأوماً بيده إلى صدره ، وقال : علم الكتاب ، والله ، كله عندنا ، علم الكتاب ، والله ، كله عندنا» (١) .

٣- (تفسير الصافي) : «عن الإمام الهادي (ع) : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ ، آصف بن برخيا ، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف ، لكنه (ع) أحبُّ أن يعرف الجن والإنس ، أنه الحجة من بعده ، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ، ففهمه الله ذلك ، لئلا يختلف في إمامته ، ودلالته ، كما فهم سليمان (ع) في حياة داود (ع) ، لتعرف إمامته ونبوته من بعده ، لتأكيد الحجة على الخلق» (٢) .

بعد ذكر جميع الأدلة التي ذكرناها سابقاً ، وجميعها مستخرجة من متن القرآن الكريم ، لم يبق أي شك ، أو شبهة ، في أن الأنبياء ، والأئمة الأطهار ، كان لهم الولاية التكوينية علاوة على الولاية التشريعية ، على جميع المخلوقات ، وان من ينكر هذا الأمر ، في الحقيقة ، يكون منكراً للقرآن الكريم ، والدين الإسلامي الحنيف .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن ولاية الأنبياء السلف ، كانت ولاية جزئية ، ولكن ولاية محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، هي عبارة عن ولاية كلية مطلقة ، وأن هذه الولاية كانت عند جميع

(١) أصول الكافي : ٢٥٧/١ .

(٢) تفسير الصافي : ٦٧/٤ .

الأئمة (ع) بإذن الله ، تبارك وتعالى ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير﴾^(١) .

وبناء على ما تقدم ، نرى أن الآية الكريمة صريحة ، في كون الله ، سبحانه وتعالى ، يعطي الملك والسلطنة لمن يشاء من عباده المكرمين ، وأن السلطة والملك ، عبارة عن الولاية التكوينية التي يمنحها لهم ، ويتوجهم بتاج الولاية الكلية المطلقة .

ومن البديهي أن المقصود من الملك والسلطنة ليس السلطنة الدنيوية الظاهرية ، بل المقصود السلطنة الواقعية ، والتصرف في الأمور الكونية ، بإذن الله تعالى .

ولنرجع الآن إلى هؤلاء القوم المعاندين :

إنهم ينكرون الولاية التكوينية للأئمة المعصومين (ع) ، فلنبحث في أقوالهم ، والمفاسد التي تغلف تلك الأقوال :

يقولون : إن جميع الأنبياء والأئمة الطاهرين (ع) ، وحتى الرسول الأكرم (ص) ، كانت لهم الولاية التشريعية ، ولم تكن لهم الولاية التكوينية ، ومعنى ذلك : أن وظيفتهم هي أخذ الأحكام وشرائع الدين من جبرئيل (ع) ، وإبلاغ الناس بها ، لأن الولاية التشريعية عبارة عن تعليم الناس ما هو باطل أو صحيح ، حسب أحكام الشرع المقدس ، وفي رأيهم أنه لم يكن للنبي ، ولا للإمام وظيفة أخرى ، غير ما ذكر أعلاه .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٦ .

ونقول في الجواب : إنَّ الجميع يعلمون أن العلماء ،
والمجتهدين ، ومراجع التقليد ، عند الشيعة ، ورجال الإفتاء عند
السنة ، لهم هذه الوظيفة ، وإن عليهم العمل بها .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : إنه إذا كانت وظيفة
الأنبياء ، والأئمة الطاهرين (ع) ليست إلا التعليم فقط ، فما هو
الفرق بين الأنبياء ، والمجتهدين ، ومراجع التقليد ؟

ونظن أن جوابهم سيكون بأن الأنبياء والأئمة الطاهرين (ع) ،
هم المجموعة الأولى في إيصال الأحكام ، والأوامر الإلهية إلى
الناس ، وأن المجتهدين ، ومراجع التقليد هم المجموعة الثانية ،
في هذه الوظيفة ، وليس هناك أمر إلا من حيث التقديم والتأخير
في الوظيفة لا غير .

وفي اعتقادهم أنَّ الرسول الأكرم (ص) ، كان يتلقى مسألة ،
أو حكماً ، من جبرئيل (ع) ، ثم يتعلمه ، وينفذه هو ، وبعد ذلك
يعلم الآخرين . فليس من فرق بين الرسول الأكرم (ص) ، وباقي
الناس ! وهكذا في بقية المسائل ، وأحكام الدين .

وعلى هذا الأساس يبدلون مقام النبوة الشامخ ، والإمامة
العظيمة ، إلى وظيفة علمية تشريعية بحتة ، وينفون مزايا النبوة
والإمامة . ويحولونها بزعمهم ، إلى مسألة تعليم بسيطة ، تشبه
وظيفة رجل معمم ، يقوم بالتبليغ في قرية ، أو في حي من أحياء
المدينة ، في حين أن الأنبياء يتعلمون أحكام الدين من جبرئيل
(ع) ، وأن العلماء يتعلمون من الأنبياء (ع) !

ألا ترى أن هذه العقيدة باطلة ، نصاً وروحاً ، حيث أن
هؤلاء المعاندين الجاهلين ينفون مزايا النبوة عن الأنبياء ، خصوصاً

عن الرسول الأكرم (ص) ، وحسب زعمهم يجب أن نشطب بالأحمر على كثير من آيات القرآن الكريم ، وكثير من الروايات والأخبار الإسلامية الصحيحة المنقولة عن النبي (ص) ، والتي تؤكد تميز الأئمة المعصومين (ع) على جميع المخلوقات ، وحتى الملائكة .

وفي الحقيقة ، أنه ليست هناك أمة ، حتى اليهود والنصارى ، أو أخواننا السنة ، تنزل درجة النبوة والإمامة إلى هذا الدرك من الإنحطاط الذي يساوي بين النبي العظيم (ص) والأئمة الطاهرين المعصومين (ع) ، وبين الفقهاء والعلماء ومراجع الإفتاء !؟

وهذا التفكير هو عبارة عن رأي جديد ، وعقيدة جديدة لأمثال هؤلاء القوم ، بسبب عنادهم وعدائهم لأهل البيت (ع) ، وللرسول الأكرم (ص) ، بغية توجيه الضربة القاضية لأساس الدين الإسلامي الحنيف ، والقرآن الكريم ، وذلك عن طريق إنزال الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة المعصومين الأطهار (ع) ، عن مقامهم الشامخ المقدس .

ولا نظن أن المفكرين ، وأهل البصيرة النافذة من المسلمين ، لا يعلمون مصدر هذه العقيدة الفاسدة ، وكيفية انتشارها ، خيانة بالإسلام ، ونشر الأباطيل التي تؤدي إلى التفرقة والتباغض .

نعود فنقول لهؤلاء الجاهلين : إنكم إذا جعلتم النبي (ص) ، والإمام (ع) ، مبلغاً ، ونبياً بسيطاً لا يتميز عن غيره ، وليس للنبي (ص) ، والإمام (ع) ، سوى وظيفة التبليغ فقط ، أفلا

تؤمنون بوجود الإمام الثاني عشر ، الحجة بن الحسن العسكري ،
أرواحنا له الفداء ، وأنه حي يرزق !؟

إن اعتقدتم بوجوده الشريف المبارك ، واعترفتم أن هذا
العصر هو عصر الغيبة الكبرى ، وأن تبليغ أحكام الدين تقع على
عاتق الفقهاء ، ومجتهدى وعلماء الإسلام ، بسبب الغيبة ، وأنه
ليس هناك من يدعي أنه يرى ولي العصر ، ويسأله عن مسائل
الدين ، وبناء لذلك فعلى جميع المسلمين أن يراجعوا العلماء
المجتهدين ، ومراجع التقليد ، بشرط العدالة ، وحياسة شرائط
الاجتهاد ، لتحصيل أمور دينهم ، وأحكام الشريعة الإسلامية
المقدسة .

إذا كنتم تعتقدون بكل هذا ، وكان النبي (ص) والإمام
(ع) ، لا يملكان الولاية التكوينية بزعمكم ، والولاية التشريعية في
زمن غيبة الإمام (عج) واقعة على عاتق المجتهدين والمراجع في
الإفتاء ، وأنهم المسؤولون عن تبليغ الأحكام الإلهية . . .

إذا كنتم تعتقدون بذلك ، فما هي وظيفة الإمام المنتظر
(عج) ؟ وإذا لم يكن لهذا الإمام (ع) أية وظيفة في هذا العالم ،
ولا يفيد شيئاً بزعمكم ، فلماذا أبقاه الله الرؤوف ، الرحيم ، حياً
ألف سنة ، والإعتقاد بكونه حياً ، وأن الإمام المنتظر (عج) من
ضروريات مذهب الشيعة الاثني عشرية ؟!

وفي النهاية ، وبحسب ادعائكم : إن إماماً لا يملك الولاية
التشريعية ، ولا الولاية التكوينية ، ولا وظيفة خاصة له ، فلماذا
يبقى حياً على خلاف العادة ؟ أليس هذا خلاف العقل ، والمنطق

والحكمة ؟ وبالتالي : أليس هذا اعتراضاً على الباري ، جل
وعلا ؟

فلم يبق أمامكم إلا أحد طريقين : إما أن تنكروا أصل
النبوة ، والإمامة ، والتوحيد ، والحكمة الإلهية ، وإما أن تنكروا
وجود الإمام الحجة بن الحسن (عج) ، ولي العصر ، وإمام
الزمان ! ومن البديهي أن هذين الطريقين ينتهيان إلى طريق
مغلق ، أو إلى الكفر !

وتأسيساً على هذا يجب أن تعترفوا أنكم تسيرون في طريق
باطل ، غير مستقيم ، وتقطعون بأباطيلكم جذور الدين والعقائد
الإسلامية ، من غير أن تفهموا أو تشعروا بما تريدون .

ويجب أن تعترفوا بأن إنكار الولاية التكوينية للأنبياء ،
والأئمة الطاهرين (ع) ، هو كفر وإلحاد يؤديان إلى الفساد ، وظهور
العقائد الفاسدة الباطلة . ولا مخرج لكم من ذلك إلا الاعتراف
بالولاية التكوينية الخاصة بالنبي (ص) ، والأئمة المعصومين (ع) ،
والإمام الثاني عشر ، الحجة بن الحسن (عج) ، على وجه
الخصوص .

نعم إن وظيفة النبي والإمام ، ليست فقط وظيفة تعليمية
لمسائل الدين ، بل للإمام ، وعلاوة على وظيفته ، أو ولايته
التشريعية التي هي أول درجة الإمامة ، له الولاية التكوينية .

إن بقاء الإمام الثاني عشر (عج) حياً ، ليس فقط لتعليم
مسائل الدين ، بل نقول : إن بقاء العالم مرتبط ببقاء الإمام بأمر
الله تبارك وتعالى ، حسب قوله : «لوبيت الأرض بغير إمام

لساخت»^(١) ، أي فנית الأرض ، وفني أهلها ، وإن معنى الولاية الكلية والتكوينية المطلقة هي هذا المعنى ، وأنتم أيها الفقراء الضعفاء غافلون عنها !!

١ - ذكر المرحوم الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) ، في كتابه (مفاتيح الجنان) في (دعاء العديلة) الذي هو من الأدعية المشهورة ، يقول في حق الإمام الثاني عشر ، ولي العصر ، أرواحنا له الفداء :

«الذي ببقائه بقيت الدنيا ، وببئمه رُزق الورى ، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء»^(٢) .

٢ - وعن أبي القاسم حسين بن روح ، رضي الله تعالى عنه ، النائب الخاص للحجة (عج) أنه قال : زر أي المشاهد ، كنت بحضرتها في رجب ، تقول :

«الحمد لله الذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب . . .» إلى أن يقول في مقام ولاية الأئمة الطاهرين : « . . . أنا سائلكم ، وآملكم ، فيما إليكم التفويض ، وعليكم التعويض ، فبكم يُجبر المهيض ، ويُشفى المريض ، وما تزداد الأرحام ، وما تغيض . . .»^(٣) .

٣ - الدعاء الخامس في شهر رجب : روى الشيخ الطوسي : «أنه خرج هذا التوقيع الشريف من الناحية المقدسة ، على يد

(١) أصول الكافي : ١/١٧٩ .

(٢) مفاتيح الجنان : ص ١٣٠ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٩٠ .

الشيخ الكبير ، أبي جعفر ، محمد بن عثمان بن سعيد (رضي الله عنه) : أدع في كل يوم من أيام رجب :

«اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ، ولاة أمرك ، المأمونون على سرّك ، المستبشرون بأمرك ، الواصفون لقدرتك ، المعلنون لعظمتك ، أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ، وآياتك ، ومقاماتك ، التي لا تعطيل لها ، في كل مكان يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها ، إلا أنهم عبادك وخلقتك ، فتقها ، ورتقها بيدك ، بدوها منك ، وعودها إليك ، أعضاد وأشهاد ، ومناة وأذواد ، وحفظة ورواد ، فبهم ملأت سماءك وأرضك ، حتى ظهر أن لا إله إلا أنت ...» (١) .

ولا يحتاج هذا الدعاء إلى إيضاح ، فإن معناه واضح لمن يعرف اللغة العربية ، وقادر على القراءة ، وهو من الأدعية التي تقرأ في كل يوم من أيام شهر رجب ، بالإخلاص الكامل ، لأن هذا الدعاء قد ورد عن الإمام الحجة ، أرواحنا له الفداء ، وهو يحوي معاني ، ومضامين عالية ، يطلب الداعي بها التقرب إلى الله ، جل وعلا .

وبعد أن قرأت الدعاء ، وعرفت أنه خرج من بين شفتي الإمام الغائب (عج) ، وهو إمام زماننا ، وأن الشيخ الكبير أبا جعفر ، محمد بن عثمان بن سعيد (رضوان الله عليه) نقله عن الإمام الحجة (ع) ، وأن شيخ الطائفة المرحوم الشيخ الطوسي ،

(١) مفاتيح الجنان : ص ١٨٨ ، الدعاء الخامس من أدعية أيام شهر رجب .

أعلى الله مقامه ، وسائر العلماء والمشايخ العظام ، نقلوا هذا الدعاء ، وذكروه في كتب الشيعة ، الإثني عشرية ، منذ أكثر من ألف سنة ، وقرأوه ، وعند قراءته ، لاحظوا كيف أن الإمام الحجة (عج) يثبت الولاية التكوينية العامة المطلقة ، للأئمة المعصومين . (٤) .

وفي الحقيقة ، إن من ينكر مضامين هذا الدعاء ، كمن ينكر وجود الإمام المنتظر الحجة بن الحسن العسكري ، أرواحنا له الفداء ، وجميع علماء وفقهاء الشيعة ، ومراجع التقليد ، وإن الحكم على مثل ذلك الشخص ، في نظر العقل والشرع ، معلوم : «الراد عليهم ، كالراد على الله»^(١) .

(١) قال الشيخ الصدوق (رض) : عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمد بن عثمان العمري ، رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً ، قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ ، فوردت في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (عج) : «... وأما الحوادث الواقعة ، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله عليهم» . قيل الحوادث الواقعة ، ما يحتاج فيه إلى الحاكم ، والظاهر ما يتفق للناس من المسائل التي لا يعلمون حكمها ، فلا بد لهم من الرجوع فيها إلى من يستنبطها من الأحاديث الواردة عنهم (ع) . والمراد بـ «رواة الحديث» الفقهاء الذين يفقهون الحديث ، ويعلمون خاصه وعامه ، ومحكمه ومتشابهه ، وصحيحه من سقيمه ، وحسنه من مختلقه والذين لهم قوة التفكيك بين الصريح منه والدخيل ، وتمييز الأصيل من المزيف المنقول ، لا الذين يقرأون الكتب المعروفة ، ويحفظون ظاهراً من ألفاظه ، ولا يفهمون معناه ، وليس لهم ملكة الاستنباط من الموارد الشرعية الصحيحة . (راجع كمال الدين وتمام النعمة : ص ٤٨٤) ، و (الاحتجاج : ٤٧٠/٢) .

٤ - (كمال الدين وتتمام النعمة) ، للشيخ الصدوق (رضي الله عنه)^(١) ، عن إسحاق بن يعقوب في رسالة موقعة بتوقيع الإمام ، ولي العصر ، أرواحنا له الفداء ، أرسلت إلى إسحاق بن يعقوب ، يقول فيها الإمام بشأن انتفاع الناس من وجود الإمام ، في أيام الغيبة الكبرى ، حيث يشير في الرسالة إلى الولاية العامة المطلقة ، وتصرفه في المخلوقات ، حين يقول :

«... وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي ، فكالانتفاع بالشمس ، إذا غيبتها عن الأبصار السحاب ، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء...»^(٢) .

فكما تكون الشمس نافعة لجميع الموجودات والمخلوقات ، على سطح الأرض ، ولو غيبتها السحب ، عن الأبصار ، فكذلك أنا أكون كالشمس ، سبباً لإيصال الرحمة الإلهية ، والبركات الغامرة ، من طرف الباري ، جل وعلا ، إلى جميع العباد ،

(١) أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن موسى ، بن بابويه القمي ، نزيل (الري) شيخنا وفقهنا ، ووجه الطائفة بـ (خراسان) ، ورد بغداد سنة (٣٥٥ هـ) ، وسمع منه شيوخ الطائفة ، وهو حدث السن ، كان ثقة ، جليل القدر ، بصيراً بالفقه ، والأخبار ، والرجال ، ناقداً للأثار ، له مصنفات كثيرة ، وهو أستاذ شيخنا المفيد . وعلى الجملة فعظمة الشيخ أبي جعفر من الاستفاضة بمرتبة ، لا يعترها شك ، أوريب ، كان حريصاً على طلب العلم ، وقد عدَّ له ما يزيد على (٢٥٠) شيخاً . توفي بـ (الري) سنة (٣٨١ هـ) (راجع مقدمة كتاب سنن النبي (ص) : ص ١٨) .

(٢) كمال الدين ، وتتمام النعمة : ص ٤٨٥ - الاحتجاج : ٤٧١/٢ .

والمخلوقات كافة ، ولو كنت غائباً عن الأبصار وأن الناس محرومون من رؤيتي .

٥ - (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي^(١) : في رسالة موقعة من جانب الإمام الحجة ، ولي العصر ، أرواحنا له الفداء ، أرسلت إلى الشيخ المفيد^(٢) (رضوان الله عليه) يقول الإمام (عج) فيها :

«نحن وإن كنا نائين ، بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين ، فإننا نحيط علماً بأنبائكم ، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم» إلى أن قال (ع) : «إنا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء ، واصطلمكم الأعداء...»^(٣) .

ومعنى ذلك : أني (الإمام) محيط بأخباركم ، محافظ عليكم ، ولا أنساكم ، ولولا ذلك ، لنزلت بكم الشرور ، من طرف أعدائكم .

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي : فضله أشهر من أن يوصف في الفقه ، والكلام ، والرواية ، والعلم . انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته ، كان مقدماً في العلم وصناعة الكلام ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، له ما يقارب من مئتي مصنف ولد سنة (٣٣٨ هـ) ، وتوفي في شهر رمضان سنة (٤١٣ هـ) ، وكان يوم وفاته يوماً عظيماً ، من كثرة الناس للصلاة عليه ، وكثرة البكاء حتى من المخالفين . (مقدمة كتاب سنن النبي (ص) ؛ ص ٢٥) .

(٣) الاحتجاج : ٤٩٧/٢ .

ونقول للمعاندين الذين ينكرون الولاية الكلية للإمام (ع) ،
فليدققوا في كلماته (ع) ، وليصلحوا عقائدهم ، وليقروا بالولاية
التكوينية له (ع) .

٦ - (المناقب) إباسناده عن الرسول الأكرم (ص) ، قال :
«النجوم أمان لأهل السماء ، فإذا ذهبت النجوم ، ذهب أهل
السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ،
ذهب أهل الأرض»^(١) .

أيضاً أخرجه ابن أحمد في زيادات (المسند) ، والحموي
في (فرائد السمطين) ، عن علي كرم الله وجهه ، أيضاً أخرجه
الحاكم عن محمد الباقر (ع) ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي
(رضي الله عنهم)^(٢) .

٧ - وأخرج أحمد عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول
الله (ص) : «النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل
الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ، جاء أهل الأرض من الآيات ، ما
كانوا يوعدون»^(٣) .

وقال أحمد : إن الله خلق الأرض من أجل النبي (ص) ،
فجعل دوامها بدوام أهل بيته ، وعترته (ص)^(٤) .

٨ - (نوادير الأصول) : «عن سلمة بن الأكوع قال ، قال
رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان
لأمتي»^(٥) .

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١٩/١ .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) المصدر نفسه : ٢٠/١ .

٩- وأخرج الحموي بسنده عن محمد الباقر ، عن أبيه ، عن جده ، عن أمير المؤمنين ، رضي الله عنهم قال ، قال رسول الله (ص) : «يا علي ! أكتب ما أملي عليك . قلت : يا رسول الله ! أتخاف عليَّ النسيان ؟ قال : لا ، وقد دعوت الله ، عز وجل ، أن يجعلك حافظاً ، ولكن اكتب لشركائك الأئمة من ولدك : بهم تسقى أمتي الغيث ، وبهم يستجاب دعاؤهم ، وبهم يصرف الله عن الناس البلاء ، وبهم تنزل الرحمة من السماء ، وهذا أولهم - وأشار إلى الحسن - ثم قال (ص) : وهذا ثانيهم - وأشار إلى الحسين - ثم قال (ص) : والأئمة من ولده (رضي الله عنهم)»^(١) .

١٠- (كتاب المناقب) يروي بأسناده عن الإمام المجتبي ، عن الرسول الأكرم (ص) حيث قال : «ولا تخلو الأرض منهم ، ولو خلت ، لانساخت بأهلها»^(٢) .

١١- وأخرج الحموي ، بسنده عن الأعمش ، عن جعفر الصادق (ع) ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين (رضي الله عنهم) قال : «نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغر المحجلين ، وموالي المسلمين ، ونحن أمان لأهل الأرض ، كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض ، إلا بإذن الله ، وبنا ينزل الغيث ، وتشر الرحمة ، وتخرج بركات الأرض ، ولولا ما على الأرض منا لانساخت بأهلها» .

(١) و(٢) المصدر نفسه : ٢٠/١ .

ثم قال (ع) : «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم (ع) ، من حجة لله فيها ، ظاهر مشهور ، أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة ، من حجة فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله»^(١) .

١٢ - (كتاب التنزيلات الموصلية) : للشيخ الأكبر ، وفي كتاب سفينة راغب الصدر الأعظم ، وقال أيضاً : «نحن أبواب الله ، ونحن الصراط المستقيم ، ونحن عيبة علمه ، وتراجمة وحيه ، ونحن أركان توحيده ، وموضع سره»^(٢) .

١٣ - (فرائد السمطين) : بسنده عن أبي بصير ، عن خيثة الجعفي قال : سمعت أبا جعفر ، محمد الباقر (رضي الله عنه) يقول : «... بنا ينزل الله ، عز وجل ، الرحمة على عباده ، وبنا يسقون الغيث ، وبنا يصرف عنكم العذاب ، فمن عرفنا ونصرنا ، وعرف حقنا ، وأخذ بأمرنا ، فهو منا ، وإلينا»^(٣) .

بناء على ما ذكرنا ، من أدلة ، وأحاديث معتبرة ، لم يبق لأي شخص شك ، أو تردد ، إذا كان منصفاً وبصيراً في اختصاص الأئمة المعصومين (ع) بالولاية التشريعية ، مضافة إلى الولاية التكوينية ، وأنهم بأمر الله ، تبارك وتعالى ، يتصرفون في أمور المخلوقات ، وأنحاء الوجود .

وبناء على الروايات المتواترة الصحيحة ، التي نقلنا قسماً منها ، والتي تقول : بأن الله ، عز وجل ، خلق الأرض والسماء ، والكون والمكان ، وقد ثبتها بوجودهم (ع) وأفاض بركاته ونعماءه

(١) ينابيع المودة : ٢١/١ .

(٢) و(٣) ينابيع المودة : ٢١/١ .

على جميع المخلوقات بواسطتهم (ع) ، وأنهم (ع) عباد الله المكرمون ، المحبوبون عند الله ، جل وعلا ، وأن الله ، عز وجل ، يربط بقاء العالم ببقائهم (ع) ، وفي الوقت نفسه إنهم (ع) عباد الرحمن ، المطيعون لأمره تعالى ، والمنزهون عن كل عيب ، حيث لا يغفلون لحظة واحدة عن عبادة الله وإظهار عبوديتهم له تعالى .

إنَّ هذه الدرجات ، والمقامات الشريفة ، لا تكون مستقلة عن الله تعالى ، ولا مشتركة مع الله ، عز وجل ، بل إنه تعالى قد فضلهم على جميع خلقه ، ووهبهم من لطفه ، وعنايته ، و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾^(١) .

الإعتراض الثامن : يقول المعترضون : إنَّ النبي (ص) هو بشر بسيط مثلنا ، والفرق بينه وبيننا ، أنه كان يعبد الله ، ويخافه ، أكثر منا ، وكان من المتقين !

ويستندون في رأيهم هذا على قول الله ، عز وجل : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾^(٢) ويعتبرون الأئمة المعصومين (ع) كبقية أفراد الناس ، وليس لهم أي امتياز على سائر البشر ، سوى كونهم واسطة لإيصال أحكام وسائل الدين إلى الناس .

ونقول في الجواب : إنهم بقولهم هذا ، يتمسكون بظاهر الآية ، ولا يلتفتون إلى نواقص كثيرة تجابهم ، كارتكاب المعاصي التي تصدر عن الفرد العادي ، وكون الأئمة المعصومين

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

منزهين عنها ، التزاماً واختصاصاً بالمقام الرفيع للرسالة .
إنَّ الجواب الذي ذكرته في ذلك الفصل ، على الإعتراض
السابع ، هو عين الجواب الذي أرد به على هذا الإعتراض .
إن هؤلاء الجاهلين الفقراء إلى العلم والمعرفة ، ونتيجة
لرأيهم القاصر ، لم يوجهوا نظرهم إلى المقام الشامخ للرسول
الأكرم (ص) ، والأئمة المعصومين (ع) ، حيث جهلوا درجاتهم
الملكوية ، وعوالمهم المعنوية ، وهذا ما جعلهم يشبهون ،
ويخطئون ، ويفكرون بهذه الطريقة التي تقودهم إلى الإلحاد
والكفر .

إنهم لم يفهموا القرآن الكريم ، ولا كلام رجال الدين
الأكابر ، ولم يستطيعوا أن يقضوا قضاءً صحيحاً ، يرتكز على
العقل السليم ، الذي هم منه محرومون .

وهنا لأجل أن أوضح هذا المعنى ، أرد عليهم من كتاب
(نامه آدميت)^(١) ، أي (رسالة الإنسانية) ، الذي هو من تأليف
والدي المحترم ، الماجد ، وأستاذي ، وأبي ، آية الله الإحقاقي ،
روحي فداه ، تيمناً وتبركاً ، في هذه المجموعة من البحوث
والأدلة ، وتكون الإجابة مرتكزة ، كما هي على الدوام ، على
المنطق السليم ، والاستدلال القوي الذي حرره والدي الماجد ،
بغية رد هؤلاء أولاً ، وثانياً : أزين ، وأتبارك وأبارك كتابي هذا ،
بدرج المقالة التي أوردها والدي الماجد في كتابه تحت عنوان
«المعراج» .

(١) رسالة الإنسانية : طبعت في (تبريز) في حزيران (١٩٧٠ م) ، بالفارسية
باسم (نامه آدميت) ، وطبعت في بيروت سنة (١٩٨٨ م) عن مؤسسة
البلاغ .

(١) المِراج

«قال تعالى : ﴿قل : إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إليّ ، إنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجوا لقاء ربه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (٢) .

«إنَّ أهم الكلمات الواردة في هذه الآية الشريفة ، والتي تحتاج إلى الشرح ، والتفسير ، هما جملتان : ﴿قل : إنما أنا بشر مثلكم﴾ ، و ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه﴾ :

«علينا أن نوضح في البداية ، حقيقة الإنسان ، والقدرة الجسمية ، ثم نرى أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أي بشر كان !!

«لقد خلقت طينة الإنسان ، وحقيقته الجسمية - على ما يصرح به القرآن الكريم - من الطين ، والتراب وهذه حقيقة لا

(١) راجع (رسالة الإنسانية : ص ٤٤٩ وما بعدها) .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

مجال للمراء فيها ، إذ يصرح القرآن بذلك في قوله تعالى : ﴿إني خالق بشراً من صلصال... فإذا سويته ، ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين﴾^(١) .

إنَّ قدرة ومواهب الإنسان ، هذا المخلوق الترابي ، تتجلى في عالم الملك والناسوت ، ومهما أعمل جميع قواه ، التي منحه الله إياها ، فإنه لن يستطيع تجاوز حدود المادة ، والجسم .

إنَّ مجال تحليق هذا الهيكل البشري ، هو الفضاء الناسوتي ، وحسب . فإذا أراد الطيران إلى القمر ، والمريخ ، والمشتري ، فإنه يستعين بالوسائل المادية أيضاً .

نعم ، يستطيع التطلع إلى العوالم العلوية ، والتعرف إلى المقامات السامية ، ولكن ليس بهذا الجسم ، بل يخلق في عالم الجبروت بالعقل ، وفي عالم الملكوت بالروح والنفس القدسية .

إذ ليس للهيكل المادي ، والجسد الترابي ، مجال في تلك المناطق السامية ، وأخيراً فهذه طينة الإنسان ، وهذه قدرته !!

في حين خلقت الذات المحمدية - بإجماع المسلمين ، والتواتر بين جميع الفرق - من نور الله ، جل جلاله ، وكان موجوداً قبل خلق آدم (عليه السلام) بل كان ممتازاً بالنبوة أيضاً في ذلك العالم ، بدليل قوله (صلى الله عليه وآله) : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»^(٢) .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .

(٢) ينابيع المودة : ٩/١ - وعن مسيرة قال : قلت يا رسول الله ! متى كنت نبياً؟ قال : كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد . وعن أبي هريرة ، =

لقد أودع الله تعالى ، ذلك النور الطاهر ، والأنوار القدسية
للمعصومين ، سلام الله عليهم أجمعين ، في الأصلاب الطاهرة ،
والأرحام المطهرة ، فكانت تنتقل من صلب إلى صلب ، حتى
ظهرت بمظهر بشري ، لأجل هداية الناس ، وهذا ما نص عليه في
زيارة الإمام الحسين المعروفة بـ (زيارة وارث) :

«أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة ، والأرحام
المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ، ولم تلبسك من
مدلهمات ثيابها . . .»^(١) .

فلا مجال لإنكار الوجود المقدس لمحمد وآله الأطهار ،
الذي خلق قبل جميع الموجودات ، بإرادة الله تعالى ، وقد
طفحت الكتب والمصادر الموثوق بها ، بذلك .

وهكذا نجد أن الحقيقة النورية للرسول الأعظم (ص) ،
تختلف عن الطينة البشرية !

وأما قدرات هذا الرسول ، ومواهبه التي منحه الله تعالى ،
فهي عظيمة ، وسامية ، فلا أكتفي من تلك المجموعة الهائلة من

= قالوا : يا رسول الله ! متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح
والجسد . وحديث أول ما خلق الله روعي ، وأول ما خلق الله نوري ،
وأول ما خلق الله العقل ، وأول ما خلق الله القلم ، وأول ما خلق الله نور
نيك يا جابر ، المراد منها هو الحقيقة المحمدية الكاملة . (راجع ينابيع
المودة : ٩/١) .

(١) راجع (مفاتيح الجنان - زيارة وارث : ص ٥٠١ - كامل الزيارات :
ص ٢٣٠ - مصباح الكفعمي : ٥٧٢/٢ - مصباح المتهجد :
ص ٦٦٤) .

الكرامات والمعاجز بهذه العبارة «لولاك لما خلقت الأفلاك»^(١) ،
كي يتصور قاصر أن ذلك من اختراعات الشيعة ، أو يزعم مقصّر
أنه من مجعولات الغلاة ! بل أختار قصة المعراج التي صرّح بها
القرآن الكريم ، بحيث أنّ الإعتقاد بالمعراج من ضروريات الدين
الحنيف ، ومنكره خارج عن رتبة الإسلام ، وحديثنا هنا مع
المسلمين :

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ، من المسجد الحرام ،
إلى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو
السميع البصير﴾^(٢) .

﴿والنجم إذا هوى ، ما ضلّ صاحبكم ، وما غوى ، وما
ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ،
ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب
قوسين ، أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما
رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدره
المتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما
زاغ البصر ، وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾^(٣) .

عقيدتنا أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حصل له
المعراج بهذا الجسد المبارك ، واللباس الذي كان لابساً إياه ،
والعمامة التي كان معتماً بها ، والحذاء الذي كان منتعلاً به .

(١) ينابيع المودة : ٢/١ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١ .

(٣) سورة النجم ، الآيات : ١ - ١٨ .

لقد طوى عالم الإمكان ، بدعوة من الخالق العظيم ،
وقدرته ، وكما تصرّح به الروايات ، فإنه سار في ليلة واحدة ، من
مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ، ومن هناك إلى السماوات ،
وفلك الأفلاك ، وتجاوز حدود عالم الملك ، فقطع عالم الملكوت
والجبروت وبلغ عالم اللاهوت ، فكلم رب الأرباب ، قاب قوسين
أو أدنى ، من دون وساطة جبرئيل ، وميكائيل ، وإسرافيل .

﴿علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق
الأعلى﴾ : لعله كان إلى هذه المرحلة ، يرافقه الملائكة ، وأمين
الوحي . ففي بعض الروايات أن المراد من شديد القوى : هو
جبريل . ولكن التفسير الأصح والمناسب لـ (شديد القوى) هو أنه
الله تعالى لأنه (ذو القوة المتين) ، وعلى أية حال :

﴿ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين ، أو أدنى﴾ : هنا تعدى
حدود الملائكة المقربين ، ودخل إلى حظيرة الخلوة الإلهية ،
حيث لا أثر لسوى الله تعالى ، حتى حملة العرش تندثر ، وتنمحي
هنا ، ولا تستطيع أن تكسر هذا الحصار ، وتقرب أكثر ، فقد قال
جبرئيل : «لو دنوت أنملة لاحتقرت»^(١) .

فالحبيب بجسده المادي ، وهيكله الظاهري ، اقترب من
جناب المحبوب ، وكلمه بلا واسطة ، وهناك :

﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ : ما الذي شاهده في ذلك
الجو النوراني ، والمحيطات الهائلة ، اللامتناهية ، من النور ،
والضياء ، والعظمة ، وما الذي سمعه ؟

(١) مناقب آل أبي طالب : ١٧٩/١ .

لا أحد يدري غير الله ، ورسوله ، ونفس رسوله الذي هو حامل علمه ، يعني علياً ، أمير المؤمنين (عليه السلام) بينما يصرح القرآن : ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ .

ونحن نعلم أنه لا آية أكبر من علي^(١) ، وذاته المقدسة في جرم الكبرياء . إن بصيرة الرسول (ص) نافذة ، وباصرته لا ترى إلا الحق ، فلا ريب هناك ، ولأمّين^(٢) ، ولا زيغ ، ولا ضلال : ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ .

إن المعاند المفترى ، وصدوره الضيق ، هو الذي لا يتحمّل الحقائق فيشكك فيها . بينما يقول الباري تعالى : ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ .

ثم يجيب بصراحة ، قائلاً إنه لا يخطيء ، ولم يزع عن الحق : ﴿ما زاغ البصر ، وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ .

والخلاصة : إن هذا الموجود اللاهوتي ، طوى جميع العوالم الإمكانية ، خلال ليلة ، أو دقائق (على اختلاف التعابير في الروايات) ، بجسمه الشريف ، وهذا الكيان البشري ، ولم يبق موضع في عالم الكون ، إلا ووطئه بقدمه الشريفة .

أي فيلسوف ، أو فلكي ، أو محاسب قدير ، يستطيع معرفة سرعة حركة الرسول ليلة المعراج ؟ ويقدر المسافة التي طواها ؟!

(١) كان أمير المؤمنين (ع) يقول : «ما لله ، عز وجل ، آية هي أكبر مني ، ولا لله من نبأ أعظم مني» (أصول الكافي : ٢٠٧/١ - ح ٣) .
(٢) المّين : الكذب .

لا أحد يستطيع ذلك ، فلا مدقق حسابات ، ولا رياضي ،
ولا عقل (الالكتروني) ، ولا نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، يستطيع
ذلك .

إن حساب ذلك ، وإحصاءه ، خارج عن قدرة ما سوى
الله ، فالله أعلم بذلك ورسوله ، وأولياؤه .

تصور إن المسافة التي لا يستطيع أن يقطعها الضوء مع
سرعته العجيبة ، في ملايين السنين الضوئية ، قطعها هذا الموجود
الفذ ، في فترة قصيرة جداً !

فانظر إلى هذه الموهبة ، واعجب لهذه العظمة ، ودقق في
هذه السرعة ! ثم أذعن لقدرة الله اللامتناهية .

أين مقام البشر ، ومقام خير البشر !؟

إن الطينة النورانية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي
شاركه فيها علي ، وفاطمة ، وأبناؤهما الأحد عشر ، هي التي
خلقت من نور الله تعالى ، فعاد ذلك الوجود النوري ليصل إلى
مقام ، أو أدنى من النور الإلهي ، الذي عمّ كل الوجود .

لقد عاد إلى مهده الأول ، فرأى الآيات الكبرى هناك ،
حيث لا طريق للملائكة المقربين ، ولا مجال لحملة
العرش . . . ، هناك حيث الحبيب ومحبوه ، ومن عنده علم
الكتاب . . .

أجل صاحب البيت ، والضيف العظيم ، ووليد البيت ،
هؤلاء هم المطلعون على سر تلك الخلوة !

نفهم من هذه المقدمات ، أن الحقيقة الطاهرة للرسول

الأعظم ، هي أسمى من طينة البشر ، بل لا مجال للمقارنة !
إنه (ص) كان موجوداً لاهوتياً ، تردى برداء البشرية بإرادة
الله ، ليقوم بهداية الناس ، كما كان جبرئيل أمين الوحي ، يتردى
برداء البشرية أحياناً ، ويظهر بصورة دحية الكلبي^(١) .
قال تعالى : ﴿ولو جعلناه ملكاً ، لجعلناه رجلاً ، وللبسنا
عليهم ما يلبسون﴾^(٢) .

هذه المعجزة العظيمة ، تفوق كل معاجز الأنبياء المعصومين
(عليهم السلام) وإذا أنكر أحد فضائل المعصومين ، ومعاجزهم ،
فلا يسعه إنكار هذه المنقبة العظمى التي صرَّح بها القرآن
الكريم .

وحتى لو قلنا بالمعراج الروحاني ، فإن ذلك يدل على سمو
منزلتهم ، لأن سائر الأرواح لا طريق لها إلى مقام ﴿أو أدنى﴾ ،
في حين أن المعراج الجسماني من ضروريات الإسلام ، ومنكره
بمنزلة الكافر ، وإن تظاهر بالإسلام .

إن قصة المعراج تثبت إحاطة علم الرسول ، وهيمته على
جميع العوالم الإمكانية ، وشرفه على جميع الأنبياء ، والمرسلين ،
والملائكة المقربين ، ومع ذلك فهو عبد مطيع ، ومحتاج إلى
حضرة ذي الجلال ، ونموذج قدرته السامية ، وإحاطته
اللامتناهية . . .

فقولهم (عليهم السلام) : «نزهونا عن الربوبية ، وقولوا فينا

(١) تنقيح المقال : ٤١٧/١ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩ .

ما شئتم ، ولن تبلغوا»^(١) منسجم مع الأدلة والبراهين المحكمة .

فما عسى المرء أن يقول تجاه هذا المقام المنيع ؟

أجل ، غاية ما نستطيع قوله في شأن المعصومين ، عليهم السلام ، أنهم عالمون بالغيب ، وعلمهم حضوري ، وإحاطي ، وقد جرى بحث مفصل ، واستدلالات عميقة ، حول هذه المسألة ، بينما مسألة المعراج ، تحلّ الإشكال ، وتأتي بالجواب القطعي ، لماذا ؟ :

لأن صاحب المعراج شاهد جميع زوايا الوجود ، بعينه اللتين في رأسه ، فلا يبقى مجال للعلم الإرادي .

في هذا التجوال المبارك ، لم يبق مكان حتى يخفى على الرسول ، ويأتي دور السؤال : هل يعلم أو لا يعلم ؟

إنَّ أشد المسائل غوراً ، في الغيب : الجنة والنار ، ومع ذلك فقد شاهدهما رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، في أثناء المعراج ، وحكى طرفاً من أخبارهما للأصحاب بعد ذلك .

لقد أخبر بوجود بعض الناس في النار ، رغم أنهم كانوا أحياء في عصره ، فالمسألة تجاوزت طي المكان إلى طي الزمان أيضاً ، فلم يبق موضع يغيب عن ناظره .

فمهما نقول في حق هؤلاء ، لا نزال مقصرين عن اللحوق بشأوهم ، ولذلك قالوا عليهم السلام : «ولن تبلغوا» ، أجل ، لا يبلغ أحد وصف الحقيقة .

(١) مشارق أنوار اليقين : ص ٦٩ .

هل نستطيع إذن أن نفهم سر المعراج ؟ واستيعاب السرعة الهائلة في هذا السر والسلوك ؟ وهل نتوصل إلى آلاف الأسرار التي تفوق الوهم ، والخيال ، والحدس ؟ كلا .

غاية ما نقوله : إنهم ليسوا آلهة ، ولا يشاركون الله تعالى في فعله ، ولا يفعلون شيئاً من دون إذن الله ، جل وعلا ، بل إنهم عباد مقربون ، ومظاهر للصفات الربوبية ، والسفراء ، بين الله والبشر ، لا يستقلون بأمر مطلقاً : ﴿بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون﴾^(١) ، وهذه هي العقيدة الصحيحة ، والنمط الأوسط ، الذي يختلف عن عقيدة الغالين ، ومذهب القالين .

وبصورة موجزة ، فإن للمعصومين ، عليهم السلام ، ثلاث مراتب :

١ - المقام الحقي : حيث الملائكة ، وجميع ما سوى الله تعالى ، مأمورون بالخضوع للمعصومين ، عليهم السلام ، في هذه المرتبة . وعلمهم وإرادتهم ، يستمدان من علم الله تعالى ، وإرادته ، وقدرتهم مكتسبة من قدرة الباري ، جل وعلا .

ولا شيء في الوجود خارج عن دائرة سلطتهم ، وولايتهم الكبرى ، وفي هذه المرحلة ، حتى الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين ، يجهلون عظمة مراتبهم المعنوية .

ولقد ورد عنهم ، عليهم السلام : «لنا مع الله حالات ، لا

(١) سورة الأنبياء ، الآيات : ٢٦ - ٢٧ .

يحملها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» .

٢ - المقام الملكي : في هذه الرتبة ، يحلقون كالملائكة ، نحو السماوات ، في خفة ولطافة ، وتطوى لهم الأرض ، وينفذون في الأجسام الصلبة ، ويعبرون الجدران السميكة ، ويدخلون من الأبواب المغلقة .

٣ - المقام البشري : إنهم في هذه الرتبة ، يأكلون كما يأكل الناس ، ويشربون وينكحون ، ويستريحون ، كغيرهم من أفراد البشر ، تتأثر أجسامهم بالسّم والسّهام ، وينطبق عليهم ، قوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ ، ولقد عبر صاحب الولاية الكبرى في رسالة له إلى معاوية ، عن هذه الحقيقة حيث يقول :

«لولا ما نهى الله من تزكية المرء لنفسه ، لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجها آذان السامعين ، فإننا صنایع ربنا ، والخلق بعد صنایع لنا ، لم يمنعنا قديم عزنا ، ولا عادي طولنا ، أن خلطناكم بأنفسنا ، فنكحنا وأنكحنا ، فعل الأكفاء ، ولستم هناك . . .»^(١) .

دقق في هذه العبارة الموجزة ، الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو لا يبالغ ، ولا يدّعي جزافاً ، لتري صحة ما نعتقده ، علماً بأنهم ، عليهم السلام ، في المقام البشري واجدون للمقام الحقي ، والمقام الملكي أيضاً .

وأخيراً ، فإن الله تعالى ، جعل حبيبه ورسوله المختار ،

(١) جمهرة رسائل العرب : ١ / ٣٩٥ .

يطلع على عظمة الخلق ، وأسرار التكوين ، وكشف له عن مرتبة عين اليقين ، وحق اليقين .

وقد نطق القرآن الكريم بقوله : ﴿وما كان الله ليطالعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله ، من يشاء﴾^(١) ، ويقول في موضع آخر : ﴿عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول﴾^(٢) .

فمن الواضح أن المحبوب تعالى ، جعل حبيبه يطلع على كل ما في الغيب ، منذ اللحظة الأولى ، وكانت مسألة المعراج مرآة لانعكاس تلك المراتب في ذاته .

وأما تفسير (لقاء الرب) :

لقد ورد في تفسير لقاء الرب أنه بمعنى لقاء رحمة الرب ، فحذف المضاف كثير في اللغة العربية ، وقد استعمل في القرآن الكريم أيضاً ، كقوله تعالى : ﴿وجاء ربك والملك ، صفاءً صفاءً﴾^(٣) ، أي جاء أمر ربك .

أما إذا قلنا : إن لقاء الرب يعني لقاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو مناسب للمقام ، لأنه رحمة الله الواسعة ، ورحمة للعالمين ، ووجه الله الباقي .

ومن البديهي أن اللقاء مع شخص ، لقاء مع وجهه ، لا مع ذاته وحقيقته ، وإذا كان الرسول ، صلى الله عليه وآله ، الوجه

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٩ .

(٢) سورة الجن ، الآية : ٢٦ .

(٣) سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .

الباقى لذي الجلال ، حيث يقول : «من رأني فقد رأى الحق» ،
صحَّ التعبير .

وقد ورد في الحديث الصحيح ، أنَّ من يواظب على زيارة
عاشوراء ، كل يوم ، فكأنه زار الله فوق عرشه .

وهناك حديث مشابه حول زيارة أمير المؤمنين ، عليه
السلام ، أيضاً . إذن معنى الآية : إنَّ كل من يريد لقاء رسول
الله ، وأمير المؤمنين ، في الجنة ، عند حوض الكوثر ، فليعمل
عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ، إذ من البديهي ، أن
لقاء ذات الله تعالى ، محال من قبل المخلوقين !»^(١) .

بعد نقل هذا المقال ، من كتاب (رسالة الإنسانية) من تأليف
آية الله الإحقاقي ، وشرح وتفسير الجملتين : ﴿قل إنما أنا بشر
مثلكم﴾ ، و﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه﴾ ، واستناده إلى الأحاديث
والروايات المعتبرة الصحيحة ، والآيات القرآنية الكريمة ، المأثورة
عن الأئمة المعصومين (ع) ، لم يعد أي مجال للشك ، والشبهة ،
وأثبتنا أن محمداً (ص) ، وآل محمد (ع) ، مع كونهم من البشر ،
فإنهم مخصوصون وتميزون عن جميع البشر ، بالمقامات الرفيعة
الشامخة ، والولاية المطلقة ، وتكون جميع الكائنات ما سوى الله
تعالى ، وبأمر منه ، تحت سلطة ولايتهم ، وفي الوقت نفسه نقول
عنهم ، إنهم عباد الرحمن الطاهرون المطيعون لرب الأرباب .

أما المساكين المنكرون لمقامات الأئمة المعصومين (ع) ،

(١) راجع رسالة الإنسانية : ٤٤٩ - ٤٦٥ . حيث نقل سماحة المؤلف ،
حفظه المولى ، الفصل بطوله حرفياً .

فليس لهم المعلومات الكافية لإثبات أباطيلهم ، فهم بالتالي لا يدركون تلك المقامات ، ولا يفهمونها ، فينظرون إلى الأشياء بالمنظار الأسود ، ولو تحرروا من عقدهم وعنادهم ، لشاهدوا عالم الأئمة المعصومين (ع) ، وسيعاً ، مليئاً بالفضائل ، ولعرفوا عند ذاك سر هذه الدرجات الرفيعة ، والمقامات الشامخة ، وما ذكرناه ليس إلا غيض من فيض لإدراك تلك الحقيقة المقدسة :

«يا علي ما عرفك إلا الله وأنا»^(١) .

قال أمير المؤمنين (ع) : «ظاهري إمامة ، وباطني غيب منيع لا يدرك» . وفيما قال (ع) إشارة إلى حقيقة الولاية الكلية المطلقة ، حتى إن الأنبياء السلف عاجزون عن دركها .

وما يتوجب علينا نحن ، هو الإيمان بتلك المقامات الرفيعة الشامخة ، على قدر معرفتنا ، ودرجة إيماننا ، ووعينا ، وإن عجزنا عن فهم سر من أسرارهم (ع) الملكوتية ، فيجب أن نرد سبب ذلك إلى عجزنا عن الفهم والإدراك ، لأن ما نجهله أكثر مما نعلمه ، بل وغير قابل للقياس .

إننا عندما نكون عاجزين عن إدراك حقيقة أقل المخلوقات الإلهية ، حتى الفلاسفة والعلماء يظهرون عجزهم عن فهم ذلك ، فكيف نتجاسر ونروم التوصل إلى فهم أعلى وأسمى مقام الخلقة ، والإحاطة بأسرار ذلك المقام الملكوتي؟! وفي المكان الذي لم يسمح لجبرئيل الأمين أن يتقدم فيه بحد محدود ، فكيف لنا ، نحن عباد الله تعالى ، ونحن أعجز ، وما هو تكليفنا أمام هذا الأمر المهم؟

(١) مشارق أنوار اليقين : ص ١١٢ .

وبالمناسبة يقول مولى المتقين علي بن أبي طالب (ع) ، في حديث النور : «نزهونا عن الربوبية ، وارفعوا عنا حظوظ البشرية - يعني : الحظوظ التي تجوز عليكم - فلا يقاس بنا أحد من الناس ، فإننا نحن الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية ، والكلمة الربانية الناطقة في الأجساد الترابية ، وقولوا بعد ذلك ، ما استطعتم ، فإن البحر لا ينزف ، وعظمة الله لا توصف»^(١) .

وبعد نقل هذا الحديث ، نأتي إلى ختام بحثنا في هذا الباب سائلين الباري ، جل وعلا ، أن يملأ قلوبنا بنور الولاية المقدسة ، ويهبنا الصفاء والنور ، ويمحو ظلام الإنكار والاعناد ، بحق محمد وآله الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين .

(١) مشارق أنوار اليقين : ص ٦٩ .

قال رسول الله (ص) : «ألا ومن مات على حب آل محمد ، مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد ، مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد ، مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد ، مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد ، بشره ملك الموت بالجنة ، ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد ، يُزف إلى الجنة كما تُزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد ، جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد ، مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد ، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه «آيس من رحمة الله !» ، ألا ومن مات على بغض آل محمد ، مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد ، لم يشم رائحة الجنة !» .

(ينابيع المودة : ٢١/١ ، ١٨/٢ ، ١٨ و ٨٨ - الصواعق المحرقة : ص ٢٣٢) ، (فرائد السمطين : ٢/٢٥٦) .

تَفْسِيرُ

الْأَيَاتِ الْمُبَارَكَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ

مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ

عِلْمُ الْكِتَابِ

الرَّحْمَدُ ٤٣

● قال الله ، تبارك وتعالى :

﴿ويقول الذين كفروا : لست مرسلًا ، قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب﴾^(١) .

اتفق المفسرون ، من العامة والخاصة ، أن الآية المباركة ﴿من عنده علم الكتاب﴾ نزلت في شأن أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، ونذكر في ما يلي عدة أحاديث الفريقين من السنة والشيعنة ، التي تثبت ذلك :

١ - (ينابيع المودة) : «نقل الثعلبي ، وابن المغازلي ، بسنديهما عن عبدالله بن عطا ، قال : كنت مع محمد الباقر رضي الله عنه ، في المسجد ، فرأيت ابن عبدالله بن سلام ، فقلت : هذا ابن الذي عنده علم الكتاب ؟ قال : إنما ذلك علي بن أبي طالب (ع)»^(٢) .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

(٢) ينابيع المودة : ١٠٢/١ . مناقب ابن شهرآشوب : ٢٩/٢ .

٢ - (ينابيع المودة) : «الثعلبي ، وأبو نعيم ، بسنديهما عن زاذان ، عن محمد بن الحنفية ، قال : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ : علي بن أبي طالب (ع)»^(١) .

٣ - (ينابيع المودة) : عن صاحب (المناقب) ، أنه «روى عن محمد بن مسلم ، وأبي حمزة الثمالي ، وجابر بن يزيد ، عن الباقر عليه السلام . وعن علي بن فضال ، والفضيل بن يسار ، وأبي بصير ، عن الصادق ، عليه السلام . وروى أحمد بن محمد الحلبي ، ومحمد بن فضيل ، عن الرضا ، عليه السلام . وقد روي عن موسى بن جعفر ، وعن زيد بن علي ، عليهم السلام . وعن محمد بن الحنفية ، وعن سلمان الفارسي ، وعن أبي سعيد الخدري ، وإسماعيل السدي ، أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿قل كفى بالله شهيداً ، بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب﴾ هو علي بن أبي طالب ، عليه السلام»^(٢) .

٤ - (ينابيع المودة) : «سئل سعيد بن جبير ، ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ ، عبدالله بن سلام ؟ قال : لا . وكيف ؟ وهذه السورة مكية ، وعبدالله بن سلام ، أسلم في المدينة بعد الهجرة؟!»^(٣) .

٥ - (ينابيع المودة) : «عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ إنما هو علي ، لقد كان عالماً بالتفسير ، والتأويل ، والناسخ ، والمنسوخ»^(٤) .

(١) المصدر نفسه : ١٠٢/١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٢/١ - مناقب ابن شهر آشوب : ٢٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه ١٠٣/١ .

(٤) المصدر نفسه ١٠٣/١ .

٦ - (ينابيع المودة) : «سليم بن قيس الهلالي في كتابه ، عن قيس بن سعد بن عبادة ، قال : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ علي . قال معاوية بن أبي سفيان : هو عبدالله بن سلام! ، قال سعد : أنزل الله : ﴿إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد﴾^(١) ، وأنزل : ﴿أفمن كان على بينة من ربه ، ويتلوه شاهد منه﴾^(٢) ، فالهادي من الآية الأولى ، والشاهد من الثانية علي ، لأنه نصبه (ص) يوم الغدير ، وقال : «من كنت مولاه ، فعلي مولاه» ، وقال : «أنت مني ، بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي» . فسكت معاوية ، ولم يستطع أن يردّها»^(٣) .

٧ - (تفسير مجمع البيان) : في تفسير هذه الآية : «والثالث : أن المراد به علي بن أبي طالب ، وأئمة الهدى (ع) ، عن أبي جعفر ، وأبي عبدالله (ع) ، وروي عن بريد بن معاوية ، عن أبي عبدالله ، أنه قال : إيانا عنى ، وعليّ أولنا ، وأفضلنا ، بعد النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم»^(٤) .

٨ - (الاحتجاج) : «روى محمد بن أبي عمير ، عن عبدالله بن الوليد السَّمَان ، قال : قال لي أبو عبدالله (ع) : ما يقول الناس في أولي العزم ، وصاحبكم ؟ - يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) - قال ، قلت : ما يقدمون علي أولي العزم

(١) سورة الرعد ، الآية : ٧ .

(٢) سورة هود ، الآية : ١٧ .

(٣) ينابيع المودة : ١٠٣/١ .

(٤) مجمع البيان : ٣٠١/٣ - أصول الكافي : ٢٢٩/١ ح ٦ .

أحداً ، فقال : إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، قال عن موسى (ع) : ﴿وكتبنا له في الألواح ، من كل شيء موعظة﴾^(١) ، ولم يقل ، كل شيء ، وقال عن عيسى : ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾^(٢) ، ولم يقل كل الذي تختلفون فيه ، وقال عن صاحبكم : ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ولا رطب ، ولا يابس ، إلا في كتاب مبين﴾^(٣) وعلم هذا الكتاب عنده (ع)»^(٤) .

٩ - (تفسير مجمع البيان) : روى عبدالله بن كثير ، عن الإمام الصادق (ع) : «أنه وضع يده على صدره ، ثم قال : عندنا والله علم الكتاب كاملاً . ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي أنه قال : ما أحد أعلم بكتاب الله ، بعد النبي (ص) ، من علي بن أبي طالب (ع) ، ومن الصالحين من أولاده»^(٥) .

١٠ - (تفسير العياشي) : «عن بريد بن معاوية العجلي ، قال : قلت لأبي جعفر (ع) : ﴿قل : كفى بالله شهيداً ، بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب﴾ ، قال : إيانا عنى ، وعلي أفضلنا ، وأولنا ، وخيرنا بعد النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم»^(٦) .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٥ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٦٣ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩ .

(٤) الاحتجاج : ٣٥٧/٢ - تأويل الآيات الظاهرة : ٢٤٠/١ - البحار : ٤٢٩/٣٥ .

(٥) مجمع البيان : ٣٠١/٣ .

(٦) تفسير العياشي : ٢٢٠/٢ .

«وعن عبدالله بن عجلان ، عن أبي جعفر (ع) ، قال : سألته عن قوله ﴿قل : كفى بالله شهيداً ، بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب﴾ ، فقال : نزلت في عليّ بعد رسول الله (ص) ، وفي الأئمة بعده ، وعليّ عنده علم الكتاب» (١) .

١١ - (الاحتجاج) : «سأل رجل علي بن أبي طالب (ع) فقال : أخبرني بأفضل منقبة لك ؟ قال : ما أنزل الله في كتابه ! قال : وما أنزل الله فيك ؟ قال : ﴿أفمن كان على بينة من ربه ، ويتلوه شاهد منه﴾ (٢) ، أنا الشاهد من رسول الله (ص) ، وقوله : ﴿ويقول الذين كفروا : لست مرسلأ ! قل : كفى بالله شهيداً ، بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب﴾ إياي عنى بمن عنده علم الكتاب ، فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلا ذكره» (٣) .

١٢ - (تفسير القمي) : «عن أبي عبدالله (ع) ، قال : الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين (ع) ، وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب) أعلم ، أم الذي (عنده علم الكتاب) ؟ فقال : ما كان علم الذي (عنده علم من الكتاب) ، عند الذي (عنده علم الكتاب) إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر . وقال أمير المؤمنين (ع) : ألا إنّ العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض ، وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين ، في عترة خاتم النبيين» (٤) .

(١) المصدر نفسه : ٢٢١/٢ .

(٢) سورة هود ، الآية : ١٧ .

(٣) الاحتجاج : ١٥٩/١ .

(٤) تفسير القمي : ٣٦٧/١ - اللوامع النورانية : ص ١٦٩ . وقد روى =

فقد ثبت لك ، بعد نقل هذه الأحاديث المتواترة ، من طرق الخاصة والعامة ، أن علم القرآن كان منحصراً بالرسول الأكرم (ص) ، ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وأولاده الطاهرين ، الأئمة المعصومين ، وأن هؤلاء هم أساتذة التفسير ، وأعلم من غيرهم بجميع الرموز ، والحقائق ، والأسرار ، والدقائق ، والتنزيل ، والتأويل ، وظاهر القرآن ، وباطنه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ومحكمه ، ومتشابهه ، وسائر مراتبه وبواطنه ، ويحيطون بها إحاطة كاملة .

ولا يستطيع أحد غيرهم أن يدعي إحراز أو الوصول إلى هذا المقام أو هذه المرتبة والدرجة العلمية ، لأنهم وحدهم ، أصحاب العلوم والفضل فيها فقط .

وإذا وجدنا عند بعض الأشخاص علماً معيناً محدداً ، فذلك قطرة من علومهم (ع) أو موجة من أمواج بحر علوم هؤلاء الأساتذة الملكوتيين ، عليهم السلام .

وهنا نأتي إلى تبيان وإثبات أن جميع علوم الأولين والآخرين موجودة في القرآن الكريم النازل من السماء بالوحي على الرسول الأكرم (ص) ، وقد حير العالم في وقته ، وهو المعجزة الوحيدة الثابتة والباقية في عالم الوجود .

القرآن الكريم كنز جميع المعارف والعلوم ، ومفتاح جميع

= اختصاص الآية الكريمة بعلي بن أبي طالب (ع) العلامة الأنصاري القرطبي في (جامع أحكام القرآن : ٣٣٦/٩) والسيوطي في كتاب (الإتقان : ١٣/١) وغيرهما من أعلام القوم .

الأسرار والرموز ، وقد جمع الله ، سبحانه ، كل شيء فيه ، وثبت ذلك بروايات متواترة ، وأحاديث معتبرة :

- ١ - ﴿ولا رطب ، ولا يابس ، إلا في كتاب مبين﴾^(١) .
- ٢ - ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾^(٢) .
- ٣ - ﴿ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ، ورحمة لقوم يؤمنون﴾^(٣) .
- ٤ - ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ، ورحمة ، وبشرى للمسلمين﴾^(٤) .
- ٥ - (أصول الكافي) : «عن أبي عبدالله (ع) ، قال : إنَّ الله تبارك وتعالى ، أنزل في القرآن تبيان كل شيء ، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد ، حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا أنزل في القرآن ؟ إلا وقد أنزله الله فيه»^(٥) .
- ٦ - (أصول الكافي) : «عن أبي جعفر (ع) ، قال : إنَّ الله تبارك وتعالى ، لم يدع شيئاً ، يحتاج إليه الأمة ، إلا أنزله في كتابه ، وبينه لرسوله (ص) ، وجعل لكل شيء حداً ، وجعل عليه

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٧٥ .

(٣) سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

(٥) أصول الكافي : ٥٩/١ .

دليلاً يدل عليه ، وجعل على من تعدى ذلك الحد ، حدّاً» (١) .

٧ - (أصول الكافي) : «عن المعلى بن خنيس ، قال : قال أبو عبدالله (ع) : ما من أمر يختلف فيه اثنان ، إلا وله أصل في كتاب الله ، عز وجل ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال» و«عن أبي عبدالله (ع) ، قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ونحن نعلمه» (٢) .

بعد الذي ذكرناه نستنتج : أن علوم الأولين ، والآخرين ، مكتوبة ومذكورة في القرآن الكريم ، كما نستنتج أن علم القرآن موجود عند محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، وأنهم يحيطون بجميع علوم القرآن ، والمعارف ، والأسرار الإلهية ، إحاطة كاملة ، ولا يخفى شيء عن أعينهم حيث أنهم «عين الله الناظرة» (٣) .

ومن البديهي أن جميع العلوم والدرجات التي أعطاهم الله تبارك وتعالى ، بلطفه وإحسانه ، لم يقطعها عنهم لحظة واحدة ، بل يزيدهم من لطفه وإحسانه ﴿وقل رب زدني علماً﴾ (٤) .

(١) المصدر نفسه : ٥٩/١ - ح ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٦١/١ .

(٣) إشارة إلى ما ورد في الزيارة السادسة لأمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، عليه السلام : «السلام عليك يا عين الله الناظرة ، وبده الباسطة ، وأذنه الواعية ، وحكمته البالغة ، ونعمته السابغة . . .» (راجع مفاتيح الجنان : ص ٤٢٦ - البحار : ٣٠٥/٩٧) .

(٤) سورة طه ، الآية : ١١٤ .

وتأييداً لما ذكرناه نشير إلى عدة أحاديث ، عن الأئمة المعصومين عليهم السلام :

١ - (بصائر الدرجات) : «عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبدالله (ع) ، أنه قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ونحن نعلمه»^(١) .

٢ - (أصول الكافي) : (كتاب الحجّة) : «عن عبد الأعلى بن أعين ، قال : سمعت أبا عبدالله (ع) ، يقول : قد ولدني رسول الله (ص) ، وأنا أعلم كتاب الله ، وفيه بدء الخلق ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفيه خبر السماء ، وخبر الأرض ، وخبر الجنة ، وخبر النار ، وخبر ما كان ، وخبر ما هو كائن ، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي ، إن الله يقول : «فيه تبيان كل شيء»^(٢) .

٣ - (بصائر الدرجات) : عن أبي عبدالله (ع) ، قال : «إنا أهل البيت ، لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره»^(٣) .

٤ - (بصائر الدرجات) : «عن جابر ، قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : ما من أحد من الناس يقول : إنه جمع القرآن كله ، كما أنزل الله ، إلا كذاب ، وما جمعه ، وما حفظه كما أنزل الله ، إلا علي بن أبي طالب ، والأئمة من بعده»^(٤) .

(١) بصائر الدرجات : ص ٢١٦ .

(٢) أصول الكافي : ٦١/١ - بصائر الدرجات : ص ٢١٦ - والآية الصحيحة قوله تعالى : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ (النحل : ١٨٩) .

(٣) بصائر الدرجات : ص ٢١٦ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٢١٣ .

٥ - (بصائر الدرجات) : «قال أبو جعفر (ع) : ما أجد من هذه الأمة ، من جمع القرآن كله إلا الأوصياء»^(١) .

٦ - (بصائر الدرجات) : «عن عمرو بن مصعب ، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : سمعته يقول : إن من علم ما أوتينا ، تفسير القرآن وأحكامه ، وعلم تغيير الزمان ، وحدثانه ، وإذا أراد الله بقوم خيراً ، أسمعهم ، ولو أسمع من لم يسمع ، لو لئى معرضاً كأن لم يسمع ! ثم أمسك هنيئة ، ثم قال : لو وجدنا وعاء ومستراحاً ، لعلمنا والله المستعان !»^(٢) .

٧ - (أصول الكافي) : «قال أمير المؤمنين (ع) : ... ذلك القرآن فاستنطقوه ، ولن ينطق لكم ، أخبركم عنه ، إن فيه علم ما مضى ، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة ، وحكم ما بينكم ، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون ، فلو سألتموني عنه لعلمتكم»^(٣) .

٨ - (البحار) : «عن علي بن أسباط ، قال : سأل رجل أبا عبدالله (ع) ، عن قول الله ، عز وجل : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾^(٤) ، فقال : نحن هم»^(٥) .

٩ - (أصول الكافي) : «عن أبي جعفر (ع) ، في قول الله عز وجل : ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾^(٦) ، يعني الأوصياء كلهم .

(١) المصدر نفسه : ص ٢١٣ .

(٢) بصائر الدرجات : ص ٢١٦ .

(٣) أصول الكافي : ص ٦١ - ح ٧ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٨ .

(٥) البحار : ١٨٩/٢٣ .

(٦) سورة القمر ، الآية : ٤٢ .

وعن داود الرقي ، قال : سألت أبا عبدالله (ع) ، عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾^(١) ، قال : الآيات هم الأئمة ، والنذر هم الأنبياء (ع)^(٢) . وعن أبي عبدالله (ع) ، في تفسير الآية ، قال : «هم الأئمة»^(٣) .

١٠ - (خرائج الراوندي) : «عن أبي عبدالله (ع) ، قال : إنَّ الله فضل أولي العزم ، من الرسل ، بالعلم على الأنبياء ، وورثنا علمهم ، وفضلنا عليهم في فضلهم ، وعلم رسول الله (ص) ، ما لا يعلمون ، وعلمنا علم رسول الله (ص) ، فروينا لشيعتنا ، فمن قبله منهم ، فهو أفضلهم ، أينما نكون ، فشيعتنا منا .

«وقال (ع) : تمصون الرواضع ، وتدعون النهر العظيم؟! فقيل : ما تعني بذلك؟؟ قال : إنَّ الله أوحى إلى رسول الله (ص) علم النبيين بأسره ، وأسرَّه إلى أمير المؤمنين (ع) .

«فقيل : عليّ ، عليه السلام ، أعلم أو بعض الأنبياء؟ فقال : إنَّ الله يفتح مسامع من يشاء .

«أقول : إن رسول الله (ص) حوى علم جميع النبيين ، وعلمه الله ما لم يعلمهم ، وأنه جعل ذلك كله عند عليّ (ع) فتقول : «عليّ أعلم ، أو بعض الأنبياء؟!» .

«وتلا : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾^(٤) ، ثم فرق

(١) سورة يونس : الآية : ١٠١ .

(٢) أصول الكافي : ٢٠٧/١ .

(٣) أصول الكافي : ٢١٤/١ .

(٤) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

بين أصابعه فوضعها على صدره ، وقال : عندنا والله علم الكتاب كله»^(١) .

١١ - (أصول الكافي) : «عن سدير ، قال : كنت أنا ، وأبو بصير ، ويحيى البزاز ، وداود بن كثير ، في مجلس أبي عبدالله عليه السلام ، إذ خرج إلينا ، وهو مغضب ، فلما أخذ مجلسه ، قال : يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله ، عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة ، فهربت مني ، فما علمت في أي بيوت الدار هي !

«قال سدير : فلما أن قام من مجلسه ، وصار في منزله ، دخلت أنا ، وأبو بصير ، وميسر ، وقلنا له : جعلنا فداك ! سمعناك وأنت تقول كذا وكذا ، في أمر جاريتك ، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ، ولا ننسبك إلى علم الغيب ؟!

«قال ، فقال : يا سدير ! ألم تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾^(٢) ؟

«قال ، قلت : جعلت فداك ! قد قرأته ، قال : فهل عرفت الرجل ؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب ؟ قال ، قلت : أخبرني به . قال : قدر قطرة من المطر الجود ، في البحر الأخضر ، فما يكون ذلك من علم الكتاب ؟

(١) الخرائج والجرائح : ٧٩٦/٢ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

قال ، قلت : جعلت فداك ! ما أقلّ هذا! - فقال : يا سدير !
ما أكثر هذا ، أن ينسبه الله ، عز وجل ، إلى العلم الذي أخبرك
به . يا سدير ! فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ، عز وجل ،
أيضاً : ﴿ قل كفى بالله شهيداً ، بيني وبينكم ، ومن عنده علم
الكتاب ﴾ (١) .

قال ، قلت : قد قرأته ، جعلت فداك ، قال : أفمن عنده
علم الكتاب كله ، أفهم ، أم من عنده علم الكتاب بعضه ؟
قلت : لا ، بل من عنده علم الكتاب كله . قال : فأوماً
بيده إلى صدره ، وقال : علم الكتاب والله كله عندنا . علم
الكتاب والله كله عندنا» (٢) .

وهكذا يتبيّن لنا من الأخبار المتواترة ، التي ذكرناها ، أن
جميع علوم القرآن المجيد موجودة عند الأئمة الأطهار (ع) .
ولما كان القرآن الكريم ، حسب الآيات الكريمة ،
والروايات المعتبرة ، يجمع بين دفتيه جميع علوم الأولين ،
والآخرين ، يثبت أن النبي الأكرم (ص) والأئمة المعصومين (ع)
كانوا يعلمون جميع علوم الأولين والآخرين ، ويحيطون بها إحاطة
كاملة ، كما يتضح ذلك من الرواية الثانية التي مرّت حيث يقول
الإمام (ع) : «أعلم ذلك ، كما أنظر إلى كفي» ، ومعنى ذلك أن
الإمام يعلم كل شيء ، من بدء الخليقة إلى يوم القيامة ، عن
أخبار السّموات والأرض ، وكل ما كان ، أو يكون ، كما ينظر إلى

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

(٢) أصول الكافي : ٢٥٧/١ - ح ٣ - البحار : ١٧١/٢٦ .

كفه ، حيث يكون المكف جزءاً من دائرة رؤية العين ، وهكذا يكون كل ما هو موجود جزءاً من دائرة سعة علم الإمام ، وسعة رؤيته .

وبعد دراسة ، ومطالعة هذه الأخبار الكثيرة ، المذكورة في كتب الشيعة والسنة المعتمدة ، لا بد للقارئ الكريم إلا أن يدرك مقام الأئمة الأطهار ، فتدعوه هذه الدراسة والمطالعة إلى اعتبارها جزءاً من أصول الدين ، إذ إنَّ عدم الاعتقاد بها يجعل التوحيد بالله ناقصاً .

ولا يخفى على أحد ، أنَّ هذه العلوم ، والدرجات الرفيعة ، التي يجب الاعتقاد بها للأئمة (ع) ، هي من فيض رحمة الله تعالى ، إلى رسوله الأكرم (ص) ، والأئمة الطاهرين المعصومين من ولده (ع) ، وليس لأحد غيرهم حق ، أو اشتراك في هذه المقامات .

● إيضاح خبر سدير :

حتى لا يشتبه على الضعفاء ، فيقولوا : إنَّ الإمام (ع) إذا كان عالماً بجميع الأمور ، فلماذا إذن يخبر سديراً «إننا لا نعلم الغيب» «ولا يعلم الغيب إلا الله» ، وحتى أنه أعلن عن عدم علمه بمحل اختفاء الجارية ؟ .

ونقول في الجواب : إنَّ هناك اختلافاً ظاهراً في القسم الأول من الحديث ، عن القسم الثاني .

صحيح أن الإمام (ع) نفى عن نفسه علم الغيب ، في القسم الأول من الحديث ، ولكنه في آخر الحديث أثبت هذا

المطلب . ويظهر ذلك من كلام الإمام ، سلام الله عليه ، عندما أخبر سديراً بأن آصف بن برخيا ، وصي سليمان ، استطاع بالعلم القليل من الكتاب أن يحضر عرش بلقيس ، مع وجود المسافة الطويلة ، والبعد الشاسع ، في طرفة عين . فكيف يكون الإمام (ع) المحيط بجميع علوم الكتاب عاجزاً عن معرفة مكان الجارية ، في ذلك القصر المحدود القريب؟!!

فيتبين لنا أنه لا بد من وجود علة ما ، وحكمة ما ، جعلاه ينفي عن نفسه علم الغيب .

لذلك فقد علل أكثر علماء الشيعة السبب ، ومن ضمنهم المرحوم العلامة المجلسي (رض) سبب نفي الإمام علم الغيب عن نفسه (ع) ، حين قال :

«بيان : وهو مغضب : على المجهول ، أي غضباً ربانياً على جماعة يزعمون أنه الرب ، أو أنه يعلم جميع الغيوب ، وفي جميع الأحوال ، أو على الجارية ، (فما عرفتها) : لعله ، عليه السلام ، قال ذلك تورية ، لكلا ينسب إلى الربوبية ، وأراد علماً مستنداً إلى الأسباب الظاهرة ، أو علماً غير مستفاد ، مع أنه يحتمل أن يكون الله تعالى أخفى عليه ذلك ، في تلك الحال ، لنوع من المصلحة ، لا ينسب إلى علم الغيب ، أي ليس منه ، لأن الغيب : ما اختص الله بعلمه ، أو ما حصل بغير استفادة .

«وفي (الكافي : ٢٥٧/١) : «ولا ننسبك» . (قدر قطرة) : إنما لم يخبر ، عليه السلام ، عن الرجل ، لعدم الإهتمام به ، وعدم مدخليته فيما هو بصدد بيانه ، والجود : بالفتح ، المطر الغزير . و(البحر الأخضر) : هو المحيط ، سمي به لخضرته ،

وسواده ، بسبب كثرة الماء . (ما أكثره : رد لما يفهم من كلام سدير ، من تحقير العلم الذي أوتي آصف ، بأنه وإن كان قليلاً بالنسبة إلى علم الكتاب ، لكنه عظيم بالنسبة إلى من لم ينسبه الله ، أو عند من ينسبه الله إلى العلم الذي أخبرك الله به في القرآن ، من إحضار عرش بلقيس في أقل من طرفة عين ، وقد مدحه الله بذلك ، وعظم فعله ، ويمكن أن يقرأ : (أخبرك) على صيغة المتكلم ، أي أخبرك بعد ذلك ، في هذا الخبر ، أي علم جميع الكتاب .

«وحاصل الجواب : بيان أن ما ذكره ، عليه السلام ، ليس لنقص علمهم ، بل كان للتقية من المخالفين ، أو من ضعفاء العقول ، من الشيعة ، لئلا ينسبوهم إلى الربوبية .

«ويحتمل أن يكون الغرض ، بيان عدم المنافاة بين أن يخفي الله عنهم ، في بعض الأوقات ، لبعض المصالح ، الأمور الجزئية ، وبين أن يكونوا متهيين لعلم كل الكتاب ، إذا أراد الله تعالى ، لهم ذلك ، أو يقال : إنهم محتاجون لتحصيل بعض العلوم إلى مراجعة ، وليس لهم جميع العلوم بالفعل ، والأول أظهر» (انتهى)^(١) .

أقول : في صدر الإسلام ، وفي عهد بني أمية ، وبني العباس ، على وجه الخصوص ، كان الأئمة الأطهار (ع) ، وشيعتهم المخلصين ، تحت رقابة شديدة ، وكانوا مهددين من قبل الطغاة ، والجناة ، من الأمراء والقواد .

(١) بحار الأنوار : ١٧١/٢٦ .

لذلك كانت مسألة التقية رائجة رواجاً شديداً ، جعلت الأئمة (ع) يوصون شيعتهم بإخفاء أمر الإمامة وأسرارها ، وكانوا يوصون الخواص من أصحابهم بإظهار الأسرار إلى الأبار التي تقع خارج المدينة ، ويمنعونهم من نقل أسرار الإمامة إلى الناس ، حتى تكون نفوسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم في مأمن من ظلم الظالمين ، وجور الجائرين .

ويظهر هذا جلياً في المسائل الفقهية ، والشرعية البسيطة ، المدرجة في كتب الفقه والأحاديث ، بحيث أن روايات التقية أضنت علماء الشيعة في وصولهم إلى الحقيقة والاستنباط .

ونورد هنا رواية تثبت مسألة علم الإمام بالغيب ، ومسألة التقية :

إنَّ علي بن يقطين^(١) ، كتب إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : «اختلف في الوضوء ، فهل أمسح على الرجلين ، أم أغسل؟» ، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه ، فعلت .

فكتب أبو الحسن ، عليه السلام : «الذي أمرك به ، أن تمضمض ثلاثاً ، وتستنشق ثلاثاً ، وتغسل وجهك ثلاثاً ، وتخلل^(٢) شعر لحيتك ، وتغسل يديك ثلاثاً ، وتمسح رأسك كله ، وتمسح ظاهر أذنك وباطنهما ، وتغسل رجليك ثلاثاً ، ولا تخالف ذلك إلى غيره !» فامتثل أمره ، وعمل عليه .

(١) وزير من الشيعة في بلاط هارون الرشيد العباسي .

(٢) التخليل : تفريق شعر اللحية ، وأصابع اليدين ، والرجلين في الوضوء .

فقال الرشيد يوماً : «أحب أن أستبرئ»^(١) ، أمر علي بن يقطين ، فإنهم يقولون إنه رافضي ، والرافضة يخففون في الوضوء !

فطلبه ، فناطه^(٢) بشيء من الشغل في الدار ، حتى دخل وقت الصلاة ، فوقف الرشيد من وراء حائط الحجرة ، بحيث يرى علي بن يقطين ، ولا يراه هو ، وقد بعث إليه بالماء للوضوء ، فتوضأ كما أمره موسى ، عليه السلام ، فقام الرشيد وقال : «كذب من زعم أنك رافضي !» .

فورد على علي بن يقطين بعد ذلك ، كتاب موسى بن جعفر عليه السلام : «من الآن توضأ كما أمر الله : إغسل وجهك مرة فريضة ، وأخرى إسباغاً ، واغسل يديك من المرفقين كذلك ، وامسح مقدم رأسك ، وظاهر قدميك ، من فضل نداوة وضوئك ، فقد زال ما يخاف عليك»^(٣) .

إنَّ هذه الرواية ، ومثات من الأحاديث الأخرى ، تثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أو الريب ، أنَّ الأئمة الأطهار (ع)

(١) استبرأ : طلب الإبراء من الدين والذنب وفي نسخة (استبين) .

(٢) ناطه : علقه ، يقال : نيط عليه الشيء ، أي علق عليه .

(٣) راجع (الخرايج والجرايح : ٣٣٥/١ - ح ٢٦ - البحار : ١٣٧/٤٨

و ٢٧٠/٨٠ - مدينة المعاجز : ٤٥١ - الإرشاد : ص ٣٣٠ - إعلام

الورى : ص ٣٠٣ - مناقب ابن شهرآشوب ٤٠٧/٣ - كشف الغمة :

(٢٢٥/٢) .

وشيعتهم ، كانوا مأمورين بالتقية ، في عهد خلفاء الظلم والجور ،
ويخفون الأسرار عن الأغيار والضعفاء من الشيعة ، وهذه الرواية
التي أثبتناها أخيراً ، تشبه القسم الأول من رواية سدير .

تَفْسِيرُ

الْأَيَاتِ الْمُبَارَكَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ
وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ

المائدة ٣٥

● قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿يا أيها الذين آمنوا ! اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة ،
وجاهدوا في سبيله ، لعلكم تفلحون﴾^(١) .

اتفق أعظم وأكثر العلماء والمفسرون ، من الخاصة
والعامّة ، على أنّ المقصود من كلمة (الوسيلة) في الآية
المذكورة ، هم العترة المقدسة ، الأئمة الطاهرون ، والرسول
الأكرم (ص) ، أي إنهم أعظم وسيلة ، وأكمل واسطة بين الله
تبارك وتعالى ، وبين المخلوقات ، وفيما يلي نذكر عدة أحاديث
من الفريقين كنموذج من مجموعة كبيرة من الأحاديث والأخبار :

١ - الإمام الثعلبي : يقول في تفسيره الآية الكريمة : إنّ
المراد من كلمة (الوسيلة) في الآية هم : العترة ، وأهل بيت النبي
(ص) .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٥ .

٢ - الحافظ أبو نعيم الأصفهاني : يقول في باب (ما نزل في علي في القرآن) ، عندما يصل إلى هذه الآية الكريمة ، يصرح أن المقصود من (الوسيلة) هم أولاد الرسول الأكرم (ص) ، الأئمة المعصومون .

٣ - الحافظ أبو بكر الشيرازي : يذكر بصراحة في كتابه (فيما نزل من القرآن بشأن علي عليه السلام) أن المراد من (الوسيلة) في الآية الكريمة : محمد وآل محمد ، عليهم السلام .

٤ - ابن أبي الحديد المعتزلي : الذي هو من أجلة علماء السنة ، وشارحي كتاب (نهج البلاغة) : يورد خطبة الصديقة الطاهرة ، فاطمة (عليها السلام) بخصوص غصب (فدك) : «قالت (عليها السلام) في خطبتها : واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره ، يتنغي من في السماوات والأرض ، إليه الوسيلة ، ونحن وسيلته في خلقه»^(١) .

٥ - (ينابيع المودة) : «أخرج الحموي بسنده عن محمد الباقر ، عن أبيه ، عن جده ، عن أمير المؤمنين (رضي الله عنهم) قال : قال رسول الله (ص) : يا علي ! أكتب ما أملي عليك . قلت : يا رسول الله ! أتخاف عليّ النسيان ؟ قال : لا ، وقد دعوت الله ، عز وجل ، أن يجعلك حافظاً ، ولكن أكتب لشركائك الأئمة من ولدك : بهم تسقى أمتي الغيث ، وبهم يستجاب دعاؤهم ، وبهم يصرف الله عن الناس البلاء ، وبهم تنزل الرحمة من السماء ، وهذا أولهم - وأشار إلى الحسن ، ثم قال : وهذا ثانيهم - وأشار إلى الحسين - ثم قال : والأئمة من ولده ، رضي

(١) شرح النهج : ٢١١/١٦ .

الله عنهم»^(١) .

٦ - (عيون أخبار الرضا) : «قال رسول الله (ص) : الأئمة من ولد الحسين ، عليه السلام ، من أطاعهم فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله ، عز وجل ، هم العروة الوثقى ، وهم الوسيلة إلى الله عزَّ وجلَّ»^(٢) .

٧ - (تفسير الصافي) : يروي عن علي بن إبراهيم القمي في تفسيره الآية الشريفة ، أنَّ المقصود من (الوسيلة) في الآية الكريمة ، هو الإمام علي بن أبي طالب ، عليه السلام»^(٣) .

٨ - (ينابيع المودة - تفسير العسكري) : قال الرسول الأكرم (ص) : «إِنَّ الله تعالى ، لما خلق آدم ، وسواه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وعرضهم على الملائكة ، جعل محمداً ، وعلياً ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، عليهم السلام ، أشباحاً خمسة في ظهر آدم ، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق ، من السماوات ، والحجب ، والجنان ، والكرسي ، والعرش ، فأمر الله تعالى ، الملائكة بالسجود لآدم ، تعظيماً له ، أنه قد فضله ، بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمَّت أنوارها الآفاق .

فسجدوا لآدم ، إلا إبليس ، أبي أن يتواضع لجلال عظمة الله ، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت ، وقد تواضعت لها الملائكة كلها .

(١) ينابيع المودة : ٢٠/١ .

(٢) و (٣) عيون أخبار الرضا : ٥٨/٢ - تفسير الصافي عنه : ٣٣/٢ - وفي تفسير القمي : ١٦٨/١ ، في تفسير الآية قال : «تقربوا إليه بالإمام» .

وقال علي بن الحسين ، عليه السلام : حدثني أبي ، عن
 أبيه ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قال :
 يا عباد الله ! إنَّ آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه ، إذ
 كان الله قد نقل أشباحنا ، من ذروة العرش إلى ظهره ، رأى
 النور ، ولم يتبين الأشباح ، فقال : يا رب ! ما هذه الأنوار ؟
 قال الله ، عزَّ وجل : أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع
 عرشي إلى ظهرك ، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك ، إذ كنت
 وعاء لتلك الأشباح .

فقال آدم : يا رب ! لو بيئتها لي ؟

فقال الله ، عز وجل : أنظر يا آدم إلى ذروة العرش ، فنظر
 آدم ووقع (وواقع - خ ل) ، نور (أنوار - خ ل) أشباحنا ، من ظهر
 آدم ، عليه السلام ، على ذروة العرش ، فانطبع فيه صور أنوار
 أشباحنا التي في ظهره ، كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة
 الصافية ، فرأى أشباحنا ، فقال : يا رب ! ما هذه الأشباح ؟

قال الله تعالى : يا آدم ! هذه أشباح أفضل خلائقي
 وبرياتي . هذا محمد ، وأنا المحمود الحميد في أفعالي ، شققت
 له إسماً من إسمي ، وهذا علي ، وأنا العلي العظيم ، شققت له
 إسماً من إسمي ، وهذه فاطمة ، وأنا فاطر السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ،
 فاطم أعدائي عن رحمتي ، يوم فصل قضائي ، وفاطم أوليائي عما
 يعرَّهم ويسئتهم^(١) ، فشققت لها إسماً من إسمي .

(١) نقل النص عن تفسير العسكري (ع) ، لكننا قابلناه مع المصادر المثبتة :
 في (ينابيع المودة) : «مما يببرهم ويشينهم» وفي (البحار) : «مما يعترتهم» =

وهذان الحسن والحسين ، وأنا المحسن ، والمجمل ،
شقت إسميهما من إسمي .

هؤلاء خيار خليقتي ، وكرام بريتي^(١) ، بهم آخذ ، وبهم
أعطي ، وبهم أعاقب ، وبهم أئيب ، فتوسّل إليّ بهم يا آدم ،
وإذا دهتك داهية ، فاجعلهم إليّ شفعاءك ، فإني آليت على
نفسي ، قسماً حقاً ، أن لا أخيب لهم آملاً ، ولا أرد (لهم - خ ل)
بهم سائلاً .

فلذلك حين زلت منه الخطيئة ، دعا الله ، عز وجل ، بهم ،
فتاب عليه ، وغفر له^(٢) (انتهى) .

٩ - (تفسير أبو الفتوح الرازي) : يروي عن الرسول الأكرم
(ص) أنه قال : إنّ بين رحمة الله وأبوابه ، وبين العباد ، حجاباً ،
وان ذلك الحجاب هو عبارة عن شخص الإمام علي بن أبي طالب
(ع) ، وإن العبد ، إذا التجأ إلى علي (ع) ، وتوسل به ، وجعله
وسيلة بينه ، وبين ربه ، رفع ذلك الحجاب (ع)^(٣) .

١٠ - (تأويل الآيات الظاهرة) : «روى الرواة حديثاً ، في

= ويشينهم» وفي (تأويل الآيات) : «يفريهم ويشينهم» . وعرّه عراً :
ساءه . وشانه يشينه شيئاً : ضد زانه .

(١) في (ينابيع المودة) : «خيار خلقي ، وكرائم بريتي» .

(٢) تفسير العسكري : ص ٢١٩ - تأويل الآيات : ٤٤/١ - ح ١٩ - البحار :

١٥٠/١١ - ضمن ح ٢٥ و ٣٣٧/٢٦ - ينابيع المودة : ٩٥/١

- البرهان : ٨٨/١ - ح ١٣ ، فرائد السمطين : ٣٦/١ .

(٣) تفسير أبو الفتوح الرازي .

معنى (الوسيلة) كل بأسناد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال :
قال رسول الله (ص) : إذا سألت الله ، فاسألوه لي
الوسيلة . قال : فسألت النبي (ص) عن الوسيلة ، قال : هي
درجتي في الجنة ، وهي ألف مرقة ، ما بين المرقة إلى المرقة ،
حُضر^(١) الفرس الجواد^(٢) شهراً ، وهي ما بين مرقة جوهر ، إلى
مرقة زبرجد ، إلى مرقة ياقوت ، إلى مرقة ذهب ، إلى مرقة
فضة ، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجات النبيين ،
وهي بين درج النبيين ، كالقمر بين الكواكب ، فلا يبقى يومئذ
نبي ، ولا صديق ، ولا شهيد ، إلا قال : طوبى لمن كانت هذه
الدرجة درجته !

فيأتي النداء من عند الله ، عز وجل ، فيسمع النبيون ،
وجميع الخلق : هذه درجة محمد رسول الله (ص) .

فأقبل ، وأنا يومئذ منور (مؤنزر-خ ل) بريطة^(٣) من نور ،
عليّ تاج الملك ، وإكليل الكرامة ، وأخي علي بن أبي طالب
أمامي ، ويده لوائي ، وهو لواء الحمد ، مكتوب عليه : «لا إله
إلا الله ، المفلحون هم الفائزون» .

فإذا مررنا بالنبيين ، قالوا : هذان ملكان مقربان ، لم
نعرفهما ، ولم نرهما .

(١) حُضر الفرس : عدوه .

(٢) الجواد كغراب : العطش وشدته (قاموس) .

(٣) الريطة : كل ملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وليست لفقين ، أي قطعتين
(مجمع البحرين : ٢٥٠/٤) .

وإذا مررنا بالملائكة ، قالوا : هذان نبيان مرسلان ، حتى
أعلو الدرجة ، وعلي يتبعني ، حتى إذا صرت في أعلى درجة ،
وعلي أسفل مني بدرجة ، فلا يبقى يومئذ نبي ، ولا صديق ، ولا
شهيد ، إلا قال : طوبى لهذين الغلامين (العبدین - خ ل) ، ما
أكرمهما على الله !

فيأتي النداء ، من قبل الله ، يسمع النبيون ، والصديقون ،
والشهداء : هذا حبيبي محمد ، وهذا ولي علي ، طوبى لمن
أحبه ، وويل لمن أبغضه ، وكذب عليه !

ثم قال رسول الله (ص) : فلا يبقى يومئذ أحد أحبك يا
علي ، إلا استراح إلى هذا الكلام ، وابيض وجهه ، وفرح قلبه ،
ولا يبقى يومئذ أحد عاداك ، ونصب لك حرباً ، أو جحد لك
حقاً ، إلا اسود وجهه ، واضطرب قلبه !

فبينما أنا كذلك ، إذ ملكان قد أقبلا إلي :

أما أحدهما : فرضوان خازن الجنة .

وأما الآخر : فمالك خازن النار .

فيدنو رضوان ، فيقول : السلام عليك يا أحمد (رسول الله
- خ ل) . فأقول : وعليك السلام أيها الملك ، من أنت ؟ فما
أحسن وجهك ، وأطيب ريحك ! فيقول : أنا رضوان ، خازن
الجنة ، وهذه مفاتيح الجنة ، بعث بها إليك رب العزة ، فخذها يا
أحمد .

فأقول : قد قبلت ذلك من ربي ، فله الحمد على ما فضلني
به ، فأخذها ، وأدفعها إلى علي ، ثم يرجع رضوان .

فيدنو مالك ، فيقول : السلام عليك يا أحمد (يا حبيب الله
-خ ل) .

فأقول : وعليك السلام أيها الملك ، من أنت ، فما أقبح
وجهك ، وأنكر رؤيتك ! فيقول : أنا مالك خازن النار ، وهذه
مقاليد النار ، بعث بها إليك رب العزة ، فخذها يا أحمد .

فأقول : قد قبلت ذلك من ربي ، فله الحمد على ما فضلني
به ، فأخذها وأدفعها إلى علي^(١) .

ثم يرجع مالك ، فيقبل عليّ يومئذ ، ومعه مفاتيح الجنة ،
ومقاليد النار ، حتى يقف على حجرة جهنم ، وقد تطاير شررها ،
وعلا زفيرها ، واشتد حرها ، وعليّ آخذ بزمامها ، فتقول جهنم :
جزني يا عليّ ، فقد أطفأ نورك لهبي ! فيقول عليّ : قرّي يا
جهنم ، خذي هذا عدوي ، وذري هذا وليي .

فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعليّ من غلام أحدكم لصاحبه ،
فإن شاء يذهبها يمّنة ، وإن شاء يذهبها يسرة ، فهي أشد مطاوعة
لعليّ ، فيما يأمرها به ، من جميع الخلائق» (انتهى)^(٢) .

أقول : عندما يقول الرسول الأكرم (ص) ، في صدر هذا
الحديث : «الوسيلة درجتي في الجنة ، وهي ألف مرقة . . .» فإن
المقصود هو مراتب ودرجات الولاية المحمدية والعلوية ، وأن

(١) في البحار : «ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب ، فیدفعها إليه» .

(٢) أخرجه في البحار : ٣٢٦/٧ - ح ٢ - معاني الأخبار : ١١٦ - ح ١ - أمالي

الصدوق : ١٠٢ - علل الشرائع : ٦٤/١ - بصائر الدرجات : ٤١٦

- تفسير القمي : ٦٤٤ - تأويل الآيات الظاهرة : ١٤٦/١ - ح ٦ - ينابيع

المودة : ٨٢/١ - .

محمداً ، والأئمة المعصومين ، صلوات الله وسلامه عليهم ،
يحلون في الدرجات العليا منها ، وإن شيعتهم ومحبيهم ، العارفين
مقامهم الرفيع ، والعاملين بأمرهم ، والمقرين والمعترفين بفضائلهم
ومناقبهم ، لهم ذلك ، وتتباين الدرجات علواً وانخفاضاً بتباين
المحبة لآل البيت (ع) ، وإن كل من يسعى في هذه الدنيا ، التي
هي دار امتحان وتكليف ، إلى تهذيب نفسه بالأعمال الصالحة
التي تزيد من معرفته ومحبة لآل البيت (ع) ، وتقربه حسب ولايته
إلى الأئمة المعصومين ، عليهم السلام ، فإن درجته ستعلو في
الآخرة ، ويقرب إلى رحمة ربه أكثر .

وكل من يكون محروماً من نعمة الولاية والمحبة لأهل البيت
(ع) ، فسيحرم من درجات القرب إلى ثواب الله في الآخرة .

بل أقول أكثر من ذلك : إن الذين يعادون الأئمة ،
وينافقون ، وينكرون مقاماتهم ودرجاتهم العلوية ، عند الله ،
وولايتهم الكلية المطلقة ، فإنهم سيصلون نار جهنم ، لأنهم
سيكونون من المغضوب عليهم عند الله تعالى .

والحديث يثبت أن الجنة لموالي محمد (ص) وآل محمد
(ع) ، وأن النار لأعداء ومنكري حق محمد (ص) ، وآل محمد
(ع) .

١١ - (دعاء عرفة) : يقول الإمام زين العابدين (ع) في دعائه
(يوم عرفة) : «... ربّ صلّ على أطائب أهل بيته ، الذين
اخترتهم لأمرك ، وجعلتهم خزنة علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك
في أرضك ، وحججك على عبادك ، وطهرتهم من الرّجس ،
والدُّنس ، تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلة إليك ، والمسلك

إلى جنتك . . . »^(١) .

١٢ - (الزيارة الجامعة الكبيرة) : يقول الإمام علي الهادي (ع) : « . . . أنتم (الصراط - خ ل) السبيل الأعظم ، والصراط الأقوم ، وشهداء دار الفناء ، وشفعاء دار البقاء ، والرحمة الموصولة ، والآية المخزونة ، والأمانة المحفوظة ، والباب المبتلى به الناس ، من أتاكم نجا ، ومن لم يأتكم هلك . . . »^(٢) .

١٣ - (الإحتجاج للطبرسي) : يقول الرسول الأكرم (ص) في خطبة الغدير : « معاشر الناس ! فضلوا علياً ، فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى ، بنا أنزل الله الرزق ، وبقي الخلق ، ملعون ملعون ، مغضوب مغضوب ، من ردَّ عليَّ قولي هذا ولم يوافقه . . . »^(٣) .

١٤ - (أصول الكافي) : « عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال :

(١) مصباح الكفعمي : ٧٨١/٢ - وقد ورد في الدعاء ، عن الإمام الصادق (ع) : « اللهم أعط محمداً وآله الوسيلة ، والفضيلة ، والشرف ، والرفعة ، ، والدرجة الكبيرة . . . » (مفاتيح الجنان : ص ٣٢٦) .

(٢) مفاتيح الجنان : ص ٦٢٠ - وردت الزيارة في البحار : « . . . أنتم يا ساداتي السبيل الأعظم ، والصراط الأقوم ، والنبأ العظيم ، والحبل المتين ، والسبب الممدود من السماء إلى الأرض ، أنتم شهداء دار الفناء ، وشفعاء دار البقاء ، أنتم الرحمة الموصولة ، والآية المخزونة ، والباب الممتحن به الناس ، من أتاكم نجا ، ومن تخلف عنكم هوى . . . » (البحار : ٣٤٤/٩٧) .

(٣) راجع الإحتجاج : ٦٠/١ - كما أورد سماحة المؤلف - حفظه المولى - خطبة الغدير بتمامها في أول الكتاب الذي بين يديك .

أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب ، فجعل لكل شيء سبباً ،
وجعل لكل سبب شرحاً ، وجعل لكل شرح علماً ، وجعل لكل
علم باباً ناطقاً ، عرفه من عرفه ، وجهله من جهله ، ذاك رسول
الله (ص) ، ونحن^(١) .

إن الروايات التي ذكرناها في تفسير الآية المباركة ، نقلناها
عن الأئمة المعصومين (ع) ، ومن علماء أهل السنة ، تثبت أن
محمدًا (ص) ، وآل محمد (ع) ، هم الوسيلة بين الله وبين
المخلوقات ، ولو أن (الوسيلة) تطلق لفظياً على كل نوع من
الأسباب التي تقرب العبد إلى ربه ، كالعلم ، والمعرفة ،
والعبادة ، والإحسان ، والدعاء ، والصدقة ، وغيرها .

لكننا بالنظر المعتبر إلى الآيات والأخبار ، تبين أن الله
تبارك وتعالى ، جعل الرسول الأكرم (ص) ، وأهل بيته الأطهار
(ع) ، السبب الأعظم ، والوسيلة الكاملة التي تقرب العبد إلى
ربه ، ولم يجعل سبحانه ، سبباً أعظم ، وأشرف منهم ، بينه وبين
خلقه . قال الشاعر :

وإذا الرجال توَّسَّلوا بوسيلة فوسيلتي حبي لآل محمد
الله طهرهم بفضل نبيِّه وأبان شيعتهم بطيب المولد^(٢)

وهناك روايات وأحاديث كثيرة أخرى ، تثبت أن محمدًا (ص) ،

(١) أصول الكافي : ١/ ١٨٣ - ح ١٧ .

(٢) وبالمناسبة قال الشاعر :

لولم تكن في حب آل محمد جاءتك أمك غير طيب المولد
(ينابيع المودة : ٤/٣)

وآل محمد (ع) ، أعظم وسيلة ، وأكبر واسطة ، بين الخالق والمخلوق ، منها :

(فضائل ابن شاذان) ، و(البحار) : يروي ابن مسعود (رض) فيقول : دخلت يوماً على رسول الله (ص) ، فقلت : يا رسول الله ! أرني الحق لأتصل به . فقال : يا عبدالله ! لج المخدع . قال : فولجت المخدع ، وعلي بن أبي طالب يصلي ، وهو يقول في ركوعه ، وسجوده : «اللهم بحق محمد عبدك ورسولك ، إغفر للخاطئين من شيعتي !» .

فخرجت حتى أخبر به رسول الله (ص) ، فرأيته وهو يصلي ، ويقول : «اللهم بحق علي بن أبي طالب (ع) ، عبدك ، إغفر للخاطئين من أمتي !» .

قال : فأخذني هلع حتى غشي عليّ ، فرفع النبي (ص) ، رأسه ، وقال : يا بن مسعود ! أكفراً بعد إيمان؟! فقلت : حاشا وكلا يا رسول الله ، ولكني رأيت عليك يسأل الله تعالى بك ، ورأيتك تسأل الله تعالى به ، فلم أعلم أيكما أفضل عند الله ! فقال لي : يا بن مسعود ! إن الله تعالى خلقني ، وخلق علياً ، والحسن ، والحسين ، من نور قدسه ، قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ، إذ لا تقديس ، ولا تسبيح ، فلما أراد أن ينشئ خلقه ، فتق نوري ، فخلق منه السماوات والأرض ، وأنا والله أجل من السماوات والأرض .

وفتق نور علي بن أبي طالب (ع) ، فخلق منه العرش والكرسي ، وعلي بن أبي طالب (ع) ، أفضل من العرش والكرسي ، وفتق نور الحسن (ع) ، وخلق منه اللوح والقلم ،

والحسن (ع) أفضل من اللوح والقلم ، وفتح نور الحسين (ع) ،
فخلق منه الجنان والحدور العين ، والحسين (ع) ، والله ، أفضل
من الجنان والحدور العين ، فعند ذلك أظلمت المشارق
والمغارب .

فضجت الملائكة ونادت : إلهنا وسيدنا ، بحق الأشباح التي
خلقتها ، إلا ما فرجت عنا هذه الظلمة !

فعند ذلك ، تكلم الله بكلمة أخرى ، فخلق منها روحاً ،
فاحتمل النور الروح ، فخلق منه الزهراء فاطمة ، فأقامها أمام
العرش ، فأزهرت المشارق والمغارب ، فلأجل ذلك سُميت
الزهراء .

يا ابن مسعود ! إذا كان يوم القيامة ، يقول الله ، عز وجل ،
لي ، ولعلي بن أبي طالب : أدخلوا الجنة من شئتما ، وألقيا في
النار من أبغضتما ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ألقيا في جهنم كل كفار
عنيذ ﴾ (١) .

فقلت : يا رسول الله ! من الكفار العنيذ ؟ قال : الكفار :
من كفر بنبوتي ، والعنيذ : من عاند علي بن أبي طالب ، فالنار
أمدته ، والجنة لشيعته ومحبيه » (١هـ) (٢) .

وهذا الحديث يصرح على لسان رسول الله (ص) ، أن
السماء ، والأرض ، والعرش ، والكرسي ، واللوح ، والقلم ،

(١) سورة ق ، الآية : ٢٤ .

(٢) الفضائل لابن شاذان : ص ١٢٨ . ط . مكتبة العرفان ، بيروت ، دون
تاريخ - البحار : ٧٣/٣٦ .

والجنة ، وحوار العين ، كلها خلقت من أنوار هؤلاء المعصومين (ع) . وفي الحقيقة ، إنَّ السبب الأعظم من خلق جميع الكائنات هو وجود هؤلاء المعصومين الطاهرين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

إنَّ قسم الرسول الأكرم (ص) ، عند الدعاء ، بحق علي (ع) ، ما هو إلا دليل على اعتبار الرسول (ص) علياً ، أعظم وسيلة بين الله ، وبين خلقه ، فجعله سبباً في الدعاء يوصل للإجابة .

وبذلك علم النبي (ص) ابن مسعود ، والمسلمين جميعاً ، الطريقة الصحيحة للدعاء والتوسل إلى الله ، تبارك وتعالى ، بأن يتوسلوا «بحق علي (ع) وأولاده (ع)» .

١٦ - (أصول الكافي) : يروي عن الإمام الصادق (ع) حيث قال : «نحن والله الأسماء الحسنى . التي لا يقبل الله من العباد عملاً ، إلا بمعرفتنا»^(١) .

وفي هذه الرواية يثبت أن قبول الأعمال والعبادات من العباد ، عند الله تعالى لا يتحقق إلا بمعرفة العباد ولاية محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، والإقرار والإعتراف بها .

١٧ - (أصول الكافي) : يروي عن الإمام الصادق (ع) ، حيث قال : «إنَّ الله خلقنا ، فأحسن صورنا ، وجعلنا عينه في عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة على عباده بالرفقة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتى منه ، وبابه الذي يدل عليه ،

(١) أصول الكافي : ١/١٤٤ .

وخزائنه في سمائه وأرضه ، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار ،
وجرت الأنهار ، وبنا ينزل غيث السماء ، وينبت عشب الأرض ،
وبعبادتنا عبد الله ، ولولا نحن ما عبد الله !» (١) .

وهنا نلاحظ أنّ الإمام الصادق (ع) قد عرّف وجعل أهل بيت
العصمة أنهم الوسيلة التكوينية والتشريعية بين الحق (الله)
والخلق ، وأنّ إنكار هذه العقيدة في الحقيقة هو إنكار لكلام
الإمام ، وردّ عليه (ع) ، وأنّ الذي يفعل ذلك ، نهايته معلومة .

ونستطيع بروايات ودلائل كثيرة ، أن نثبت أنّ محمداً ، وآل
محمد ، عليهم صلوات الله وسلامه ، هم أعظم وسيلة بين الخالق
والمخلوق ، ولكن ما أوردناه يكفي في إقناع المنصف المؤمن ،
أما الجاهل العنود الذي خلا قلبه من نور الهداية والإيمان فلن
تقنعه آلاف الأدلة والبراهين بسبب جهله وعناده ، ﴿ولا يزيد
الظالمين إلا خساراً﴾ (٢) .

(١) أصول الكافي : ١/١٤٣ - ح ٤ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٨٢ .

تَفْسِيرُ

الْأَيِّاتِ الْمُبَارَكَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

البقرة ٢٧

● قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه ، إنه هو التَّوَّابُ
الرحيم﴾^(١) .

يروى جمهور المفسرين من الشيعة والسنة ، أنَّ الكلمات
التي تلقاها آدم (ع) من ربه ، وتوسل إلى الله تعالى بها ، أن يغفر
ذنبه ، ويقبل توبته ، أنه سأل الله تعالى ذلك ، بحق محمد ،
وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين ، فقبل توبته ، وغفر ذنبه .

وتأييداً لهذا التفسير نذكر في ما يلي روايات من الخاصة
والعامة :

١ - (ينابيع المودة) : يروي ابن المغازلي الشافعي ، «بسنده

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٧ .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سئل النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ، فتاب عليه ، قال : سأله بحق علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، فتاب عليه ، وغفر له»^(١) .

٢- (ينابيع المودة) : يروي الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ، عن تفسير الإمام أبي محمد ، الحسن العسكري ، عليه السلام ، قال : «قال علي بن الحسين : حدثني أبي ، عن أبيه علي ، عليه السلام ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قال :

يا عباد الله ! إنَّ آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه ، إذ كان الله قد نقل أشباحنا ، من ذروة العرش إلى ظهره ، رأى النور ، ولم يتبين الأشباح ، فقال : يا رب ! ما هذه الأنوار ؟

قال الله ، عز وجل : أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك ، إذ كنت وعاء لتلك الأشباح .

فقال آدم : يا رب لو بيتها لي ؟

فقال الله ، عز وجل : أنظر يا آدم إلى ذروة العرش ، فنظر آدم ووقع (وواقع - خ ل) ، نور (أنوار - خ ل) أشباحنا ، من ظهر آدم ، عليه السلام ، على ذروة العرش ، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره ، كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة

(١) ينابيع المودة : ٩٥/١ - مناقب ابن المغازلي : ص ٦٣ - ح ٨٩ - الدر المنثور للسيوطي : ٦٠/١ - أمالي الصدوق : ص ٧٠ .

الصفافية ، فرأى أشباحنا ، فقال : يا رب ! ما هذه الأشباح ؟
قال الله تعالى : يا آدم ! هذه أشباح أفضل خلأئقي وبرياتي ، هذا
محمد ، وأنا المحمود الحميد في أفعالي ، شققت له إسماً من إسمي ،
وهذا عليّ ، وأنا العلي العظيم شققت له إسماً من إسمي ، وهذه فاطمة ،
وأنا فاطر السماوات والأرض ، فاطم أعدائي عن رحمتي ، يوم فصل
قضائي ، وفاطم أوليائي عما يعرهم وسيئهم ، فشققت لها إسماً من
إسمي .

وهذان الحسن والحسين ، وأنا المحسن والمجمل ، شققت
إسميهما من إسمي .

هؤلاء خيار خليقتي ، وكرام بريتي ، بهم آخذ ، وبهم
أعطي ، وبهم أعاقب ، وبهم أثيب ، فتوسل إليّ بهم يا آدم ،
وإذا دهتك داهية ، فاجعلهم إليّ شفعاءك ، فإني آليت على
نفسي ، قسماً حقاً ، أن لا أخيب لهم آملاً ، ولا أرد (لهم - خ ل)
بهم سائلاً .

فلذلك حين زلت منه الخطيئة ، دعا الله ، عز وجل ، بهم
فتاب عليه ، وغفر له « (اهـ) (١) » .

أقول : إن هذا التوسل لم يصدر من آدم (ع) فقط ، بل إن
الأنبياء ، والملائكة ، وسائر المخلوقات ، كانوا يتوسلون بالأئمة
المعصومين (ع) ، طالبين من الله ، تبارك وتعالى ، العفو ،
والنجاه ، والبركة .

(١) تفسير العسكري : ص ٢١٩ - ينابيع المودة : ٩٥/١ - تأويل الآيات
الظاهرة : ٤٤/١ - ح ١٩ - البحار : ١٥٠/١١ - ضمن ح ٢٥
و ٣٣٧/٢٦ - البرهان : ٨٨/١ - ح ١٣ - فرائد السمطين : ٣٦/١ .

ولأجل إثبات ما ذكرناه نشير في ما يلي إلى بعض الأنبياء
(ع) :

١ - إنَّ نوحاً ، عليه السلام ، عندما واجه خطر الطوفان ،
وأيقن أن سفينته ستغرق ، استشفع بمحمد (ص) وآل محمد
(ع) ، وتوسل إلى الله بهم ، طالباً من الله تعالى النجاة من
الغرق ، فأجابه الله ، جل وعلا .

وباستطاعتنا إيراد روايات وأحاديث كثيرة معتبرة ، ولكن في
هذا العصر ، عصر الاكتشافات ، ومعرفة بعض أسرار الكائنات ،
وجدت من المناسب أن أنقل بياناً رسمياً ، لمديرية الآثار
القديمة ، الروسية ، والذي أثار دهشة المجامع العلمية والمذهبية
في العالم ، وأثار جدلاً عجبياً في أوساط تلك المجامع ، لأنه
يؤيد ويؤكد موضوع بحثنا بشأن فضل محمد (ص) ، وآل محمد
(ع) ، على العالمين^(١) .

نشرت المجلة الرسمية ، الواسعة الانتشار (إتفاد نيزوب)
الروسية ، التي تصدر بصورة شهرية بياناً عجيباً كان في نظر علماء
الآثار ثميناً ، وعلى جانب كبير من الأهمية ، من الناحية
التاريخية ، والدينية ، والمذهبية ، إذ يعتبر من الناحية الدينية
خاصة ، دليلاً بارزاً على عظمة القرآن ، وصدق عقائدنا الدينية ،

(١) لقد نشرت هذا البيان في سنة (١٣٤٥ ش) الموافق (١٩٦٦ م) بعد أن
ترجمته عن العربية ، وكان منشوراً في نشرة عربية للجمعية الخيرية
الإسلامية التي كانت تصدر في (كربلاء) . ولكنني وجدت أنه من
الأحسن أن أنقل هذا البيان في هذا الكتاب ، عن مجلة (مكتب
الإسلام) المرقمة برقم (١٤٢) بتاريخ نوفمبر ١٩٧١ م) .

بحيث ، وعلى أثر ذلك ، أخذ كثير من الكتاب والأدباء البريطانيين ، والمغربيين ، والباكستانيين ، يترجمون ذلك البيان من اللغة الروسية ، إلى لغاتهم ، ونشره في الصحف ، والمجلات المحلية عندهم .

تقول المجلة^(١) :

عندما كان علماء الآثار الروس ، ينقبون في منطقة معروفة بـ (وادي قاف) ، اكتشفوا على أثر التنقيب ، في أعماق الأرض ، عدة قطع خشبية ، سميكة ، متهلةة .

وبعد دراستها ، وجدوا أنّ هذه القطع الخشبية هي قطع قد انفصلت من سفينة نوح ، عليه السلام ، قبل خمسة آلاف سنة ، وانطمرت تحت طبقات الأرض ، وبقيت إلى يومنا هذا ، حتى اكتشفها علماء الآثار الروس .

ويؤيد هذا القول عثورهم على قطعة خشب نقشت عليها عدة أسطر باللغة السّامية ، أو السامانية ، التي تشكل في الحقيقة أصل وجذور اللغات ، وتعود نسبتها إلى سام بن نوح .

وبعد ترجمة هذه الأسطر وتحليلها تبين أنّ معناها : «يا ربي ، ويا معيني ، أعني برحمتك وكرمك ولأجل هذه الأسماء المقدسة : محمد (ص) ، إيليا (علي) ، شَبْر (حسن) ، شبير (حسين) ، فاطمة ، هؤلاء الذين هم شرفاء ، وعظماء ، العالم قائم ببركتهم ، أعني باحترام أسمائهم . إنك يا ربي أنت الوحيد

(١) في العدد الصادر في تشرين الثاني (١٩٥٣ م)

الذي تستطيع أن ترشدني ، وتهديني إلى الطريق المستقيم»
(أه) .

٢ - (أما لي الصدوق) : «عن معمر بن راشد ، قال : سمعت
أبا عبدالله الصادق (ع) يقول : أتى يهودي النبي (ص) ، فقام بين
يديه يحدّ النظر إليه ، فقال : يا يهودي ! ما حاجتك ؟ قال : أنت
أفضل ، أم موسى بن عمران النبيّ ، الذي كلمه الله ، وأنزل عليه
التوراة ، والعصا ، وفتق له البحر ، وأظله بالغمام ؟
فقال له النبي (ص) : إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه ،
ولكني أقول :

إنّ آدم (ع) ، لما أصاب الخطيئة ، كانت توبته أن قال :
«اللهم إني أسألك بحق محمد ، وآل محمد ، لما غفرت لي» ،
فغفرها الله له .

وإنّ نوحاً ، لما ركب في السفينة ، وخاف الغرق ، قال :
«اللهم إني أسألك بحق محمد ، وآل محمد ، لما أنجيتني من
الغرق» ، فنجاه الله منه .

وإنّ إبراهيم (ع) ، لما أُلقي في النار ، قال : «اللهم إني
أسألك بحق محمد ، وآل محمد ، لما أنجيتني منها» فجعلها الله
عليه برداً وسلاماً .

وإنّ موسى (ع) ، لما ألقى عصاه ، وأوجس في نفسه
خيفة ، قال : «اللهم إني أسألك بحق محمد ، وآل محمد ، لما
أمنتني» ، فقال الله ، جل جلاله : ﴿ لا تخف إنك أنت
الأعلى ﴾ (١) .

(١) سورة طه ، الآية : ٦٨ .

يا يهودي ! إن موسى لو أدركني ، ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ،
ما نفعه إيمانه شيئاً ، ولا نفعته النبوة !

يا يهودي ! ومن ذريتي المهدي ، إذا خرج ، نزل عيسى بن
مريم لنصرته ، فقدّمه ، وصلى خلفه»^(١) .

٣ - (قصص الراوندي) : «عن علي بن الحسن بن فضال ،
عن أبيه ، عن الرضا ، صلوات الله عليه ، قال : لما أشرف
نوح ، صلوات الله عليه ، على الغرق ، دعا الله بحقنا ، فدفع الله
عنه الغرق .

ولما رُمي إبراهيم في النار ، دعا الله بحقنا ، فجعل النار
عليه برداً وسلاماً .

وإن موسى ، عليه السلام ، لما ضرب طريقاً في البحر ،
دعا الله بحقنا ، فجعله يساً .

وإن عيسى ، عليه السلام ، لما أراد اليهود قتله ، دعا الله
بحقنا ، فنجنا من القتل ، وفرغه إليه»^(٢) (اهـ) .

٤ - (بحار الأنوار) : يروي عن كتاب (المحتضر) : «روي
أنه وجد بخط مولانا أبي محمد العسكري (ع) : أعوذ بالله من
قوم ، حذفوا محكمات الكتاب ، ونسوا الله رب الأرباب ،
والنبي ، وساقى الكوثر في مواقف يوم الحساب ، ولظى ، والطامة
الكبرى ، ونعيم دار الثواب ، فنحن السنام الأعظم ، وفينا النبوة ،

(١) أمالي الصدوق : ص ١٨١ - ح ٤ .

(٢) قصص الأنبياء للراوندي : ص ١٠٦ - بحار الأنوار : ٦٩/١١ ،

٤٠/١٢ ، ٣٢٥/٢٦ .

والولاية ، والكرم ، ونحن منار الهدى ، والعروة الوثقى ، والأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا ، ويقتفون آثارنا ، وسيظهر حجة الله على الخلق ، بالسيف المسلول لإظهار الحق» .

«وروي أيضاً أنه وجد أيضاً بخطه (ع) ، ما صورته : «قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية ، ونورنا سبع طبقات أعلام الفتوى بالهداية ، فنحن ليوث الوغى ، وغيوث الندى ، وطعان العدى ، وفينا السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والحوض في الآجل ، وأسباطنا حلفاء الدين ، وخلفاء النبيين ، ومصايح الأمم ، ومفاتيح الكرم .

«فالكليم ألبس حلة الإصطفاء ، لما عهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة^(١) (الصاغورة - خ ل) ، ذاق من حدائقنا الباكورة ، وشيعتنا الفئة الناجية ، والفرقة الزاكية ، صاروا لنا رداءً ، وصوناً ، وعلى الظلمة إلماً وعوناً ، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان ، بعد لظى النيران ، لتمام آل حم ، وطه ، والطواسين ، من السنين»^(٢) .

٥ - (إرشاد القلوب) : يروي عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) حيث قال لسماعة : «يا سماعة ! إذا كان لك حاجة إلى الله فقل : «اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي ، فإن لهما عندك شأناً من الشأن ، وقدراً من القدر ، فبحق ذلك الشأن ،

(١) الصاقورة : اسم (السماء الثالثة) ، قال أمية بن أبي الصلت :
لمصنفدين عليهم صاقورة صماء ثلاثة تماع وتجمد
راجع (تاج العروس) مادة (صقر) .
(٢) البحار : ٢٦٣/٢٦ ح ٤٩ و ٥٠ .

وبحق ذلك القدر ، أن تصلي علي محمد ، وأن تفعل بي كذا ، وكذا ، فإنه إذا كان يوم القيامة ، لم يبق ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، إلا وهو محتاج إليهما في ذلك»^(١) .

٦ - (تأويل الآيات الظاهرة) : يقول شرف الدين علي الحسيني الأسترابادي ، في تأويل الآية المباركة : ﴿واذكر عبدنا أيوب ، إذ نادى ربه : اني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾^(٢) : روى شيخ الطائفة ، أبو جعفر ، محمد بن الحسن الطوسي (قدس سره) ، بأسناده عن أبي محمد ، الفضل بن شاذان ، يرفعه إلى جابر بن يزيد الجعفي ، عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، قال :

دخل سلمان ، رضي الله عنه ، على أمير المؤمنين (ع) ، فسأله عن نفسه . فقال : يا سلمان ! أنا الذي إذا دُعيت الأمم كلها إلى طاعتي ، فكفرت ، فعُذبت في النار ، وأنا خازنها عليهم ، حقاً أقول :

يا سلمان ! إنه لا يعرفني أحد حق معرفتي ، إلا كان معي ، في الملاء الأعلى . قال : ثم دخل الحسن والحسين (ع) ، فقال : يا سلمان ! هذان شنفا^(٣) عرش رب العالمين ، بهما تشرق الجنان ، وأمهما خيرة النسوان ، أخذ الله على الناس الميثاق بي ،

(١) إرشاد القلوب للديلملي : ٢١٦/٢ . ط . قديمة دون تاريخ .

(٢) سورة ص ، الآية : ٤١ .

(٣) الشنف : ما علق في الأذن ، وأعلاها ، من الحلي .

فصدّق من صدّق ، وكذّب من كذب .

أما من صدّق فهو في الجنة .

وأما من كذب فهو في النار .

وأنا الحجة البالغة ، والكلمة الباقية ، وأنا سفير السفراء .

قال سلمان : يا أمير المؤمنين ! قد وجدتكَ في التوراة ، كذلك ، وفي الإنجيل كذلك ، بأبي أنت وأمي ! يا قتيل كوفان ! والله لولا أن يقول الناس : واشوقاه ، رحم الله قاتل سلمان ! ، لقلت فيك مقالاً ، تسمئز منه النفوس ، لأنك حجة الله الذي بك تاب على آدم ، وبك أنجى يوسف من الجب ، وأنت قصة أيوب ، وسبب تغير نعمة الله عليه !

فقال أمير المؤمنين (ع) : أتدري ما قصته ، وسبب تغير نعمة الله عليه ؟ قال : الله أعلم ، وأنت يا أمير المؤمنين . قال : لما كان عند الانبعاث للمنطق (للتنطق - خ ل) ، شك أيوب في ملكي ، وبكى ، فقال : هذا خطب جليل ، وأمر جسيم .

قال الله ، عز وجل : يا أيوب ! أتشك في صورة أقمته أنا ؟ إني ابتليت آدم بالبلاء ، فوهبته له ، وصفحته عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين ، وأنت تقول : «خطب جليل ، وأمر جسيم ؟!» فوعزتي لأذيقنك من عذابي ، أو تتوب إليّ بالطاعة لأمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وعلى ذريته الطيبين»^(١) .

أقول : هناك أخبار ، وروايات كثيرة ، في هذا المجال ،

(١) تأويل الآيات الظاهرة : ٥٠٤/٢ - البحار : ٢٩٢/٢٦ - ح ٥٢ -

البرهان : ٦١/٤ - ح ١٢ .

حيث لا نستطيع ذكر جميعها ، فذكرنا بعضاً منها ، كما عرفت ،
فنستنتج من كل الروايات التي أوردناها أخيراً :

١ - إنَّ محمداً وآل محمد (ص) ، هم أعظم وسيلة بين
الخالق والمخلوق ، وإنَّ الباري ، جل وعلا ، لا يقبل دعاء
المخلوق إلا إذا توسل إلى الله ، بهم ، واعترف بولايتهم ، وقد
بحثنا هذا الموضوع سابقاً بصورة مفصلة .

٢ - إنَّ درجات ومقام المعصومين الأربعة عشر (ع) ، أعلى
وأسمى من درجات الأنبياء والأولياء ، وهم أفضل منهم ، ومن
الملائكة .

٣ - إنَّ هؤلاء العظماء كانوا أنواراً في عالم الملكوت ، قبل
أن يخلق الله ، تبارك وتعالى ، آدم (ع) ، والعالم ، وإلاً فلا يجوز
أن يتوسل الأنبياء ، الذين عرفوهم ، بأشياء معدومة ، أو غير
موجودة ، وهذا خلاف العقل ، والمنطق الصحيح .

٤ - من اللازم أن أوضح مسألة شك النبي أيوب (ع) بالولاية
الكلية والمطلقة ، لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ،
فأقول :

إنَّ الشك نوعان : شك إنكاري ، وشك توقف ويعبر عنه
بعبارة : «ترك الأولى» .

إنَّ شك أيوب (ع) في خصوص الولاية ، لم يكن شك
إنكار ، بل كان شك توقف ، وترك الأولى ، ويظهر أن أيوب
(ع) ، عندما سمع من الباري ، جل وعلا ، حديث الولاية الكلية
للإمام ، أراد من الباري ، جل وعلا ، أن يوضح له أكثر مما

قال ، وإلا فلا يوجد نبي ، أو ولي ، أو أي مؤمن خالص الإيمان ، كسلمان وأبي ذر ، رضي الله تعالى عنهما ، أو حتى العلماء الأعلام ، كلهم لم ينكروا فضل هؤلاء العظماء (ع) على سائر أنحاء الوجود ، حتى الأنبياء السلف ، فإنهم يدعون بذلك ، ويعترفون .

ونحن نذكر في ما يلي ، أقوال بعض العلماء الأعلام ، في فضل الأئمة الأطهار (ع) .

● أقوال العلماء الأعلام ، في فضل الأئمة الأطهار (ع) ، على الأنبياء :

يقول المرحوم الشيخ الصدوق ، أعلى الله مقامه ، في كتاب (الاعتقادات) : «يجب أن يعتقد أن الله ، عز وجل ، لم يخلق خلقاً أفضل من محمد (ص) ، والأئمة (ع) ، وأنهم أحب الخلق إلى الله ، عز وجل ، وأكرمهم ، وأولهم إقراراً به ، لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر . . . ويعتقد ، أن الله تعالى ، خلق جميع ما خلق ، له ولأهل بيته (ع) ، وأنه لولاهم ما خلق السماء ، ولا الأرض ، ولا الجنة ، ولا النار ، ولا آدم ، ولا حواء ، ولا الملائكة ، ولا شيئاً مما خلق ، صلوات الله عليهم أجمعين»^(١) .

ثم قال العلامة المجلسي ، بعد نقل كلام الشيخ الصدوق ، رضي الله عنه : «إعلم إن ما ذكره ، رحمه الله ، من فضل نبينا وأئمتنا ، صلوات الله عليهم ، على جميع المخلوقات ، وكون أئمتنا (ع) أفضل من سائر الأنبياء ، هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع

(١) البحار : ٢٦/٢٩٧ - اعتقادات الصدوق : ص ١٠٦ .

أخبارهم (ع) ، على وجه الإذعان واليقين ، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى . . . وعليه عمدة الإمامية ، ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار»^(١) .

ثم قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب (المقالات) : «قد قطع قوم من أهل الإمامة ، بفضل الأئمة من آل محمد (ع) ، على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء ، سوى نبينا محمد (ص) ، وأوجب فريق منهم لهم الفضل على جميع الأنبياء ، سوى أولي العزم منهم (ع) ، وأبى فريق منهم آخر ، وقطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة (ع) .

«وهذا باب ليس للعقول في إيجابه ، والمنع منه مجال ، . . . وقد جاءت آثار عن النبي (ص) في أمير المؤمنين (ع) ، وذريته من الأئمة (ع) ، والأخبار عن الأئمة الصادقين (ع) من بعد ، وفي القرآن مواضع تقوي العزم على ما قاله الفريق الأول في هذا المعنى ، وأنا ناظر فيه ، وبالله أعتصم من الضلال»^(٢) (انتهى) .

وأما السيد المرتضى علم الهدى ، فيقول في كتابه : (الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة) ، بعد أن أثبت ، بصورة مفصلة ، فضل الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ، على جميع الأنبياء (ع) ، قال ، رضي الله عنه :

«مما يدل أيضاً على تقديمهم ، عليهم السلام ، وتعظيمهم

(١) المصدر نفسه .

(٢) البحار : ٢٦ / ٢٩٨ - أوائل المقالات : ص ٤٢ .

على البشر ، أن الله تعالى ، دلنا على أن المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى ، في أنها إيمان وإسلام ، وأن الجهل والشك فيهم ، كالجهل به ، والشك فيه ، في أنه كفر ، وخروج من الإيمان ، وهذه منزلة ليس لأحد من البشر ، إلا لنا ، صلى الله عليه وآله ، وبعده لأمير المؤمنين ، عليه السلام ، والأئمة من ولده ، على جماعتهم السلام .

«ولأن المعرفة بنبوة الأنبياء المتقدمين ، من آدم ، عليه السلام ، إلى عيسى ، عليه السلام ، أجمعين ، غير واجبة علينا ، ولا تعلق لها بشيء من تكاليفنا ، ولولا أن القرآن ورد بنبوة من سمى فيه من الأنبياء المتقدمين ، فعرفناهم تصديقاً للقرآن ، وإلا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا ، ولا تعلق لها بشيء من أحوال تكاليفنا ، وبقي علينا أن ندل على أن الأمر ما ادعينا . . .»^(١) .

ثم استدلل على تقديم وتعظيم الأئمة ، عليهم السلام ، في وجوب الصلاة عليهم ، في التشهد وغيره ، واستحبابها في باقي المواضع .

ثم أضاف العلامة المجلسي في كتابه (حق اليقين)^(٢) ، يقول : «إن آية ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ ، دليل على فضل وشرف أمير المؤمنين (ع) ، على جميع الأنبياء السلف» .

ثم يقول : «إن أكثر علماء الشيعة يعتقدون أن الأئمة أفضل

(١) راجع الاحتجاج : ٥٠٧ - ٥٠٩ - والرسالة الباهرة في العترة الطاهرة :

٢٥١/٢ ، من ضمن مجموع رسائل الشريف المرتضى ، المجموعة

الثانية - ط . قم (١٤٠٥ هـ) .

(٢) حق اليقين .

من الأنبياء السلف ، حيث أنَّ المرحوم السيد نعمة الله الجزائري ، يذكر في كتابه (الأنوار النعمانية)^(١) ، فصلاً في شأن فضل الأئمة الطاهرين على الأنبياء السلف ، ويذكر في هذا الفصل أخباراً تدل على فضل الأئمة الأطهار وعلى الأنبياء السلف .

وكذلك يذكر العلامة فيض الكاشاني^(٢) ، في كتابه (قرة العيون)^(٣) ، وسائر مؤلفاته ، ما يقوله باقي العلماء ، بل وجميع مؤلفي كتب الحديث والأخبار ، أمثال الشيخ الكليني^(٤) ، والشيخ المفيد^(٥) ، وصاحب (بصائر الدرجات) ، المرحوم الشيخ أبي

(١) راجع الأنوار النعمانية : ٢٠/١ وما بعدها .

(٢) ملا محسن فيض : هو محمد بن مرتضى ، المدعو بمحسن الكاشاني : كان فاضلاً ، عالماً ، ماهراً ، حكيماً ، متكلماً ، محدثاً ، فقيهاً ، محققاً ، شاعراً ، أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب كثيرة . من أشهر كتبه (المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء) ، و(الحقائق في محاسن الأخلاق) ، و(قرة العيون في المعارف والحكم) .

(٣) راجع (قرة العيون : ص ٤١٠) .

(٤) الكليني : هو محمد بن يعقوب ، بن إسحاق ، الكليني ، كان أوثق الناس في الحديث ، وأثبتهم ، صنف الكتاب المعروف بـ (الكافي) ، في عشرين سنة ، وهو من أجل الكتب الإسلامية ، وأعظم المصنفات الإمامية ، لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه في فنه . توفي أبو جعفر الكليني ببغداد سنة (٣٢٩ هـ) ، ودفن بباب الكوفة . (سنن النبي (ص) : ص ٢٣) .

(٥) الشيخ المفيد : هو محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام البغدادي ، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه ، والكلام ، والرواية ، والثقة ، والعلم ، له كتب كثيرة ، ويكنى بابن المعلم ، وانتهت إليه =

جعفر، محمد بن الحسن الصفار^(١)، وابن شهر آشوب^(٢)، صاحب (المناقب)، والقطب الراوندي، صاحب (الخراج والخراج)^(٣)، والعلامة البحراني، صاحب (مدينة المعاجز)، وسائر العلماء الأعلام، وكبار الفرقة الحقة الإمامية، رضوان الله عليهم، وكلهم ذكروا أحاديث في فضل الأئمة الطاهرين (ع) على الأنبياء السلف (ع).

وذلك دليل ثابت على أنهم يعتقدون بمضمون ما كتبوه، وكانوا يخدشون الأخبار الضعيفة.

= رئاسة الإمامية في وقته، ولد سنة (٣٣٨ هـ) وتوفي سنة (٤١٣ هـ) في شهر رمضان. (سنن النبي: ص ٢٥).

(١) الصفار: هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي (ت ٢٩٠ هـ) كان وجهاً في أصحابنا القميين، ثقة، عظيم القدر، راجحاً، قليل السقط في الرواية. له كتب عديدة، أشهرها (بصائر الدرجات). (سنن النبي (ص): ص ١٩).

(٢) ابن شهر آشوب: هو محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، رشيد الدين، شيخ الطائفة وفقهها. كان شاعراً، بليغاً، أديباً، جامعاً للمحاسن. له كتب منها كتاب (مناقب آل أبي طالب)، توفي سنة (٥٨٨ هـ). (سنن النبي (ص): ص ١٢).

(٣) القطب الراوندي: هو أبو الحسن، سعيد بن هبة الله بن الحسن، العالم، المتبحر، الفقيه، المحدث، المفسر، المحقق، الثقة، الجليل، له مؤلفات عديدة منها: (الدعوات)، و(الخراج والخراج)، و(قصص الأنبياء)، وغيرها. كان من أعظم محدثي الشيعة الإمامية الإثني عشرية، جده وأولاده كلهم علماء. توفي في شوال سنة (٥٧٣ هـ)، وقبره ببلدة (قم)، في جوار الحضرة الفاطمية (ع). (سنن النبي (ص): ص ٢٢).

وهكذا بالإستناد إلى الآيات والروايات المعتبرة ، وأقوال علماء الإسلام أصبح من اليقين أن النبي الأكرم (ص) ، وأهل بيته الطاهرين (ع) ، أفضل وأشرف من جميع الأنبياء السلف ، وجميع المخلوقات في العالم ، ولهم (ع) الولاية الكلية المطلقة كما أثبتناه .

تصاعدت في مراقبي العزبيتهم
فلا تقس فضلهم بالأنبياء أجل
فظنَّ أنَّهم لله أقرانُ
سلمانهم بعد تصغير سليمان

* * *

تَفْسِيرُ

الْأَيَاتِ الْمُبَارَكَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى

غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى

مِنْ رَسُولٍ

الجن ٢٧

● قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى
من رسول﴾^(١) .

اتفق جمهور المفسرين على أن الرسول الأكرم (ص) ،
والأئمة الأطهار (ع) ، هم من الذين انتخبهم الله تعالى ، ليطلعهم
على غيبه :

١ - (أصول الكافي)^(٢) ، و (تفسير الصافي) : يروي عن
الإمام الباقر (ع) ، في تفسير الآية المباركة ، أن الرسول الأكرم
(ص) ، والأئمة المعصومين (ع) ، هم من الذين انتخبهم الله
تعالى ، ليطلعهم على غيبه .

٢ - (الخرايج والجرايح) : «عن الرضا (ع) ، فيها ، فرسول

(١) سورة الجن ، الآية : ٢٧ .

(٢) أصول الكافي : ٢٥٦/١ - تفسير الصافي : ٢٣٨/٥ .

الله ، صلى الله عليه وآله ، عند الله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه ، فعلمنا ما كان ، وما يكون ، إلى يوم القيامة»^(١) .

وهكذا إعتماًداً على الآية المباركة ، والروايتين المذكورتين ، وهما أنموذج من مجموعة كبيرة من الأخبار ، تدل جميعها دلالة صريحة على أن الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ، يطلعون على غيبه تعالى ، ويعرفون جميع علوم ما مضى ، وما سيأتي ، إلى يوم القيامة .

ومن الطبيعي أن هناك روايات يجدها المتتبع ، وقد زادت حد التواتر ، تؤكد ما نقوله ، وسنذكر منها لاحقاً .

لكننا بالمقابل نجد روايات تنفي علم الغيب في الظاهر ، عن هؤلاء العظماء ، وتحصر علم الغيب بالله ، جل جلاله ، فقط .

وبالطبع فإن هذا الموضوع ، في تباينه ، يؤدي إلى اختلاف آراء بعض الناس فيه ، فمنهم من ينسب علم الغيب إلى الأئمة الأطهار (ع) ، والبعض الآخر ينفي عنهم (ع) ذلك ، معتقدين أن الله تبارك وتعالى ، وحده يعلم الغيب ، وأن الأئمة الأطهار (ع) ، لا يمكنهم العلم بالغيب .

لكنني مع ما لدي من دراسات في القرآن المجيد ، وأقوال المعصومين (ع) ، مع العلم أن بضاعتي مزجاة ، فإنني سأعرض

(١) الخرايج والجرايح : ٢٤٣/١ .

رأبي ، آملاً الحصول على النتيجة المطلوبة ، حلاً للخلاف بين الفريقين .

أقول : من البديهي أنّ أكثر الاختلافات التي تظهر بين الناس في المناقشات ، والمباحث المختلفة بين الفريقين ، إنما ينشأ أكثرها من عدم الدقة في معرفة اللغات ، والمفاهيم العلمية ، والاصطلاحات .

إنّ استعمال بعض الألفاظ المشتركة في الحقيقة والمجاز ، رائج بصورة واسعة ، في اللغة العربية ، وفي جميع لغات العالم . وإنّ تدوين علم البلاغة ، وأصول الفقه ، ما هو إلا لتحقيق وفهم معاني هذه الألفاظ ، لأنه من دون الاطلاع على تلك المباحث لا بدّ وأن يصعب فهم معاني القرآن الكريم ، والأخبار ، والأدب العربي ، بل مُشكل ومحال .

إنّ هذه المسألة بلغت من الدقة ، بحيث أنّ اشتباهاً صغيراً ، في معنى كلمة واحدة ، يمكن أن يؤدي إلى تغيير معنى جملة إلى معنى آخر ، يختلف عن المعنى الأصلي المقصود . وفي هذا البحث أرى من الواجب أن أبيّن أنّ التحقيق يدور على معنى كلمة (الغيب) .

إنّ أكثر الباحثين - مع الأسف - الذين يريدون إثبات علم الغيب ، أو نفيه ، لا يلتفتون إلى المعنى اللغوي ، أو الاصطلاحي لكلمة الغيب ، وعلى هذا بقيت هذه المسألة من ضمن المسائل التي صعب حلها ، أو حُلَّت بشكل غير صحيح ودقيق .

وعليه أبدأ بتفسير معنى كلمة (الغيب) ، من الناحية اللغوية^(١) ، واصطلاحات القرآن ، والأخبار :

(١) قال السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) : «الغيب : كل ما غاب عنك ، كأنه مصدر بمعنى الفاعل ، ومثله في (الكشاف) . قال أبو إسحق الزجاج في قوله تعالى : ﴿يؤمنون بالغيب﴾ (البقرة : ٣) ، أي بما غاب عنهم ، مما أخبرهم به النبي (ص) ، من أمر البعث ، والجنة ، والنار . وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب . وقال ابن الأعرابي : يؤمنون بالله . قال : والغيب أيضاً : ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب . ويقال : سمعت صوتاً من وراء الغيب ، أي من موضع لا أراه . . . وقال شمر : كل مكان لا يدري ما فيه فهو غيب ، وكذلك الموضع الذي لا يُدري ما وراءه ، وجمعه غيوب» (انتهى) (تاج العروس : مادة (غيب) .

وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) : «وقعوا في غيابة من الأرض : أي في منهبط منها . وغيابة كل شيء : قعره ، منه كالجب ، والوادي ، وغيرهما ، وفي التنزيل العزيز : ﴿في غيابات الجب﴾ (انتهى) (لسان العرب : مادة (غيب) .

وقالوا : «الغيب : خلاف الشهادة . و كل ما غاب عن الإنسان ، سواء أكان محصلاً في القلوب ، أم غير محصّل . ويقال : تكلم عن ظهر الغيب ، وسمعت صوتاً من وراء الغيب : من موضع لا أراه . (ج) غيوب» . (المعجم الوسيط : مادة غيب) .

وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : «وأما (الغيب) : فحكى عن ابن عباس أنه قال : ما جاء من عند الله . وقال جماعة من الصحابة ، كابن مسعود ، وغيره : إنَّ الغيب ما غاب عن العباد علمه ، من أمر الجنة ، والنار ، والأرزاق ، والأعمال ، وغير ذلك ، وهو الأولى لأنه عام ، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان الغيبة ، ووقت خروج المهدي ، =

= عليه السلام ، وقال قوم : الغيب هو القرآن ، حكى ذلك عن زر بن حبیش . وذكر البلخي : أن الغيب كل ما أدرك بالدلائل والآيات ، مما تلزم معرفته . وقال الرّماني : الغيب ، خفاء الشيء عن الحس ، قرب أو بعد ، إلا أنه قد كثرت صفة الغائب على البعيد الذي لا يظهر للحس . وأصل الغيب من غاب ، يقولون : غاب فلان يغيب ، وليس الغيب ما غاب عن الإدراك ، لأنّ ما هو معلوم وإن لم يكن مشاهداً ، لا يُسمى غائباً . . . » (انتهى) (تفسير التبيان : ١/٥٥) .

وقال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : (غيب) : الغين ، والياء ، والباء ، أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون ، ثم يقاس . من ذلك الغيب : ما غاب ، مما لا يعلمه إلا الله . ويقال : غابت الشمس ، تغيب ، غيبة ، وغيوباً ، وغيباً ، وغاب الرجل عن بلده . واغتابت المرأة فهي مغيبة ، إذا غاب بعلها . ووقعنا في غيبة وغيابة ، أي هبطة من الأرض يُغاب فيها . قال الله تعالى في قصة يوسف ، عليه السلام : ﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ﴾ . والغابة الأجمة . والجمع غابات وغاب . وسُميت لأنه يُغاب فيها . والغِيبَة : الوقعة في الناس من هذا ، لأنها لا تقال إلا في غيبة) (انتهى) (معجم مقاييس اللغة : مادة (غيب) : ٤/٤٠٣) .

وقال ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) : (علم الغيب ، والإيمان بالغيب) : وهو كل ما غاب عن العيون ، وسواء أكان محصلاً في القلوب أم غير محصل . تقول غاب عنه غيباً وغيبة . . . والغابة : الأجمة ذات الشجر المتكاثف ، لأنها تغيب ما فيها ، وجمعها غابات . ومنه حديث علي (ع) : «كليت غابات شديد القسورة» أضافه إلى الغابات لقوته وشدته ، وأنه يحمي غابات شتى» (انتهى) (النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣/٣٩٩) .

تفيد كلمة (الغيب) معنى : (مخفي - مستور - مكتوم - غير مرئي) ، وعلى العموم ضد الحضور والشهود .

أما في القرآن الكريم ، وروايات أهل بيت العصمة (ع) ، فتفيد كلمة (الغيب) نوعين من المعنى :

١ - غيب يرجع إلى ذات الله سبحانه وتعالى .

٢ - غيب يرجع إلى خلق الله تعالى .

نستنتج أن جميع الأمور المخفية ، وغير المرئية ، التي يعبر عنها بكلمة (الغيب) ترجع إما إلى القديم ، وما وراء عالم الإمكان ، وهذا يرجع إلى الذات والصفات الذاتية للباري ، جل وعلا ، وإما إلى عالم التكوين والخلق .

فعلية عندما نقصد من كلمة (الغيب) ذات الرب ، يستحسن أن نعتقد بأن الفعل عاجز عن الوصول إلى حرم القدس الإلهي ، لأننا نتقي وجود أي نبي ، أو إمام ، أو فيلسوف ، أو مكتشف ، استطاع الوصول إلى ذلك الحرم المقدس ، حتى الرسول الأكرم (ص) ، عجز عن ذلك ، بدليل قوله (ص) : «ما عرفناك حق معرفتك» .

وأما أمير المؤمنين (ع) فقد قال : «الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود . . .» «فأين تذهبون ، وأنى تؤفكون ، والأعلام قائمة ، والآيات واضحة ، والمنار منصوبة ،

فأين يتاه بكم ، وكيف تعمهون ، وبينكم عترة نبيكم ، وهم أعلام الدين ، وألسنة الصدق . . .»^(١) .

بناءً عليه ، إذا قصدنا من كلمة (الغيب) ، ذات الله ، تبارك وتعالى ، فلا يعلم الغيب إلا الله وحده ، وهذا المعنى يتفق مع اعتقادنا والمنطق ، والعقل ، والآيات ، والروايات ، المنقولة عن المعصومين (ع) .

فينقدح أن الآيات التي تخصص كلمة (الغيب) بذات الباري ، عز وجل ، هي آيات حدوث معنى الغيب بالذات الإلهية المقدسة ، ولا يشترك أحد معه سبحانه في علم هذا النوع من الغيب .

وفي هذا الموضوع أحاديث كثيرة نذكر منها :

١ - (بصائر الدرجات) : «عن أبي جعفر (ع) ، قال : إنَّ الله علماً ، لا يعلمه إلا هو ، وعلماً يعلمه الملائكة المقربون ، والأنبياء المرسلون ، فما كان من علم يعلمه الملائكة المقربون ، وأنبياءه المرسلون ، فنحن نعلمه»^(٢) .

٢ - (بصائر الدرجات) : «عن أبي جعفر (ع) ، قال : إنَّ الله علماً ، لا يعلمه غيره ، وعلماً قد أعلمه ملائكته ، وأنبياءه ورسله ، فنحن نعلمه ، وأشار بيده إلى صدره»^(٣) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة الأولى . ص ٢٣ ، والخطبة (٨٧) : (في بيان صفة المتقين) .

(٢) بصائر الدرجات : ص ١٣٠ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٠ .

٣ - (أصول الكافي - كتاب الحجّة) ، و (بصائر الدرجات) :
«عن الإمام الصادق (ع) ، قال : إن لله علمين : علم عنده ، لم
يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله ، فما
نبذه إلى ملائكته ورسله ، فقد انتهى إلينا»^(١) .

٤ - (أصول الكافي) : «يروى سدير أنه قال : سمعت
حمران بن أعين يسأل أبا جعفر (ع) . . . فقال له حمران : رأيت
قوله ، جل ذكره : ﴿عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه
أحداً﴾^(٢) ، فقال أبو جعفر (ع) : ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾
وكان والله محمد ممن ارتضاه ، وأما قوله : ﴿عالم الغيب﴾ ، فإنَّ
الله ، عز وجل ، عالم بما غاب عن خلقه ، فيما يقدر من شيء ،
ويقضيه في علمه ، قبل أن يخلقه ، وقبل أن يفضيه إلى
الملائكة ، فذلك يا حمران ، علم موقوف عنده ، إليه فيه
المشيئة ، فيقضيه إذا أراد ، ويبدوله فيه ، فلا يمضيه ، فأما العلم
الذي يقدره الله ، عز وجل ، فيقضيه ، ويمضيه ، فهو العلم الذي
انتهى إلى رسول الله (ص) ، ثم إلينا»^(٣) .

فهذه الرواية بالذات ، وغيرها من مئات الروايات الأخرى ،
المنقولة عن الأئمة الأطهار (ع) ، توضح لنا أن الغيب على
نوعين :

النوع الأول : غيب خاص بذات الله ، جل شأنه ، وعلم

(١) بصائر : ص ١٣٠ - أصول الكافي : ٢٥٦/١ .

(٢) سورة الجن ، الآية : ٢٧ .

(٣) أصول الكافي : ٢٥٦/١ .

ذلك الغيب خاص بذاته ، ولا يطلع عليه أحد غيره ، وهذا مطابق للموازن الفلسفية ، والقوانين العقلية ، لأنه ثبت في البحوث الفلسفية أن التجانس ضرورة بين العالم والمعلوم ، ولا يمكن لأي موجود القدرة على الوصول إلى مقام أعلى من مقامه ، وأن ممكن الوجود ، لا يمكنه الوصول إلى درجة واجب الوجود .

وبنتيجة ذلك ، وفي الواقع المعنوي الفلسفي ، فإننا نلاحظ عدمية التجانس بين ذات الله المقدسة والمخلوقات ، بل لا يمكن للمخلوق أن يصل إلى درجة الخالق في الذاتية ، وذلك عائد لاتفاق العلماء والفلاسفة على ماهية الموجودات إن في العرض حيناً ، أو في الجوهر أحياناً ، ولكن الخلاف بينهم قائم على الذات الإلهية ، بتنوع مقولاتهم فيها ، وعدم اتفاقهم على حدود معقولة بشأنها .

وأبعد من ذلك إن التفكير في عملية المجانسة بين الذات الإلهية والموجودات ، غير ممكن اعتماداً على مقولة المحدود والمطلق .

فنستنتج من ذلك : أن معرفة العلوم المكنونة في ذات الله ، تبارك وتعالى ، استطراداً ، لا يمكن تصورها من قبل الموجودات ، حتى الأنبياء والأولياء ، وذلك محال عقلاً وشرعاً ، بموجب قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ﴾^(١) ، وإن الغيب الذي يأتي ذكره في القرآن الكريم ، هو من قبيل هذا النوع ، وهو غيب الغيوب ، والغيب المطلق ، والغيب الحقيقي و...

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

النوع الثاني : الغيب الذي يرجع إلى المخلوقات ، أي ما يخفى على-عالم الوجود ، وما دخل في عالم الخلق ، وأن تقدير الباري ومشيئته قد جرى على حدوثه ووقوعه .

ومن البديهي أن المشيئة الإلهية ، والتقدير والعلم ، قد جرى على حدوث وقوع هذه الحوادث ، وأن فهم هذه الأسرار ، والعلم بها ، ممكن ، وليس ممتنع .

وبعبارة أخرى ، إن المعلومات الإلهية ، والأسرار ، وإيصالها ، رغم سترها وخفائها وعدم معلوميتها عند المخلوقات ، إلى المخلوق أمر ممكن ، ولا ينافي العقل والفلسفة والشرع .

إنَّ العقل ، على تحفظه العقلاني يؤيد ذلك ، اعتماداً على التجانس الذي يحكم به ، كما أنَّ الشرع لم يغلُق باب العلوم العقلية على المخلوقات ، بل إنَّ القرآن الكريم يدعو الناس إلى التفكير ، وكشف المجهولات والأسرار في عالم الوجود .

إنَّ علوم الأنبياء ، والأئمة الأطهار (ع) ، تشمل هذا النوع من العلم والمعرفة حيث أنَّ رب العباد الرحيم علَّمهم جميع العلوم التي ترتبط بعالم الوجود والأماكن ، وعالم الخلق ، فأحاطوا بها إحاطة كاملة .

وفي هذا العصر ، فقد تمكن البشر ، بقدرة العلم ، في كشف آلاف المطالب ، وفك رموز كثير من التي كانت أسراراً غامضة ، بل كانت عند الماضين من الأمم الغابرة ، ضمن المجهولات ، والمغيبات .

ومن المستحسن أن يعبر عن هذا الغيب ، أو المجهول به ، بالأشياء غير المعروفة ، والغائبة عن فهم البشر ، وليس غيباً .

وهنا نشير إلى ملاحظة مهمة : إنَّ الاطلاع على هذه العلوم ، ودراستها :

تكون عن طريق الوحي والإلهام ، بصورة مستقيمة ، عن طريق الباري ، جل وعلا ، وهذه هي علوم الأنبياء والأئمة الأطهار (ع) ، والملائكة ، «في حدود علمهم» أي إن الأئمة المعصومين (ع) يتلقون علومهم من دار العلم الأزلي ، وبتأييد من الله تعالى ، وتعليمهم ، وإخبارهم ، بأسرار ورموز العالم والكون ، وما هو غائب عن نظر المخلوق ، بل هم منابع الفيض الإلهي ، ونشر العلوم ، كما تخبرنا الأحاديث والروايات الكثيرة والآيات المباركة :

١ - ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾^(١) .

٢ - ﴿اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾^(٢) .

٣ - ﴿الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان﴾^(٣) .

٤ - ﴿وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٤) .

إنَّ هذا العلم الذي يعلمه الله ، تبارك وتعالى ، من يشاء ، وبصورة مستقيمة ، دون الحاجة إلى أستاذ ، أو مدرسة ، أو تجربة ، هو أعلى درجة من العلم ، ويسمى : (العلم اللدني) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣١ .

(٢) سورة العلق ، الآيات : ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٣) سورة الرحمن ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٤) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

إنَّ علوم الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ،
وعلمهم بالمغيبات ، وما هو غائب عن عالم الوجود ، بل وجميع
علوم عالم الخلق ، التي تصل إلى البشر عن طريق الوحي
والإلهام ، وبتأييد من الباري ، جل وعلا ، جميعها ، من تعاليم
المكتب الأزلي .

وإذا اعتقدنا بأن النبي الأكرم (ص) والأئمة الطاهرين (ع) ،
كانوا يطلعون على هذه العلوم بصورة مستقلة ، دون كسبها من
فيض علوم الباري ، جل وعلا ، نكون مخطئين ، وإذا فكرنا
بذلك فتفكيرنا يكون غير صائب .

ولهذا نجد أنَّ هؤلاء العظماء ينفون عن أنفسهم ، من
الظاهر ، علم الغيب . ومن البديهي أنَّ المقصود من ذلك
تظاهرهم ، وإشارتهم ، إلى أنَّ اطلاعهم على العلوم هو بالاستفادة
من منبع الوحي والإلهام ، وسائر التعليقات ، والتأييدات الأزلية ،
وأنَّ علمهم بالأشياء هو من قبل الباري ، جل وعلا ، وبتأييد منه
سبحانه .

نستخلص مما سبق النتيجة التالية :

إنَّ الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الطاهرين (ع) يعلمون
جميع المغيبات في هذا العالم ، عن طريق التعليم الإلهي ، وإنَّ
هذا النوع من التعليم ، والتعلم ، لا يحتاج إلى مدرسة كالمدارس
المعروفة في هذا اليوم ، بحيث يحتاج التلميذ إلى أستاذ يعلمه
كلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً .

وبما أنَّ المدرسة هي عبارة عن المكتب الإلهي ، لذا يكون
التعليم فيها على أحسن وأكمل وجه ممكن ، أي إنَّ التعليم يكون

تعليماً تكوينياً ، في مكان واحد ، ومرة واحدة .

إنَّ الباري ، جل وعلا ، علم هؤلاء العظماء ، محمداً (ص) وآله الطاهرين (ع) ، عندما خلقهم وعجن خميرتهم في بداية الخلق ، ومزجها بجوهر العلم ، وجعل صدورهم المباركة كنز ومخزن أسرار علوم الأولين والآخرين ، ولأجل توضيح ما نقوله ، وبيان الموضوع ، نذكر ما يلي :

يتميز الموجود ببعض الأوصاف الذاتية والعرضية ، والله سبحانه وتعالى ، يخلق البعض ، ويميزهم عن سائر المخلوقات ، بأن يمنحهم زيادة من الذاتيات ، فيجعلهم خلقاً ممتازاً . وعلى حد تعبير علماء المنطق فإنَّ الإنسان يمتاز على سائر أنواع المخلوقات بالقوة الناطقة (درك الكلّيات) ، أي حاسة النطق . ليكون إنساناً كاملاً ، ما لم يصبه نقص في جسمه .

وهكذا النور ، فهو جزء من ذاتيات الشمس ، والحرارة هي جزء من ذاتية النار ، والدمج جزء من ذاتية السمن ، وهذه الصفات من الذاتيات هي جميعها على جانب فعلي ، والإنفكاك منها غير متصور ، ولو للحظة واحدة لملازمة الإتصاف ، حيث أن الشمس ، أينما وجدت ، فالنور يلازمها ، كما أن جميع الأشياء المادية على سطح الأرض تنار بنور الشمس ، ولكن نور الشمس ، نفسه من نفسها ، لأن الله ، سبحانه وتعالى ، قد جعل النور جزءاً من ذاتية الشمس نفسها ، وهناك قول مأثور : (إنَّ دسومة أي شيء من السمن ، ولكن دسومة السمن من نفسه) .

ومع قليل من التأمل في القرآن الكريم ، والأخبار الإسلامية ، نصل إلى نتيجة جيدة ، إنَّ سفراء الله تعالى ، والأئمة

المعصومين (ع) ، يتميزون ، عن باقي طبقات الخلق ، بأشياء عديدة ، لكن أفضلها ، وأشرفها ، وأميزها ، صفة العلم . وإنَّ الله ، تبارك وتعالى ، بتمييزه لهذه السلسلة الجليلة ، بالعلم والإطلاع على الأسرار ، ومغيبات عالم الوجود ، فقد جعلهم أفضل سائر أفراد البشر .

ويؤيد ما نقول أن الله ، سبحانه وتعالى ، قد فضل آدم (ع) على جميع الملائكة بالعلم الذي منحه وعلمه إياه ، فأصبح ببركة ذلك العلم خليفة سجد له الملائكة .

إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، اختار من بين أنبيائه ، وملائكته ، محمداً (ص) ، وآل محمد (ع) ، وفضلهم على الأولين والآخرين من خلقه ، لأنَّ أهل بيت النبوة هم محل نزول الوحي ، وكنز علوم الأولين والآخرين ، وأعطاهم (العلم اللدني) ، كما علمهم غيب السَّمَاوَات والأرض ، وجميع العلوم والأسرار التابعة لعالم الوجود ، فأحاطوا بها ، ويتأيد من الباري ، جل وعلا ، إحاطة كاملة . وبهذا العلم اللدني الحضوري الدائم والباقي ، أصبحوا كنز علومه وأسراره ، جل شأنه ، ولهذا السبب فقد انتخبهم واصطفاهم .

وقد جاء في (الزيارة الجامعة الكبيرة) ، حيث يخاطب الزائر مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، قائلاً :
«اصطفاكم بعلمه ، وارتضاكم لغيبه ، واختاركم لسره»^(١) .

وفي هذا الشأن أحاديث وأخبار كثيرة ، بحيث تتجاوز عدد

(١) مفاتيح الجنان : ص ٦١٨ - الزيارة الجامعة الثانية .

الكتب التي جمعت أخبار وأحاديث محمد ، وآل محمد ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وأرى من الواجب أن أشير إلى أن الله ، جل وعلا ، عندما أودع هؤلاء الأئمة العظماء ، العلوم والمغيبات ، فليس معنى ذلك ، أنه تعالى سلب عن نفسه القدرة - والعياذ بالله - وأنه لا يستطيع أن يسلبهم هذه الدرجات !! بل يجب التأكيد والقطع بأنه سبحانه قادر متعال ، على كل شيء ، ولا يقف أمام قدرته التي لا يدركها العقل الكلي المخلوق ، شيء ، لكن حكمته البالغة تستوجب منح أي عبد من عباده ، درجة ومقاماً رفيعاً لا يسلبهما منه ، ويمنع جوده وكرمه عن عبده المطيع الذي عصمه .

فحكّمته من بعد تقتضي أن هذه العلوم والمغيبات باقية إلى الأبد عند هؤلاء المعصومين (ع) ، بل وفي كل لحظة يزيدهم الباري ، جل وعلا ، من بحر جوده ، وفيضه الإلهي ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(١) .

ونأتي إلى نقل بعض الأحاديث التي تدل دلالة واضحة على أن هؤلاء المعصومين (ع) عالمون بأسرار وغيب العالم .

● محمد (ص) وآل محمد (ع)

كنوز علم الله ، سبحانه وتعالى :

١ - (أصول الكافي) و (بصائر الدرجات) : «يروى سدير ، عن أبي جعفر (ع) ، قال : قلت له : جعلت فداك ! ما أنتم ؟ قال : نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة وحي الله ، ونحن

(١) سورة طه ، الآية : ١١٤ .

الحجة البالغة على من دون السماء ، ومن فوق الأرض»^(١) .

٢ - (بصائر الدرجات) : «يروى سورة بن كليب ، قال : قال لي أبو جعفر (ع) : والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه ، لا على ذهب ، ولا على فضة ، إلا على علمه»^(٢) .

٣ - (أصول الكافي) و (بصائر الدرجات) : «عن عبدالله بن أبي يعفور ، قال : قال أبو عبد الله (ع) : يا بن أبي يعفور ! إن الله واحد متوحد بالوحدانية ، متفرد بأمره ، فخلقهم خلقاً ، فقدرهم لذلك الأمر ، فنحن هم . يا بن أبي يعفور ! فنحن حجج الله في عبادته ، وخزانه على علمه ، والقائمون بذلك»^(٣) .

٤ - (بصائر الدرجات) : «عن ذريح ، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : سمعته يقول : نحن لخزان الله في الأرض ، وخزانه في السماء ، لسنا بخزانه على ذهب ، ولا فضة ، وإنما منا لحملة عرشه يوم القيامة»^(٤) .

٥ - (بصائر الدرجات) : «عن عبد الرحمن بن كثير ، قال : سمعت أبا عبدالله (ع) ، يقول : نحن ولاية أمر الله ، وخزنة علم الله ، وعيبة وحي الله»^(٥) .

-
- (١) أصول الكافي : ١/١٩٢ ، ح ٣ - بصائر الدرجات : ص ١٢٤ - ح ٦ .
(٢) بصائر الدرجات : ص ١٢٤ - ح ١ - أصول الكافي : ١/١٩٢ - ح ٢ .
(٣) بصائر الدرجات : ١/١٢٤ - ح ٧ - أصول الكافي : ١/١٩٣ - ح ٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٢٦ - ح ١٥ .
(٥) المصدر نفسه : ص ١٢٥ - ح ٨ .

● علوم الأولين والآخرين ،

عند محمد (ص)، وآل محمد (ع) :

٦ - (خرايج الراوندي) : «عن الرضا (ع) ، فيها ، فرسول الله ، صلى الله عليه وآله ، عند الله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه ، فعلمنا ما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة»^(١) .

٧ - (أصول الكافي) : «عن سيف التمار قال : كنا مع أبي عبدالله (ع) ، جماعة من الشيعة ، في الحجر ، فقال : علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة ، فلم نر أحداً ، فقلنا : ليس علينا عين . فقال : ورب الكعبة ، ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنني أعلم منهما ، ولأبئنهما بما ليس في أيديهما ، لأن موسى والخضر (ع) ، أعطيا علم ما كان ، ولم يعطيا علم ما يكون ، وما هو كائن ، حتى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله (ص) وراثته»^(٢) .

٨ - (أصول الكافي) : «عن عدة من أصحابنا ، منهم عبد الأعلى ، وأبو عبيدة ، وعبدالله بن بشر الخثعمي ، سمعوا أبا عبدالله (ع) ، يقول : إني لأعلم ما في السماوات ، وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان ، وما يكون ! قال : ثم مكث هنيهة ، فرأى أن ذلك كبر علي من سمعه منه ، فقال : علمت ذلك من كتاب الله ، عز وجل ، إن

(١) الخرايج والجرايج : ٢٤٣/١ وقد مر هذا الحديث سابقاً .

(٢) أصول الكافي : ٢٦١/١ ، ح ١ .

الله ، عز وجل ، يقول : «فيه تبيان كل شيء»^(١) .

٩ - (معاني الأخبار) : يروي الشيخ الصدوق ، رضوان الله عليه : «عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر ، محمد بن علي الباقر ، عن جده (ع) ، قال : لما أنزلت هذه الآية على رسول الله (ص) : ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبین﴾^(٢) ، قام أبو بكر ، وعمر ، من مجلسهما فقالا : يا رسول الله ! هو التوراة ؟ قال : لا . قال : فهو الإنجيل ؟ قال : لا . قال : فهو القرآن ؟ قال : لا . قال : فأقبل أمير المؤمنين علي (ع) ، فقال رسول الله (ص) : هو هذا ، إنه الإمام الذي أحصى الله ، تبارك وتعالى ، فيه علم كل شيء»^(٣) .

١٠ - (بصائر الدرجات) : «عن أبي بصير ، عن أبي جعفر (ع) ، قال : سئل عليّ (ع) عن علم النبي (ص) ، فقال : علم النبي علم جميع النبيين ، وعلم ما كان ، وعلم ما هو كائن ، إلى قيام الساعة ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إني لأعلم علم النبي (ص) ، وعلم ما كان ، وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة»^(٤) .

١١ - (مناقب ابن شهرآشوب) : «صفوان بين يحيى ، عن

(١) أصول الكافي : ٢٦١/١ . وبصائر الدرجات : ص ١٤٧ - ولعله نقل الآية المباركة في المعنى . فإن في المصاحف «تبياناً لكل شيء» ، أو كان في قراءتهم عليهم السلام .

(٢) سورة يس ، الآية : ١٢ .

(٣) معاني الأخبار : ص ٩٥ - ح ١ .

(٤) بصائر الدرجات : ص ١٤٧ - باب ٦ - ح ١ .

بعض رجاله ، عن الصادق (ع) ، قال : والله ! لقد أعطينا علم الأولين والآخرين ، فقال له رجل من أصحابه : جعلت فداك ! أعندكم علم الغيب ؟ فقال له : ويحك ! إني لأعلم ما في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، ويحكم ! وسعوا صدوركم ، ولتبصر أعينكم ، ولتع قلوبكم ، فنحن حجة الله تعالى في خلقه ، ولن يسع ذلك إلا صدر كل مؤمن قوي ، قوته كقوة جبال تهامة ، إلا بإذن الله ، والله ! لو أردت أن أحصي لكم كل حصاة عليها ، لأخبرتكم ، وما من يوم ، ولا ليلة ، إلا والحصى يلد إيلاداً ، كما يلد هذا الخلق . والله ! لتباغضون بعدي ، حتى يأكل بعضكم بعضاً»^(١) .

١٢ - (أصول الكافي) : «عن عبد الواحد بن المختار قال : قال أبو جعفر (ع) : «لو كان لألستكم أوكية»^(٢) ، لحدّث كل امرئ بما له ، وعليه»^(٣) .

١٣ - (بصائر الدرجات) : «عن علي بن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، قال : كنت أنا وصفوان ، عند أبي الحسن (ع) ، فذكروا الإمام وفضله ، قال : إنما منزلة الإمام في الأرض ، بمنزلة القمر في السماء ، وفي موضعه هو مطلع على جميع الأشياء كلها»^(٤) .

١٤ - (أصول الكافي) : «عن أبي الحسن موسى (ع) ،

(١) مناقب آل أبي طالب : ٢٥٠/٤ (علم الإمام الصادق ، عليه السلام) .

(٢) الوكاء - ككساء : رباط القربة ونحوه .

(٣) أصول الكافي : ٢٦٤/١ - ح ١ .

(٤) بصائر الدرجات : ص ٤٦٣ - ح ٨ .

قال : قال أبو عبدالله (ع) : إنَّ الله ، عز وجل ، خلقنا فأحسن خلقنا ، وصوّرنا فأحسن صورنا ، وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه ، ولنا نطق الشجرة ، وعبادتنا عبدالله ، عز وجل ، ولولانا ما عبّد الله» (١) .

١٥ - (أصول الكافي) : «عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : إنَّ الله ، عز وجل ، علمين : علماً عنده لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلماً نبذه إلى ملائكته ورسله ، فما نبذه إلى ملائكته ورسله ، فقد انتهى إلينا» (٢) .

١٦ - (مشارق أنوار اليقين) : قال أمير المؤمنين (ع) : «ولقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى ، وما تحت الأرض السابعة السفلى ، وما بينهما ، وما تحت الثرى ، كل ذلك علم إحاطة ، لا علم أخبار ، ولو شئتم لأخبرتكم بآبائكم ، أين كانوا ، وأين صاروا اليوم» (٣) .

١٧ - (بصائر الدرجات) : «عن إسماعيل بن مهران ، قال : كنت أنا وأحمد بن نصر ، عند الإمام الرضا (ع) ، فجرى ذكر الإمام ، فقال الرضا (ع) : إنما هو مثل القمر ، يدور في كل مكان ، أو تراه من كل مكان» (٤) .

١٨ - (فضائل ابن شاذان) : «عن عمار بن ياسر ، رضي الله

(١) أصول الكافي : ١/١٩٣ - ح ٦ .

(٢) أصول الكافي : ١/٢٥٥ - ح ٢ .

(٣) مشارق أنوار اليقين : ص ١٣٦ .

(٤) بصائر الدرجات : ص ٤٦٣ - ح ٩ .

تعالى عنه ، قال : كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، في بعض غزواته ، فمررنا بواد مملوء نملاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! ترى يكون أحد من خلق الله تعالى ، يعلم كم عدد هذا؟! قال : نعم يا عمار ، أنا أعرف رجلاً يعلم عدده ، وكم فيه ذكر ، وكم فيه أنثى ! فقلت : من ذلك الرجل يا مولاي ؟ فقال : يا عمار ! أما قرأت في سورة يس : ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(١) ؟ فقلت : بلى يا مولاي . فقال : أنا ذلك الإمام المبين»^(٢) .

١٩ - (تأويل الآيات) : «ما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي ، رحمه الله ، ذكره في كتابه (مصباح الأنوار) ، قال : ومن عجائب آياته ومعجزاته ، ما رواه أبو ذر الغفاري ، رحمه الله ، قال : كنت سائراً في أغراض ، مع أمير المؤمنين (ع) ، إذ مررنا بواد ونمله كالسيل الساري ، فذهلت مما رأيت ، فقلت : الله أكبر جلّ محصيه !! فقال أمير المؤمنين (ع) : لا تقل ذلك يا أبا ذر ، ولكن قل : جلّ بارؤه ، فوالذي صوّرك إني أحصي عددهم ، وأعلم الذكر منهم والأنثى بإذن الله ، عز وجل»^(٣) .

٢٠ - (بصائر الدرجات) : «عن سلمان الفارسي (ره) ، عن أمير المؤمنين (ع) ، قال : سلوني عما يكون إلى يوم القيامة ، وعن كل فئة ، تضل مائة ، وتهدي مائة ، وعن سايقتها ، وناعقها ،

(١) سورة يس ، الآية : ١٢ .

(٢) كتاب الفضائل : ص ٩٤ .

(٣) تأويل الآيات الظاهرة : ٤٩٠/٢ - البرهان ٧/٤ - ح ٩ عن مصباح

الأنوار - البحار : ١٧٦/٤٠ .

وقائدها ، إلى يوم القيامة»^(١) .

٢١ - (بصائر الدرجات) : «عن علي بن النعمان قال : حدثني من دخل على أبي عبدالله (ع) ، فقال له : قد سألت أهل بيتك ، فلم أر عندهم فيه شيئاً ! قال : وما هو؟ قال : يروون أن علياً (ع) قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن أرض مخصبة ، ولا أرض مجدبة ، ولا فئة تضل مائة ، وتهدي مائة إلا إن شئت أنبأتكم بناعقها ، وسائقها» . قال : فقال أبو عبدالله (ع) : فإن هذا حق»^(٢) .

٢٢ - (بصائر الدرجات) : «عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال : كتب أبو الحسن الرضا (ع) رسالة ، وأقرأنيها ، قال : قال علي بن الحسين (ع) : إن محمداً (ص) كان أمين الله في أرضه ، فلما قبض محمد (ص) كنا أهل البيت ورثته ، ونحن أمناء الله في أرضه ، عندنا علم البلايا ، والمنايا ، وأنساب العرب ، ومولد الإسلام ، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق . . . نحن النجباء ، ونحن أبناء الأوصياء ، ونحن المخصوصون في كتاب الله ، نحن أولى الناس بالله ، ونحن أولى الناس بكتاب الله ، ونحن أولى الناس بدين الله ، ونحن الذين شرع لنا دينه . . .»^(٣) .

(١) بصائر الدرجات : ص ٣١٨ - ح ١٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣١٦ - ح ١ .

(٣) بصائر الدرجات : ص ١٣٨ - ح ١ .

● محمد وآل محمد ، صلى الله عليهم أجمعين
كانوا يعلمون زمان وفاتهم ، ووفاة غيرهم :

٢٣ - (أصول الكافي) : «عن أبي بصير ، قال : قال أبو عبدالله (ع) : أي إمام لا يعلم ما يصيبه ، وإلى ما يصير ، فليس ذلك بحجة الله على خلقه»^(١) .

٢٤ - (أصول الكافي) : «عن الحسن بن محمد بن بشار ، قال : حدثني شيخ من أهل قطيعة الربيع ، من العامة ، ببغداد ، ممن كان ينقل عنه ، قال : قال لي : قد رأيت بعض من يقولون بفضلته ، من أهل هذا البيت ، فما رأيت مثله قط ، في فضلته ، ونسكته ، فقلت له : من ؟ وكيف رأيتته ؟ قال : جمعنا أيام السندي بن شاهك^(٢) ، ثمانين رجلاً من الوجوه المنسوبين إلى الخير ، فأدخلنا على موسى بن جعفر (ع) ، فقال لنا السندي : يا هؤلاء ! أنظروا إلى هذا الرجل ، هل حدث به حدث ؟ فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به^(٣) ، ويكثرون في ذلك ، وهذا منزله ، وفراشه موسع عليه ، غير مضيق ، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءاً ، وإنما ينتظر به أن يقدم فيناظر أمير المؤمنين ، وهذا هو صحيح ، موسّع عليه في جميع أموره ، فسלוه ! قال : ونحن ليس لنا هم إلا النظر إلى الرجل ، وإلى فضل سمته . فقال موسى بن جعفر (ع) : أما ما ذكر من التوسعة ، وما أشبهها ، فهو على ما ذكر ، غير أنني أخبركم أيها النفر ، أنني قد سقيت السم في سبع

(١) أصول الكافي : ٢٥٨/١ .

(٢) أي أيام دولته ، ووزارته لهارون الرشيد .

(٣) «قد فعل به» : أي ما يوجب هلاكه ، من سقي السم ونحوه .

تمرات ، وأنا غداً أخضراً ، وبعد غد أموت ، قال : فنظرت إلى
السندي بن شاهك يضطرب ، ويرتعد ، مثل السعفة^(١) .

● أمير المؤمنين (ع) يخبر عن شهادته وقاتله .

٢٥ - (الفصول المهمة) : «عن جابر بن عبدالله الأنصاري
(رض) ، قال : إني حاضر عند علي بن أبي طالب (ع) ، إذ جاءه
عبد الرحمن بن ملجم ، لعنه الله ، يستحمله ، فحمله ثم قال :

أريد حياته ويريد قتلي عذيري من خليلي من مراد

ثم قال : هذا والله قاتلي لا محالة ! قلنا : يا أمير
المؤمنين ! أفلا تقتله ؟ قال : لا ، فمن يقتلني ...»^(٢) .

٢٦ - (الفصول المهمة) : «وقال غنم بن المغيرة : كان
علي بن أبي طالب (ع) ، في شهر رمضان ، من السنة التي قتل
فيها ، يفطر ليلة عند الحسن (ع) ، وليلة عند الحسين (ع) ، وليلة
عند عبدالله بن جعفر ، لا يزيد في كل أكلة على ثلاث ، أو أربع
لقم ، ويقول : يأتيني أمر الله ، وأنا خميص ، إنما هي ليال
قلائل ! فلم يمض الشهر حتى قتل عليه السلام»^(٣) .

٢٧ - (الفصول المهمة) : «عن الحسين بن كثير ، عن أبيه ،
قال : خرج علي (ع) ، في فجر اليوم الذي قتل فيه ، فأقبل الإوز

(١) ورق النخل الذي يتخذ منه المكسة . والخبر ورد في (أصول الكافي :

٢٥٨/١) .

(٢) الفصول المهمة ، لابن الصباغ المالكي : ص ١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٩ (فصل في مقتله ، ومدة عمره ، وخلافته ،

عليه السلام) . البحار : ١٩٨/٤٢ .

يَصْحَنَ فِي وَجْهِهِ ، فَطُرِدَنَّ عَنْهُ ، فَقَالَ (ع) : ذَرُونَنِّي ، فَإِنَّهُنَّ نَوَاحٍ !! فَقَتَلَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ ، لَعْنَةُ اللَّهِ !!»^(١) .

٢٨ - (عيون أخبار الرضا) : «عن صالح بن عقبة ، عن جعفر بن محمد ، عليهما السلام ، قال : لما هلك أبو بكر ، واستخلف عمر ، رجع عمر إلى المسجد فقعده ، فدخل عليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني رجل من اليهود ، وأنا علامتهم ، وقد أردت أن أسألك عن مسائل ، إن أجبتني فيما سألت أسلمت . قال : ما هي ؟ قال : ثلاث ، وثلاث ، وواحدة ، فإن شئت سألتك ، وإن كان في قومك أحد أعلم منك ، فأرشدني إليه ، قال : عليك بذاك الشاب - يعني علي بن أبي طالب ، عليه السلام - فأتى علياً ، عليه السلام ، فسأله «إلى أن قال : «كم يعيش وصيه بعده ؟ قال : ثلاثين سنة . قال : ثم ماذا ؟ يموت أو يقتل ؟ قال : يُقتل ، ويضرب على قرنيه ، فتخضب لحيته ! قال : صدقت والله ، إنه لبخط هارون ، وإملاء موسى ، عليه السلام»^(٢) .

٢٩ - ذكر الشيخ المفيد (قدس سره) في (الإرشاد)^(٣) ، وابن شهر آشوب في (المناقب)^(٤) ، وسائر مشايخ الشيعة ، أن أمير المؤمنين (ع) أخبر أصحابه بساعة وفاته ، وعرفهم على قاتله ، في

(١) المصدر نفسه : ص ١٣٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) : ٤٣/١ - كمال الدين وتمام النعمة : ص ٢٧ - البحار : ١٩١/٤٢ .

(٣) الإرشاد : ص ١٣ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٣٠٩/٣ (في مقتله ، عليه السلام) .

مناسبات مختلفة ، وحتى أخبر ، عليه السلام ، قاتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي نفسه ، صراحة ، وبالكناية . وسنذكر هذه الواقعة المؤلمة :

٣٠ - (البحار) : «قالت أم كلثوم ، بنت أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه : لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان ، قدمت إليه عند إفطاره ، طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير ، وقصعة فيها لبن ، وملح جريش . فلما فرغ من صلاته ، أقبل على فطوره ، فلما نظر إليه ، وتأمله ، حرك رأسه وبكى بكاء شديداً عالياً ، وقال : يا بنيّة ! ما ظننت أن بتأ تسوء أباه ، كما قد أسأت أنت إليّ !! قالت : وماذا يا أباه ؟ قال : يا بنيّة ! أتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد ؟ أتريدين أن يطول وقوفي غداً ، بين يدي الله ، عز وجل ، يوم القيامة ؟ أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ما قدم إليه إدامان في طبق واحد ، إلى أن قبضه الله ، يا بنيّة ! ما من رجل طاب مطعمه ، ومشربه ، وملبسه ، إلا طال وقوفه بين يدي الله ، عز وجل ، يوم القيامة ! يا بنيّة ! إن الدنيا في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، وقد أخبرني حبيبي رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أن جبرئيل ، عليه السلام ، نزل إليه ، ومعه مفاتيح كنوز الأرض ، وقال : يا محمد ! السلام يقرئك السلام ، ويقول لك : إن شئت صيرت معك جبال (تهامة) ، ذهباً وفضة ، وخذ هذه مفاتيح كنوز الأرض ، ولا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة ! قال : يا جبرئيل ! وما يكون بعد ذلك ؟ قال : الموت . فقال : إذا لا حاجة لي في الدنيا ، دعني أجوع يوماً ، وأشبع يوماً ، فاليوم الذي أجوع فيه ، أتضرّع إلى

ربي ، وأسأله ، واليوم الذي أشبع فيه ، أشكر ربي وأحمده ،
فقال له جبرئيل : وَفَقَّتْ لِكُلِّ خَيْرٍ يَا مُحَمَّدُ !

ثم قال ، عليه السلام : يا بنية ! الدنيا دار غرور ، ودار
هوان ، فمن قَدَّمْ شيئاً وجدته . يا بنية ! والله لا آكل شيئاً حتى
ترفعين أحد الإدامين ! فلما رفعته ، تقدم إلى الطعام ، فأكل قرصاً
واحداً بالملح الجريش ، ثم حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قام إلى
صلاته ، فصلى ، ولم يزل راکعاً ، وساجداً ، ومبتهلاً ، ومتضرعاً
إلى الله سبحانه ، ويكثر الدخول ، والخروج ، وهو ينظر إلى
السماء ، وهو قلق يتململ ، ثم قرأ سورة «يس» حتى ختمها ، ثم
رقد هنيئاً ، وانتبه مرعوباً ، وجعل يمسح وجهه بثوبه ، ونهض
قائماً على قدميه ، وهو يقول : «اللهم بارك لنا في لقائك !» ،
ويكثر من قول : «لا حول ، ولا قوة ، إلا بالله العلي العظيم» ،
ثم صلى حتى ذهب بعض الليل ، ثم جلس للتعقيب ، ثم نامت
عيناه ، وهو جالس ، ثم انتبه من نومته مرعوباً !

قالت أم كلثوم : كأني به وقد جمع أولاده وأهله ، قال
لهم : في هذا الشهر أتفقدونني ، إني رأيت في هذه الليلة رؤيا
هالتي ، وأريد أن أقصها عليكم ، قالوا : وما هي ؟ قال : إني
رأيت الساعة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، في منامي ،
وهو يقول لي : يا أبا الحسن ! إنك قادم إلينا عن قريب ، يجيء
إليك أشقاها ، فيخضب شيبتك من دم رأسك ، وأنا والله مشتاق
إليك ! وإنك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان ، فهلم
إلينا ، فما عندنا خير لك وأبقى !

قال : فلما سمعوا كلامه ، ضجوا بالبكاء والنحيب ، وأبدوا

العويل ، فأقسم عليهم بالسكوت ، فسكتوا ، ثم أقبل يوصيهم ،
ويأمرهم بالخير ، وينهاهم عن الشر .

قالت أم كلثوم : ولم يزل تلك الليلة ، قائماً وقاعداً ، راکعاً
وساجداً ، ثم يخرج ساعة بعد ساعة ، يقرب طرفه في السماء ،
وينظر في الكواكب ، وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ،
وإنها الليلة التي وعدت بها ! ثم يعود إلى مصلاه ، ويقول :
«اللهم بارك لي في الموت» ، ويكثر من قول : «إنا لله وإنا إليه
راجعون» «ولا حول ، ولا قوة ، إلا بالله العلي العظيم» ويصلي
على النبي وآله ، ويستغفر الله كثيراً .

قالت أم كلثوم : فلما رأيته ، في تلك الليلة ، قلقاً ،
متململاً كثير الذكر والإستغفار أرتت معه ليلتي ، وقلت : يا أبته !
ما لي أراك هذه الليلة ، لا تذوق طعم الرقاد ؟ قال : يا بنية ! إنَّ
أباك قتل الأبطال ، وخاض الأهوال ، وما دخل الخوف له جوفاً ،
وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ! ثم قال :
«إنا لله ، وإنا إليه راجعون !» .

فقلت : يا أباه ! ما لك تنعي نفسك منذ الليلة ؟! قال : يا
بنية ! قد قرب الأجل وانقطع الأمل !

قالت أم كلثوم : فبكيت ، فقال لي : يا بنية ! لا تبكي ،
فإني لم أقل ذلك إلا بما عهد إليَّ النبي ، صلى الله عليه وآله
وسلم ، ثم إنه نعس وطوى ساعة ، ثم استيقظ من نومه ، وقال :
يا بنية ! إذا قرب وقت الأذان ، فأعلميني ، ثم رجع إلى ما كان
عليه أول الليل ، من الصلاة ، والدعاء ، والتضرع إلى الله ،
سبحانه وتعالى .

قالت أم كلثوم : فجعلت أرقب وقت الأذان ، فلما لاح الوقت ، أتته ومعي إناء فيه ماء ، ثم أيقظته ، فأسبغ الوضوء ، وقام ولبس ثيابه ، وفتح بابه ، ثم نزل إلى الدار ، وكان في الدار إوز قد أهدي إلى أخي الحسين (ع) ، فلما نزل ، خرجن وراءه ، ورفرفن ، وصحن في وجهه ، وكان قبل تلك الليلة لم يصحن ، فقال ، عليه السلام : « لا إله إلا الله ، صوارخ تتبعها نوائح ، وفي غداة غد يظهر القضاء ! » .

فقلت له : يا أباه ! هكذا تطير؟! فقال : يا بنيّة ! ما منا أهل البيت من يتطير ، ولا يُتطير به ، ولكن قول جرى على لساني ، ثم قال : يا بنيّة ! بحقي عليك إلا ما أطلقتيه ، فقد حبست ما ليس له لسان ، ولا يقدر على الكلام ، إذا جاع أو عطش فأطعميه ، واسقيه ، وإلا خلي سبيله يأكل من خشاش الأرض .

فلما وصل إلى الباب ، فعالجه ليفتحه ، فتعلق الباب بمزوره ، فانحلّ مزوره حتى سقط ، فأخذه وشده وهو يقول :

(أشدد)	حيازيمك للموت	فإن الموت لايكيا
	ولا تجزع من الموت	إذا حلّ بواديكيا
	ولا تغتر بالدهر	وإن كان يواتيكيا
	كما أضحكك الدهر	كذلك الدهر يُكيكيا

(١) الشعر المذكور في كثير من المصادر التي بين أيدينا ، ومنها : (مروج الذهب : ١٧٠/٣ و (طبقات ابن سعد : ٣٣/٨) و (كامل المبرد : ٩٣٢/٣) ، ولا يستقيم الوزن إلا بحذف «أشدد» في البيت الأول .

ثم قال : «اللهم بارك لنا في الموت ! اللهم بارك لي في لقائك !» .

قالت أم كلثوم : وكنت أمشي خلفه ، فلما سمعته يقول ذلك ، قلت : واغوثاه ! يا أبتاه ! أراك تنعي نفسك منذ الليلة ، قال : يا بنيّة ! ما هو بنعاء ، ولكنها دلالات وعلامات للموت تتبع بعضها بعضاً ، فأمسكي عن الجواب ! ثم فتح الباب ، وخرج .

قالت أم كلثوم : فجئت إلى أخي الحسن (ع) فقلت : يا أخي ! قد كان من أمر أبيك الليلة ، كذا وكذا ، وهو قد خرج في هذا الليل الغلس ، فالحقه . فقام الحسن بن علي (ع) ، وتبعه ، فلحق به قبل أن يدخل الجامع ، فقال : يا أباه ! ما أخرجك في هذه الساعة ، وقد بقي من الليل ثلثه؟! فقال : يا حبيبي ، ويا قرة عيني ! خرجت لرؤيا رأيتها في هذه الليلة ، أهالطني ، وأزعجتني ، وأقلقطني !

فقال له : خيراً رأيت ، وخيراً يكون ! فقصّها عليّ .

فقال (ع) : يا بني ! رأيت كأنّ جبرئيل (ع) ، قد نزل من السماء ، على جبل (أبي قبيس) ، فتناول منه حجرتين ، ومضى بهما إلى الكعبة ، وتركهما على ظهرها ، وضرب أحدهما على الآخر ، فصارت كالرميم ، ثم ذرّهما في الريح ، فما بقي بمكة ، ولا بالمدينة ، بيت إلا ودخله من ذلك الرماد ! فقال له : يا أبت ! وما تأويلها ؟

فقال (ع) : يا بني ! إن صدقت رؤياي ، فإنّ أباك مقتول ، ولا يبقى بمكة حينئذٍ ، ولا بالمدينة ، بيت إلا ويدخله من ذلك غمّ ومصيبة ، من أجلي . فقال الحسن (ع) : وهل تدري متى

يكون ذلك يا أبت ؟

قال (ع) : يا بني ! إنَّ الله يقول : ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾^(١) ، ولكن عهد إليَّ حبيبي رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه يكون في العشر الأواخر ، من شهر رمضان ، يقتلني ابن ملجم المرادي . فقلت له : يا أبتاه ! إذا علمت منه ذلك فاقتله !

قال (ع) : يا بني لا يجوز القصاص إلا بعد الجناية ، والجناية لم تحصل منه ، يا بني ! لو اجتمع الثقلان الإنس والجن ، على أن يدفعوا ذلك ، لما قدروا ، يا بني ! إرجع إلى فراشك . فقال الحسن (ع) : يا أبتاه ! أريد أمضي معك إلى موضع صلاتك .

فقال له (ع) : أقسمت بحقي عليك ، إلا ما رجعت إلى فراشك ، لئلا يتنغص عليك نومك ، ولا تعصني في ذلك !

قال : فرجع الحسن (ع) ، فوجد أخته أم كلثوم قائمة خلف الباب تنتظره ، فدخل فأخبرها بذلك ، وجلسا يتحادثان ، وهما محزونان ، حتى غلب عليهما النعاس ، فقاما ودخلا إلى فراشهما وناما .

قال أبو مخنف وغيره : وسار أمير المؤمنين (ع) ، حتى دخل المسجد ، والقناديل قد خمد ضوءها ، فصلى في المسجد ورده ، وعقب ساعة ، ثم إنه قام وصلى ركعتين ، ثم علا المئذنة ، ووضع سبابتيه في أذنيه ، وتنحنح ، ثم أدن ، وكان (ع) ، إذا

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

أذن ، لم يبق في بلدة (الكوفة) بيت إلا اخترقه صوته . . .

فلما أذن (ع) ، ونزل من المئذنة ، جعل يسبح الله ، ويقده ، ويكبره ، ويكثر من الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الراوي : وكان من كرم أخلاقه ، عليه السلام ، أنه يتفقد النائمين في المسجد ، ويقول للنائم : الصلاة يرحمك الله ! الصلاة ! ، قم إلى الصلاة المكتوبة عليك ، ثم يتلو ، عليه السلام : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١) ، ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عاداته ، مع النائمين في المسجد ، حتى إذا بلغ إلى الملعون ، فرآه نائماً على وجهه ، قال له : يا هذا ! قم من نومك هذا ، فإنها نومة يمقتها الله ، وهي نومة الشيطان ، ونومة أهل النار ، بل نم على يمينك ، فإنها نومة العلماء ، أو على يسارك ، فإنها نومة الحكماء ، ولا تنم على ظهرك فإنها نومة الأنبياء !

قال : فتحرك الملعون ، كأنه يريد أن يقوم ، وهو من مكانه لا يبرح ، فقال له أمير المؤمنين ، عليه السلام : «لقد هممت بشيء تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدأ ! ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ، ثم تركه ، وعدل عنه إلى محرابه . . .»^(٢) .

وتأسيساً على ما ذكرنا نجد أن مولى المتقين ، وأمير

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥ .

(٢) البحار : ٢٧٦/٤٢ وما بعدها .

المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، كان يخبر أولاده ، وحتى قاتله ، صراحة ، بخبر شهادته .

أما تعليل معرفته المسبقة (ع) بقاتله ، وأنه لم يحرك ساكناً قبل أن يقع الفعل فسببه في الرواية التالية :

«عن الحسن بن الجهم قال : قلت للرضا (ع) : إنَّ أمير المؤمنين (ع) ، قد عرف قاتله ، والليلة التي يقتل فيها ، والموضع الذي يقتل فيه ، وقوله لما سمع صياح الإوز في الدار : «صوائح تتبعها نوائح» ، وقول أم كلثوم : لو صليت الليلة داخل الدار ، وأمرت غيرك يصلي بالناس ، فأبى عليها ، وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح ، وقد عرف (ع) أنَّ ابن ملجم ، لعنه الله ، قاتله بالسيف ، كان هذا مما لم يجز (يحل - خ ل) تعرضه !

فقال (ع) : ذلك كان ، ولكنه خَيْرُ (خَيْر - خ ل) في تلك الليلة ، لتمضي مقادير الله ، عز وجل»^(١) .

فنستنتج من كلام الإمام الرضا (ع) ، أنَّ شهادة الأئمة المعصومين (ع) ، مرتبطة بإرادة الباري ، جل وعلا ، وأن شهادة هؤلاء العظماء سعادة وليس هلاكاً ، ولذلك السبب كانوا يستقبلون الموت برضى وتسليم إلهي يؤيده مناداة أمير المؤمنين (ع) ، عندما ضربه ابن ملجم بالسيف المسموم على أم رأسه الشريف : «فزت ورب الكعبة» .

ومن هنا يتضح أنَّ الأئمة المعصومين الأطهار (ع) ، كانوا يعلمون بساعة وفاتهم حتى أن أحدهم تناول الطعام المسموم ،

(١) أصول الكافي : ٢٥٩/١ - ح ٤ .

وكان يعرف أن فيه هلاكه !

أما تساؤل المتسائلين الجاهلين عن أسرار أفعال الأئمة المعصومين (ع) ، وتصورهم القاصر عن إدراك أفعالهم الصعبة ، فذلك مردّه إلى عدم الإحاطة بخزان علم الله ، وحججه الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين .

● إخبار الإمام الرضا (ع) عن شهادته :

٣١ - (مناقب آل أبي طالب) : «وقال محمد بن عبدالله بن الأفظس : دخلت على المأمون ، فقربني وحباني ، ثم قال : رحم الله الرضا ما كان أعلمه ! لقد أخبرني بعجب ! سألته ليلة ، وقد بايع له الناس ، فقلت له : جعلت فداك ! أرى لك أن تمضي إلى العراق ، وأكون خليفتك بـ (خراسان) . فتبسم ثم قال : لا لعمرى ، ولكنه من دون خراسان بدرجات ، إن لنا هاهنا مسكناً ، ولست بنازح حتى يأتيني الموت ، ومنها المحشر لا محالة . فقلت له : جعلت فداك ! وما علمك بذلك ؟ قال : علمي بمكاني كعلمي بمكانك . قلت : وأين مكاني أصلحك الله ؟ فقال : لقد بعدت الشقة بيني وبينك ، أموت بالمشرق ، وتموت بالمغرب ! فجهدت الجهد كله ، وأطمعته في الخلافة فأبى»^(١) .

٣٢ - (عيون أخبار الرضا) : يروي الشيخ الصدوق (ره) ، عن محول السجستاني ، قال : «لما ورد البريد بإشخاص الرضا (ع) ، إلى (خراسان) ، كنت أنا بالمدينة ، فدخل المسجد ليودع رسول الله (ص) ، فودعه مراراً ، كل ذلك يرجع إلى القبر ، ويعلو

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٣٣٧ .

صوته بالبكاء والنحيب ، فتقدمت إليه ، وسلمت عليه ، فردّ السلام ، وهنأته ، فقال : ذرني ، فإنني أخرج من جوار جدي (ص) ، وأموت في غربة ، وأدفن في جنب هارون ! قال فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بـ (طوس) ، ودفن إلى جنب هارون !»^(١) .

«وعن الحسن بن علي الوشاء ، قال : قال لي الرضا (ع) : إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة ، جمعت عيالي ، فأمرتهم أن ييكوا عليّ حتى أسمع ، ثم فرقت فيهم إثني عشر ألف دينار ، ثم قلت : أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً»^(٢) .

٣٣ - (مناقب ابن شهرآشوب) : «الحسن بن علي الوشاء ، قال الرضا (ع) : إني لما أرادوا الخروج بي من المدينة ، جمعت عيالي ، وأمرتهم أن ييكوا عليّ ، حتى أسمع ، ثم فرقت فيهم إثني عشر ألف دينار ، ثم قال : أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً»^(٣) .

٣٤ - (مناقب ابن شهرآشوب) : عندما وصل الإمام الرضا (ع) إلى (سناباد) ، «قال ابن الصلت : ثم دخل (ع) دار حميد بن قحطبة البطائني ، ودخل القبة التي فيها هارون ، ثم خط بيده إلى جانبه ، ثم قال : هذه تربتي ، وسيجعل الله هذا المكان مختلف

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ٢١٨/٢ - ح ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢١٩ - ح ٢٨ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٣٤٠/٤ . يبدو أن سماحة المؤلف - حفظه

المولى - قد كرر الحديث نفسه ، ولكن من مصدرين مختلفين ، وطريقين كذلك .

شيعتي» (١) .

«وعن عبد السلام بن صالح الهروي ، قال : سمعت الرضا ، عليه السلام ، يقول : إني سأقتل بالسم مظلوماً ، وأقبر إلى جنب هارون ، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي ، وأهل محبتي ، فمن زارني في غربتي ، وجبت له زيارتي يوم القيامة ، والذي أكرم محمداً (ص) بالنبوة ، واصطفاه على جميع الخليقة ، لا يصلي أحد منكم عند قبوري ركعتين ، إلا استحق المغفرة من الله ، عز وجل ، يوم يلقاه ، والذي أكرمنا بعد محمد (ص) بالإمامة ، وخصنا بالوصية ، إن زوار قبوري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة . . .» (٢) .

٣٥ - (عيون أخبار الرضا) و(كشف الغمة) : «عن أبي الصلت الهروي ، قال : بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن الرضا (ع) ، إذ قال لي : يا أبا الصلت ! أدخل هذه القبة التي فيها قبر هارون ، واثني بتراب من أربعة جوانبها ، قال : فمضيت ، فأتيت به ، فلما مثلت بين يديه ، فقال لي : ناولني هذا التراب ، وهو من عند الباب ، فناولته ، فأخذه وشمه ، ثم رمى به ، ثم قال : سيحفر لي ها هنا ، فتظهر صخرة ، لو جمع عليها كل معول بـ (خراسان) ، لم يتهياً قلعها ، ثم قال في الذي عند الرجل ، والذي عند الرأس ، مثل ذلك ، ثم قال : ناولني هذا التراب ، فهو من تربتي . ثم قال : سيحفر لي في هذا الموضع ، فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراقٍ إلى أسفل ، وأن يشق لي ضريحة ، فإن

(١) المصدر نفسه : ٣٤٤/٤ .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) : ٢٢٩/٢ (باب ٥٢ - ح ١) .

أبوا إلا أن يلحدوا ، فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً ، فإن الله سيوسعه ما يشاء ، فإذا فعلوا ذلك فإنك ترى عند رأسي نداوة ، فتكلم بالكلام الذي أعلمك ، فإنه ينبع الماء حتى يمتلي اللحد ، وترى فيه حيتاناً صغاراً ، ففت لها الخبز الذي أعطيك ، فإنها تلتقطه ، فإذا لم يبق منه شيء ، خرجت منه حوتة كبيرة ، فالتقطت الحيتان الصغار ، حتى لا يبقى منها شيء ، ثم تغيب ، فإذا غابت ، فضع يدك على الماء ، ثم تكلم بالكلام الذي أعلمك ، فإنه ينضب الماء ، ولا يبقى منه ، ولا تفعل ذلك إلا بحضرة المأمون .

«ثم قال (ع) : يا أبا الصلت ! غداً أدخل على هذا الفاجر ، فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس ، فتكلم أكلمك ، وإن أنا خرجت ، وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني» .

وفي اليوم التالي ، توفي الإمام الرضا (ع) ، على أثر سم دسه له المأمون في عنقود من العنب ، فدخل المأمون باكياً حزيناً ، وهو يقول^(١) :

«يا سيداه ! فجعت بك يا سيدي !! ، ثم دخل فجلس عند رأسه ، وقال : خذوا في تجهيزه» .

ثم أمر بحفر قبر في ذلك المكان ، وكان أبو الصلت الهروي حاضراً ، فقام بكل ما أمره به الإمام (ع) ، ورأى كل ما حدثه به .

ولما رأى المأمون ما ظهر له من الندادة والحيتان ، وغير

(١) هنا اختصر سماحة المؤلف - حفظه المولى - الحديث .

ذلك ، قال :

«لم يزل الرضا (ع) ، يرينا عجائبه في حياته ، حتى أراها بعد وفاته أيضاً . فقال له وزير كان معه : أتدري ما أخبرك به الرضا (ع) ؟ قال : لا . قال : إنه قد أخبرك أن ملككم يا بني العباس ، مع كثرتم ، وطول مدتكم ، مثل هذه الحيتان ، حتى إذا فنيت آجالكم ، وانقطعت آثاركم ، وذهبت دولتكم ، سلط الله تعالى عليكم رجلاً منا ، فأفناكم عن آخركم»^(١) .

أقول : وكما أن أمير المؤمنين ، والإمام الرضا ، عليهما السلام ، أخبرا عن ساعة وفاتهما ، وعن قاتلتهما ، فكذلك فعل سائر الأئمة (ع) ، وحتى إن عدداً كبيراً من الموالين المخلصين للأئمة الأطهار (ع) ، أخبروا عن ساعة وفاتهم من قبل ، وقد ذكرنا في هذا الكتاب ، بعض الروايات التي تؤيد ما نقوله ، لأجل الاختصار ، ونترك الحكم لأصحاب القلوب النيرة ، والضمائر الحية ، الذين يعرفون مقامات الأئمة الأطهار (ع) الرفيعة .

وهاكم خبراً لبعض ضعاف الشيعة ، ومن يشكون أو يترددون في قبول هذا المعنى :

٣٦ - (أصول الكافي) : عن ضريس الكناسي ، قال : سمعت أبا جعفر (ع) ، يقول - وعنده أناس من أصحابه - : عجبت من قوم يتولوننا ، ويجعلوننا أئمة ، ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم ، كطاعة رسول الله (ص) ، ثم يكسرون حجتهم ، ويخصمون أنفسهم ، بضعف قلوبهم ، فينقصونا حقنا ، ويعيبون

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ٢/٢٤٤ وما بعدها - ح ١ .

ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا ، والتسليم لأمرنا !
أتررون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ، ثم
يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ، ويقطع عنهم مواد العلم ،
فيما يرد عليهم ، مما فيه قوام دينهم ؟! فقال له حمران : جعلت
فذاك ! رأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب ، والحسن ،
والحسين ، عليهم السلام ، وخروجهم ، وقيامهم بدين الله ، عزَّ
ذكره ، وما يصيبوا من قتل الطواغيت إياهم ، والظفر بهم ، حتى
قتلوا وغلبوا ؟ فقال أبو جعفر ، عليه السلام : يا حمران ! إن
الله ، تبارك وتعالى ، قد كان قدر ذلك عليهم ، وقضاه وأمضاه ،
وحتمه على سبيل الإختيار (الإختبار - خ ل) ، ثم أجراه ، فبتقدم
علم إليهم من رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قام علي ،
والحسن ، والحسين ، عليهم السلام ، ويعلم صمت من صمت
منا ، ولو أنهم يا حمران ، حيث نزل بهم ما نزل ، من أمر الله ،
عز وجل ، وإظهار الطواغيت عليهم ، سألوا الله ، عز وجل ، أن
يدفع عنهم ذلك ، وألحوا عليه في طلب إزالة ملك (تلك - خ ل)
الطواغيت ، وذهاب ملكهم ، إذأ لأجابهم ، ودفع ذلك عنهم ، ثم
كان انقضاء مدة الطواغيت ، وذهاب ملكهم ، أسرع من سلك
منظوم ، انقطع فتبدد . وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران ،
لذنب اقترفوه ، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ، ولكن لمنازل
وكرامة من الله ، أراد أن يبلغوها ، فلا تذهبن بك المذاهب
فيهم»^(١) .

أقول : إنه باستدلال الإمام الباقر (ع) ، القوي ، ومثات من

(١) أصول الكافي : ٢٦١/١ .

الأدلة العقلية والنقلية الأخرى ، يتضح التصور الخاطيء عند المشتبهين ، أو المعاندين ، الذين يتوهمون أن قتل الطواغيت للأئمة الأطهار (ع) ، هو انتصار للطواغيت ، وخسارة للأئمة (ع) ، مع أن الاستدلالات التي ذكرناها والأدلة كلها تثبت عكس مقولة الضعفاء والجهلاء ، فالله سبحانه وحده ، يعلم العلو والسمو الحقيقيين لدرجات الأئمة الأطهار ، صلوات الله وسلامه عليهم .

● إخبار الأئمة الأطهار ، عليهم السلام

عن ساعة وفاة غيرهم :

٣٧- (بصائر الدرجات) : «عن الأصبع بن نباتة ، قال : كان أمير المؤمنين ، عليه السلام ، إذا وقف الرجل بين يديه ، قال : يا فلان ! إستعدّ ، وأعدّ لنفسك ما تريد ، فإنك تمرض في يوم كذا وكذا ، في ساعة كذا وكذا ، وسبب مرضك كذا وكذا ، وتموت في شهر كذا وكذا ، في يوم كذا وكذا ، في ساعة كذا وكذا...» (١) .

٣٨- (عيون أخبار الرضا) ، و (بصائر الدرجات) : «عن محمد بن داود ، قال : كنت وأخي عند الرضا (ع) ، فأتاه من أخبره أنه قد ربط ذقن محمد بن جعفر ، فمضى أبو الحسن (ع) ، ومضينا معه ، وإذا لحياء قد ربطا ، وإذا إسحق بن جعفر ، وولده ، وجماعة آل أبي طالب يبكون . فجلس أبو الحسن (ع) ، عند رأسه ، ونظر في وجهه ، فتبسم ، فنقم من كان في المجلس عليه ، فقال بعضهم : إنما تبسم شامتاً بعمه ! قال : وخرج

(١) بصائر الدرجات : ص ٢٨٢ .

ليصلي في المسجد ، فقلنا له : جعلت فداك ! قد سمعنا فيك من هؤلاء ، ما نكره ، حين تبسّمت ! فقال أبو الحسن (ع) : إنما تعجبت من بكاء إسحق ، وهو يموت والله قبله ، وبيكيه محمد ! ، قال : فبريء محمد ، ومات إسحق !»^(١) .

٣٩ - (مناقب ابن شهرآشوب) : «الحسن بن علي الوشاء ، قال : دعاني سيدي الرضا ، عليه السلام ، بـ (مرو) ، فقال : يا حسن ! مات علي بن أبي حمزة البطائني ، في هذا اليوم ، وأدخل في قبره الساعة ، ودخل عليه ملكا القبر ، فسألاه : من ربك ؟ فقال : الله ، ثم قال : من نبيك ؟ فقال : محمّد ، فقالا : من وليك ؟ فقال : علي بن أبي طالب . قال : ثم من ؟ قال : الحسن . قال : ثم من ؟ قال : الحسين . قال : ثم من ؟ قال : علي بن الحسين ، قال : ثم من ؟ قال : محمد بن علي . قال : ثم من ؟ قال : جعفر بن محمد . قال : ثم من ؟ قال : موسى بن جعفر . قال : ثم من ؟ فلجلج ، فزجراه ، وقال : ثم من ؟ فسكت . فقال له : أفموسى بن جعفر أمرك بهذا؟! ثم ضرباه بمقمة^(٢) من نار ، فألها عليه قبره ، إلى يوم القيامة .

«فخرجت من عند سيدي ، فأرخت ذلك اليوم ، فما مضت الأيام ، حتى وردت كتب الكوفيين ، بموت البطائني ، في ذلك اليوم ، وأنه دخل قبره في تلك الساعة»^(٣) .

٤٠ - (مناقب ابن شهرآشوب) : «عن محمد بن مسلم ، عن

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ٢٠٦/٢ - بصائر الدرجات : ص ٢٨٤ .

(٢) المقمة : خشبة أو حديدة ، يُضرب بها الإنسان ليدل .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٣٣٧/٤ .

أبي جعفر (ع) ، قال : سمعته وهو يقول لرجل من أهل (أفريقية) : ما حال راشد ؟ قال : خلفته حياً ، صالحاً يقرئك السلام ، قال : رحمه الله ! ، قلت : جعلت فداك ومات ؟! قال : نعم ، رحمه الله . قلت : ومتى مات ؟ قال : بعد خروجك بيومين»^(١) .

٤١ - (عيون أخبار الرضا) : «عن سعيد بن سعد ، عن أبي الحسن الرضا (ع) : إنه نظر إلى رجل ، فقال له : يا عبدالله ! أوص بما تريد ، واستعد لما لا بد منه ! فكان كما قال ، فمات بعد ذلك بثلاثة أيام»^(٢) .

٤٢ - (عيون أخبار الرضا) : «عن الحسن بن علي الوشاء ، عن مسافر قال : كنت مع أبي الحسن الرضا (ع) بـ (منى) ، فمرَّ يحيى بن خالد مع قوم من آل برمك ، فقال ، عليه السلام : مساكين هؤلاء ، لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة ! ثم قال : هاه ! واعجبا من هذا ، هارون وأنا كهاتين ، وضم بإصبعيه ، قال مسافر : فوالله ما عرفت معنى حديثه ، حتى دفناه معه»^(٣) .

● إخبار أمير المؤمنين (ع) عن المغيبات :

٤٣ - (نهج البلاغة) : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، ضمن الخطبة : «فاسألوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده ، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مئة ، وتضل مئة ، إلا أنباتكم

(١) المصدر نفسه : ١٩٣/٤ .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) : ٢٢٥/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٢٧/٢ .

بناعقها ، وقائدها ، وسائقها ، ومناخ ركابها ، ومحط رحالها ، ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ومن يموت منهم موتاً . ولو قد فقدتموني ، ونزلت بكم كرائه الأمور ، وحوازب الخطوب ، لأطرق كثير من السائلين ، وفشل كثير من المسؤولين . . .»^(١) .

٤٤ - (الأنوار النعمانية) : روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، «كان يخطب على المنبر ، فقال : أيها الناس ! سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماوات ، فإنني أعرف بها مني بطرق الأرض . فقام رجل من القوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أين جبرئيل ، هذا الوقت ؟ فقال ، عليه السلام : دعني أنظر ، فنظر إلى فوق ، وإلى الأرض ، ويمنة ، ويسرة ، فقال : أنت جبرئيل ! فطار من بين القوم . شق سقف المسجد بجناحه ، فكبر الناس ، وقالوا : الله أكبر يا أمير المؤمنين ، من أين علمت أن هذا جبرئيل ؟ فقال : إنني لما نظرت إلى السماء ، بلغ نظري إلى ما فوق العرش والحجب ، ولما نظرت إلى الأرض ، خرق بصري طبقات الأرض إلى الثرى ، ولما نظرت يمنة ويسرة رأيت ما خلق ، ولم أر جبرئيل في هذه المخلوقات ، فعلمت أنه هو !!»^(٢) .

(١) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : الخطبة ٩٣ - ص ٣٦ .
(٢) الأنوار النعمانية : ٣١/١ ، ووردت الرواية باختلاف آخر : «... فرمق بطرفه إلى السماء ، ثم رمق بطرفه إلى الأرض ، ثم رمق إلى المشرق ، ثم رمق إلى المغرب ، فلم يجد موضعاً ، فالتفت إليه ، وقال له : يا ذا الشيخ أنت جبرئيل ! قال : فصفق طائراً من بين الناس ، فضجَّ عند ذلك الحاضرون ، وقالوا نشهد أنك خليفة رسول الله حقاً حقاً» . (راجع مدينة المعاجز : ص ١٥) .

إنَّ هذا الحديث يثبت سمو ، وارتفاع ، وشموخ مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، كما يثبت إحاطته الكاملة بمعرفة ما في السماوات ، وقدرته على الاطلاع والإحاطة بجميع أسرار عالم الملكوت .

والملفت للنظر والتأمل أن قدرة وإحاطة جميع الأئمة الطاهرين بمعرفة الأسرار ذاتها ، لكن أحداً منهم (ع) ، لم يستطع أن يقول عبارة أمير المؤمنين ، عليه السلام ، المشهورة : (سلوني قبل أن تفقدوني) ، وقد ادعى بعض الناس ، ذلك ، إلا أنه افتضح أمره ، وذل شأنه :

٤٥ - الشيخ المفيد في (الإرشاد)^(١) ، والشيخ الطبرسي في (الاحتجاج)^(٢) ، وابن شهر آشوب في (المناقب) ، وغيرهم ، نقلوا :

«إنَّ أمير المؤمنين (ع) ، كان يخطب ، فقال في خطبته : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فتنة تضل مائة ، وتهدي مائة ، إلا أنباتكم بناعقها ، وسائقها ، إلى يوم القيامة . فقام إليه رجل (الأشعث بن قيس) ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ؟!

«فقال أمير المؤمنين (ع) : والله لقد حدثني خليلي رسول الله (ص) ، بما سألت عنه ، وإنَّ على كل طاقة شعر في رأسك ، ملكاً يلعنك ، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك ، شيطاناً يستفزك ، وإنَّ في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله ، ذلك مصداق ما

(١) الإرشاد : ص ١٧٤ .

(٢) الاحتجاج : ٢٦١/١ .

أخبرتك به ، ولولا أن الذي سألت يعسر برهانه ، لأخبرتك به ، ولكن آية ذلك ما نباتك من لعنك ، وسخلك الملعون ، وكان ابنه في ذلك الوقت ، صغيراً يحبو ، فلما كان من أمر الحسين (ع) ما كان ، تولى قتله ، وكان الأمر كما قال أمير المؤمنين ، عليه السلام»^(١) .

٤٦ - كان الإمام علي بن أبي طالب (ع) يقول مراراً : «سلوني قبل أن تفقدوني . . . لا يقولها بعدي إلا مدّع كذاب»^(٢) .

أقول : إن الأئمة الأطهار من ولده (ع) ، كانوا مستثنيين من هذا القول لأنهم ورثة علوم النبي الأكرم (ص) ، ولقد مضى على قوله هذا (ع) ، ما يزيد على أربعة عشر قرناً ، ورغم انتشار العلم ، الذي مكن الإنسان من بلوغ السماء ، والبحث فيها عن الكواكب والأجرام ، فإن أحداً من علماء الشرق والغرب ، لم يستطع أن يدعي هذا القول !

٤٧ - وعلى سبيل المثال ، نقل قصة ابن الجوزي^(٣) : «إن

(١) يبدو من مقابلة النص أن سماحة المؤلف ، حفظه المولى ، نقل الرواية عن (الاحتجاج) - ووردت الرواية في البحار : ٦٧٦/٨ - ط . حجرية) ، و(إعلام الوري بأعلام الهدى : ص ١٧٧) .

(٢) إرشاد القلوب : ١٦٩/٢ .

(٣) الجوزي : لقب بذلك لجوزة كانت في دارهم ، لم يكن بـ (واسط) سواها ، وقيل : إنه منسوب إلى (فرضة الجوز) ، وهو موضع مشهور ، وقيل بسبب بيعه الجوز : هو عبد الرحمن بن علي البكري الحنبلي ، كان له يد طولى في التفسير ، والحديث ، وصناعة الوعظ ، وفي كل =

ابن الجوزي قال يوماً علي منبره : (سلوني قبل أن تفقدوني !) ، فسألته امرأة عما روي أن علياً سار في ليلة إلى سلمان فجهزه ورجع ، فقال : روي ذلك . قالت : فعثمان تمّ ثلاثة أيام منبوذاً في المزابل ، وعلي ، عليه السلام ، حاضر ، قال : نعم . فقالت : فقد لزم الخطأ لأحدهما ! فقال : إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك ، فعليك لعنة الله ، وإلا فعليه ! ، فقالت : خرجت عائشة إلى حرب علي بإذن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أو لا ؟ فانقطع ، ولم يحرجوا^(١) .

= العلوم ، وكان لا يراعي أحداً في ذكر نقائصه ، ومطاعنه ، وقد طعن في كتاب (تلبيس إبليس) على الغزالي ، في مشبه على طريق الصوفية ، وذكره في (الإحياء) ما لا ينبغي للعالم ذكره ، كذكره حكاية سارق الحمام في تعليم المسترشدين ، ونحوه ، وذكره الأحاديث الموضوعة في مؤلفاته . وجمع أغلاط كتاب (الإحياء) في مجموعة ، وسماها (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) ، وذكر أيضاً في عبد القادر الجيلاني ما يضيع من مرتبته ، فلهذا حبسوه خمس سنين . وله مصنفات كثيرة بلغ مجموعها مئتين ونيفاً وخمسين كتاباً ورسالة ، منها : كتاب (الرد على المتعصب العنيد ، المانع عن لعن يزيد) رد فيه على عبد المغيث ابن زهير الحلبي ، حيث صنف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية . وكان ابن الجوزي رأس الأذكياء ، وله حكايات طريفة ، ليس مقام ذكرها . توفي في بغداد سنة (٥٩٧ هـ) (راجع الرسالة المستطرفة : ص ٣٤ - سفينة البحار : ١٩١/١ - وفيات الأعيان : ١٤٠/٣ - تذكرة الحفاظ : ١٣٤٢/٤ - عبر الذهبي : ١١٨/٣ - الشذرات : ٣٢٩/٤ - الكامل لابن الأثير : ١٧١/١٢ - مرآة الجنان : ٤٨٩/٣ - البداية والنهاية : ٢٨/١٣ - النجوم الزاهرة : ١٨٠/٦) .

(١) قال ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة : ٤٦/٧) : «روي =

= صاحب كتاب (الاستيعاب) وهو أبو عمر محمد بن عبد البر ، عن جماعة من الرواة والمحدثين ، قالوا : لم يقل أحد من الصحابة ، رضي الله عنهم : «سلوني» إلا علي بن أبي طالب . وروى شيخنا أبو جعفر الإسكافي في كتاب (نقض العثمانية) عن علي بن الجعد ، عن ابن شبرمة ، قال : «ليس لأحد من الناس ، أن يقول على المنبر (سلوني) ، إلا علي بن أبي طالب ، عليه السلام» .

وقد وهم ابن أبي الحديد بهذا القول ، فإن جماعة تورطوا بهذه الكلمة ، فانقطعوا ، وبدا عجزهم لما سئلوا ، أمثال إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومي (تاريخ بغداد : ١٣/١٦٣) ، ومقاتل بن سليمان (تاريخ بغداد : ١٣/١٦٣) . وابن الجوزي كما روى سماحة المؤلف - حفظه المولى - في المتن . ولا بأس بذكر ما روي عن قتادة بن دعامة أنه دخل الكوفة ، فالتفت إليه الناس فقال : (سلوني عما شئتم) ، وكان أبو حنيفة حاضراً ، وهو غلام حدث السن ، فقال : أسألوه عن نملة سليمان ، أكان ذكراً أم أنثى ؟ ، فسألوه فانقطع ، فقال أبو حنيفة : كانت أنثى . ف قيل له : بم عرفت ذلك ؟ قال : من كتاب الله وهو قوله تعالى : ﴿قالت نملة﴾ ولو كان ذكراً لقال : قال نملة ، وذلك لأن لفظ النملة يقع على الذكر والأنثى كلفظ الحمامة والشاة ، وإنما يميز بينهما بعلامة التأنيث .

قال ابن الحاجب في بعض تصانيفه : إن مثل الشاة ، والحمامة ، والنملة ، من الحيوانات ، فيها تأنيث لفظي ، ولذا كان قول من قال : إن النملة في قوله تعالى : ﴿قالت نملة﴾ أنثى ، لورود تاء التأنيث في (قالت) ، وهماً ، لجواز أن يكون ذكراً في الحقيقة ، وورود تاء التأنيث في الفعل ، نظراً إلى التأنيث اللفظي ، ولذا قيل : «إفحام قتادة خير من جواب أبي حنيفة» .

وقال مقاتل بن سليمان يوماً ، وقد دخلته أُبَّهة العلم : سلوني عما تحت =

٤٨ - (نهج البلاغة) : قال الإمام أمير المؤمنين (ع) ضمن خطبة له : «والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم ، بمخرجه ، ومولجه ، وجميع شأنه ، لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ، صلى الله عليه وآله ، ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه . . .» (١) .

٤٩ - (مناقب ابن شهرآشوب) : «ومن خطبة له (ع) : ويل هذه الأمة من رجالهم ، الشجرة الملعونة ، التي ذكرها ربكم تعالى ، أولهم خضراء ، وآخرهم هزماء» (٢) ، ثم يلي بعدهم أمر

= العرش إلى أسفل الثرى ! فقال له رجل : ما نسألك عن شيء من ذلك ، إنما نسألك عما معك في الأرض ، أخبرني عن كلب أهل الكهف ، ما كان لونه ؟ فأفحمه !

ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ، ولحظ بعين العالم المتفنن ، سعد المنبر ، وقد غصَّ المحفل ، واعتلى تبريزاً على علماء وقته ، مع فضل جاه ، اشتمل به من السلطان ، فقال : ليسألني من شاء عما شاء ! فقام إليه أحد الأغفال ، فقال له : ما الفتيل ، والقطمير ؟ فلم يحر جواباً وأفحم ، ونزل خجلاً ، وانصرف إلى منزله كسلاً !

وقال قتادة : ما سمعت قط شيئاً إلا حفظته ، ولا حفظت قط شيئاً فنسيته ، ثم قال : يا غلام ! هات نعليَّ . فقال : هما في رجلك ، ففضحه الله !

(راجع هامش كتاب الغارات : ص ٦ - شرح النهج : ٤٦/٧ - كتاب سلوني للحكيمة : ٣٤٠/٢ وما بعدها - حياة الحيوان الكبرى : ٣٦٨/٢ - شرح مقامات الحريري للشريشي : ٨٨/٢) .

(١) نهج البلاغة بشرح محمد عبده : ص ٢٨٥ . الخطبة رقم (١٦٨) .

(٢) من قولهم تهزمت العصاء : أي تشققت .

أمة محمد رجال ، أولهم أرفهم ، وثانيهم أفتكهم ، وخامسهم كبشهم ، وسابعهم أعلمهم ، وعاشرهم أكفرهم ، يقتله أخصهم به ، وخامس عشرهم كثير العناء ، قليل الغناء ، سادس عشرهم ، أقضاهم للذمم ، وأوصلهم للرحم ، كأني أرى ثامن عشرهم تفحص رجلاه في دمه ، بعد أن يأخذ جنده بكظمه ، من ولده ثلاثة رجال ، سيرتهم سيرة الضلال ، والثاني والعشرون منهم ، الشيخ الهرم ، تطول أعوامه ، وتوافق الرعية أيامه ، والسادس والعشرون منهم ، يشرد الملك منه ، شرود المنفتق ، ويعضده الهزرة المتفیهق^(١) ، لكأني أراه على جسد (الزوراء) قتيلاً ، ذلك بما قدمت يداه ، وأن الله ليس بظلام للعبيد»^(٢) .

(١) الهزر : المغبون الأحمق . وقال الفيروزآبادي : «تفیهق في كلامه : تنطع وتوسع ، كأنه ملاً به فمه» .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٢٧٦/٢ . وملخص ما ذكره المجلسي (ره) في (البحار) ، أن بني العباس أولهم : (السفاح) ، وهو أرفهم ، وثانيهم : (المنصور) ، وهو أفتكهم ، أي أكثرهم قتلاً للناس ، خدعة ومكراً ، وخامسهم : (الرشيد) ، وهو كبشهم ، حيث استقر ملكه ، وسابعهم : (المأمون) ، وهو أعلمهم ، وعاشرهم : (المتوكل) ، وهو أكفرهم ، لشدة نصبه ، وقتله أخصّ غلماناه ، وخامس عشرهم : (المعتد) ، وكثرة عنائه كان من جهة اشتغاله ، في أكثر أيامه ، بمحاربة صاحب الزنج ، وسادس عشرهم : (المعتضد) ، قضى عهده في صلة العلويين ، بعدما رأى في منامه أمير المؤمنين (ع) ، وثامن عشرهم : (المقتدر) ، خرج عليه مونس الخادم ، وحاربه ، وقتل في المعركة ببغداد ، ثم استولى على الخلافة ثلاثة من ولده : (الراضي) ، و(المتقي) ، و(المطيع) ، وأما الثاني والعشرون منهم ، فهو (المكتفي) =

ففي هذه الخطبة ، كما نلاحظ ، يشرح الإمام أمير المؤمنين (ع) ، الوقائع ، والحوادث التي ستقع بعد مئات السنين ، شرحاً وافياً ، كالمعاني ، وليس ذلك منه (ع) إلا من قبيل علمه (ع) بالغيب ، وأن علمه علم حضوري ، لا يدع لأحد مجالاً للشك والشبهة .

وفي تأييد ما نقوله ، يقول الشيخ المفيد ، أعلى الله مقامه : «والذي كان من أمير المؤمنين ، عليه السلام ، من هذا الجنس ، ما لا يستطيع إنكاره ، إلا مع الغباوة والجهل ، والبهت والعناد ، ألا ترى إلى ما تظاهرت به الأخبار ، وانتشرت به الآثار ، ونقلته الكافة عنه ، عليه السلام»^(١) .

٥٠ - بعد أن بايع المسلمون الإمام أمير المؤمنين (ع) قال : «أمرت بقتال الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين» فقاتلهم (ع) ، وكان الأمر فيما خبر به علي ما قال^(٢) .

= بالله) ، لكن لما كانت أيام ملكه قليلة ، احتل العلامة المجلسي (ره) ، الخطأ للناسخ ، أو السهو للراوي ، وكون المذكور ، إما (القادر بالله) ، أو (القائم بأمر الله) ، والأول عمراً ستاً وثمانين سنة ، ومدة خلافته إحدى وأربعون ، والثاني عمراً ستاً وسبعين سنة ، ومدة خلافته أربع وأربعون ، واستظهر كون السادس والعشرين : (المستعصم) ، مع كونه السابع والثلاثين من ملوكهم ، ووجه المراد ، بأنهم بهذه العدة من عظمائهم ، أو في هذه الطبقات من أولاد العباس . (راجع هامش المناقب : ٢٧٦/٢) .

(١) الإرشاد : ص ١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٦٦ . وفي المجلد الثامن من (البحار) الطبعة =

٥١ - وقال أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، لطلحة والزبير ، حين استأذناه في الخروج إلى العمرة : « لا والله ! ما تريدان العمرة ، وإنما تريدان البصرة » وكان الأمر كما قال (ع) ، حيث حرصا الناس عليه ، وهياً مقدمات حرب الجمل^(١) .

٥٢ - وقال (ع) : بـ (ذي قار) ، وهو جالس لأخذ البيعة : « يأتاكم من قبل الكوفة ، ألف رجل ، لا يزيدون رجلاً ، ولا ينقصون رجلاً ، يبايعونني على الموت » . قال ابن عباس : فجزعت لذلك ، وخفت أن ينقص القوم عن العدد ، أو يزيدون عليه ، فيفسد الأمر علينا ، ولم أزل مهموماً ، دأبي إحصاء القوم ، حتى ورد أوائلهم ، فجعلت أحصيهم ، فاستوفيت عددهم تسعمئة وتسعة وتسعين رجلاً ، ثم انقطع مجيء القوم ، فقلت : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، ماذا حملة على ما قال ؟! فبينما أنا مفكر في ذلك ، إذ رأيت شخصاً قد أقبل ، حتى إذا دنا ، وإذا هو راجل ، عليه قباء صوف ، معه سيفه وترسه ، وإداوته ، فقرب من أمير المؤمنين (ع) ، فقال له : أمدد يدك أبايعك ! فقال له أمير المؤمنين (ع) : علام تبايعني ؟ قال : على السمع والطاعة ، والقتال بين يديك ، حتى أموت ، أو يفتح الله عليك ! فقال له : ما اسمك ؟ قال : أويس . قال : أنت أويس القرني ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! أخبرني حبيبي رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، أنني أدرك رجلاً من أمته ، يقال له أويس القرني^(٢) ، يكون

= الحجرية : ص ٤٢٢ : « عن الرضا ، عن آبائه (ع) ، قال رسول الله (ص) ، لأم سلمة : اشهدي عليّ أن علياً يقاتل الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين » .

(١) و (٢) عن الإرشاد : ص ١٦٦ .

من أنصار الله ورسوله ، يموت على الشهادة ، يدخل في شفاعته
مثل ربعة ومضر .

٥٣ - (الإرشاد) : «عن جويرية بن مسهر العبدي ، قال : لما
توجهنا مع أمير المؤمنين (ع) إلى (صفين) ، فبلغنا طفوف
(كربلاء) ، وقف ناحية من المعسكر ، ثم نظر يميناً وشمالاً ،
واستعبر ، ثم قال : هذا ، والله ، مناخ ركابهم ، وموضع منيتهم !
فقيل : يا أمير المؤمنين ! ما هذا الموضع ؟ فقال : هذا كربلاء ،
يقتل فيه قوم ، يدخلون الجنة بغير حساب ! ثم سار ، وكان الناس
لا يعرفون تأويل ما قال ، حتى كان من أمر الحسين بن علي ،
عليهما السلام ، وأصحابه بالطف ، ما كان ، فعرف حينئذٍ من
سمع كلامه ، مصداق الخبر فيما أنبأهم به»^(١) .

٥٤ - (مناقب ابن شهر آشوب) : «الأعمش بروايته عن رجل
من همدان ، قال : كنا مع علي ، عليه السلام ، بـ (صفين) ،
فهزم أهل الشام ميمنة العراق ، فهتف بهم الأشر ليتراجعوا ،
فجعل أمير المؤمنين ، عليه السلام ، يقول لأهل الشام : يا أبا
مسلم خذهم ! (ثلاث مرات) ، فقال الأشر : أوليس أبو مسلم
معهم ؟ قال : لست أريد الخولاني ، وإنما أريد رجلاً يخرج في
آخر الزمان من المشرق ، يهلك الله به أهل الشام ، ويسلب عن
بني أمية ملكهم»^(٢) .

٥٥ - (مناقب ابن شهر آشوب) : «ابن بطة في (الإبانة) ،

(١) الإرشاد : ص ١٧٥ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٢٦٢/٢ .

وأبو داود في (السنن) ، عن أبي مجلد في خبر أنه قال ، عليه السلام ، في الخوارج ، مخاطباً لأصحابه : والله لا يقتل منكم عشرة ، وفي رواية : لا ينفلت منهم عشرة ، ولا يهلك منا عشرة ! فقتل من أصحابه تسعة ، وانفلت منهم تسعة ، إثنان إلى (سجستان) ، وإثنان إلى (عمان) ، وإثنان إلى بلاد الجزيرة ، وإثنان إلى (اليمن) ، وواحد إلى (موزن) ، والخوارج من هذه المواضع منهم .

أقول : وهذا أيضاً من باب أخبار الغيب ، وعلم ما لم يقع ، وقد نقله الفريقان : الشيعة ، والسنة .

● أصحاب أمير المؤمنين يخبرون عن الغيب :

٥٦- يروي الشيخ الكشي : «عن فضيل بن الزبير ، قال : مرّ ميثم التمار ، على فرس له ، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي ، عند مجلس بني أسد ، فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، ثم قال حبيب : لكأني بشيخ أصلع ، ضخم البطن ، يبيع البطيخ عند (دار الرزق) ، وقد صُلب في حب أهل بيته ، عليهم السلام ، ويُبقر بطنه على الخشبة ! فقال ميثم : وإني لأعرف رجلاً أحمر ، له ضفيرتان ، يخرج لينصر ابن نبيه ، عليهما السلام ، فيقتل ، ويُجال برأسه بـ (الكوفة) ! ثم افترقا . فقال أهل المجلس : ما رأينا أحداً أكذب من هذين !! قال : فلم يفترق أهل المجلس ، حتى أقبل رشيد الهجري ، فطلبهما ، فسأل أهل المجلس عنهما ، فقالوا : افترقا ، وسمعناهما يقولان كذا ، وكذا . فقال رشيد : رحم الله ميثماً ! ونسي : ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم ! ثم أدبر . فقال القوم : هذا والله

أكذبهم ! فقال القوم : والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأيناه
مصلوباً على باب دار عمرو بن حريث ، وجيء برأس حبيب بن
مظاهر ، قد قتل مع الحسين ، عليه السلام ، ورأينا كل ما قالوا ،
وكان حبيب من السبعين الرجل الذين نصرروا الحسين ، عليه
السلام . . . »^(١) .

هنا يجب أن نذكر بأن ما يقوله أصحاب الرسول الأكرم
(ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ، إنما هو من أثر تعليم الأئمة (ع)
لهؤلاء الأصحاب الخواص ، لقدرتهم على درك وفهم الحقائق
والمعارف التي يكتسبونها بالتعلم ، أو يطلعون على بعض الأسرار
والمغيبات التي كان الرسول (ص) ، أو الإمام المعصوم (ع)
يطلعهم عليها ، ويؤيد ما نقول روايات عديدة ذكرنا بعضها ،
وسائرهما مسطور في بطون الكتب .

٥٧ - (الإرشاد) : «عن زياد بن النضر الحارثي ، قال : كنت
عند زياد^(٢) ، إذ أتني برشيد الهجري ، فقال له زياد : ما قال لك
صاحبك - يعني علياً ، عليه السلام - إنا فاعلون بك ؟ قال :
تقطعون يدي ورجلي ، وتصلبونني ! فقال زياد : أما والله ! لأكذبنَّ
حديثه ، خلوا سبيله ! فلما أراد أن يخرج ، قال زياد : والله ما
نجد له شيئاً شراً مما قال له صاحبه ، إقطعوا يديه ورجليه ،
واصلبوه . فقال رشيد : هيهات ، قد بقي لي عندكم شيء أخبرني
به أمير المؤمنين (ع) ! فقال زياد : إقطعوا لسانه . فقال رشيد :
الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين ، عليه السلام ، وهذا

(١) مجمع الرجال للقهبائي : ٨٠/٢ .

(٢) يعني زياد بن أبيه .

الخبر نقله المؤلف والمخالف . . .» (١) .

٥٨ - (الإرشاد) : «ومن ذلك ما رواه أصحاب السيرة ، من طرق مختلفة ، أن الحجاج بن يوسف الثقفي ، قال ذات يوم : أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب ، فأتقرب إلى الله بدمه !! فقيل له : ما نعلم أحداً كان له أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه ، فبعث في طلبه ، فأتي به ، فقال له : أنت قنبر؟ قال : نعم . قال : أبو همدان؟ قال : نعم . قال : مولى علي بن أبي طالب؟ قال : الله مولاي ، وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي ! قال : إبرأ من دينه؟ قال : فإذا برئت من دينه ، تدلني على دين غيره أفضل منه؟! قال : إني قاتلك ، فاختر أي قتلة أحب إليك . قال : قد صيرت ذلك إليك ! قال : ولم؟ قال : لأنك لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها ، ولقد أخبرني أمير المؤمنين (ع) أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق ، قال : فأمر به فذبح . وهذا أيضاً من الأخبار التي صحت عن أمير المؤمنين بالغيب ، وحصلت في باب المعجز القاهر ، والدليل الباهر ، والعلم الذي خص الله به حججه من أنبيائه ، ورسله ، وأصفيائه ، عليهم السلام» (٢) .

● الطريق إلى المجهولات :

قلنا : إن علم الغيب الذي يرجع إلى المخلوقات ، ويكون نطاقه عالم التكوين فقط ، على نوعين :

النوع الأول : وهو الغيب الذي تنبأ به الأفراد والأشخاص الذين اصطفاهم الله سبحانه ، فبالوحي والإلهام ، وسائر طرق

(١) الإرشاد : ص ١٧٢ .

(٢) الإرشاد : ص ١٧٣ .

التعليم الإلهية ، أخبروا بالغيب ، وهم الأنبياء والأولياء ، والرسول الأكرم (ص) ، والأئمة المعصومون (ع) منهم خاصة ، إذ لا يحتاجون إلى مدرسة أو مكتب ، أو تجربة يتعلمون فيها ، أو من خلالها ، وهذا النوع من علم الغيب خاص بسفراء الله وخلفائه ، وهو علم (لدنيّ) ، وذاتي ، وحضوري ، وقد سبق الكلام في ذلك ، بما ذكرناه من الأدلة العقلية والنقلية .

النوع الثاني : وهو الغيب الذي يكتسبه الأشخاص العاديون والناس البسطاء ، نتيجة ممارستهم لبعض الأشياء . وهذا النوع من الغيب له طابع نسبي ، يتغير بتغير الزمان ، والمكان ، والأشخاص ، والشروط اللازمة له .

ومن الممكن أن يكون موضوع ما ، في زمن معين ، غيباً ، فبتغير الظروف ، والأزمان ، والشروط ، يصبح مشهوداً حاضراً للعيان .

وعلى هذا الأساس ، إنَّ المجهولات التي تكون بإرادة الباري ، جل وعلا ، تتواجد بين طبقات الزمان والمكان ، في عالم التكوين والوجود ، وبسبب عدم رؤيتها ، لانتفاء في القدرة ، أو قصر في الشروط ، نطلق عليها تسمية (المغيبات) ، علماً أنها ليست غيباً مطلقاً ، وأبدياً ، وإنما هي في مدار وجودها ومكانها التكويني تعتبر أموراً ثابتة ، وأشياء واضحة ، وموجودة ، ومحسوسة ، ومشهودة ، ويمكن بسبب ضعفنا ، وقصور علمنا ، ومحدودية رؤيتنا ، أن نعجز عن دركها ، ونقصر في الوصول إليها ، والإهتداء إلى مكانها ، وعوضاً عن الإعراف بالعجز ندعوها بـ (المغيبات) ، وقس صحة هذا التعبير بإطلاق كلمة

(الغيب) على جميع المشهودات التي نعجز واقعاً عن إدراكها .

ومع هذا فإن هذا التعبير يكون نسبياً ، ومجازياً ، ولا يصدق على جميع أفراد البشر . لأننا نجد استثناءات كثيرة فيما قلناه ، إذ إن موضوعاً كان في يوم من الأيام ، عند أكثر الناس ، من المغيبات انتقل إلى دائرة المشهودات ، بتوفر الظروف والأزمان ، والأسباب ، وبطل الإدعاء عليه بأنه كان غيباً لا يدرك .

وأما بخلاف ذلك ، فإن الغيب المسند إلى ذات الجلالة ، وحرَمِ القدس الإلهي ، كائن غيباً ، دائماً وأبداً ، بتعدد الأزمنة والأمكنة ، وتغير الأشخاص وشرائطهم ، فهو غيب مطلق ، وغير قابل للتصور ، والدرك ، والتشخيص ، ولا يقبل استثناء من أي مورد ، مطلقاً ، باعتباره ممتنعاً بمنظور العقل والفلسفة .

ومن المؤكد أننا نعلم علم اليقين ، ونقطع بوجودها ، ولكن الظروف والأسباب والكيفية التي أوجدتها ، ووجدت فيها ، والأسرار التي تختفي وراء هذه المغيبات ، ووراء الغيب المطلق ، كلها تشكل مسألة غير محلولة ، بل لا يمكن حلها .

ويؤكد ما ذكرناه ، قول أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) : «ولم يغب عن علمه شيء فيعلم بحيثية ، مبائن لجميع ما أحدث في الصفات ، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات ، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات ، محرّم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده ، وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه ، وعلى غوائص سابحات الفطر تصويره . . . ممتنع عن الأوهام أن تكتننه ، وعن الأفهام أن تستغرقه ، وعن الأذهان أن تمثله ، قد يشت من استنباط الإحاطة به طوامح العقول ،

ونضبت عن الإشارة إليه بالإكتناه بحار العلوم ، ورجعن بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم . . . » ، « لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس » ، « علام الغيوب ، فمعاني الخلق عنه منفيّة ، وسرائرهم عليه غير مخفية . . . لا يُدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الأفكار ، ولا تقدره العقول ، ولا تقع عليه الأوهام . . . »^(١) .

ونذكر بما قلناه فيما سبق : إنّ المجهولات التي تخص عالم الوجود ، وعالم الخلق ، هي كالغيب المطلق ، الذي يرجع إلى ذات الجلالة ، فهي غير قابلة للدرك والوصف .

ولكن سفراء الله ، سبحانه وتعالى ، وأنبياءه ، ورسوله ، شرحوا لنا أحوال بعض هذه المغيبات التي استقوا معرفتها من علوم المكتب الإلهي الأزلي ، بالوحي ، أو بالإلهام ، كما أسلفنا ، بحيث أصبح البشري العادي بإمكانه ، اعتماداً على قوة عقله الذي خلقه الله ، سبحانه وتعالى ، وعلى قدرة علمه وتفحصه ، أن يفهم بعض أسرار الخلق في عالم الوجود ، ويكتشف أسراراً كثيرة كانت في وقت ما ضمن المغيبات ، وبعبارة أخرى فقد استطاع أن يبدل الغيب بتوفر في الظروف والمناسبات والأزمات والشروط إلى مشهود حاضر ، وهذا ما نريد أن نوضحه في هذا الموضوع :

● تبدل المغيبات إلى مشهودات :

لو فرضنا أنّ شخصاً كان قد مات قبل مئات السنين ، وأحياه

(١) التوحيد : ٧٠ و ٧٩ .

الله سبحانه بقدرته التي لا تحد، هذا اليوم ، ودخل في مجتمعنا الحاضر ، بكل مقوماته الحضارية ، وما هو عليه من تطور في جميع المجالات ، فإن هذا الشخص سوف يلاحظ ، ويعاين أشياء عديدة ، كانت له في حكم الغيب ، بحيث يراها واضحة للعيان حتى أن الطفل في زماننا الحاضر يستطيع إحضارها لأنها من إنبدييات العادية .

ولو أن (أرسطو) العالم اليوناني الشهير ، وواضع قواعد علم المنطق والفلسفة ، مع كل علمه ومعلوماته ، فلو أحياء الله سبحانه ، هذا اليوم ، ودخل في مجتمع القرن العشرين ، لوجد أن ما كان يعتبره إبداعاً في علوم المنطق والفلسفة ، وغيرها من العلوم ، لا يقاس بعلم طفل مبتدىء في عصرنا ، ولوجد أن علم ذلك الطفل في كثير من المسائل المعاصرة ، يبعث الدهشة في نفس (أرسطو) من جهله لها .

ولو أخذ (أرسطو) يتجول في الأزقة ، والطرقات ، والشوارع العريضة ، في عالمنا المعاصر ، لرأى أموراً عجيبة ، خارقة للعادة ، كحركة السيارات السريعة ، والقطارات ، والطائرات ، وسفن الفضاء ، وخروج الصوت ، والموسيقى ، والأخبار ، وظهور الصور الملونة والمتحركة من شاشة (التلفاز) ، والهاتف ، وإضاءة الشوارع والمخازن ، والمنازل بالكهرباء ، ولرأى آلافاً من المواضيع الأخرى ، التي تثير إعجابه ، فيستنتج ويعترف معتمداً على مشاهداته ، أن الأمور التي كانت في زمانه ، أموراً غيبية ، لا يمكن تصورها ، أو لم يتصورها أهل زمانه ، هي أشياء عادية طبيعية ، بحيث أنه يرى ، أن كل ما حوله يمطر غيباً يتبدل إلى حقيقة واضحة للعيان ، بسبب نقص علوم ومعرفة الأقدمين ،

وكمال معرفة المعاصرين .

وكذلك الأمر بالنسبة لنا ، فكثير من الأمور التي نعتبرها أموراً غيبية ، سوف تكون في المستقبل أموراً ومواضيع شاهدة ، ماثلة ، حاضرة .

ولتوضيح ما قلناه ، نأتي بمثال بسيط : لنفرض أن شخصاً يتمتع بعينين سليمتين ، واقف إلى جانب آخر أعمى ، أمام لوحة جميلة ، بديعة الألوان .

نلاحظ أن منظر اللوحة وجمالها مشهود لصاحب العينين السليمتين ، أما الرجل الأعمى ، فتكون اللوحة في حكم الغيب بالنسبة له ، فنسأل :

هل اللوحة الجميلة هي بنفسها غائبة عن العيون ، وغير ظاهرة ، أم إنَّ الرجل الأعمى ، ولسبب فقدانه للرؤية ، عاجز عن مشاهدة ودرك اللوحة ؟

فمن الطبيعي والبديهي في الجواب : إن وجود اللوحة أمر معروف في مفروض المثال ، ولكن عجز الرجل الأعمى غيب جمالها عنه ، حتى أنه لا يشعر بوجودها .

ولنفرض مرة ثانية : أن الرجل الأعمى عاد بصيراً ، نتيجة عملية جراحية ، أو سبب آخر ، فإنه سوف تكون اللوحة أمامه أمراً مشهوداً .

فالتغيير الحاصل بين الغيب والمشاهدة ، هو الذي أصاب الرجل الأعمى ، بعد أن استرد عينيه ، أو قل سبب الرؤية والعلم ، والمعرفة ، والمشاهدة ، فيعترف بكل شيء حوله ، لم

يكن قادراً على رؤيته ، وكان يعتبره من المغيبات .

وهكذا فالتقص العضوي في الإنسان ، يمنعه من رؤية ، وسماع ، ودرك كثير من عناصر عالم الخلق الإلهية التي يحتويها عالم الوجود ، وبضعف الإنسان العام الذي نص عليه القرآن الكريم ، بقوله تعالى : ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾^(١) يعجز عن درك المناظر والموضوعات اللامتناهية في عالم الوجود ، سواء أكان هذا الضعف ناتجاً عن أمر طبيعي ، أم عن نقص في العلم والمعلومات .

وفي كل حال ، فإن السبب الرئيس لبقاء بعض الموجودات خافياً عن نظر الإنسان ، أو علمه به ، عائد إلى محدودية علم الإنسان ، وليس الإستتار المطلق لمظاهر الخلق ، وعليه فإن هذا النقص يجب أن يترمم .

أما بالنسبة لسفراء الله ، سبحانه وتعالى ، وأشرف مخلوقاته الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الطاهرين (ع) ، فقد ثبت أنهم يؤيدون من الله ، عز وجل ، وهم تلامذة المكتب الإلهي الأزلي ، وعندهم العلم (اللذني) ، وهم منزهون عن النقص حتى يحاولوا إكماله ، لأن الباري ، جل شأنه ، خلقهم في أعلى حدّ من الكمال ، ونذكر بما قلناه في حقهم من آيات قرآنية ، وروايات كثيرة ، تؤكد علمهم بعلوم الأولين والآخرين ، وما غاب عن عالم التكوين ، ومجهولات عالم الوجود ، وبتأييد من الباري ، جل وعلا ، كما تؤكد علمهم واطلاعهم بجميع ذلك ، بالفعل وبالحضور .

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٨ .

أما سائر أفراد البشر ، فإنَّ الله ، تبارك وتعالى ، قد فتح لهم باب تحصيل العلم واكتساب الكمال ، وقضت حكمته تعالى ، أن يستفيد هذا الإنسان ، معتمداً على الجد ، والاجتهاد والتقوى ، والتوفيق الإلهي ، من قواه المكنونة ، فيحولها إلى عمل مؤثر جدِّي ، يحقق له سلطاناً يمكنه من النفوذ إلى أقطار السماوات والأرض ، كما يمكنه من العلم ومعرفة ما لا يعرفه . وهذا ما أكده الباري ، جل وعلا ، بقوله تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس ! إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض ، فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان﴾^(١) ، ويقول الباري ، جل وعلا ، في آية أخرى : ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق﴾^(٢) .

ويقول مولانا أمير المؤمنين علي (ع) :

دواؤك فيك وما تبصر	وداؤك منك وما تشعر
وأنت الكتاب المبين الذي	بأحرفه يظهر المضمّر
وتزعم أنك جرم صغير	وفيك انطوى العالم الأكبر

ونلاحظ مما ورد أن الله سبحانه وتعالى ، والأئمة الطاهرين (ع) ، يدعوننا إلى تحصيل العلم والتقوى ، ودرك وفهم حقائق عالم الوجود .

إنَّ إمكانية ذلك متاحة ، لأن العقل والتجربة يثبتان أن السَّعي والجد في الملاحظة والاختبار ، يمكن الإنسان من كشف

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

الأسرار الخافية ، وفيما يلي نذكر بعض النماذج والشواهد :

١- إنَّ القدماء ، لم يكونوا يعرفون شيئاً عن (الميكروسكوب) ، فكانوا يتصورون متوهمين ، أن أصغر المخلوقات هي التي كان باستطاعة الإنسان أن يراها ، بالعين المجردة ، كالنمل ، والبق ، وغيرها من المرئيات الصغيرة . أما الموجودات المتناهية في الصغر ، والتي لا ترى بالعين المجردة ، كـ (الميكروبات) كانت في نظرهم بحكم المغيبات .

إن القدماء ، وقبل مئات السنين ، كانوا يتصورون أن المخلوقات الإلهية هي فقط التي كانوا يبصرونها بالعين ، ولم يستطيعوا أن يتعرفوا على المخلوقات الصغيرة جداً ، التي ملأت الأرض والسموات .

وبعد أن اكتشف الإنسان (الميكروسكوب) ، استطاع أن يتغلب على ضعفه باكتشاف كثير من الأمور التي كانت مجهولة ، وفجأة وجد نفسه في دنيا مليئة بالعجائب والموجودات التي تعرف عليها من ملايين بل مليارات المخلوقات الحية التي خلقها البارئ ، جل وعلا ، والتي كانت فيما مضى أموراً غيبية ، وعرف الإنسان أن كثيراً من الأشياء التي لم يستطع أن يتعرف عليها في السابق ، كانت موجودة في عالم الوجود ، لكنه غافل عن معرفتها والاطلاع عليها ، أمثال الحيوانات والنباتات التي تتألف من خلية واحدة ، والتي كان يجهلها القدماء ، بينما العالم المعاصر ، ونتيجة للتقدم العلمي ، فقد استطاع أن يكتشفها ، وينفذ إلى مجتمعاتها ، ويتعرف على عائلاتها ، وأنواعها ، وطريقة حياتها ، وخواصها .

إنَّ عالم (الميكروب) اليوم ، عالم يشكل دنيا من الأسرار ، استطاع الإنسان المعاصر أن يعرفها جيداً ، فقسمها إلى أنواع ، وجعل لكل نوع ملفاً خاصاً ، يشمل طريقة حياتها ، وتغذيتها ، وتوليدها ، ومنافعها ، ومضارها ، وكل ذلك بطريقة واضحة مفهومة للجميع .

أما اليوم فإنَّ الموجودات الحية ، مقسّمة إلى سبعة أقسام ، تُرى بـ (الميكروسكوب) وهي حيوانات وحيدة الخلية مثل (البروتوزونات) و (الطحالب : الألكات) ، و (الاسكوميستات) و (البكتيريات) ، و (الليبيلات) ، و (الفايروس السام) ، وقد تناولتها غالبية الكتب العلمية ، وعرفها حتى طلاب المدارس الثانوية ، في حين كانت قبل عشرات قليلة من السنين مجهولة في الكتب العلمية والدراسية .

ولا شك أن كثيراً من مخلوقات الله تعالى ، غير معروف إلى الآن ، ونحسبها غيباً ، ولكن المستقبل كفيل بكشفها ، وإبطال غيبيتها في مفهومنا الحاضر .

٢- إن البشر بتقدمهم العلمي تعرّفوا على (الميكروبات) ، وكشفوا كثيراً من أسرار مخلوقات الله تعالى ، ولذلك فقد جعل ، سبحانه وتعالى ، علاج أمراضنا ، بين صفحات كتابه العزيز ، كتاب الخلقة (دواؤك فيك وما تبصر) ، وكذلك فقد أباح سبحانه لكل إنسان أن يتعرف على أسرار ذلك الكتاب ، بالعلم والإطلاع ، والدراسة ، وفي هذا الميدان العلمي ينتفي الفرق بين أبناء البشر ، رغم تمايزهم وتباينهم الواضح .

إنَّ الفائز الوحيد ، بين جميع بني البشر المتسابقين في

الميدان العلمي ، هو ذلك الذي يتمتع بالإخلاص المطلوب ، والفعالية الحقيقية ، فيكتشف المرض ودواءه ، ويُسجل اسمه في سجل المكتشفين ، ومن هنا برزت مجموعة أسماء لأدوية مكتشفة ، تعالج بها الأمراض المستعصية التي كان الإنسان يسير نحو الموت المحتم إن أصابته إحداها .

نضرب مثلاً : مرض الجدري ، فقد كان من الأمراض المستعصية الخطيرة ، ما أن يحل في مدينة ، أو قرية ، حتى يحصد الأولاد والرجال والنساء ، كما يحصد المنجل الزرع ، وتشاهد إثر تفشّيه ، آلاف العميان ، أو المشوهين ، أو الموتى ، وذلك نتيجة جهل الإنسان لأسباب الوقاية ، والدواء الشافي .

إنَّ الله ، سبحانه وتعالى ، عندما أوجد الداء والمرض ، فقد أوجد الدواء والشفاء ، وما على الإنسان إلا أن يبحث ويكتشف ليحصن نفسه من الأخطار .

ومن المستحسن أن نذكر قصة اكتشاف لقاح الجدري ليكون شاهداً على ما قلناه :

٣ - كان (إدوارد جنر)^(١) طالباً في كلية الطب ، وفي صباح أحد الأيام ، شاهد فتاة شابة ، تحمل بين يديها ، طفلاً مصاباً بالجدري ، وكانت البثور تملأ جميع أنحاء جسم الطفل ، فتقدم

(١) إدوارد جنر : (١٧٤٩ - ١٨٢٣ م) : طبيب إنجليزي ، لاحظ لدى حالات اللبن المصابات بجدري البقر ، حصانة من مرض الجدري ، أثبت بسلسلة من التجارب أن التطعيم بـ (فيروس) من حليب البقر ، يكسب الحصانة والمناعة من الجدري (الموسوعة العربية الميسرة : ص ٦٤٩) .

الطبيب ونصح الفتاة الشابة أن لا تلتصق الطفل المصاب ،
بجسدها حتى لا تنتقل العدوى إليها . فابتسمت الشابة وقالت
للطبيب : كن مطمئناً أنني لا أصاب بهذا المرض ! وعندما سألها
عن السبب قالت : كنت طفلة صغيرة ، أحلب البقرة ، فظهرت
على يدي بثور ، ثم زالت ، وأنا الآن أملك مناعة ضد هذا
المرض فلا أصاب به !

هذا الحديث البسيط ، الذي سمعه الطبيب من تلك الفتاة ،
أثار انتباهه ، كما يثار حسّ التتبع والبحث عنده ، عن هذا
المرض ، وعلم أن ما غاب عن أساتذته ، فلم يدركوه ، كما لم
يدركه علماء الطب ، طوال القرون المختلفة ، هبط على ذهنه
كالوحي والإلهام .

وتابع (جنر) أبحاثه وتجاربه ، إلى أن اكتشف مصلاً حصَّله
من بثور جسم البقرة عندها أعلن قدرته على القضاء على مرض
الجدري ، واستعداده لوقف آثاره القاتلة !

لكن ادعاء الطبيب هذا ، أثار حفيظة آباء الطب في وقته ،
فألّبوا عليه المؤسسات الطبية في زمانه ، وناصره العداء ، وألقوا
حوله روايات تثير سخرية الناس وازدراءهم حينما أغووا امرأة بأن
جعلوها تدعي أن ابنتها صارت تخور كالبقرة ، عندما لقحت
بمصل الجدري المكتشف ، وأن جسمها امتلأ بالوبر كما يظهر
على جلد البقرة - وهكذا يجابه الجهلة العلماء بالإفتراء والبهتان -
فأثاروا عوام الناس ، وحركوهم ضده !!

ولكن جميع هذه المحاولات ، باءت بالفشل ، أمام الحقيقة
العلمية الباهرة . نعم لقد كانت المسألة من المغيبات ، حتى

أصبحت بواسطة الطبيب الشاب أمراً مشهوداً ومعروفاً ، فأصبح علاج الجدري حقيقة ملموسة ، واسودّت وجوه جميع الذين عارضوا (جنر) ، وصار نتيجة ذكائه ، ومتابعة أبحاثه ، وتوفيق إلهي مكتشف دواء مرض الجدري ، وخلد التاريخ إسمه ، وعاقبة خدام البشرية النجاح والموفقية .

٤ - إنَّ مرض (شلل الأطفال) ، أثار ضجة في العالم ، وكان يهدد الأطفال بالهلاك أو نقص في الجسم ، وكان البشر يجهلون سبل العلاج والوقاية من هذا المرض الذي خلقه الله تعالى في الطبيعة .

لكن الدواء لم يكن مجهولاً ، حيث أن البشر هم الذين لم يتعرفوا عليه ، ولم يهتدوا إليه . فبدلاً من التفكير العقلاني والمنطقي والإعتقاد بأنَّ الربَّ الرحيم لا يجعل مرضاً دون دواء ، وأن الموت فقط هو الذي لا يمكن علاجه ، فقد اعتقد الناس بمعرفة محدودة أن الشلل داء لا دواء له ، بل زادوا من خرافاتهم حين قالوا : إن من لم يُبتَلْ بالشلل في حياته ، فإنه سيبتلى به بعد موته .

٥ - إنَّ مرض الشلل ، كان مرضاً خطيراً ، في يوم من الأيام ، وشائعاً بين الناس ، والأطفال منهم على وجه الخصوص ، بل كانوا يصابون بأمراض أشد خطورة كذات الرئة ، وورم الدماغ ، وكان علاج مثل هذه الأمراض من أصعب الأمور .

أما اليوم فإن غالبية الأمراض أصبحت من الأمور المعروفة ، كما أصبح علاجها والوقاية منها ، من السهولة بمكان .

إنَّ أنواع أقراص الـ (أنتيبوتيك) التي هي في الواقع الطبي

الملاحظ ، من أكبر الجنود المدافعين والمحافظين الذين يقفون صفوفاً مترابطة أمام خطر (الميكروبات) ، والأمراض السارية التي تشكل بالغ الخطر على البشر .

إنَّ الأقراص المذكورة ، ما هي إلا دواء كجنود شجعان يدافعون عن سلامة البشر ، ويحفظونهم من خطر الحملات التي تشنها الأمراض المهلكة ، فتجعل الإنسان يُدافعها عنه ، مطمئناً على سلامته .

نعم ، لقد كانت الأدوية ، والأمصال ، والأقراص ، وكل دواء شاف ، قبل مئات من السنين ، مستعدة لخدمة البشر ، وأن الله ، سبحانه وتعالى ، الرؤوف بعباده ، كان قد خلق هذه الأدوية ، منذ بدء الخليقة ، وأعدّها لحراسة الإنسان ، ولكننا نحن البشر ، لم نكن نعلم شيئاً عن وجودها ، والإستفادة منها ، بمعالجة الأمراض الخطرة التي كنا وما نزال نتعرض لها .

إنَّ كثيراً من الأمراض ، كانت تصيب الناس ، فتهلك عدداً كبيراً ، وتشوه عدداً أكبر ، ولكننا اليوم ، وبفضل التوفيق الإلهي ، والتقدم العلمي ، استطعنا الإستفادة من القدرات الإنسانية الكامنة في ذات كل منا ، وتقدم في المجتمع البشري أطباء تخصصوا في معالجة الأمراض الصعبة ، ولا يموت الإنسان إلا إذا أراد الله سبحانه ذلك .

إنَّ مادة الـ (أنتيبوتيك) و (البنسلين) شكلا دواءً مهماً يشفي بإذن الله وبأمره تعالى ، أمراضاً كثيرة :

إنَّ عالماً بريطانياً يسمى (فلمينغك)^(١) ، اكتشف سنة

(١) سير الكسندر فلمنج : (١٨٨١ - ١٩٥٥ م) : بكتريولوجي أسكتلندي ، =

(١٩٢٩ م) مادة (البنسلين) ومشتقاتها . وفي سنة (١٩٤٠ م) استفاد منها عالم آخر يسمى (فلوري) في معالجته لأمراض كثيرة . يستخرج (البنسلين) من فطريات تسمى (بنيسيليوم نوتاتوم) ، ترشح منها مادة تحوي موجودات صغيرة ، لا ترى بالعين المجردة ، وإنما بـ (الميكروسكوب) . هذه الموجودة الصغيرة تشكل ألد أعداء الميكروبات والأمراض العفنة . ومن العجيب أن الإنسان يستفيد من هذه الموجودات الصغيرة الكامنة في (البنسلين) ، للقضاء على الميكروبات التي تسبب المرض للإنسان ، ويتحول جسم الإنسان ، وبالأخص العروق الدموية ، إلى ساحة قتال بين الموجودات التي تحملها مادة (البنسلين) ، من جهة ، والميكروبات المسببة للمرض ، من جهة أخرى ، ثم يقضي في النهاية على الميكروبات المرضية ، ويشفي الإنسان بإذن الله تعالى .

إنَّ القتال بين الجانبين ، كان فيما مضى من عالم الغيب والإستار ، ولكن قدرة العلم ، جعلت الإنسان قادراً على رؤية هذه الحقائق ، وكشفها ، والوصول إلى المجهولات .

= مكتشف (البنسلين) و(الليزوزيم) . اكتشف المادة الثانية سنة (١٩٢٢ م) وهي تبيد البكتيريا ، وتوجد في إفرازات بعض النبات والحيوان . لاحظ سنة (١٩٢٨ م) أن عفناً لوث مستنبتاته البكتيرية ، فأباد الجراثيم منها ، وسمى المادة التي تنتج من هذا العفن (البنسلين) . اقتسم جائزة (نوبل) للفيسيولوجيا والطب (١٩٤٥ م) مع أرنت . ب . تشين ، وسير هوارد . و . فلوري ، جزاء بحوثهم في (البنسلين) . (الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٣١٢) .

٦- إنَّ (مرض السلّ) ، كان مرضاً خطيراً قبل عدة سنوات ، وكان إذا دخل بيتاً بمعنى أنه إذا أصيب به فرد من أفراد ذلك البيت ، والشباب منهم خاصة ، كان يقضي على جميع أفراد البيت ، عن طريق العدوى ، بحيث أن مجرد ذكر اسم هذا المرض كان يبعث الذعر في نفوس أمهر الأطباء ، وعلى الأخص حينما كانوا يرون الدماء تنزف من فم المريض المصاب ، حاملة معها قطعاً من رثته ، ويموت أمامهم من شدة النزف والضعف .

ولم يعرف الأطباء سبب ذلك ، أو دواء شافياً لهذا المرض ، إلى أن استطاع العالم الألماني (كُخ)^(١) اكتشاف ميكروب السلّ ، الذي كان يختفي داخل جسم الإنسان المصاب ، حتى يقضي عليه ، ولم يستطع الإنسان محاربته لأنه كان ضعيف البصر ،

(١) روبرت كُخ ، (١٨٤٣ - ١٩١٠ م) : بكتريولوجي ألماني ، عكف على الدراسة الميكروسكوبية للبكتيريا ، فابتكر وسيلة لصبغها بصبغات الأنيلين ، وطرقاً لعمل مستنبتات لزرعها ، ما زالت شائعة الإستعمال . كشف البكتيريا المسببة لكثير من الأمراض المعدية : الجمرة الخبيثة (١٨٧٦ م) ، وعدوى الجروح (١٨٧٨ م) ، والدرن (١٨٨٢ م) ، والتهاب الملتحمة المعدي ، أو الرمذ المصري (١٨٨٣ م) ، والكوليرا الآسيوية (١٨٨٤ م) وغيرها من الأمراض . أستاذ بجامعة برلين (١٨٨٥ - ١٨٩١ م) ، ومدير معهد الأمراض المعدية (الذي أسس من أجله) من (١٨٩١ م) إلى (١٩٠٤ م) . وخلال قيامه ببحوث كلفته بها حكومتا بريطانيا وألمانيا ، قام بدراسات في مرض النوم ، والملاريا ، والطاعون الدملي ، وطاعون الماشية ، وغيرها ، ومن أجل ابتكاره (التيوبركيولين) ، كاختبار للدرن ، منح جائزة نوبل للفسيولوجيا والطب في سنة (١٩٠٥ م) . (الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٤٩٨) .

وعاجزاً عن معرفته .

ولم يمض وقت طويل ، حتى استطاع الإنسان أن يجد جندياً باسلاً آخر ، مستعداً لمقاتلة هذا العدو الجريء ، الذي يأكل كبد الإنسان ، وأخذ مكانه في جبهة الدفاع عن الإنسان ، وحياته ، وسلامته ، وبالإستفادة من هذا الاكتشاف ، استطاع الأطباء القضاء على مرض السلّ تدريجياً ، حتى أصبح المجتمع البشري الحاضر طاهراً ، وأخذ الناس ينظرون إلى هذا المرض كمنظرتهم إلى الزكام البسيط .

نعم ، إنَّ اكتشاف دواء آخر من مجموعة (الأنتيبيوتيك) اسمه (ستربتوميسين) مكَّن الأطباء من القضاء على داء السلّ قضاء تاماً ، بحيث طردوه شرّ طردة ، من المجتمع البشري ، وخلصوا البشر من أخطاره .

٧- إنَّ (مرض الجذام) ، من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان ، وكان فيما مضى ، يطرد المصاب من البلد الذي كان يعيش فيه ، ليحيا خارجه إلى أن يبرأ ، أو يموت ، حتى اكتشف العلماء دواء باسم (السولفون) ، نجح في علاج هذا المرض ، وشفاء المريض منه ، بحيث أصبح المصاب بالجذام يعالج في المستشفيات ، والمستوصفات ، ويعيش مع عائلته وأولاده ، ولا يطرد كما كانوا يفعلون به فيما مضى .

وهكذا نرى أن البشر ، قبل سنوات ، كانوا لا يعلمون شيئاً ، عن قسم كبير من الموجودات ، والمخلوقات التي تعيش في عالمنا ، بل تعيش في داخل منازلنا وأبداننا ، وكنا نجهل وجود

هؤلاء الجيران الذين باستطاعتهم أن يخدمونا ، أو يسببوا الأذى لنا .

ولكننا اليوم ، تعرفنا على هذه الموجودات التي كانت مجهولة ، ومن ضمن المغيبات ، وكشفنا طريقة نموها ، وسبيل القضاء عليها .

إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، الرؤوف بعباده ، والذي خلق هذه الموجودات الصغيرة في الطبيعة ، قد جعل حق التوصل إلى كشفها ، وفضح أسرارها ، مباحاً لكل الناس .

لذلك نرى أن كل من سعى ، وجدَّ ، واجتهد ، في العمل على اكتشافها ، وسبر غور أسرارها ، توصل بتوفيق إلهي ، إلى ما سعى إليه ، وأبطل بذلك تصور بعض الجهلة من أصحاب الفكر المحدود .

ولكن سفراء الله ، تبارك وتعالى ، المزوِّدين بالعلم اللدني ، ومختلف أصول المعارف والعلوم الأزلية منذ قرون عديدة ، فإنهم قد أخبرونا ، بما كنا نتصوره غيباً ، لأنهم كانوا يعلمون أسرارها ، وقد أشاروا ، في مناسبات عديدة ، إلى ما كنا نعتبره غيباً . ولأجل المثال نذكر هنا عدة روايات في هذا الباب :

أ- (الكافي) : «قال أمير المؤمنين ، عليه السلام ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله : لا تؤووا^(١) منديل الغمر في

(١) قوله : «لا تؤووا» ، هو من (أوى) يؤوي ، أي لا تجعلوا البيت مأوى له . والمنديل : ما يتمسح به الغمر ، والغمر : الدُّسَم والزهومة من اللحم .

البيت ، فإنه مريض للشياطين !»^(١) .

ب - (الكافي) : «قال أمير المؤمنين ، عليه السلام : لا تؤووا التراب خلف الباب ، فإنه مأوى الشياطين»^(٢) .

ج - (الكافي) : «قال أمير المؤمنين ، عليه السلام ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله : بيت الشياطين من بيوتكم ، بيت العنكبوت»^(٣) .

د - (الكافي) : «قال أبو عبدالله (ع) : أكنسوا أفيئتكم ، ولا تشبهوا باليهود»^(٤) .

هـ - (الكافي) : «قال أمير المؤمنين (ع) : لا تشربوا الماء من ثلثة الإناء ، ولا من عروته ، فإن الشيطان يقعد على العروة والثلثة»^(٥) .

و - (من لا يحضره الفقيه) : «عن أمير المؤمنين ، علي بن ابي طالب ، عليه السلام ، قال : نهى رسول الله ، صلى الله عليه وآله . . . أن يبول أحد في الماء الراكد ، فإنه منه يكون ذهاب العقل ، . . . وقال : لا تبيتوا القمامة في بيوتكم ، وأخرجوها نهاراً ، فإنها مقعد الشيطان ، وقال : لا يبيتن أحدكم ويده غمرة^(٦) ، فإن أصابه لمم الشيطان ، فلا يلومن إلا نفسه . . .

(١) الكافي : ٢٩٩/٦ (كتاب الأطعمة) .

(٢) الكافي : ٥٣١/٦ (كتاب الزي والتجمل) .

(٣) الكافي : ٥٣٢/٦ (كتاب الزي والتجمل) .

(٤) الكافي : ٥٣١/٦ .

(٥) الكافي : ٣٨٥/٦ .

(٦) يده غمرة : أي مملوءة بالدم من أثر أكل اللحم ، أو غيره .

ونهى عن البزاق في البئر التي يشرب منها ، . . . ونهى أن يبول الرجل ، وفرجه باد للشمس أو القمر ، وقال : إذا دخلتم الغائط فتجنبوا القبلة . . . ونهى أن يبول أحد تحت شجرة مثمرة ، أو على قارعة الطريق»^(١) .

إنَّ دراسة ومطالعة هذه الأحاديث ، وآلاف مثلها ، تثبت لنا أن أئمتنا المعصومين المقدسين (ع) ، كانوا يحيطون بتعليم من الحضرة الإلهية ، بمختلف العلوم ، إلى أن بلغ علمهم ، المعرفة اليقينية ، فأوا بأعينهم المجردة ، ما اكتشفه (الميكروسكوب) من بعدهم ، ونقلوا معرفتهم ورؤيتهم إلى الناس في زمانهم بحسب فهم الزمان للأمر ، والمقاييس المتبعة آنذاك ، بتعبيرهم عن (الميكروب) بالشیطان مثلاً .

إن عصرنا الحاضر قد كشف كثيراً من العجائب ، بالوسائل العلمية الحديثة ، أما الأئمة (ع) فكانوا يحدثون الناس بها وعنها ، بكلمات واضحة ، وبيانات مستدلة ، مما يثبت أنهم (ع) كانوا محيطين بكل ما هو في عالم الوجود ، من مجهولات ، ومغيبات في السماوات والأرض ، ولدينا آلاف الأدلة التي تثبت التطابق التام بين أقوال الأئمة (ع) ، وآخر الاكتشافات العلمية ، فكم يلزم بقية البشر من جهد وسعي ، حتى يستطيعوا الوصول إلى ساحل بحر علوم الأئمة (ع) ، وأساتذة ومناهل العلوم الأزلية !!

٨ - ومما يناسب ما نقوله : إنه قبل سنين كثيرة ، كان الناس يتصورون أن حاسة السَّمع ، والسَّمع نفسه ، مرتبطان بغشاء الأذن ، وكانوا يتوهمون أن كل من يتمزق غشاء طبلة أذنه ، يفقد سمعه .

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢/٤ وما بعدها .

ولكن بعد تقدم العلم ، وعلم التشريح خاصة ، ثبت أن
الأمواج الصوتية ، تنتقل إلى داخل الأذن ، عن طريق الأذن
الخارجية ، إلى غشاء الصّماخ ، وأنّ هذا الغشاء يرتعش بحسب
ارتعاشات الأمواج الصوتية ، وأنّ هذه الارتعاشات تنتقل إلى الأذن
الوسطى ، بواسطة ثلاث قطع من العظام ، على شكل المطرقة ،
والسندان ، والركاب ، فتتقوى الأصوات ، ليستطيع الإنسان من
تشخيص الأمواج الصوتية ، فيسمع ويفهم الكلام كنتيجة طبيعية
لدور الدماغ .

ولكن إذا أصاب الأذن الوسطى ، ألم نتيجة عفونة ، بحيث
تعطلت عن أداء وظيفتها ، حينئذ يصاب الإنسان بالصمم ، فيفقد
سمعه ، إما كلياً ، أو نسبياً .

أما التحقيقات والبحوث ، فقد أثبتت أنه يمكن للإنسان أن
يسمع ، ولو بصورة جزئية ، عن طريق عظام الجمجمة ، حيث
تنقل هذه الأخيرة الأصوات إلى الدماغ .

كل ذلك كان عند القدماء ، ضمن المجهولات والمغيبات ،
لكن إنسان اليوم يعتبرها من البديهيات . لكن هل إنّ أولياء الله ،
لم يكونوا على علم بما شرحناه ؟ نرى جواب هذا السؤال عند أمير
المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، حيث يقول : «إعجبوا لهذا
الإنسان ، ينظر بشحم ، ويتكلم بلحم ، ويسمع بعظم ، ويتنفس
من خرم»^(١) .

نعم ، لقد كان الإمام وأولاده المعصومون ، صلوات الله

(١) شرح نهج البلاغة : ص ٥١٢ (قصار الحكم) .

وسلامه عليهم ، يرون بأعينهم ما لا يراه غيرهم ، ويعلمون أسرار كل شيء في ذلك الزمان وإلى يوم القيامة ، مثلما يرى العلماء العظام بواسطة الوسائل العلمية الحديثة .

نقل الأمير (فرهاد ميرزا) قصة ، أرى من المناسب أن أنقلها هنا :

قال الأمير (فرهاد ميرزا) : وصلت إلى (إسطنبول) ، وذهبت إلى السفارة الروسية ، حيث كان هناك طبيب من كبار الأطباء ، يتكلم عن تشريح الأذن ، وأنه قد اكتشف أخيراً ، أن الله ، سبحانه وتعالى ، خلق الأذن من ثلاثة أقسام : الأذن الخارجية ، والأذن الوسطى ، والأذن الداخلية . وإن الأذن الوسطى تتألف من ثلاثة عظام : المطرقة ، والسندان ، والركاب ، وأن الإنسان يسمع الأصوات ، ما لم تصب الأذن الوسطى بعيب !

يقول الأمير (فرهاد) : إني لم سمعت هذا الكلام من الطبيب ، تذكرت قول الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، حيث يقول : «إعجبوا لهذا الإنسان ! الذي يرى بشحم ، ويتكلم بلحم ، ويسمع بعظم . . .» ، فقرأت له قول الإمام أمير المؤمنين (ع) . فتعجب ذلك الطبيب أشد العجب ، وقال : إن الناس قديماً ، ما كانوا يعرفون علم التشريح ، ولم يصدق مني ذلك الكلام ! فقلت له : إن هذا الكلام مسجل في كتاب (نهج البلاغة) الذي جمع قبل ثماني مئة سنة . فزاد في تعجبه ، وطلب مني أن أكتب له كلام الإمام أمير المؤمنين (ع) ، حتى يحفظه عنده ، ويطلع علماء الغرب عليه .

٩- ولنبحث الآن في موضوع الوراثة : من الطبيعي إن أكثر

الصفات والمزايا الخلقية ، والخلقية ، تنتقل من الوالدين إلى الأولاد ، بحيث يتشابه أفراد العائلة الواحدة ، في تركيب الجسم ، وبعض الأعضاء ، كالوجه ، والعين ، والأنف ، والجمجمة ، ولون العيون ، وتركيب الأصابع ، ويبلغ التشابه حداً في بعض الأحيان ، إلى الأمور الباطنية كانتقال بعض أمراض الوالدين إلى الأولاد .

إنّ هذا التشابه والتوارث ، لم يكن معروفاً في القديم ، بل جهل السبب الرئيس لهذا التشابه والتوارث ، فكان مبهماً وخافياً ، وكان عند القدماء بحكم الغيب .

لكن اليوم ، وبعد اتساع دائرة العلوم البشرية ، والمعلومات ، استطاع الإنسان المعاصر أن يصل إلى أسرار الخلق ، وعجائبها ، والإطلاع على صفحة أخرى من صفحات كتاب الخلق المبين ، الذي كتبه الباري ، تبارك وتعالى .

نعم إنّ الإنسان ، وبنتيجة سعيه وجده واجتهاده في البحث والإكتشاف ، استطاع معرفة أشياء ما كان يعرفها من قبل ، واطلع على مناظر ومشاهد ، كان عاجزاً عن رؤيتها من قبل ، وكان آنذاك يعتبرها من ضمن المغيبات .

وقد ثبت هذا اليوم ، أنّ كل موجود ، سواء أكان إنساناً ، أم حيواناً ، أم نباتاً ، بدأ حياته ، وابتدعه الله سبحانه وتعالى من خلية واحدة .

إنّ الإنسان خلق وولد من نطفة صغيرة جداً ١/٥٠٠ سم ، وأن هذه النطفة تكونت من اتحاد خلية واحدة ، من نطفة أو بويضة ، تتكون في رحم الأم ، ونطفة الأب التي يتضمنها سائل

يسمى (المني) ، في خصية الرجل ، وهذه النطفة تتحول فيما بعد ، في رحم الأم ، الذي يعتبر محطاً محدوداً ، وتنمو فيه ، حيث تنقسم هذه الخلية الواحدة ، إلى خليتين ، ثم أربعة ، ثم ثمانية ، ثم ستة عشر ، ثم (٣٢) ، ثم (٦٤) ، وهكذا إلى ملايين أو مليارات من الخلايا ، حيث يشكل قسم منها الهيكل العظمي للطفل ، وقسم يشكل العضلات ، وقسم يشكل الغدد ، وآخر الأعصاب ، وهكذا يتكون الطفل من مجموع هذه الخلايا في رحم الأم .

ثم إن كل خلية من هذه المليارات ، تتشكل من نواة صغيرة ، لا تختلف فسيولوجياً ، ولا كيميائياً ، عن باقي الخلايا التي في جسم الطفل ، الذي يصبح إنساناً فيما بعد .

وفي نواة كل خلية مجموعة من ألياف تسمى (كروموزوم) ، وإن عدد (الكروموزومات) من جميع الخلايا ، متساوية ، ومتشابهة في جميع أفراد البشر ، وهي من نوع واحد مساوٍ ، وثابت لا يتغير ، فنشير إلى أن أساس تشابه الأولاد بالوالدين ، والسبب الأصلي للوراثة ، هي هذه (الكروموزومات) .

وقد ثبت بنتيجة تحقيق ودراسة العلماء ، أن (الكروموزومات) تحوي حبيبات ، لا ترى بـ (الميكروسكوبات) العادية ، وأن هذه الحبيبات في كل (كروموزوم) من (كروموزومات) الإنسان كثيرة ، تزيد عن الألف حبيبة ، وتسمى بالإنجليزية (الجنس : Genus) ، وهي عبارة عن عوامل الوراثة ، والمورثات ، وتكون على شكل أزواج ، واحد يمثل الفرد الذكر ، والثانية تمثل الأنثى ، وهذه الحبيبات المورثة تكون على شكل

خطين متوازيين ، متجاورين كحبات السُّبحة ، تتقابل زوجاً زوجاً ،
ولأجل انتقال الصفات الوراثية من الأبوين إلى الأولاد ، يجب أن
يشارك عدد من الأزواج المورثة ، حتى تنقل الصفات المستقلة من
الأبوين إلى الأولاد ، نسلاً بعد نسل ، وفي كل نسل تتشابه صفات
النسل السابق باللاحق .

لا نريد شرح عوامل الوراثة وقوانينها ، لأنَّ هذا الموضوع
من اختصاص الأساتذة والعلماء ، وقد نشروا أبحاثهم في كتبهم
ومؤلفاتهم ، لكنني أقصد من خلال هذا الشرح الموجز ، أنَّ
البحث في الخلايا ، و(الكروموزومات) ، وعوامل الوراثة ، وأثرها
في نمو ووراثة الأولاد ، أصبح واضحاً ، ويعرفه حتى طلاب
المدارس الثانوية ، والكليات .

ولكن في أيام (أفلاطون) و(أرسطو) ، فإن هذه الأمور
والعلوم ، كانت ضمن المغيبات والمجهولات .

وعليه نرى أن الله ، سبحانه وتعالى ، خالق الكون ، قد
جعل هذه الأمور في وجودنا وأنفسنا ، ولئن كانت هذه الأمور
والعلوم في حكم الغيب ، عند عدد من الناس ، فليس هذا دليلاً
على أنها ستبقى إلى الأبد في حكم الغيب والاستتار ، ولا يعرف
عنها الإنسان شيئاً ، ويبقى علمها عند الله ، سبحانه وتعالى ،
فقط !

إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، الذي جعل هذه البدائع الخلقية في
وجودنا ، وفي عالمنا ، أراد وسمح لنا ، بل شجعنا على الاستفادة
من قوانا العقلية ، لتمكن من الإطلاع ، بحيث تنتقل هذه
المجهولات ، والمغيبات ، إلى مجال فهم ودرك البشر ، لتشكل

هذه المعرفة والعلوم ازدياداً في معرفة الله الواحد الأحد ، وسبيلاً للإيمان بالتوحيد .

وعليه إنَّ كل ما كان فيما مضى مجهولاً في هذه الدنيا ، قد أصبح مشهوداً ، ومعروفاً ، وكل ذلك بالسعي والاجتهاد المتواصل ، الذي مكن الإنسان من الوصول إلى الأفق البعيد من عالم الخلق ، سواء أكان في وجودنا وأنفسنا ، أم في السَّمَاوَاتِ والأرض ، وقد تمكن الإنسان من الإطلاع على المجهولات ، ورفع ستار الجهل عن مشاهدة جمال الخلق ، ولاحظ قدرة الباري ، الخالق ، القادر ، المتعال ، فازداد معرفة بوجوده تعالى .

إنني أود أن أنبئه أولئك الذين يتكاسلون ، ويأسون ، ويفقدون الأمل ، فيتقاعدون ، ويختارون ركناً يجلسون فيه عاجزين عن درك وفهم الحقائق ، أنهم قادرون بالجد والاجتهاد ، وإعمال الفكر ، على كشف المجهولات .

لقد تجاسر هؤلاء ، وقالوا دون خجل : إن سفراء الله ، سبحانه وتعالى ، محمداً وآل محمد (ص) ، عاجزون عن درك المجهولات ! فهل من الممكن تصور ذلك ، وقبول هذا الكلام المردود منهم ؟!

١٠ - خزن الله تعالى الغذاء رافة بعباده ، لأنه جوهر الحياة البشرية ، في باطن الأرض ، وجعله أمانة فيها .

وإنَّ الأرض التي هي كنز نعم الباري ، جل وعلا ، مع كل تلك الذخائر التي لا تعد ولا تُحصى ، المودعة فيها ، وهي خافية عن أعيننا ، وتعتبر من المغيبات ، هذه الأرض موضع أمانة جوهر الحياة .

والباري ، جل وعلا ، سمح لنا ، بسعينا وجدنا ، واجتهادنا
وعملنا المتواصل ، والإستفادة من قدراتنا أن نستخرج هذه الكنوز
المدفونة في الأرض ، ونحولها من عالم غيبي إلى عالم مشهود ،
لنستفيد منها في حياتنا اليومية .

لذلك ، نرى الفلاح يحرث الأرض في الربيع ، بالوسائل
الآلية ، ويذر البذور على اختلاف أنواعها ، وفي أوقات محددة ،
ثم يسقيها ، إما رياً ، أو من المطر ، فتشق هذه البذور الأرض ،
نتيجة الرطوبة التي تصل إليها ، لتخرج إلى وجه الأرض على
شكل سنابل منظمة ، حنطة ، وشعير ، وأرز ، وكثير من الحبوب
والبقول ، لتنتقل بذلك من عالم الخفاء في باطن الأرض ، إلى
عالم المشاهدة والعيان .

وما قلناه عن الأرض ، نقوله عن بطن الجبال والصخور ،
فقد أودع الله ، تبارك وتعالى ، فيها كنوزاً كثيرة بالغة القيمة
والفائدة للإنسان ، من معادن وجواهر ، وغيرها ، وإليها أشارت
الآية المباركة : ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾^(١) ، أي إنه ،
سبحانه وتعالى ، خلق المعادن وغيرها مما في باطن الأرض ،
وجعلها حقاً من حقوقنا .

لكن البشر ظلوا آفاقاً من السنين وهم لا يعلمون شيئاً مما
أدخره الباري ، جل وعلا ، في باطن الأرض من كنوز ثمينة ،
قدمها مجاناً لخلقه ، لكي يستفيدوا منها في حياتهم اليومية ،
وكانت جميعها فيما مضى من المغيبات والمجهولات .

ولكن بعد تقدم العلوم البشرية آلياً ، وصناعياً ، وزراعياً ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٩ .

استطاع البشر إخراج ما في باطن الأرض والجبال ، من معادن ثمينة وغيرها ، بواسطة التنقيب ، والوسائل الأخرى المتاحة لذلك ، فتمكن الإنسان من الولوج في باطن الأرض لاستخراج المعادن ، عشرات الكيلومترات ، وراح يستخرج ما كان غائباً عن عينه ، وكلما تقدمت معلوماته العلمية ، كلما ازدادت اكتشافاته يوماً بعد يوم .

إنَّ الكهرباء شيء جديد يكتشفه الإنسان ، ولكنها ليست مخلوقاً حديثاً ، عند الباري جل وعلا ، إذ منذ وجودها في الطبيعة كانت المنفعة كل المنفعة كامنة فيها ، ولكن الإنسان ، لضعف معلوماته ، وتخلفه قديماً ، لم يستطع اكتشافها ، ولكن بعد أن شهد تقدماً علمياً رهيباً ، تمكن (أديسون)^(١) ، نتيجة بحوثه العلمية

(١) توماس ألفا أديسون : (١٨٤٧ - ١٩٣١ م) . مخترع أمريكي ، تشمل اختراعاته الأولى جهازي إرسال واستقبال (للتلغراف الأوتوماتيكي) ، ونظام إرسال أربع رسائل في آن واحد . وطريقة مستحدثة للإشارات . واخترع جهاز إرسال كربوني للهاتف ، وأول (فونوغراف) ناجح . وفي سنة (١٨٧٩ م) ، أنتج تجارياً أول مصباح كهربى متوهج ، وطور من أجل استخدامه نظاماً للتوزيع الكهربى . وفي سنة (١٨٨١ - ٨٢) أكمل أول محطة مركزية للإضاءة الكهربائية في العالم ، وأقام البرهان على التزامن بين الصور الحركية (الأشرطة السينمائية) ، والصوت . وأنتج أفضل بطارية مخزنة ، وطور (الكيتوسكوب) (مكشاف الحركة) . أنشأ وطور تجارب السكك الحديدية الكهربائية . أتم أكثر من (١٢٠) اختراعاً . ابنه تشارلس ايديسون ، كان وزيراً للبحرية الأميركية (١٩٣٩ - ١٩٤٠ م) ، وحاكماً لولاية (نيوجرسي) (١٩٤١ - ١٩٤٤ م) . (الموسوعة العربية الميسرة : ص ٢٨٠) .

المتواصلة ، واختباراته المتلاحقة ، وتحقيقاته المستمرة ، من أن يكتشف الكهرباء كما استطاع أن ينير بها الظلمات ، ليأتي العلماء بعده ، فيستعملونها في أغراض شتى .

نعم إنَّ هذه القوة العجيبة ، كانت في يوم من الأيام ، ضمن المغنيات والمجهولات ، وبواسطة أشعتها المنبعثة في المصابيح الكهربائية ، صارت مشهودة ، وواضحة ، ومشهورة .

وهناك قوة أخرى ، وهي قوة الذرة ، وقدرتها العجيبة ، وقد أصبحت في متناول يد البشر ، منذ فترة وجيزة ، ولكنها كانت موجودة منذ بدء الخليقة مع قدرتها ، تملأ سطح الأرض .

لكن الإنسان المتخلف علمياً ، قديماً ، كان يعيش بجانبها ، ولا يحس بها ، لأنه لم يكن يملك رأس مال العلم والقدرة على اكتشافها والاستفادة منها !

أما اليوم ، وبوصول الإنسان الحاضر إلى مرحلة متقدمة جداً في العلم والمعرفة ، فقد استطاع أن يكتشف الذرة ، والقدرة الهائلة فيها ، واستخدمها في أغراضه ، وسخر قدرتها لمنفعته .

أقول : ربما قد خلق الله ، سبحانه وتعالى ، الملايين من هذه النعم الإلهية ، في الأفاق والأنفس ، ولكن الإنسان بسبب جهله ، ومحدودية إحساسه يرى نفسه عاجزاً عن دركها ، ومعرفة ما ، وباتساع دائرة معلوماته ، فإنه سيتمكن من اكتشاف أشياء كثيرة مجهولة ، وغرائب وعجائب غير معروفة ، كما عرف واستأنس بأشياء كثيرة ، كانت فوق تصوره .

ولقد أصبح من الواضح أن أسرار عالم الطبيعة ، ومجهولات

عالم الوجود ، ليست في وارد الجهل المطلق ، بل يستطيع الإنسان أن يطلع على كل تلك الأسرار ، ورموز دائرة الخلق ومغيباتها كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَانْفُذُوا ، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(١) .

وعليه ، فإن جميع مجهولات عالم الوجود ، تكون غيباً للشخص الجاهل ، ومعلومأ ومشهودأ واضحأ للعالم ، ولترك للجهلاء تخرصاتهم !

● الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، موضوع نسبي :

١١ - إن الغيوم السوداء المتراكمة ، والمتراكضة في السماء ، حينما تتصادم ببعضها يحدث البرق والرعد ، من أثر تلاقيها ، ونعلم أن الله ، سبحانه وتعالى ، قد جعل فيها وهي من بدائع الخليقة ، الأمطار ، وخلق فيها أسباب ذلك ، بأن حملها أمواجاً كهربائية سالبة ، أو موجبة ، فعند تلاقي الموجتين ، السالبة والموجبة ، تحدث شرارة كهربائية ، شديدة ، ينتج على أثرها برق يخطف الأبصار ، ورعد يصم الأذان .

ومن الواضح أن سرعة الضوء أكثر من سرعة الصوت ، ولذلك نرى البرق قبل سماع صوت الرعد في حين أن الإثنيين يحدثان في آن واحد تقريباً .

فإذا حسبنا أن نور الشمس منذ انفصاله عنها إلى أن يصل إلى سطح الأرض ، يستغرق وقتاً قدره ($\frac{1}{8}$) دقيقة ، ليقطع

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٣٣ .

مسافة (١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كلم) في الثانية . فإذا وقعت حادثة على كرة الشمس ، فبعد $٨\frac{1}{٢}$ دقيقة تصل إلى أنظار ساكني الأرض ، في حين أن ساعة حدوث الواقعة على ظهر الشمس ، تعتبر أمراً مشهوداً ، بينما تعتبر الحادثة نفسها بالنسبة لسكان الأرض ، وفي اللحظة عينها ، في حكم الغيب ، ومسألة من مسائل المستقبل ، حتى تنتقل إلى حالة المشاهدة بعد $(٨\frac{1}{٢})$ دقيقة .

ولنبين ذلك بمثال أوضح : نحن نعلم ، كما أخبرنا الأئمة الأطهار^(١) (ع) ، بأن الله رب العالمين قد خلق بقدرته الكاملة ،

(١) عن جابر بن يزيد من أسئلة سألها أبا جعفر (ع) ، قال : «يا جابر ! لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد ، وترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم ؟! بلى والله ! لقد خلق الله ألف ألف عالم ، وألف ألف آدم ، وأنت في آخر تلك العوالم ، وأولئك الأدميين» ، وفي رواية أخرى : «عن جميل بن دراج ، قال : سألت أبا عبدالله (ع) : هل في السماء بحار؟ قال : نعم ، أخبرني أبي ، عن أبيه ، عن جده (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : إن في السماوات السبع لبحاراً أعمق ، أحدها مسيرة خمسمئة عام . . .» . (التوحيد : ٢٧٧ ، و ٢٨١) .

و«عن عبد الصمد بن علي قال : دخل رجل على علي بن الحسين (ع) ، فقال له علي بن الحسين (ع) : من أنت ؟ قال : أنا منجم . قال : فأنت عراف ! قال : فنظر إليه ثم قال : هل أدلك على رجل قد مر ، مذ دخلت علينا ، في أربعة عشر عالماً ، كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات ، لم يتحرك من مكانه ! قال : من هو؟ قال : أنا ، وإن شئت أنبأتك بما أكلت ، وما أدخرت في بيتك !» (بصائر الدرجات : ص ٤٢٠) .

و(عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبدالله (ع) ، فدخل عليه رجل من أهل اليمن ، فقال : يا أخا أهل اليمن ! عندكم علماء ؟ قال : =

في الفضاء الذي ليس له نهاية ، كواكب ، وسيارات ، وكرات ، أكبر من الكرة الأرضية التي نعيش عليها ، بآلاف ، بل بملايين المرات ، والتي نسميها الكواكب الثابتة .

وبناء على ما ذكره لنا الأئمة الأطهار (ع) ، يعيش في تلك للكواكب أناس يعبدون رب العالمين ، ويبعد بعض هذه الكواكب ، عن أرضنا ، مسافات تقدر بملايين السنين الضوئية .

فلنفرض الآن أن كوكباً يبعد عنا بمسافة (٢٣) سنة ضوئية ، ولنقل إنه كوكب (أ) ، ولنتصور أن أناساً متمدين يعيشون على ظهر ذلك الكوكب ، ويرتبطون مع سكان الأرض ، أي إنهم يملكون عيوناً (اللكترونية) ، يستطيعون بواسطتها مشاهدة الحوادث التي تحدث على سطح الأرض .

= نعم . قال : فما بلغ من علم عالمكم ؟ قال : يسير في ليلة مسيرة شهرين ، يزجر الطير ، ويقفو الأثر . فقال أبو عبدالله (ع) : عالم المدينة أعلم من عالمكم . قال : فما بلغ من علم عالم المدينة ؟ قال : يسير في ساعة من النهار ، مسيرة شمس سنة ، حتى يقطع إثني عشر ألف مثل عالمكم هذا ، ما يعلمون أن الله خلق آدم ، ولا إبليس ! قال : فيعرفونكم ؟ قال : نعم ، ما افترض عليهم إلا ولايتنا ، والبراءة من عدونا» (بصائر الدرجات : ص ٤٢١) .

وعن أمير المؤمنين (ع) ، قال : إن لله بلدة خلف المغرب يقال لها (جابلقا) وفيها سبعون ألف أمة ، ليس منها أمة إلا مثل هذه الأمة . . . » ، وعن أبي عبدالله (ع) ، قال : إن من وراء أرضكم هذه ، أرضاً بيضاء ، ضوءها منها ، فيها خلق يعبدون الله ، لا يشركون به شيئاً . . . » (راجع بصائر الدرجات : ص ٥١٠) .

فإذا حدثت حادثة ما على سطح الكرة الأرضية ، فإنَّ سكان الكوكب (أ) يستطيعون مشاهدة هذه الحادثة بعد (٢٣) سنة ضوئية ، بانعدام الوسائل العلمية ، أي إنَّ الحادثة بالنسبة لهم ، قبل تلك المدة التي فرضناها ، تكون بحكم الغيب ، في حين أن الحادثة نفسها المفروضة ، تكون عندنا بحكم المشاهدة ، والحاضرة ، والمعلومة .

وإذا عرفوا بها بعد (٢٣) سنة ضوئية ، فإنها ستكون بالنسبة لهم مستقبلاً عرفوه ، أما بالنسبة لنا ، فالمسألة تكون قد أصبحت من أحداث الماضي .

وعليه ، فإن ثورة بركان جبل (أثينا) ، التي حدثت سنة (١٩٥٠ م) ، فبعد (٢٣ سنة) ، أي في سنة (١٩٧٣) ، يشاهدها سكان الكوكب (أ) ، أي بعد مرور ثلاث وعشرين سنة على حدوث الانفجار البركاني ، لتشكل بالنسبة لهم معرفة جديدة لغيب سابق ، أما بالنسبة لنا ، فالحادثة في زمن معرفتهم بها ، أصبحت من أحداث الماضي .

ولنفرض أن كوكباً آخر ، ولنقل إنه الكوكب (ب) ، يبعد عن الكوكب (أ) مسافة تقدر بـ (٢٣) سنة ضوئية ، فحين تصل أخبار ثورة البركان ، إلى الكوكب (أ) تكون أخبار الحدث عند الكوكب (ب) مسألة مستقبلية غيبية إلى أن يعرفوها .

ومن هذا البحث نستنتج أن زمن الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، هي أزمنة نسبية لمن يعيشون في هذه الكواكب .

ولنفرض الآن أن شخصاً باستطاعته مشاهدة الكواكب الثلاثة

في آن واحد ، وهو مسلط على ثلاثتها ، فالحوادث التي تقع فيها ، يعرفها ، ويشاهدها ، ويعلم بها ، في زمن واحد ، أي يعلم الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، في آن واحد ، ويخبر بما حدث ، وما سيحدث .

إنَّ جميع حوادث هذا العالم ، وعالم الوجود ، على هذا المنوال . فالأحداث التي تكون في حكم المعلوم الحاضر عندنا ، تكون لجماعة في حكم الماضي ، ولجماعة أخرى في حكم المستقبل ، وسبب ذلك كله ، يعود إلى عجزنا عن الإحاطة بالعلوم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾^(١) و ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(٢) ، ونحن لا نملك تلك القدرة العلمية ، حتى نعلم في الحاضر ، ما يحدث في المستقبل ، فهل نستطيع التفكير ، أنه يمكن للبشر من الناحية العلمية أن يصلوا إلى درجة اختراع أجهزة منظمة ودقيقة ، ليستطيعوا بواسطتها أن يعرفوا اليوم ما سيحدث في المستقبل ، كما يتنبأ علماء الأرصاد الجوية بهبوب الرياح ، وصعود درجات الحرارة ، وهبوطها ، وتقلبات الأحوال المناخية ، كما يخبرنا علماء الفلك عن الخسوف والكسوف ، قبل حدوثهما ، وهل بيان هذه الحوادث ومعرفتها قبل وقوعها ، أمر ممكن وجائز للبشر ، أم إنَّ العقل والشرع يعتبران ذلك من المستحيلات ، والمحال غير الممكن؟؟

هل نستطيع القول : إن الذين اكتشفوا (المذيع) ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

و(التلفاز) ، باستطاعتهم كشف الأسرار المستقبلية في يوم من الأيام ، وقبل وقوعها ؟

ونسأل أجباءنا : أليس الله ، ذو الجلال والإكرام ، بقادر على أن يخلق من يستطيع الإطلاع على ما حدث في الماضي ، وما يحدث في الحاضر ، وما سيحدث في المستقبل ، وبأمره ، تبارك وتعالى ، وهو خالق الكون يمنح هذا المخلوق القدرة على مشاهدة ، ودرك ، وفهم ، جميع ما يحدث في هذا العالم ، وفي زمن واحد ؟ وهل هذا العمل الإلهي من قبل القادر ، المتعال ، الخالق ، المنان ، أمر ممكن ، أم هو أمر محال ؟

من البديهي ، إنَّ كل عاقل يعرف الله وقدرته ، لا يمكن أن يجيب على سؤالنا إلا بالإيجاب والإثبات ، لأنَّه تعالى ، على كل شيء قدير ، حسب قوله : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً ، أن يقول له : كن ، فيكون﴾^(١) .

إذاً ، فالله ، ذو الجلال والإكرام ، قادر على خلق مثل هذا المخلوق ، ومالك جميع صفات الكمال .

إنَّ القرآن الكريم والأحاديث ، تقول : إنَّ الله ، سبحانه وتعالى ، خلق عباداً هم مظهر للكمال الحقيقي . ونحن نعلم أن الرسول الأكرم (ص) قد بعثه الباري ، جل وعلا ، إلى جميع الخلق ، كما أخبر سبحانه : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(٢) ، وحُدِّدت وظيفته (ص) يقول الله تعالى : ﴿إنا

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

أرسلناك شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً^(١) ، وهنا يتبين لنا قوله (ص) في ليلة المعراج : «شاهدت أهل الجنة في الجنة ، وأهل جهنم في جهنم»^(٢) ، في حين إن أكثرهم لم تطأ أقدامهم الأرض ، ولم يولدوا بعد من أمهاتهم ، كما يتضح قول الأئمة الطاهرين (ع) وعلمهم (بما كان ، وما هو كائن ، وما يكون)^(٣) ، وقد كتبنا وذكرنا قسماً من أقوالهم في هذا الموضوع ، ونحن نذكر فيما يلي نماذج منها أيضاً ، وقد قال مولانا جلال الدين بيتين من الشعر بالفارسية ، بما معناه :

«المكان الذي فيه نور الله ، تبارك وتعالى ، أين يكون ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله . إن الماضي والمستقبل منسوب إليك ، وهما شيء واحد نتصوره صحيحاً .

١ - (مشارك أنوار اليقين) : يقول أمير المؤمنين (ع) : «ولقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى ، وما تحت الأرض السابعة السفلى ، وما بينهما ، وما تحت الثرى ، كل ذلك علم إحاطة ، لا علم إخبار»^(٤) .

٢ - (بصائر الدرجات) : «عن أبي بصير ، عن أبي جعفر (ع) ، قال : سئل علي (ع) ، عن علم النبي (ص) ، فقال : علم النبي ، علم جميع النبيين ، وعلم ما كان ، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة ، ثم قال : والذي نفسي بيده ! إنني لأعلم علم النبي

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٥ . سورة الفتح ، الآية : ٨ .

(٢) و(٣) راجع أصول الكافي : ٢٦١/١ .

(٤) مشارق أنوار اليقين : ص ١٣٦ .

(ص) ، وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة» (١) .

٣ - (بصائر الدرجات) : «عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبدالله (ع) قال : سمعته يقول : اللهم يا من أعطانا علم ما مضى ، وما بقي ، وجعلنا ورثة الأنبياء ، وختم بنا الأمم السالفة ، وخصنا بالوصية . . . » (٢) .

٤ - (بصائر الدرجات) : «عن حماد اللحام ، قال : قال أبو عبدالله (ع) : نحن والله نعلم ما في السماوات ، وما في الأرض ، وما في الجنة ، وما في النار ، وما بين ذلك . . . » (٣) .

٥ - (بصائر الدرجات) : «عن محمد بن الفضيل ، قال : قلت لأبي الحسن (ع) : روينا عن أبي عبدالله (ع) أنه قال : إنَّ علمنا غابر ، ومزبور ، ونكت في القلب ، ونقر في الأسماع ! قال : فأما الغابر : فما تقدم من علمنا ، وأما المزبور : فما يأتينا ، وأما النكت في القلوب : فإلهام ، وأما النقر في الأسماع ، فإنه من الملك» (٤) .

(١) بصائر الدرجات : ص ١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٤٩ - ح ٣ - ودخل عبدالله بن محمد الهاشمي على المأمون فقال المأمون : جئته يوماً - يعني علي الرضا (ع) - فقلت له : جعلت فداك إنَّ آباءك موسى ، وجعفرأ ، ومحمداً ، وعلي بن الحسين (ع) ، كان عندهم علم ما كان وما هو كائن ، إلى يوم القيامة ، وأنت وصي القوم ، ووارثهم ، وعندك علمهم . . . » (العوامل ، كتاب الإمام الرضا (ع) : ص ٧٦) .

(٣) بصائر الدرجات : ص ١٤٨ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٣٣٨ .

(بصائر الدرجات) : عن علي بن رثاب ، عن أبي عبدالله (ع) ، أنه سئل عن الجامعة ، قال : تلك صحيفة سبعون ذراعاً في عريض الأديم ، مثل فخذ الفالج ، فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهي فيها ، حتى أرش الخدش» (١) .

(بصائر الدرجات) : «عن الحسين بن أبي العلاء ، قال : سمعت أبا عبدالله (ع) ، يقول : عندي الجفر الأبيض ، قال ، قلنا : وأي شيء فيه ؟ قال ، فقال لي : زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم ، والحلال والحرام ، ومصحف فاطمة ، ما أزعج أن فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ، ولا نحتاج إلى أحد ، حتى أن فيه الجلدة ، وثلاث الجلدة ، وربيع الجلدة ، وأرش الخدش ، وعندي الجفر الأحمر ، وما يدريهم ما الجفر الأحمر ؟ قال ، قلنا : جعلت فداك ! وأي شيء في الجفر الأحمر ؟ قال : السلاح وذلك أنها تفتح للدم ، يفتحها صاحب السيف للقتل ، فقال له عبدالله بن أبي يعفور : أصلحك الله ! فيعرف هذا بنو الحسن ؟ قال : أي والله ، كما يعرف الليل أنه ليل ، والنهار أنه نهار . . . » (٢) .

(أصول الكافي) : «عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبدالله (ع) ، فقلت له : جعلت فداك ، إني أسألك عن مسألة ، ههنا أحد يسمع كلامي ؟ قال : فرفع أبو عبدالله (ع) ، سترأبينه وبين بيت آخر ، فأطلع فيه ، ثم قال : يا أبا محمد ! سل عما بدا لك . قال ، قلت : جعلت فداك ، إن شيعتك يتحدثون أن رسول

(١) المصدر نفسه : ص ١٦٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٧١ .

الله (ص) علم علياً (ع) باباً ، يفتح له منه ألف باب ؟ قال ،
فقال : يا أبا محمد ! علم رسول الله (ص) علياً (ع) ، ألف باب
يفتح من كل باب ألف باب .

قال ، قلت : هذا والله العلم ! قال : فنكت ساعة في
الأرض ، ثم قال : إنه لعلم وما هو بذاك .

قال ، ثم قال : يا أبا محمد ! وإنَّ عندنا الجامعة ، وما
يدريهم ما الجامعة ؟! قال ، قلت : جعلت فداك ، وما الجامعة ؟
قال : صحيفة ، طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (ص) ،
وإملائته ، من فلق فيه ، وخط علي بيمينه ، فيها كل حلال
وحرام ، وكل شيء يُحتاج إليه ، حتى الأرش في الخدش ،
وضرب بيده إليّ ، فقال : تأذن لي يا أبا محمد ؟! قال ، قلت :
جعلت فداك ، إنما أنا لك ، فاصنع ما شئت ، قال : فغمزني
بيده ، وقال : حتى أرش هذا - كأنه مغضب - قال ، قلت : هذا
والله العلم ! قال : إنه لعلم ، وليس بذاك .

ثم سكت ساعة ، ثم قال : وإنَّ عندنا الجفر ، وما يدريهم
ما الجفر ؟ قال ، قلت : وما الجفر ؟ قال : وعاء من آدم ، فيه
علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني
إسرائيل . قال ، قلت : إنَّ هذا هو العلم ! قال : إنه لعلم ،
وليس بذاك .

ثم سكت ساعة ، ثم قال : وإنَّ عندنا لمصحف فاطمة
(ع) ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة (ع) ؟ قال ، قلت : وما
مصحف فاطمة (ع) ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث
مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد . قال ، قلت : هذا

والله العلم ! قال : إنه لعلم ، وما هو بذاك .

ثم سكت ساعة ، ثم قال : إنَّ عندنا علم ما كان ، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ! قال ، قلت : جعلت فداك ، هذا والله هو العلم ! قال : إنه لعلم وليس بذاك .

قال ، قلت : جعلت فداك ، فأبي شيء العلم ؟ قال : ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر من بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء ، إلى يوم القيامة»^(١) .

أقول : بعد ذكر الدلائل العقلية والنقلية يثبت أن الله ، ذا الجلال والإكرام ، جعل أئمتنا الأطهار (ع) ، محمد (ص) ، وآل محمد (ع) أجمعين مسلطين على جميع العالم ، وأنه لا يخفى عليهم شيء من أخبار الماضين والحاضرين ، والذين سيأتون في المستقبل ، وجميع أمور من ذكرناهم واضحة ، وظاهرة أمامهم (ع) حيث أنهم «عين الله الناظرة» في عباده وأنهم المعنيون بأمر الله ، تبارك وتعالى ، نظاراً على أحوال الناس وأمورهم .

وبالكلام المنصف كما ذكرنا نقول : لو كانت كنوز العلم هذه التي مرَّ ذكرها في الحديث الخامس عند أحد العلماء العاديين ، ألا يمكنه ، عن طريق الاستفادة منها ، أن يحيط بجميع علوم الأولين والآخرين ؟ فكيف يكون الحال مع الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ، الذين هم خزائن علوم الله ، ومنابع أسراره ، وتلامذة المكتب الإلهي الأزلي ؟

وحتى لو لم تكن هذه الكنوز التي ذكرناها ، موجودة

(١) أصول الكافي : ٢٣٨/١ - بصائر الدرجات : ص ١٧١ .

عندهم ، ما كنا نستطيع أن نعترض ، أو نخدش من مقامهم العلمي الشامخ ، لأنَّ الله ، ذا الجلال والإكرام ، جعل قلوبهم مركزاً لجميع علوم عالم الخلق ، ومعارفها ، وأنه تعالى ، ومنذ بدء الخليقة ، جعلهم مخازن سره ، كما نقرأ في (الزيارة الجامعة الكبيرة) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) : «السلام على محال معرفة الله ، ومساكن بركة الله ، ومعادن حكمة الله ، وحفظة سر الله ، وحملة كتاب الله ، وأوصياء نبي الله ، وذرية رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، ورحمة الله وبركاته»^(١) .

● بحث في العلوم الخمسة :

يمكن أن يعترض بعض الجهلاء ، الذين ينظرون بعين لا تبصر : إنه إذا كان الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة المعصومون (ع) ، يعلمون الغيب ، فلماذا يخصَّ الله ، سبحانه وتعالى ، نفسه ، بالأشياء الخمسة التي ذكرها في الآية المباركة : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ : علم الساعة ، ويُنزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) .

ويقصد الله ، تبارك وتعالى ، بالأمور الخاصة بنفسه هي :

- ١ - علم الساعة (القيامة) . ٢ - إنزال الغيث (أي المطر) .
- ٣ - علم ما في الأرحام من ذكر وأنثى . ٤ - لا يعلم أحد بما يحدث غداً . ٥ - لا يعلم أحد في أي أرض يموت . وإنَّ الله بكل شيء عليم وخبير .

(١) مفاتيح الجنان : ص ٦١٧ - الزيارة الثانية من الزيارات الجامعة .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

نقول في جواب هؤلاء : إنَّ مسؤوليتهم ناتجة عن قصور معلوماتهم ، وضلال أفكارهم ، وقلة ممارستهم ، وعدم اطلاعهم على آثار الأئمة الأطهار (ع) ، لأنه ليس المقصود من الآية المباركة ، أن الله ، ذا الجلال والإكرام ، عالم بهذه الأمور الخمسة فقط ، ولم يعلم الآخرين بها .

ويؤكد ما نقوله كثير من الآيات القرآنية ، والأخبار الصريحة ، التي لا تعد ولا تحصى ، وقد ذكرنا نماذج منها ، تدل جميعها على أن الله ، سبحانه وتعالى ، الرحيم ، قد علّم هذه العلوم لسفرائه ، والأئمة المعصومين الأربعة عشر منهم ، على وجه الخصوص .

قال العلامة المجلسي ، أعلى الله تعالى مقامه : «قد عرفت مراراً أن نفي علم الغيب عنهم ، معناه أنهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم ، بغير تعليمه تعالى ، بوحى أو إلهام . وإلا فظاهر أن عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء (ع) ، من هذا القبيل . وأحد وجوه إعجاز القرآن أيضاً ، اشتماله على الإخبار بالمغيبات ، ونحن أيضاً نعلم كثيراً من المغيبات ، بإخبار الله تعالى ، ورسوله ، والأئمة (ع) ، كالقيامة وأحوالها ، والجنة والنار ، والرجعة ، وقيام القائم (عج) ، ونزول عيسى (ع) ، وغير ذلك من أشراف الساعة ، والعرش ، والكرسي ، والملائكة ...»^(١) .

ومما جاء أعلاه ، نستنتج أن علم الباري ، جل وعلا ، بالمغيبات ، مستقل عن الغير ، وأن علم محمد ، وآل محمد (ع)

(١) بحار الأنوار : ١٠٣/٢٦ .

بتأييد من الله ، جل وعلا ، وتعليماته لهم .

وعليه ، إذا نظرنا إلى ظاهر الآية الكريمة ، يجب علينا أن نصرف النظر عن الآيات والروايات المتواترة التي ذكرناها في هذا الشأن ، وجميعها تثبت وتؤيد أن الأئمة الطاهرين (ع) ، يعلمون المغيبات ، والعلوم الخمسة منها خاصة .

إنَّ طريقة علمائنا في تفسير هذه الآيات ، ردَّ المتشابهات بالمحكمات ، لا ردَّ المحكمات بالمتشابهات .

لقد أوصانا القرآن الكريم ، والأئمة الطاهرون (ع) ، أنه إذا واجهتنا آية من المتشابهات ، وأردنا تفسيرها ، نردها بالمحكمات من الآيات ، وبمساعدة علوم ومعارف آل محمد (ع) نقوم بتفسيرها .

ولكن إذا قررنا تفسير الآيات القرآنية بحسب رأينا ، ودون الإلتفات إلى الإستعانة بأقوال الأساتذة الذين خصَّهم الله ، سبحانه وتعالى ، بعلمه ، وهم محمد (ص) ، وآل محمد (ع) ، في التفسير ، هلكننا ، وأهلكننا معنا جمعاً ممن يتبعوننا .

إذاً بالنظر لوجود الآيات القرآنية الصريحة ، والروايات المتواترة في هذا الشأن ، فجميعها تؤيد بالإتفاق ، إحاطة الأئمة المعصومين (ع) بالمغيبات .

فواجبنا أن نقبل قول الله ، تبارك وتعالى ، في قرآنه الكريم ، وأقوال الأئمة الطاهرين (ع) ، وأن نتبع طريقة علمائنا الأعلام ، في تفسير هذه الآية المباركة ، بحسب الروايات الصريحة ، ونردِّ تفسير المغرضين ، ونتبع في تفسيرها المعنى

الصحيح طبقاً لسائر الآيات المباركة ، وتفسير آل محمد (ع) .

ورد في تفسير الآية المباركة ، وعدد من الآيات الكريمة الأخرى ، روايات كثيرة ، عن الأئمة الطاهرين (ع) ، نذكر نماذج منها :

١ - (صحيفة الأبرار) : يروي العالم الكبير ، حجة الإسلام ، المرحوم الميرزا محمد تقي ، أعلى الله مقامه ، عن كتاب (سرور الموالي) : «عن المعلى بن خنيس قال : أتيت الصادق (ع) ، فلم أجده خالياً ، فجلست في موضع بإزائه ، فلما أبصرني قال : مرحبا يا بن خنيس . قلت : يا بن رسول الله ! جلست إلى رفقة من فقهاء أهل الكوفة ، وجماعة منهم ، فإذا بهم يثنون على الأول ، والثاني ، روى فقيه من فقهاءهم ، إلى أن قال : فذكرت ما خصكم الله به ، فأنكروا ذلك !

«قال الصادق (ع) : وما الذي ذكرت لهم ؟ قلت : أمر العلم ، وما أعطاكم الله من علم الكتاب ، وأن النبي قال : أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، وأنه علمٌ علياً علم المنايا والبلايا ، وفصل الخطاب ، وعلم ما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة ، فقالوا كلهم : هذا محال لم يطلع الله على غيبه أحداً ، وتلوا علياً آيات من القرآن ، منها قوله تعالى : ﴿وعنده مفاتيح الغيب ، لا يعلمها إلا هو﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿إن الله عنده : علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ،﴾^(٢) ، وقوله ، عز وجل : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

أحدًا ﴿١﴾ ، وشهدوا عليَّ بالكفر ، بادعاء هذا العلم لكم ، وبقيت متحيراً قد قطعوني !!

«فضحك الصادق (ع) ، وقال : يا بن خنيس ! استضعفوك القوم ، وغلّبوك بباطلهم ، وتظاهروا عليك !

«فقلت : يا بن رسول الله ! قد فعل بوصي نبي الله هارون ، حين قال : ﴿قال : ابن أم ! إن القوم استضعفوني ، وكادوا يقتلونني﴾ ﴿٢﴾ ، وقد فعل بأمر المؤمنين ذلك ، وأكثر من هذا ، حين أخرجوه إلى البيعة !!

«قال : يا بن خنيس ! هلا أحضرتهم حتى أريهم أنهم أولى بالكفر ، وأنتك وأصحابك على الحق المبين ، وأنهم ظالمون يكذبون من كتاب الله الباطن ، الذي لا يستطيعون له إنكاراً ، ولا منه فراراً !

«قلت : هم أقل من أن يحضروا ، ويجمعوا .

«ثم قال : يا بن خنيس ! لأشرحنَّ لك كل ذلك ، حتى لا يشك شك منهم ، أو من غيرهم ، ولأفسرنَّ ذلك حتى تعلم أنهم علم الباطل ، وأن من قال بقولهم فهو كافر بالله العظيم .

«قال المعلى : فأملت فرحاً ، وسروراً ، ونشاطاً ، وقلت : يا بن رسول الله ! من أولى بذلك منكم ، وأنتم معدن الحكمة ، وورثة العلم ، ومهبط الوحي !

«ثم قال (ع) : أولاً قرأت عليهم قرآناً عربياً ، فإنه لا شيء

(١) سورة الجن ، الآية : ٢٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٠ .

أغلب للطغاة ، ولا أقهر لهم ، من كتاب الله ، عز وجل ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، إلى أن قال (ع) : ففي كتاب الله ، عز وجل ، بطلان لما ادَّعوه . أكثر من مائة آية أنا مبينها لك يا بن خنيس :

«إنَّ معنى (علم الغيب) : هو علم ما غاب عنك ، فإنَّ علم الغيب غيب ، وهذا ما لا يظهر عليه إلا الله ، عز وجل ، ومن أطلعه عليه واختصَّه ، من الأنبياء والأوصياء .

«فلو قيل : إنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله ، عزَّ وجل ، وأنه خصَّ قوماً بما لم يخصَّ به غيرهم ، حملهم الحسد على الكفر بالله العظيم . رأيت احتجاجهم بقول الله ، تبارك وتعالى : ﴿عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ كيف لم يتلوا تمام الآية : ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ ، فقد خصَّ الله قوماً ، وأكرمهم ، وفضلهم على هذا الخلق المنكوس !

«فقلت : بلى يا بن رسول الله .

«قال : فنحن والله ، أولئك الذين خصَّنا بما لم يخصَّ به أحداً ، وذلك أنَّ الله ، عزَّ وجل ، بعث محمداً (ص) بالنبوة ، واختصه بالرسالة ، وعلمه علم الكتاب كله ، وفي الكتاب علم ما كان ، وما يكون ، إلى يوم القيامة ، وأمر نبيّه أن يعلم ذلك وصيّه ، فعلمه علياً (ع) ، فارتد بذلك نفر من أصحابه ، فأدركهم الحسد ، وتوأمروا بينهم ، وتغامزوا ، حتى نافقوا ، فعيّرهم الله ، عز وجل ، فقال : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب ، والحكمة ، وآتيناهم ملكاً

عظيماً﴿(١)﴾ . وما أراد من آل إبراهيم ، إلا الذين عصمهم الله من الشبهات ، وطهرهم ، فلم يعبدوا وثناً ، ولا صنماً ، هكذا قال إبراهيم (ع) : ﴿واجنبي وبنِّي أن نعبد الأصنام﴾﴿(٢)﴾ .

«وقال تعالى : ﴿يا داود ! إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى ، فيضلك عن سبيل الله﴾﴿(٣)﴾ ، فكل من عبد وثناً ، أو صنماً ، يوماً واحداً من الدهر ، فليس بمعصوم ، ولا طاهر ، قال الله ، عزَّ وجل ، لنبيه : ﴿والرجز فاهجر﴾﴿(٤)﴾ ، يعني الوثن والصنم ، فأعطاه الله ، عزَّ وجل ، الكتاب ، وفي الكتاب كل شيء .

«قال الله ، عز وجل : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾﴿(٥)﴾ ، وفي هذا الكتاب الذي أنزله الله ، عز وجل ، على نبيه ، علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان ، وما يكون ، إلى يوم القيامة . منح الله ، عز وجل ، علم الكتاب ، أنبياءه ، ورسله ، وأمناءه ، وحرَّمه سائر الناس .

«ألا أوجدك لذلك من كتاب الله نصّاً؟

«قلت : بلى يا بن رسول الله .

«قال : اقرأ هذه الآية المحكمة : ﴿تلك من أنباء الغيب ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٤ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة ص ، الآية : ٢٦ .

(٤) سورة المدثر ، الآية : ٥ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

نوحياً إليك ، ما كنت تعلمها أنت ، ولا قومك ، من قبل هذا^(١) ، ما يشك في هذا إلا كافر معلن بالكفر . قلت نعم .

قال (ع) : أليس قد علمه من الغيب ما لم يعلمه أحداً ؟
قلت : بلى .

قال (ع) : أفلا أدلك على ما هو أوضح من هذا ؟ قلت :
بلى . قال : قوله ، عز وجل ، عبارة عن النبي (ص) : ﴿ قل :
هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي ، وذكر من قبلي ، بل أكثرهم
لا يعلمون الحق ، فهم معرضون ﴾^(٢) ، فقوله : ﴿ هذا ذكر من
معي ﴾ أليس قد علمه علم كل شيء هو معه ، وما يكون ، إلى
يوم القيامة ، وأطلعه على علم ما كان قبله من الأمم الأولين ؟

« أفليس هذا هو الحق الذي قال الله ، عز وجل : ﴿ لا
يعلمون الحق ، فهم معرضون ﴾ ؟

« قلت : يا ابن رسول الله ! لو كانت حضرتني هذه الآية التي
قلتها : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ﴾ !

قال (ع) : يا ابن خنيس ! ألا أدلك على ما هو أوضح من
هذا ؟ قلت : بلى .

قال : قوله ، عز وجل : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من
أمرونا ، ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان ، ولكن جعلناه
نوراً نهيدي به من نشاء من عبادنا ﴾^(٣) ، فقد أوحى إليه عالم

(١) سورة هود ، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

الغيب ما لم يكن يعلمه ، فهذا علم الكتاب ، والكتاب فيه علم
الاولين والآخرين ، وعلم ما كان ، وما يكون ، إلى يوم القيامة ،
فهل يشك في هذا أحد ؟

قلت : لا . قال : ما لهم لعنهم الله ، يؤمنون ببعض
الكتاب ، ويكفرون ببعض ، قال الله ، عز وجل : ﴿فما جزاء من
يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يُردّون
إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون﴾^(١) .

ثم قال : يا بن خنيس ! ألا أدلك على ما هو أبين من
هذا ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله .

قال : خصّ الله آدم ، على نبينا وآله ، وعليه السلام ، من
تعليم كل شيء ، قال الله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ إلى
قوله : ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم﴾^(٢) ، وذلك أنه ، عز وجل ، علّمه
إسم كل شيء ، قبل أن يخلق ذلك الشيء ، حتى إسم الملح
بجميع اللغات ، فلما أحضر الملائكة ، أعلمهم فضل آدم ،
وأمرهم بالسجود له ، وأعلمهم أنه يجعله خليفة في الأرض ،
﴿قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء؟﴾^(٣) وقد
كانت الملائكة ، نازعت آدم قبل ذلك ، وقالت : نحن أفضل
منه ! فقال آدم : بل أنا أفضل منكم ، خلقتني الله بيده ، ونفخ فيّ
من روحه ، وعلمني غيب السماوات والأرض ، ولم يعلمكم الله
منه شيئاً ، قال الله ، عز وجل : ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات : ٣١ - ٣٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

صادقين؟ قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴿١﴾، قال: ﴿أنبئهم بأسمائهم﴾، فلما أنبأهم بأسمائهم ﴿٢﴾، علموا أنه أفضل منهم، فانقادوا وخضعوا له، فعندما قال الله، عز وجل: ﴿ألم أقل لكم: إني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما تبدون، وما كنتم تكتمون﴾ ﴿٣﴾.

ثم قال (ع): يا بن خنيس! كيف لم تحتج عليهم باحتجاجهم؟ قلت: بماذا؟

قال: بقوله، عز وجل: ﴿وعنده مفاتيح الغيب، لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس، إلا في كتاب مبين﴾ ﴿٤﴾، أليس قد رده كله إلى الكتاب؟ فهذا هو الكتاب الذي قال الله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ ﴿٥﴾، نحن والله آل إبراهيم!

قلت: يا بن رسول الله! كأني لم أقرأ هذا القرآن قبل اليوم!

قال: يا بن خنيس! هذا والله الكتاب الذي قال الله، عز وجل: ﴿كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٣١-٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٤.

الكتاب ، ولا الإيمان ﴿ فأخبر أنه لم يدر ما الكتاب حتى علمه هذا الكتاب .

قال الله ، عز وجل : ﴿تلك من أنباء الغيب ، نوحها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ، ولا قومك ، من قبل هذا﴾ (١) .

قلت : يا سيدي ! إذا كان الاحتجاج عليهم من جهتهم ، فقد طاب لي اللحاق بهم ، والمناظرة معهم !

قال (ع) : يا بن خنيس ! ألا أدلك على أوضح من هذا ، مما أخبرتك به جميعه ؟

قلت : سيدي ! فأي شيء أوضح من هذا ، وأنور مما أخبرتني به ؟

قال : القرآن كله نور ، وشفاء لما في الصدور ، ورحمة للعالمين ، ومن القرآن قول عيسى ، على نبينا وآله ، وعليه السلام ، لبني إسرائيل : ﴿أنبي قد جئكم بآية من ربكم ، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيراً بإذن الله﴾ إلى قوله : ﴿إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (٢) ، فهل أنبأهم بما يأكلون ، وما يدخرون في بيوتهم ، إلا بشيء غائب عن بصره ؟ هذا علم الغيب بعينه ! هل يستطيعون له إنكاراً ، أو منه فراراً ؟

قلت : كل ما أخبرتني به واضح ، وهذا أوضح وأنور !

فقال (ع) : أليس القرآن ينطق بصدق قولنا وتكذيب قولهم ؟

(١) سورة هود ، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .

يابن خنيس ! جميع ما أخبرتك به من الظاهر ، فكيف لوسمعت
بباطن واحد ؟ وما تراهم فاعلون ؟ وما عساهم يظهرون لو سمعوه ؟
كان والله يظهر منهم ما لا تقوى على احتمالاه ، ولا تقدر على
استماعه إلا بمعونة الله ، عز وجل !

قلت : سيدي ! أمنن على عبدك بباطن واحد في هذا
المعنى .

فقال : إنك لا تحتمله !

قلت : أحتمله إن ثبتني الله ، عز وجل ، وسدّدني ،
وهداني ، فادع الله لي .

فقال : إفعل به ذلك ، فإنه من أوليائنا ، يا بن خنيس ! إقرأ
هذه الآية : ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ إلى قوله : ﴿في كتاب
مبين﴾ ، أوتدري ما الكتاب المبين ؟
قلت : القرآن .

قال : ذلك مبلغك من علم الكتاب .

فقال الإمام (ع) : ما القرآن يا بن خنيس ؟ قلت : القرآن
إمامي . قال : نعم ، الله ربك ، ومحمد نبيك ، والقرآن إمامك ،
ألا أوجدك ذلك من كتاب الله ، عز وجل ؟ قلت : بلى .

قال : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ونصب القبلة ! لقد
أعطى الإمام ما لم يعط ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ألا أوجدك
ذلك من كتاب الله عز وجل ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ، وهذا
أيضاً في الكتاب ؟!

قال (ع) : ويحك ! أما قرأت ﴿ما فرطنا في الكتاب من

شيء؟ ﴿ إقرأ قصة موسى . قلت : أي القصص ؟

قال : قوله ، تبارك وتعالى : ﴿يا أيها الناس ! علمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شيء﴾^(١) ، فقرأتها ، فقال : أفهمتها يا بن خنيس ؟ إنما أوتي من كل شيء ، ولولا ذلك لكان يقول : علمنا منطق الطير ، وأوتينا كل شيء ، ولم يقل : ﴿من كل شيء﴾ . قلت : كذلك هو يا بن رسول الله .

قال : إقرأ قصة عيسى . قلت : أي القصص ؟

قال : قوله : ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾^(٢) ، وإنما علم بعض الشيء ، ولم يقل الكل . قلت : كذلك هو يا بن رسول الله .

قال : إقرأ قصة الإمام . قلت : سيدي ! وأي قصة الإمام ؟

قال (ع) : أبين القصص ، وأوضحها : ﴿إنا نحى الموتى ، ونكتب ما قدموا ، وأثارهم ، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(٣) ، قال : ﴿كل شيء﴾ ، ولم يقل : من شيء ، ولا بعض الشيء . قال : أوتدري أين تحقيقه من كتاب الله ، عز وجل ؟ قلت : لا أدري .

قال : قوله عز وجل : ﴿وعنده مفاتيح الغيب ، لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر ، والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس إلا

(١) سورة النمل ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٦٣ .

(٣) سورة يس ، الآية : ١٢ .

في كتاب مبين ﴿ ، أتدري أن الإمام أعطي بأمر من الكتاب ؟
قلت : بلى يا بن رسول الله .

قال (ع) : فعلم كل ما في السماوات والأرض عند الإمام ،
فمن ذلك قال ، عز وجل : ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام
مبين﴾ ، وذلك أن الإمام حجة الله في أرضه ، لا يصلح أن يُسأل
عن شيء فيقول لا أدري . قلت : كذلك هو يا بن رسول الله .

قال : أوتدري لما فعل ذلك به ومعه ؟ قلت : لا .

قال : لأن الإمام خليفة الله في أرضه ، لا ينبغي أن يكون
ناقصاً منقوصاً ، أليس الله ، عز وجل ، قال : يا محمد ﴿قل :
فله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين﴾^(١) ، يقول : لو
شاء لهداكم إلى علمه ، ولكن خصّ بذلك إمامه ، وخليفته ،
وحجته ، ثم قال (ع) : إرفع رأسك يا بن خنيس واسمع ما قال
في الإمام :

إن الإمام من روح الله ، عز وجل ، وهي الروح التي جعلها
الله في آدم ﴿فإذا سوّيته ، ونفخت فيه من روحي﴾^(٢) ، وقال في
عيسى : ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه﴾^(٣) .

قلت : سيدي ! أخبرني عن أمر الروح ، ما هي ؟

قال : ضروب كثيرة :

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٩ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

أحدها : روح الرحمة ، وهو قوله : ﴿وأيدهم بروح منه﴾ (١) .

وأما الثانية : فهي جبرئيل ، وذلك قوله تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ (٢) .

أما الثالثة : يعني به ملكاً من الملائكة ، مسكنه السماء السابعة ، صورته صورة الإنسان ، وجسده جسد الملائكة ، وذلك قوله ، عز وجل : ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ، وقال صواباً﴾ (٣) ، يعني بذلك الملك ، وهو أعظم من كل شيء ، خلقه الله تعالى ، وهو حافظ الملائكة ، فإذا كان يوم القيامة ، قام بين يدي الله صفاً واحداً ، لم يزاخمه أحد ، وتقوم الملائكة صفاً آخر .

وأما الرابعة : فإنه يعني أمره ، وهو قوله : ﴿ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي﴾ (٤) ، وقوله ، عز وجل : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ (٥) ، وقوله : ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ (٦) .

والخامسة : فإنه يعني روح الله الخاصة بمن ركبت فيه ،

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ١٩٣ .

(٣) سورة النبأ ، الآية : ٣٨ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

(٥) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

(٦) سورة القدر ، الآية : ٤ .

وهذه الروح عُلِمَ بها ما في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ، وعُرجَ بها إلى السماء ، وهبطَ بها إلى الأرض ، وعُلِمَ بها الغيب ، فإن كان في المغرب ، وأحبَّ أن يكون في المشرق ، صار في لحظة واحدة ، في أقل من طرفة عين !

قلت : سيدي يا بن رسول الله ! لقد شفيت صدري .

قال : يا بن خنيس ! إنَّ علمنا شفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين ، ولا حول ، ولا قوة ، إلا بالله العلي العظيم» (١) .

٢ - (بصائر الدرجات) : «عن يزدان بن إبراهيم ، عمَّن حدثه من أصحابه ، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : سمعته يقول ، قال أمير المؤمنين : والله ! لقد أعطاني الله ، تبارك وتعالى ، تسعة أشياء ، لم يعطها أحد قبلي ، خلا محمداً (ص) : لقد فتحت لي السُّبُل ، وعلمت الأنساب ، وأجرى لي الحساب ، وعلمت المنايا ، والبلايا ، وفصل الخطاب ، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي ، فما غاب عني ما كان قبلي ، ولا فاتني ما يكون بعدي ، وإنَّ بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم ، وأتم عليهم النعم ، ورضي لهم الإسلام ، إذ يقول يوم الولاية لمحمد (ص) : يا محمد ! أخبرهم أني اليوم أكملت لهم دينهم ، وأتممت عليهم نعمتي ، ورضيت لهم الإسلام ديناً ، وكل ذلك منَّا من الله منَّ به عليَّ ، فله الحمد» (٢) .

(١) صحيفة الأبرار : ٢٨٤/١ وما بعدها - ح ٤٣٧ .

(٢) بصائر الدرجات : ص ٢٢١ - ح ٤ .

٣ - (عيون أخبار الرضا) : «عن الحسين بن موسى ، قال :
خرجنا مع أبي الحسن الرضا (ع) ، إلى بعض أملاكه ، في يوم لا
سحاب فيه ، فلما برزنا قال : حملتم معكم المماطر؟ قلنا : لا
وما حاجتنا إلى المماطر ، وليس سحاب ، ولا نتخوف المطر !
فقال : لكني حملته وستمطرون ! قال : فما مضينا إلا يسيراً ،
حتى ارتفعت سحابة ، ومطرنا حتى أهمتنا أنفسنا ، فما بقي أحد
منا إلا ابتلَّ» (١) .

٤ - (عيون أخبار الرضا) : «عن محمد بن علي (ع) : إنَّ
الرضا (ع) علي بن موسى ، لما جعله المأمون ولي عهده ،
احتبس المطر ، فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصّبين على
الرضا ، يقولون : أنظروا لما جاءنا علي بن موسى ، وصار ولي
عهدنا ، فحبس الله عنا المطر !

واتصل ذلك بالمأمون ، فاشتد عليه ، فقال للرضا (ع) : قد
احتبس المطر ، فلو دعوت الله ، عز وجل ، أن يمطر الناس !
فقال الرضا (ع) : نعم . قال : فمتي تفعل ذلك ؟ وكان ذلك يوم
الجمعة . قال : يوم الإثنين ، فإنَّ رسول الله ، صلى الله عليه
 وآله ، أتاني البارحة في منامي ، ومعه أمير المؤمنين علي (ع) ،
وقال : يا بني ! انتظر يوم الإثنين ، فابرز إلى الصحراء ،
واستسق ، فإنَّ الله تعالى ، سيسقيهم ، وأخبرهم بما يريك الله مما
لا يعلمون من حالهم ، ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك ،
عز وجل .

فلما كان يوم الإثنين ، غدا إلى الصحراء ، وخرج الخلائق

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ص ٢٢٣ - ح ٣٧ .

ينظرون ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

«اللهم يا رب ، أنت عظمت حقنا أهل البيت ، فتوسلوا بنا كما أمرت ، وأملوا فضلك ورحمتك ، وتوقعوا إحسانك ونعمتك ، فاسقهم سقياً نافعاً ، عاماً ، غير رايت ، ولا ضائر ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ، ومقارهم» .

قال : فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً ، لقد تسحب الرياح في الهواء الغيوم ، وأرعدت ، وأبرقت ، وتحرك الناس ، كأنهم يريدون التنحي عن المطر .

فقال الرضا (ع) : على رسلكم أيها الناس ! فليس هذا الغيم لكم ، إنما هو لأهل بلد كذا وكذا . فمضت السحابة وعبرت ، ثم جاءت سحابة أخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا .

فقال : على رسلكم ، فما هذه لكم ، إنما هي لأهل بلد كذا .

فما زالت حتى جاءت عشر سحابات ، وعبرت ، ويقول علي بن موسى الرضا (ع) ، في كل واحدة : على رسلكم ، ليست هذه لكم ، إنما هي لأهل بلد كذا . ثم أقبلت سحابة حادية عشرة ، فقال :

«أيها الناس ! هذه سحابة بعثها الله ، عز وجل ، لكم ، فاشكروا الله على تفضله عليكم ، وقوموا إلى مقاركم ، ثم يأتيكم من الخير ، ما يليق بكرم الله تعالى ، وجلاله .

ونزل عن المنبر ، وانصرف الناس ، فما زالت السحابة

ممسكة ، إلى أن قربوا من منازلهم ، ثم جاءت بوابل المطر ، فملئت الأودية والحياض ، والغدران ، والفلوات ، فجعل الناس يقولون : هنيئاً لولد رسول الله (ص) كرامات الله ، عز وجل»^(١) .

إنَّ أمثال هذا الحديث ، لا تثبت فقط أنَّ الأئمة المعصومين (ع) يعلمون ساعة نزول المطر ، بل تثبت أن الله ، سبحانه وتعالى ، الرحيم ، ينزل رحمته (المطر) لأجلهم ، على الناس .

«بكم فتح الله ، وبكم يختم ، وينزل الغيث ، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض»^(٢) .

● علم ما في الأرحام والأصلاب :

إنَّ الأئمة المعصومين (ع) ، كانوا على علم بما في أرحام الأمهات ، وأصلاب الآباء ، كما كانوا على علم بجميع العلوم الأخرى ، وأنَّ الله ، سبحانه وتعالى ، قد منحهم هذه الفضيلة ، كما منحهم فضائل أخرى :

١ - (مناقب ابن شهرآشوب) : «صفوان بن يحيى ، عن بعض رجاله ، عن الصادق (ع) ، قال : والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين ، فقال له رجل من أصحابه : جعلت فداك ! أعندكم علم الغيب ؟ فقال له : ويحك ! إني لأعلم ما في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ...»^(٣) .

٢ - (مناقب ابن شهرآشوب) : «الأعمش بروايته عن رجل

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ص ١٦٥ - باب ٤١ - ح ١ .

(٢) مفاتيح الجنان : ص ٦٢٢ - الزيارة الثانية من الزيارات الجامعة .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢٥٠/٤ (باب في علمه (ع)) .

من (همدان) ، قال : كنا مع علي (ع) ، بـ (صفيين) ، فهزم أهل الشام ميمنة العراق ، فهتف بهم الأشر ليتراجعوا ، فجعل أمير المؤمنين (ع) ، يقول لأهل الشام : يا أبا مسلم خذهم - ثلاث مرات - فقال الأشر : أوليس أبو مسلم معهم؟! قال : لست أريد الخولاني ، وإنما أريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق ، يهلك الله به أهل الشام ، ويسلب عن بني أمية ملكهم»^(١) .

٣ - (أصول الكافي) : «عن أبي أسامة ، عن أبي عبد الله (ع) ، قال : خرج الحسن بن علي (ع) ، إلى مكة سنة ، ماشياً ، فورمت قدماه ، فقال له بعض مواليه : لو ركبت لسكن عنك هذا الورم ! فقال : كلا ، إذا أتينا هذا المنزل ، فإنه يستقبلك أسود ، ومعه دهن ، فاشتر منه ، ولا تماكسه . فقال له مولاه : بأبي أنت وأمي ، ما قدمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء ! فقال له : بلى إنه أمامك دون المنزل ، فسارا ميلاً ، فإذا هو بالأسود ، فقال الحسن (ع) ، لمولاه : دونك الرجل ، فخذ منه الدهن ، وأعطه الثمن . فقال الأسود : يا غلام ! لمن أردت هذا الدهن ؟ فقال : للحسن بن علي . فقال : إنطلق بي إليه .

«فانطلق ، فأدخله إليه ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ، ولست آخذ له ثمناً ، إنما أنا مولاك ، ولكن أدع الله أن يرزقني ذكراً سوياً ، يحبكم أهل البيت ، فإني خلفت أهلي تمخض . فقال : إنطلق إلى منزلك ،

(١) المصدر نفسه : ٢٦٢/٢ (باب إخبار الأمير (ع) بالغيب) . وقد مر الحديث سابقاً .

فقد وهب الله لك ذكراً سوياً ، وهو من شيعتنا» (١) .

أقول : ونجد في هذا الشأن روايات كثيرة ، عن الأئمة المعصومين (ع) ، تبين وتثبت أنهم كانوا على علم بما في الأرحام والأصلاب ، وأخبروا الناس بذلك ، وحتى إننا لنجد أن هناك روايات عن غير المعصومين (ع) ، أي عن عامة الناس ، وحتى المشركين قد أخبروا بما في الأرحام والأصلاب وفيما يلي نذكر بعضاً منها :

٤ - (عيون أخبار الرضا) : «عن موسى بن عمر بن بزيع ، قال : كان عندي جاريتان حاملتان ، فكتبت إلى الرضا ، عليه السلام ، أعلمه ذلك ، وأسأله أن يدعو الله تعالى ، أن يجعل في بطنيهما ذكرين ، وأن يهب لي ذلك . قال : فوقع عليه السلام : أفعل إن شاء الله تعالى . ثم ابتدأني ، عليه السلام ، بكتاب مفرد ، نسخته : «بسم الله الرحمن الرحيم ، عافانا الله وإياك بأحسن عافية ، في الدنيا والآخرة ، برحمته . الأمور بيد الله ، عز وجل ، يمضي فيها مقاديره على ما يحب ، يولد لك غلام وجارية إن شاء الله تعالى ، فسّم الغلام محمداً ، والجارية فاطمة ، على بركة الله تعالى» . قال : فولد لي غلام وجارية على ما قاله (ع)» (٢) .

٥ - (عيون أخبار الرضا) : يروي أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رضي الله عنه) بأسناده عن عبدالله بن محمد الهاشمي ،

(١) أصول الكافي : ٤٦٣/١ (باب مولد الحسن (ع)) .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) : ص ٢٢٠ . (دلالات الرضا ، عليه السلام) .

قال : «دخلت على المأمون يوماً ، فأجلسني ، وأخرج من كان عنده ، ثم دعا بالطعام فطعمنا ، ثم طيبننا ، ثم أمر بستارة فضربت ، ثم أقبل على بعض من كان في الستارة ، فقال : بالله لما رثيت لنا من بـ (طوس) ، فأخذت أقول :

سقيابطوس ، ومن أضحى بها قطننا من عترة المصطفى أبقى لنا حزننا

قال : ثم بكى ، وقال لي : يا عبدالله ! أيلومني أهل بيتي ، وأهل بيتك أن نصبت أبا الحسن الرضا (ع) ، علماً ، فوالله لأحدثك بحديث تتعجب منه !

«جئته يوماً فقلت له : جعلت فداك ، إن آباءك موسى بن جعفر ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن علي ، وعلي بن الحسين (ع) ، كان عندهم علم ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأنت وصي القوم ، ووارثهم ، وعندك علمهم ، وقد بدت لي إليك حاجة !

قال : هاتها . فقلت : هذه الزاهرية محظيتي ، ولا أقدم عليها من جواربي ، قد حملت غير مرة ، وأسقطت ، وهي الآن حامل ، فدلني على ما تتعالج به فتسلم . فقال : لا تخف من إسقاطها ، فإنها تسلم ، وتلد غلاماً أشبه الناس بأمه ، ويكون له خنصر زائدة ، في يده اليمنى ، ليست بالمدلاة ، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ، ليست بالمدلاة ، فقلت في نفسي : أشهد أن الله على كل شيء قدير ، فولدت الزاهرية غلاماً أشبه الناس بأمه ، في يده اليمنى خنصر زائدة ، ليست بالمدلاة ، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ، ليست بالمدلاة ، على ما كان وصفه لي

الرضا (ع) ، فمن يلومني على نصبي إياه علماً^(١) .

الحق أننا نأسف لأن بعض الضعفاء يكون اعتقادهم بالإمام الرضا (ع) ، أقل من اعتقاد المأمون به ، وأن المأمون ينقل من فضائل الإمام (ع) وبكل فخر واعتزاز ، ويقربها ، ولا يقبلون بذلك !!

● كهنة بلاط نمرود، وفرعون،
يخبرون عما في الأرحام ، والأصلاب :

إنَّ قصص الأنبياء في القرآن الكريم والأخبار والأحاديث تخبرنا عن ولادة إبراهيم وموسى ، على نبينا وآله وعليهما السلام ، كما تخبرنا عن أن الكهنة والمنجمين في بلاط (نمرود) و(فرعون) قد أخبروهما عن هذين المولودين المقدسين ، وعن ولادتهما قبل أن يولدا ، وصرَّح الكهنة بأن حكومتها ، وسلطانها سينقرضا على أيديهما ، وأنَّ حكمهما المرتكز على الظلم والجور سينتهي على أيديهما ، ليحل محل حكمهما حكم عادل يقوم على العدل والإنصاف .

ولما كان (نمرود) ، و(فرعون) ، يعتقدان اعتقاداً راسخاً بنبوءة الكهنة ، أمرا بقتل جميع النساء الحوامل ، وذبح الأطفال المولودين حديثاً ، ليضمنا أن إبراهيم (ع) ، وموسى (ع) من ضمن الأطفال المقتولين .

ومن العجب أن كهنة بلاط (نمرود) ، كانوا يعبدون

(١) المصدر نفسه : ص ٢٢٥ .

الأصنام ، وليس لهم أي صلة بالله الواحد الأحد ، ولم يعتقدوا بالله أبداً .

ولكن الله الرؤوف الرحمن ، لم يغلق باب العلم والمعرفة على عباده ، بل سمح لجميع خلقه بالبحث عن المجهولات ، وكشفها ، حتى استطاع الكهنة ، بما لديهم من وسائل الشعبة ، أن يطلعوا على بعض الأسرار ، ويخبروا (نمرود) ، و (فرعون) ، عن المجهولات ، ومن ضمنها علم ما في الأرحام والأصلاب ، وربما بعض الأمور التي ستحدث في المستقبل ، كما سيأتي .

وعليه فقد استطاع الكهنة الإطلاع على بعض الأمور التي تعتبر في نظرهم غيباً ، وأخبروا (نمرود) ، و (فرعون) بها .

والخلاصة : إذا كان باستطاعة الكهنة ، أو حتى الأطباء في القرن العشرين ، الإطلاع على ما في الأرحام ، فكيف يكون ذلك ممنوعاً عن الأئمة الطاهرين (ع) ، الذين هم مخازن أسرار الله ، سبحانه وتعالى ، وكنوز علمه ، ومهبط وحيه ؟

فما أشد لؤم ووقاحة الجهلة المعاندين ، الذين ليسوا على استعداد أن يعترفوا ويقروا بالمرتبة العالية ، والمقام الشامخ للأئمة الطاهرين (ع) ، أولياء الله ، وحتى مساواتهم بكهنة بلاط (فرعون) و (نمرود) ، فما أشد غباءهم وظلمهم ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾^(١) .

وفيما يلي سنذكر لكم قصة ولادة إبراهيم وموسى ، على نبينا وآله ، وعليهما السلام ، ليكون ذلك دليلاً واضحاً لمن

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

يطلبون الإثبات ، ولكي نرد على أولئك الذين يريدون أن يبقى ظلام الجهل مخيماً على البشر ، إلى يوم القيامة ، وليسوا على استعداد للتوجه نحو العلم ، والمعرفة ، واكتشاف أسرار العالم ، ولكي نثبت لهم أن الله ، تبارك وتعالى ، جعل أبواب العلم والمعرفة مفتوحة ومشرفة ليس أمام المؤمنين بالله ، تبارك وتعالى ، فقط ، بل وحتى أمام الأعداء المشركين .

ونحب أن نؤكد هنا أنه لولا وسوسة ، وترهات ، وأباطيل الجهلة المعاندين ، لما استولى اليأس على بعض المحققين من البشر ، ولكانت الأمة الإسلامية خاصة ، والبشر عامة ، قد اكتشفوا كثيراً من الأسرار ، والعوالم المجهولة ، وفازوا بنعم الله ، تبارك وتعالى ، التي لا تعد ولا تحصى ، نتيجة الاستفادة من تلك الإكتشافات ، على مختلف الصعد .

قلنا : إننا نجد في صفحات التاريخ قصصاً لبعض الذين لا دين لهم ، وبطرق غير دينية ، أو قل بطرق مذهبية باطلة ، استطاعوا الإحاطة ببعض الأسرار والغيوب ، كالكهنة في بلاط (فرعون) ، و (نمرود) :

● ولادة إبراهيم (ع) :

بعد هبوط آدم (ع) من الجنة ، وسكنه في الأرض ، بثلاثة آلاف سنة ، ظهرت حضارة البابليين في مدينة (بابل) ، التي أنشئت في سهل أخضر من أرض العراق ، وبجانب نهر الفرات .

كانت العاصمة (بابل) مدينة كبيرة ، شيدت فيها القصور الملكية المجللة ، والشوارع الجميلة وأنشئت فيها البساتين ،

والحدائق العامرة .

وكان (فينياس) أي (النمرود) ملكاً عليها ، وعلى كثير من الممالك المعروفة في ذلك الزمن . وكان أهل هذه المدينة وثنيين ، يعبدون الأصنام التي شيّدوا لها معابد عظيمة البنيان . وكان (نمرود) بالنسبة لأهل المدينة ، وشعبه ، إلهاً ، حيث كان الناس يصنعون تماثيله في المعابد ، كما في جميع أنحاء المملكة ، فيعبدونه ، ويسجدون له ، على أنه الرب الأكبر ، أو رب الأرباب ، وبحكم ذلك فقد كان طاغية جباراً .

وكان في بلاطه الكهنة ، وعلماء النجوم ، حيث يستفيد منهم في معرفة أحداث المستقبل التي كانوا يتنبأون بها ، وكثيراً ما كانت تتطابق مع الواقع .

وفي يوم من الأيام جاء كبير الكهنة (خليد) وهو مضطرب يقول لـ (نمرود) : إنني كنت أرصد النجوم ، فشاهدت أمراً عجبياً اعتبره مصدر خطر عظيم لملك العالم !

ولما سمع الملك بذلك ارتعش جسمه ، وتغير لونه ، وصاح بالكاهن : ماذا سيحدث ؟ ماذا رأيت ؟ قل ولا تخف ، ربما نستطيع أن نتدارك عواقب ما يقع !

فقال خليل : إن اقتران بعض النجوم يدل على أن في هذه السنة ستتعقد نطفة طفل ، تنتقل من صلب أبيه ، لتستقر في رحم أمه ، وهذا الطفل ، بعد ولادته ، وبلوغه سن الرشد ، سيكون مصدر خطر عظيم يحل عليك ، وعلى من حولك ، وأنّ الخطر العميم يصيبك شخصياً أكثر من غيرك ، لأنّ هذا الطفل الذي لم

يولد بعد ، والذي سيخرج من صلب رجل كائن في المستقبل ،
سيثير الناس ضدك ، ويأتي بقانون جديد يقضي على جميع
الآداب والسنن المقدسة التي يعتقد ويدين بها أهل هذه البلاد !
وسيجعل الأعزة أذلة ، والعظماء وأصحاب الثراء ، فقراء ، ويهدم
المعابد ، ويقضي على عبادة الأصنام ، كما أنه سيقضي على
سلطانك وحكومتك !

ولما رأى خلود اضطراب (نمرود) ، قال له : إنَّ الفرصة لا
زالت متاحة ، فلا تضرب ! لأنه باستطاعتك الحيلولة دون انعقاد
نطفة هذا الطفل بمنع الرجال الإقتراب من النساء لمدة ينتفي
خلالها هذا النحس !

وبالنتيجة تقرر أن يمتنع الرجال عن نسائهم ، حتى يمرَّ
الوقت المطلوب ، وينقضي النحس المحسوب ، ويسمح الكهنة
بذلك . كما تقرر أنهم إذا وجدوا امرأة حاملاً يقتلونها والجنين
الذي في بطنها .

بعد هذه المقررات ، أمر (نمرود) الرجال بين الخامسة
عشرة ، والسبعين ، أن يخرجوا من المدينة ليقيموا في الصحراء ،
منعزلين عن النساء ، كما جعل حراساً على أبواب المدينة ليمنعوا
أي رجل من الدخول إليها بحيث لم تستطع حتى الطيور من
الطيران فوقها .

كل هذه الأعمال والمقررات ، والإحتياطات الشديدة قد
اتخذت ، ونفذت عملياً ليحول (نمرود) دون انعقاد نطفة إبراهيم
خليل الرحمن ، على نبينا وآله ، وعليه السلام ، ولكن إرادة الله ،
تبارك وتعالى ، كانت غير إرادة البشر ، وفوقها ، لأنه سبحانه قد

قرر أن ينير الدنيا بنور جمال خليله إبراهيم ، حتى يقضي على الشرك ، وعبادة الأصنام ، فينفجر في العالم نور التوحيد ، وعبادة الله الواحد الأحد .

وعلى هذا فقد دخل (تارخ بن ناحور) ، والد إبراهيم ، بيته ، في حماية الله تعالى ، وبعيداً عن عيون حراس (نمرود) ، وغيرهم ، اقترب من زوجته ، وانعقدت نطفة إبراهيم الخليل (ع) .

بعد ذلك ، خرج الكاهن الأعظم خليل ، من مرصده ، وهو في حالة من الهلع ، بلونه الشاحب ، نتيجة رصده النجوم لعدة أيام وليال متوالية ، وتوجه إلى قصر الملك ، ودخل على (نمرود) ، وقال له : مولاي ! إن اقتران الكوكبين قد انتهى ، ولكن مع الأسف الشديد ، فإنني أرى أن نطفة المولود الذي نخاف منه ، قد انتقلت ، وانعقدت في رحم أمه ، وتشكل الجنين ، رغم جميع الإحتياطات التي اتخذت ! وما أراه أن الجند والحراس ، لم يقوموا بواجبهم خير قيام ، وإن زوجين ، شاباً وامرأة ، قد تقاربا في فراش واحد ، وانعقدت النطفة المذكورة! (١) .

أقول : إن هذه القصة الحقيقية نقلتها أكثر الكتب التاريخية الدينية ، وبصورة مفصلة ، وما يهمنا من ذكر القصة ، أن كاهن (نمرود) ، وهو من عبدة الأصنام ، استطاع أن يطلع على هذا

(١) نقل سماحة المؤلف - حفظه المولى - القصة بتصريف عن (عرائس المجالس : ص ٦٣) .

السر الغيبي ، وحتى انتقال النطفة ، من صلب الأب ، إلى رحم الأم . أليس هذا التنبؤ إخباراً عما في الأصلاب والأرحام ؟

ما هو جواب الذين ينكرون معرفة الأنبياء والأئمة الأطهار (ع) لهذا العلم ، وهم مخازن علمه ، ومساكن وحيه ، ويقبلون من كاهن (نمرود) ، عابد الصنم ، ما ذكرناه ؟ ماذا يقولون أمام هذا الدليل الواضح ؟ وهل باستطاعتهم أن يقولوا شيئاً ؟

وزيادة في تأكيد وتأييد هذا المطلب ، نذكر قصة ولادة موسى (ع) الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، ولكي يتنبه هؤلاء المغفلون المنكرون ، الذين هم في واد ، ونحن في واد آخر !

● ولادة موسى (ع) :

إنَّ موسى بن عمران (ع) : هو موسى بن عمران ، بن يصهر ، بن قاهت ، بن لاوي ، بن يعقوب ، بن إبراهيم ، خليل الرحمن (ع) ، وأمه من لاوي ، وإسمها يوكابد^(١) .

ولد موسى (ع) في عهد فرعون مصر (أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان) ، من ولد سام بن نوح (ع) ، ولم يكن أعتى على الله ، ولا أعظم قولاً ، ولا أقسى قلباً ، ولا أطول عمراً في ملكه ، ولا أسوأ ، منه . كان جباراً من الجبابرة يدعي الألوهية ، وأن الأقباط المصريين في زمانه كانوا يعبدونه !

رأى فرعون ، ذات ليلة ، في منامه ، أن ناراً شبت في

(١) قيل : إن أم موسى عليهما السلام اسمها (نجيب ، ناجية ، يوخابيل) والأشهر (يوكابد) كما أثبت سماحة المؤلف - حفظه المولى - (راجع عرائس المجالس : ص ١٤٧) .

الشام ، وامتد لهيبتها ، حتى وصل إلى أرض مصر ، فأحرقت منازل الأقباط ، وجميع القصور الملكية الفرعونية ، كما أحرقت منازل الوزراء ، وكبار موظفي البلاط الفرعوني ، وكبار المقربين ، واحترق جميع الأفراد ، وتحولوا إلى رماد .

هب فرعون من نومه فزعاً مرعوباً ، وبقي حتى الصباح مفكراً بنتيجة هذا الكابوس الموحش .

وفي الصباح ، أحضر الكهنة ، ومفسري الأحلام ، وقصّ عليهم رؤياه ، فقالوا : إنَّ ما رأيته في المنام ، يدلُّ على أنَّ طفلاً سيولد في قبيلة بني إسرائيل ، يقضي على سلطان وحكومة الأقباط ، كما وأخبروه بليلة انعقاد نطفة هذا المولود ، ويوم ولادته ، بدقة متناهية .

عندها أمر فرعون أن لا يقترب رجال بني إسرائيل من نسائهم ، ولا يعاشروهن ، كما أمر عدداً من جنوده أن يقتلوا الأطفال الذين ولدوا حديثاً ، في الإسرائيليين ، وأمر أن تجمع بنات الإسرائيليين ليخدمن في بيوت الأقباط ، وإلى هذا أشار القرآن الكريم : ﴿يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾^(١) .

وقد أراد فرعون بظلمه وجوره هذا ، أن يحارب إرادة الله تعالى ، ظناً منه أنه بذلك سيمنع من ولادة موسى (ع) ، ولكن طاش سهمه ، وولد موسى (ع) من أبيه عمران وأمه يوكابد ، بعد أن أخفى الله حملها بالطفاه الخفية .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٤٩ .

وفي اليوم الثاني لولادته (ع) ، دخل الكهنة بلاط فرعون ، وهم في حالة من الاضطراب الشديد ، وأخبروه بولادة موسى (ع) . وحتى زمن انعقاد النطفة في رحم أمه (ع) (١) .

أقول : نعم ، إنَّ تنبؤ الكهنة عما في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، مسألة لا يستطيع أحد أن ينكرها لأن القرآن الكريم نصَّ على ذلك ، كما ورد في أخبار موسى (ع) ، وربما كان لهؤلاء الكهنة الحساب ، والكتاب ، والمقاييس والموازين ، التي بواسطتها كانوا يستطيعون الإطلاع على الحوادث قبل وقوعها .

وهناك إشارات واضحة في كلمات الأئمة الأطهار ، عليهم السلام ، تدل على أنهم كانوا يحرمون الكهانة (٢) . وفي هذا الوقت وقبله نجد في الهند مرتاضين ، وفي (أوروبا) من علماء الأرواح ، يستعينون بهم لكشف بعض الأسرار والحوادث التي تقع في الحاضر ، وبعضها يمكن أن يقع في المستقبل !

كما نعرف نوعاً منها وهو علم النجوم ، بحيث يستطيع علماء النجوم التنبؤ ببعض الحوادث بواسطة الحسابات النجمية التي يمكن أن توصل إلى القدرة على الإخبار بالوقائع التي ستحدث في المستقبل ، مثل التاريخ الدقيق لحدوث الخسوف والكسوف .

(١) راجع القصة كاملة في (عرائس المجالس : ص ١٤٧ وما بعدها) .
(٢) قال أمير المؤمنين (ع) : «أيها الناس ! إياكم وتعلم النجوم ، إلا ما يهتدى به في برّ ، أو بحر ، فإنها تدعو إلى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار . . . » (نهج البلاغة بشرح محمد عبده : ص ١٢٢ - الخطبة ٧٥) .

إنَّ مرحوم المصباح ، صاحب (تقويم المصباح) السنوي ، كتبها في حياته ، ولا زالت تطبع في كل سنة بعد وفاته ، وهي موضع ثقة المسلمين ، وخاصة وقائع الخسوف والكسوف التي تطابق الحقيقة .

إنَّ التنبؤ بكثير من القضايا ، لا يستند إلى أساس علمي دقيق ، ولكن ما نشير إليه هو أنَّ بمقدور الإنسان الإطلاع على المجهولات وبعض المغيبات ، التي تعود إلى عالم الإمكان والمخلوقات ، حيث لا يعد ذلك من المستحيلات ، وذلك بعد الحسابات العلمية الدقيقة .

مما تقدم نستدل أنَّ الله ، سبحانه وتعالى ، قد جعل أمام البشر ، طرقاً للوصول إلى المجهولات ، وتحويل أسطورة المغيبات إلى حقائق مشهودة ومعروفة .

وبنظرة دقيقة في تاريخ العلوم ، ومطالعة مطالعة شفاقة ، نجد أنَّ البشر استطاعوا في السنوات الأخيرة ، اكتشاف المئات من المواضيع التي كانت تعد في يوم ما في حكم المغيبات ، وأما اليوم فنراها في حكم البديهيات ، والأمور العادية .

● ماذا يقول نظام الطب الحديث ؟

من المعلوم أنَّ علم الطب ، والأنظمة الطبية العالمية ، قد تحولت في العالم تحولاً عجبياً ، وتطورت تطوراً مدهشاً ، في كشف الآلام والأمراض ، وعلاجها ، وخاصة في مجال اكتشاف الأمراض المجهولة وتشخيصها ، كما تقدم علم التشريح تقدماً هائلاً .

ومن ضمن الأشياء الرهيبة التي توصل إليها العلم الحديث ،
التنبؤ بنوع وجنس الجنين قبل الولادة ، مع تحديد ذكوره ، أو
أنوثته ؟

إنني لا أود أن أبدي أي رأي في هذا الموضوع العجيب ،
إنما أترك الأمر للقراء الكرام ، حتى يكونوا هم القضاة في
الموضوع ، ليعترفوا أن الإنسان في هذا العصر قد استطاع ، بعلمه
ومعرفته ، الوصول إلى كثير من المجهولات ، وجعلها حقائق
ملموسة .

بعد أن توصل العالم الكبير (بار : BARR) إلى التنبؤ بنوع
وجنس الجنين ، قبل الولادة وفي الشهر الرابع من الحمل ،
سحب عينة من (الغرش) (السائل الذي يكون مع الولد في كيس
الجنين) ، من بطن الأم ، فوجد فيه خلايا حية من الجنين ،
انتقلت إلى هذا السائل المسمى : (أمينوتيك أو أفينوس) .

ويقوم هذا العالم بتلوين هذا السائل ، بطريقة خاصة ، فإذا
كان جنس الجنين أنثى ، يتولد جسم صغير ، حجمه
(١/١٠٠٠ ملم) ، تحت الغشاء ، الذي يغطي النواة ، وسماه
العالم المكتشف (بار) باسمه ، وأما إذا كان الجنين ذكراً ، فلا
يرى هذا الجسم حوله^(١) .

(١) راجع الإشارات العلمية في القرآن الكريم : ص ٤٤ .

تَفْسِيرُ

الرَّأْيِ الْمُبَارَكَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

الأحزاب ٣٣

وقال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿إنما يريد الله ، ليذهبَ عنكم الرجسَ ، أهلَ البيت ،
ويطهرَكم تطهيراً﴾^(١) .

أجمع المفسرون ، من الخاصة والعامة ، أن هذه الآية المباركة ، نزلت في شأن الرسول الأكرم (ص) ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) ، والحسن والحسين ، عليهما السلام ، وفي آخر هذا المبحث سأذكر بعضاً من روايات الفريقين .

● تحقيق معنى (الرجس) :

تقلب معنى كلمة (الرجس) ، في القرآن الكريم وفي كتب اللغة ، على المعاني التالية :

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

١ - النجاسة :

﴿قل لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة ، أو دماً مسفوحاً ، أو لحم خنزير ، فإنه رجس﴾^(١) .

في هذه الآية الشريفة ، جاءت كلمة (رجس) بمعنى النجس كما قال :

(أ) الشيخ الطبرسي ، في تفسير هذه الآية حيث يقول :
﴿فإنه رجس﴾ : أي نجس ، والرجس إسم لكل شيء مستقذر ، منفور عنه»^(٢) .

(ب) يقول الشيخ الطوسي : «الرجس : هو النجس بلا خلاف»^(٣) .

(ج) الفاضل الطريحي يقول : «وظاهره أنه لا خلاف بين علمائنا في أنه في الآية بمعنى النجس»^(٤) .

(د) وقال الفيروزآبادي : «الرجس : بالكسر ، القذر ، ويحرك ، وتفتح الراء ، وتكسر الجيم ، والمأثم ، وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدي إلى العذاب ، والشك ، والعقاب ، والغضب»^(٥) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٥ .

(٢) مجمع البيان : ٣٧٨/٢ .

(٣) التهذيب .

(٤) مجمع البحرين : ٧٤/٤ .

(٥) القاموس المحيط : مادة (رجس) .

(هـ) وقال العلامة الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) : «الرجس : التتن
و(الرجس) : القذر . قال الفارابي : وكل شيء يستقذر فهو
(رَجَس) . وقال النقاش : (الرَّجَس) : النجس . وقال في
(البارع) : وربما قالوا (الرَّجَاسَة) والنجاسة أي جعلوهما
بمعنى ... وعلى هذا فقد يكون الرجس والقذر والنجاسة
بمعنى ...» (١) .

(و) وقال الزبيدي : «قال الزجاج : الرَّجَس : كل ما استقذر
من العمل ، بالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء ، فسمأها
رجساً» (٢) .

(ز) وقال ابن منظور الأفرريقي : «الرجس : القَذْرُ ، وقيل
الشيء القذر .

ورجس الشيء رجاسة ، وإنه لرجل مرجوس ، وكل قذر
رجس ، ورجل مرجوس ورجس : نجس . ورجس : نجس . قال
ابن دريد : وأحسبهم قد قالوا : رجس نجس ، وهي الرجاسة
والنجاسة» (٣) .

٢ - بمعنى اللعنة والعذاب في الدنيا والآخرة :

في قوله تعالى : ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا
يؤمنون﴾ (٤) .

(١) المصباح المنير : مادة (رجس) .

(٢) تاج العروس : مادة (رجس) .

(٣) لسان العرب : مادة (رجس) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

٣ - بمعنى الكفر :

في قوله تعالى : ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾^(١) ، بمعنى أنهم ازدادوا كفرًا على كفرهم .

٤ - بمعنى العمل القبيح ، والنجس ، والفساد ، والشرير :

في قوله تعالى : ﴿إنما الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام ، رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾^(٢) .

وبصورة عامة يقسم الرجس إلى معانٍ أربعة :

(أ) كل شيء يكون في نظر الإنسان نجسًا ، وموضع تنفره ، كالنجاسات .

(ب) كل شيء يكون نجسًا ، فاسدًا ، ومنفورًا منه ، كالشرك ، والشك بالله تعالى .

(ج) كل ما كان في نظر الشرع نجسًا ، ومنفورًا منه ، كالشراب ، والقمار ، ولحم الخنزير .

(د) كل شيء ينفر منه الإنسان في جميع جهاته ، كالميتة .
إذا جاءت كلمة (الرجس) في آية التطهير ، بصورة مطلقة ، تشتمل على جميع هذه المعاني ، وربما على غيرها ولكن في معانيها .

● التحقيق في معنى الطهارة :

الطهارة في اللغة : بمعنى ضد النجاسة ، أي الطهر ،

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ .

والنظافة ، والطهارة ، والظاهر ، بمعنى غير نجس ، أي الطاهر
النظيف .

وفي اصطلاح الفقهاء : القيام بأي عمل لرفع الحدث
والخبث بصورة شرعية .

وقد جاء في القرآن الكريم بعض هذه المعاني :

١ - بمعنى طهارة الجسم من النجاسات ، وتهذيب
الأخلاق :

في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَرُوا ، وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾^(١) : ويقصد ، سبحانه وتعالى ، (مسجد قبا)
الذي يتجمع فيه الرجال بقصد تطهير أنفسهم وتهذيبها .

٢ - بمعنى انقطاع دم الحيض في النساء ، وغسلهنّ بالماء :

في قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النساءَ فِي المَحِيضِ ، وَلَا
تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾^(٢) .

٣ - بمعنى النظافة من الإثم والمعصية ، والنظافة من الحدث
والخبث :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يَرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ ، وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٣) .

٤ - بمعنى الطهارة من الباطل ، والكذب ، والزور ،

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٦ .

والإنحراف الخلقي :

في قوله تعالى : ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾^(١) .

٥ - بمعنى الطهارة من الحيض ، والنفاس ، والحدث ،
والطبع الشرير الفاسد ، وسوء الخلق :

في قوله تعالى : ﴿وأزواج مطهرة﴾^(٢) .

٦ - بمعنى الطاهر (غير نجس) ، وسائغ :

في قوله تعالى : ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾^(٣) .

٧ - بمعنى النظافة الكلية ، التي يعبر عنها معنى قوله

تعالى : إلبس لباساً طاهراً نظيفاً خالياً من كل عيب : ﴿وثيابك
فطهر﴾^(٤) .

وقد فسر العلماء قوله تعالى : ﴿وثيابك فطهر﴾ بعدة معانٍ :

(أ) بمعنى أصلح عملك ، وطهر ثيابك .

(ب) بمعنى عدم التكبر ، والتبختر ، والمفاخرة ، وقد كان
جارياً عند الناس ، في عهد الجاهلية ، ارتداء الملابس الفاخرة ،
كالحرير والديباج ، والتزين بكل زينة ، والتفاخر بالمال .

(ج) بمعنى غسل الملابس من الوسخ والنجاسة ، وجعلها

(١) سورة البينة ، الآية : ٢ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥ .

(٣) سورة الدهر ، الآية : ٢١ .

(٤) سورة المدثر ، الآية : ٤ .

نظيفة ، كما يقوم الناس في يومنا بغسل الملابس بالماء والصابون لتنظيفها .

(د) بمعنى تقصير الملابس لكي لا يجبر الشخص رداءه على الأرض خلفه أثناء السير . ومن الممكن أن المعاني الأربعة جميعها ، صحيحة ، وقد وردت روايات عن الأئمة الأطهار (ع) تؤيد المعاني التي ذكرناها ، ليشمل الخطاب جميع المسلمين رغم أن ظاهر الآية يخاطب ، سبحانه وتعالى ، رسوله الكريم (ص) .

فنستنتج من التحقيق الذي سبق ذكره ، أن كلمة (الطهارة) التي وردت في الآية المباركة ، تفيد معنى الطهارة من النجاسات ، وإصلاح العمل ، وعدم التكبر والمفاخرة ، والإغتسال من الأوساخ ، وتهذيب النفس ، والطهارة من الحدث والخبث ، والإثم والأعمال الباطلة ، والكذب ، وقول الزور ، والانحراف عن الطريق المستقيم ، وزوال العقل .

ولكون إطلاق الآية الكريمة ، فيستفاد منها جميع المعاني بتأييد كلمات الأئمة المعصومين (ع) لما نقول .

● توضيحات حول آية التطهير المباركة :

١ - في الآية المباركة كلمة ﴿يطهركم﴾ ، يؤكدتها كلمة ﴿تطهيرا﴾ ، وحيث أن التأكيد يفيد شمولاً تاماً ، فيدل على حصول الطهارة للأئمة المعصومين (ع) بأكمل وأصح وجه ، وبجميع وجوه ومراتب الطهارة الظاهرية والباطنية .

٢ - استعمال لفظ الإرادة ﴿يريد﴾ مع أداة الحصر ﴿إن﴾ في الآية ﴿إنما يريد﴾ ، وتقدمها على ذهاب الرجس ، وذلك يدل

دلالة واضحة على طهارة هؤلاء العظماء ، الأئمة الطاهرين (ع) ، من النجاسة ، والحدث ، والخبث ، والوساخة ، والنقص ، والسهو ، والنسيان ، والتقصير ، والقصور ، والجهل ، والشرك ، والشك ، والتردد ، والإنكار ، وسائر معاني الرجس .

٣ - جاءت الآية المباركة بالصفة الخاصة ، فاستعملت فيها كلمة الحصر ، ولفظ الإرادة ، وتأكيدات تدل جميعها على أعلى درجات الطهارة التي يمكن أن يتصورها الإنسان ، دون استثناء .
وعليه فإن جميع أقسام وأشكال الرجس ، بعيدة عن هؤلاء العظماء ، وهم مزينون بجميع أنواع وأشكال الطهارة .

٤ - في تأكيد تفسير الآية المباركة نذكر ما يلي من (الزيارة الجامعة الكبيرة) : «عالم بأن الله قد طهركم من الفواحش ، ما ظهر منها ، وما بطن ، ومن كل ريبة ، ونجاسة ، وذنبة ، ورجاسة . . .»^(١) .

وبعد ، فإننا نجد روايات ، وأخباراً متعددة ، وكلها ، تدل دلالة واضحة على الطهارة الظاهرية والباطنية للأئمة المعصومين ، الأربعة عشر (ع) .

● روايات تفسر نزول آية التطهير من طرق العامة :

١ - (صحيح مسلم) : «عن عائشة (رض) قالت : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، غداة غد ، وعليه مرط من رجل ، من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين

(١) مفاتيح الجنان : ص ٦٢٧ (الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين عليهم السلام) .

فأدخله ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً﴾ . أيضاً أخرج الحاكم هذا الحديث عن عائشة^(١) .

٢ - (سنن الترمذي) : «عن عمر بن أبي سلمة ، ربيب النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : نزلت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً﴾ في بيت أم سلمة ، فدعا النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، علياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً ، فجعلهم بكساء ، وعلي خلف ظهره ، فجعله ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً !

قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت إلى خير^(٢) .

٣ - (سنن الترمذي) : «عن أم سلمة : أن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، جلّ علياً ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة ، كساء ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً !

فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : قفي مكانك ! إنك إلى خير^(٣) .

(١) ينابيع المودة : ١٠٦/١ - فرائد السمطين : ٣٦٧/١ - شواهد التنزيل : ٣٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه . مناقب ابن المغازلي : ص ٣٠٣ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٠٧ - تاريخ بغداد : ٢٧٨/١٠ .

٤ - (كتاب شرح الكبريت الأحمر)^(١) : «أخرج الطبراني ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت : في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ، أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، فجاءت فاطمة ببرمة فيها ثريد ، فقال ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لها : إدعي لنا زوجك ، وحسناً ، وحسيناً ، فدعتهم ، فبينما هم يأكلون ، إذ نزلت هذه الآية ، فغشاهم بكساء خيري كان عليه ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، فأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً - ثلاث مرات -»^(٢) .

٥ - وأخرج أحمد بن حنبل^(٣) ، وابن أبي شيبة ، عن أنس بن مالك قال : إنَّ رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يمر بباب فاطمة ، إذا خرج إلى صلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل البيت ، يرحمكم الله ! - ثلاثاً - مدة ستة أشهر»^(٤) .

● روايات تفسر نزول آية التطهير من طرق الخاصة :

١ - (تفسير الصافي) : «في احتجاج علي ، عليه السلام ، على أبي بكر ، قال : فأنشدك بالله ! الي ، ولأهلي ، وولدي ، آية التطهير من الرجس ، أم لك ولأهل بيتك ؟

قال : بل لك ولأهل بيتك . قال : فأنشدك بالله ! أنا

(١) للشيخ علاء الدولة السمناني (قدس سره) .

(٢) ينابيع المودة : ص ١٠٧ - مناقب ابن المغازلي : ص ٣٠٤ - معجم الطبراني : ص ١٣٤ .

(٣) مسند أحمد : ٢٩٢/٦ .

(٤) ينابيع المودة : ص ١٠٧ .

صاحب دعوة رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وأهلي ،
وولدي ، يوم الكساء : «اللهم هؤلاء أهلي ، إليك ، لا إلى النار»
أم أنت ؟

قال : بل أنت وأهل بيتك» (١) .

٢ - (الاحتجاج) : «قال علي (ع) : أيها الناس ! أتعلمون
أن الله ، عز وجل ، أنزل في كتابه : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً﴾ فجمعني وفاطمة ،
وإبنيه ، حسناً وحسيناً ، ثم ألقى علينا كساءً فديكياً ، وقال : اللهم
هؤلاء أهل بيتي ولحمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، ويجرحني ما
يجرحهم ، فأذهب عنهم الرجس ، وطرهم تطهيراً . فقالت أم
سلمة : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : أنت إلى خير ، إنما نزلت
فيّ ، وفي أخي علي ، وفي ابنتي فاطمة ، وفي ابني ، وفي تسعة
من ولد الحسين خاصة ، وليس معنا أحد غيرنا ؟» (٢) .

«وقال (ع) : نشدتكم بالله ! هل فيكم أحد أذهب الله عنه
الرجس ، وطره تطهيراً ، غيري ؟ قالوا : لا . . .» (٣) .

٣ - (تفسير الصافي) : «عن زيد بن علي بن الحسين ،
عليهم السلام ، قال : إن جهالاً من الناس ، يزعمون أنه إنما أراد
الله بهذه الآية أزواج النبي ، صلى الله عليه وآله ، وقد كذبوا
وأثموا ، وأيم الله ! ولو عنى أزواج النبي ، صلى الله عليه وآله ،
لقال : «ليذهب عنكن الرجس ، ويطهركن تطهيراً» وكان الكلام

(١) تفسير الصافي : ١٨٨/٤ - الخصال : ص ٥٥٠ .

(٢) الاحتجاج للطبرسي : ١٤٨/١ .

(٣) المصدر نفسه : ١٣٦/١ .

مؤثراً ، كما قال : ﴿أذْكَرُنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(١) ، ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ
تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٢) ، و﴿لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٣) .

٤ - (مجمع البيان) : «قال أبو سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، ووائلة بن الأسقع ، وعائشة ، وأم سلمة : إن الآية مختصة برسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، عليهم السلام»^(٤) .

٥ - (تفسير الصافي) : «يروى العياشي ، عن الباقر ، عليه السلام : ليس شيء أبعد من عقول الرجال ، من تفسير القرآن ! إن الآية ينزل أولها في شيء ، وأوسطها في شيء ، وآخرها في شيء»^(٥) .

٦ - (كمال الدين وتمام النعمة) : قال سليم ، ثم قال علي (ع) : «أيها الناس ! أتعلمون أن الله ، عز وجل ، أنزل في كتابه ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً﴾ ، فجمعني وفاطمة ، وابني حسناً وحسناً ، ثم ألقى علينا كساءً ، وقال : «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي ولحمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، ويجرحني ما يجرحهم ، فأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً» .

(١) سورة الأحزاب : الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٢ - تفسير الصافي : ١٨٧/٤ .

(٤) مجمع البيان للطبرسي : ٣٥٦/٤ .

(٥) تفسير الصافي : ١٨٨/٤ .

فقال أم سلمة : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : أنت علي خير ، إنما نزلت في ، وفي أخي علي ، وفي ابني الحسن والحسين ، وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ، ليس معنا فيها أحد غيرنا ؟

فقالوا كلهم : نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك ، فسألنا رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة ، رضي الله عنها^(١) .

٧ - (علل الشرائع) : «عن عبد الرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : ما عنى الله ، عز وجل ، بقوله : ﴿إنما يريد الله ، ليذهب عنكم الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً﴾ ؟ قال : نزلت في النبي ، وأمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة ، عليهم السلام ، فلما قبض الله نبيّه ، كان أمير المؤمنين ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، عليهم السلام ، ثم وقع تأويل هذه الآية : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٢) ، وكان علي بن الحسين ، عليهما السلام ، إماماً ، ثم جرت في الأئمة من ولده ، الأوصياء ، عليهم السلام ، فطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله عز وجل»^(٣) .

أقول : إن آية التطهير ، نزلت في الخمسة ، أصحاب الكساء ، وهم : الرسول الأكرم (ص) ، وأمير المؤمنين علي بن

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق : ص ٢٧٨ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥ .

(٣) علل الشرائع للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) : ٢٠٥/١ (باب ١٥٦) .

أبي طالب (ع) ، وفاطمة الزهراء (ع) ، والإمام الحسن (ع) ،
والإمام الحسين (ع) ، وباقي الأئمة ، عليهم السلام ، ليصبحوا
أربعة عشر معصوماً ، وقد نقلت لكم روايات وأحاديث معتبرة من
طرق الفريقين ، وعن العامة والخاصة ، وأرجو أن يكون ذلك كافياً
لأهل العلم والإنصاف لتأكيد ما أثبتناه .

● حديث الكساء :

روى جابر بن عبدالله الأنصاري ، عن فاطمة الزهراء ،
عليها السلام ، بنت رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
قال :

سمعت فاطمة أنها قالت : دخل عليّ أبي رسول الله في
بعض الأيام ، فقال : السلام عليك يا فاطمة . فقلت : عليك
السلام . قال : إني أجد (لأجد - خ ل) في بدني ضعفاً . فقلت
له : أعينك بالله يا أبتاه من الضعف . فقال : يا فاطمة ! إيتيني
بالكساء اليماني ، فغطيني به . فأتيته بالكساء اليماني ، فغطيته
به ، وصرت أنظر إليه ، وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه
وكماله .

قالت فاطمة سلام الله عليها : فما كانت إلا ساعة ، وإذا
بولدي الحسن قد أقبل ، وقال : السلام عليك يا أماه . فقلت
وعليك السلام يا ولدي ، وقررة عيني ، وثمره فؤادي .

فقال : يا أماه ! إني أشم عندك رائحة طيبة ، كأنها رائحة
جدي رسول الله ، صلى الله عليه وآله !

فقلت : نعم ، إنَّ جدَّك نائم تحت الكساء .

فأقبل الحسن نحو الكساء ، وقال : السلام عليك يا جداه ،
السلام عليك يا رسول الله ، أتأذن لي أن أدخل معك تحت
الكساء ؟ قال : وعليك السلام يا ولدي ، ويا صاحب حوضي ،
قد أذنت لك ، فدخل معه تحت الكساء .

قالت فاطمة ، سلام الله عليها : فما كانت إلا ساعة ، وإذا
بولدي الحسين ، عليه السلام ، قد أقبل وقال : السلام عليك يا
أماه . فقلت : وعليك السلام يا ولدي ، ويا قرّة عيني ، وثمرّة
فؤادي . فقال لي : يا أماه ! إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها
رائحة جدي رسول الله ، صلى الله عليه وآله .
فقلت : نعم ، إنّ جدّك وأخاك تحت الكساء .

فدنا الحسين نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه ،
السلام عليك يا من اختاره الله ، أتأذن لي أن أدخل معكما تحت
الكساء ؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي ، ويا شافع أمّتي ، قد
أذنت لك . فدخل الحسين عليه السلام ، معهما تحت الكساء .

قالت فاطمة ، عليها السلام : فأقبل عند ذلك أبو الحسن
علي بن أبي طالب ، وقال : السلام عليك يا بنت رسول الله .
فقلت : وعليك السلام يا أبا الحسن ، ويا أمير المؤمنين .

فقال : يا فاطمة ! إني أشم عندك رائحة طيبة ، كأنها رائحة
أخي ، وابن عمي رسول الله !

فقلت : نعم ، ها هو مع ولديك تحت الكساء .

فأقبل علي نحو الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله ،
أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء ؟

قال له : وعليك السلام يا أخي ، ووصيي ، وخليفتي ،
وصاحب لوائي ، قد أذنت لك . فدخل عليّ تحت الكساء .

ثم أتيت نحو الكساء وقلت : السلام عليك يا أبتاه ، السلام
عليك يا رسول الله ، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء ؟
قال : وعليك السلام يا ابنتي ، ويا بضعتي ، قد أذنت
لك . فدخلت تحت الكساء .

فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء ، أخذ أبي رسول الله
بطرفي الكساء ، وأوماً بيده اليمنى إلى السماء ، وقال : اللهم إنَّ
هؤلاء أهل بيتي ، وخاصتي ، وحامّتي ، لحمهم لحمي ، ودمهم
دمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، ويحزنني ما يحزنهم ، أنا حرب لمن
حاربهم ، وسلم لمن سالمهم ، وعدو لمن عاداهم ، ومحَبّ لمن
أحبهم ، إنهم مني وأنا منهم ، فاجعل صلواتك ، وبركاتك ،
ورحمتك ، وغفرانك ، ورضوانك ، عَلَيَّ وعليهم ، وأذهب عنهم
الرجس ، وطهرهم تطهيراً .

فقال الله عز وجل : يا ملائكتي ، ويا سكان سماواتي ! إنني
ما خلقت سماء مبنية ، ولا أرضاً مدحية ، ولا قمراً منيراً ، ولا
شمساً مضيئة ، ولا فلکاً يدور ، ولا بحراً يجري ، ولا فلکاً
تسري ، إلا في محبة هؤلاء الخمسة ، الذين هم تحت الكساء .

فقال الأمين جبرائيل : يا رب ! ومن تحت الكساء ؟

فقال الله ، عز وجل : هم أهل بيت النبوة ، ومعدن
الرسالة ، هم فاطمة وأبوها ، وبعلمها وبنوها .

فقال جبرائيل : يا رب ! أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض ،

لأكون معهم سادساً؟

فقال الله ، عز وجل : نعم قد أذنت لك .

فهبط الأمين جبرائيل ، وقال : السلام عليك يا رسول الله ،
العليّ الأعلى بقرئك السلام ، ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول
لك : وعزتي وجلالي ! إني ما خلقت سماء مبنية ، ولا أرضاً
مدحية ، ولا قمراً منيراً ، ولا شمساً مضيئة ، ولا فلکاً يدور ، ولا
بحراً يجري ، ولا فلکاً تسري ، إلا لأجلکم ومحبتکم ، وقد أذن
لي أن أدخل معكم تحت الكساء ، فهل تأذن لي أنت يا رسول
الله ؟

فقال رسول الله : وعليك السلام ، يا أمين وحي الله ، قد
أذنت لك .

فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء . فقال لأبي : إن الله قد
أوحى إليكم يقول : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ ، لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ ،
أهل البيت ، ويطهرکم تطهيرا ﴾ .

فقال علي ، عليه السلام ، لأبي : يا رسول الله ! أخبرني ما
لجلوسنا هذا تحت الكساء ، من الفضل ، عند الله ، تبارك
وتعالى .

فقال النبي ، صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق نبياً ،
واصطفاني بالرسالة نجياً ، ما ذكر خبرنا هذا ، في محفل من
محافل أهل الأرض ، وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا ، إلا ونزلت
عليهم الرحمة ، وحفَّت بهم الملائكة ، واستغفرت لهم ، إلى أن
يتفرقوا .

فقال علي ، عليه السلام : إذا والله فزنا ، وفاز شيعتنا ،
وربّ الكعبة .

فقال النبي ثانياً : يا علي ! والذي بعثني بالحق نبياً ،
واصطفاني بالرسالة نجياً ، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل
أهل الأرض ، وفيه جمع من شيعتنا ، ومحبيننا ، وفيهم مهموم ،
إلا وفرّج الله همّه ، ولا مغموم ، إلا وكشف الله غمّه ، ولا طالب
حاجة ، إلا وقضى الله حاجته .

فقال علي ، عليه السلام : إذا والله فزنا ، وسعدنا ، وكذلك
شيعتنا فازوا ، وسعدوا في الدنيا والآخرة ، برب الكعبة»^(١) .

● عدة أدلة في تأييد طهارة المعصومين (ع) :

من البديهي ، بحسب القواعد الشرعية ، أنّ الدخول إلى
المساجد ، والمعابد الإلهية ، ممنوع ، أو حرام على الإنسان
النجس ، بمعنى أنّ عليه أن يتطهر بالغسل من الجنابة ، أو
النفاس ، أو الحيض ، حتى يستطيع عبور المساجد من باب إلى
باب آخر ، وعلى الأخص في المسجدين العظيمين ، مسجد
الرسول (ص) ، والمسجد الحرام .

كذلك إنه من المعروف أنّ أول بقعة أسست لعبادة الباري ،
جلّ وعلا ، هي المسجد الحرام ، أي الكعبة الشريفة ، بصريح
الآية الكريمة : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ، مُبَارَكًا ،
وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

(١) العوالم : ص ٦٣٩ (سيدة النساء فاطمة الزهراء ، عليها السلام) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

فالمسجد الحرام ، أي الكعبة الشريفة ، هي أول مسجد ،
ومعبد ، وقبلة ، لأهل الإيمان ، وفيها تنزل البركات ، ويهدى
الناس إلى طريق الحق ، حيث تقول الآية الكريمة : ﴿وإذ يرفع
إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ، ربنا تقبل منا ، إنك أنت
السميع العليم﴾ (١) .

وإنَّ الله ، سبحانه وتعالى ، يؤكد في خطابه لإبراهيم
وإسماعيل ، حيث يقول : لهما ، وبأمرهما : ﴿وعهدنا إلى
إبراهيم وإسماعيل ، أن طهرا بيتي ، للطائفين ، والعاكفين ،
والركع السجود﴾ (٢) .

والآن يعترضنا السؤال : لماذا يطلب الباري ، جل وعلا ،
من إبراهيم وإسماعيل ، العهود ، كي يطهرا الكعبة من كل
رجس ، ونجس ، وشر ، وأن يجعل البيت معداً للطواف
والاعتكاف ، وإقامة الصلاة للمؤمنين ؟

وكيف يسمح لامرأة حامل ، أن تدخل هذا البيت المقدس ،
لتضع حملها في داخل البيت المقدس ، ولا يفتح لها باب
الكعبة ، لتدخل فيها ؟

بل الأعجب من هذا كله : بينما هي واقفة تستغيث أمام
جدار الكعبة ، وإذا به ينشق ، ويدعوها هاتف من قبل الله : أن
ادخلي البيت الحرام ، وضعي حملك فيه !!

نعم ، ماذا حدث حتى يتحول بيت الله الطاهر المقدس ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٥ .

وقبله أهل الإيمان ، إلى محل ولادة طفل؟!!

إنَّ هذا الأمر يدعو إلى التأمل والتفكير ، لأننا لا نستطيع أن ننسب العجز ، والضعف إلى الله ، جل وعلا ، ومن نسب إليه ، تعالى ذلك ، فهو كافر وزنديق ، لأنه إن كان لا يليق بحق المخلوق في بعض الأحيان ، فكيف بساحته جل شأنه؟

ثم هل نستطيع أن ننكر حادثة ولادة الطفل في جوف الكعبة الشريفة ، وننفي السند التاريخي لهذا الحدث المشهور المتواتر؟

إنَّ هذا الحدث ، ليس أسطورة من الأساطير التراثية ، بل هو حقيقة واقعة سجلها التاريخ بخطوط عريضة واضحة في صفحاته ، وإنَّ أكثر علماء الإسلام قد كتبوا كثيراً ، وبحشوا ، وحققوا في هذه الحادثة الواقعية ، وحاول الكثير منهم الوصول إلى أسرارها ، بل وإنَّ الشعراء تناولوا الحادثة في شعرهم ، والخطباء في أقوالهم ، والأدباء في مؤلفاتهم ومقطوعاتهم ، وكلهم يثبت بذلك ولادة الطفل في بيت الله المقدس ، وداخل أركانه الأربعة .

نعم إنَّ ولادة علي بن أبي طالب (ع) في جوف الكعبة الشريفة ، مسألة تجاوزت حد التواتر ، ووصلت إلى مرتبة اليقين ، بل إلى عين اليقين .

وهنا نصل إلى حل المشكلة مع ذكر اسم علي (ع) لأنه (حلال المشاكل) . نعم نقول هنا : إنَّ آية التطهير التي نزلت في حق علي (ع) وأهل بيته (ع) ، هي دليل آخر على طهارة هذا المولود العظيم .

نعم ، أي دليل أعظم من ولادة علي (ع) في جوف الكعبة

الشريفة الطاهرة ، إن لم يكن (ع) طاهراً مطهراً ، وكان ذلك بإرادة الله ، سبحانه وتعالى؟! إنه أعلم الخلق جميعاً بأن سفراء الله ، وأوليائه ، لا يمكن أن يقاسوا بالمقاييس العادية .

ومن هنا يجب أن نعترف بأن مقام علي (ع) ، عند الله تعالى ، يتباين عن مقام الآخرين إلى درجة تنعدم عندها المقارنة ، لأنه كما أن شخصية الرسول الأكرم (ص) شخصية استثنائية ، وملكوية كذلك أخو الرسول ، بل نفسه ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، شخصية استثنائية .

نعم ، إن وجود أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وولادته العجيبة ، وعباداته في الليل والنهار ، وشجاعته . وشهامته ، وصبره ، وتحمله ، وفصاحته وبلاغته ، ووفاءه ، و... و... وجميع أوصافه هي موضوع استثنائي ومحير للعقول لأنه فوق التصور ، وإن جميع متعلقات علي (ع) تتعلق بإرادة الله ، جل وعلا ، الذي خلقه وشرفه وكرّمه بكل ذلك .

إن الله سبحانه وتعالى ، أراد أن يخلق في عالم الوجود ، وبعد رسول الله (ص) الذي هو أشرف المخلوقات ، وسيد ولد آدم ، وخير بني البشر ، وأكملهم ، وأفضلهم ، وأشرف الأنبياء ، وخاتمهم ، وعلّة الوجود ، أراد الله تعالى ، أن يخلق خليفة الرسول الأكرم (ص) ، في الشرف والكمال والفضل ، ليستطيع حمل الرسالة الإلهية بعد النبي الأكرم (ص) ، ويتبوأ منصب الوصي ، الذي هو منصب إلهي رفيع ، فكان عليّ (ع) ، مخلوق الله تعالى ذلك ، ومنذ ولادته (ع) ، في جوف الكعبة المقدسة ، ونشأته تحت إشراف الرسول الأكرم (ص) ، وأجداده الكرام ، وهو

يشكل مسألة تحيّر العقول ، وتدهش أولي الألباب .

وهذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، يولد طاهراً مطهراً في بيت الله الطاهر المقدس ، «ولم يولد قبله ، ولا بعده ، مولود في بيت الله تعالى سواه ، إكراماً من الله تعالى ، جل اسمه ، له بذلك ، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم»^(١) .

وفيما يلي أنقل لكم قصة ولادة علي (ع) ، كما أوردتها كتب الفريقين :

● ولادة أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) :

١ - (أمالي الشيخ الطوسي) : «عن إبراهيم بن علي ، بأسناده عن أبي عبدالله ، جعفر بن محمد ، عليهما السلام ، عن آبائه ، عليهم السلام ، قال :

«كان العباس بن عبد المطلب ، ويزيد بن قعنب ، جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزّي ، بإزاء بيت الله الحرام ، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم أمير المؤمنين ، عليه السلام ، وكانت حاملة بأمير المؤمنين ، عليه السلام ، لتسعة أشهر ، وكان يوم التمام قال : فوقفت بإزاء البيت الحرام ، وقد أخذها الطلق ، فرمت بطرفها نحو السماء ، وقالت :

«أي رب ! إني مؤمنة بك ، وبما جاء به من عندك الرسول ، وبكل نبي من أنبيائك ، وبكل كتاب أنزلت ، وإني مصدّقة بكلام جدي إبراهيم الخليل ، وأنه بنى بيتك العتيق ،

(١) الإرشاد : ص ٩ .

فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه ، وبهذا المولود الذي في أحشائي ، الذي يكلمني ويؤنسني بحديثه ، وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك ، لما يسَّرت عليَّ ولادتي !

«قال العباس بن عبد المطلب ، ويزيد بن قعب : لما تكلمت فاطمة بنت أسد ، ودعت بهذا الدعاء ، رأينا البيت قد انفتح من ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا ، ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله تعالى ، فرمنا أن نفتح الباب ليصل إليها بعض نساءنا ، فلم يفتح الباب ، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى .

«وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام ، قال : وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك ، وتحدث به المخدرات في خدورهن .

«قال : فلما كان بعد ثلاثة أيام ، انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه ، فخرجت فاطمة ، وعلي على يديها ، ثم قالت :

«معاشر الناس ! إنَّ الله ، عز وجل ، اختارني من خلقه ، وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي ، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم^(١) ، فإنها عبدت الله سراً ، في موضع ، لا يُحب أن يُعبد الله فيه ، إلا اضطراراً ، ومريم بنت عمران ، حيث هانت ويسَّرت عليها ولادة عيسى ، فهزَّت الجذع اليابس من النخلة ، في فلاة من الأرض ، حتى تساقط عليها رطباً جنياً ، وأنَّ الله

(١) زوجة فرعون مصر .

تعالى اختارني ، وفضلني عليهما ، وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين ، لأنني ولدت في بيته العتيق ، وبقيت فيه ثلاثة أيام ، آكل من ثمار الجنة ، وأوراقها ، فلما أردت أن أخرج وولدي على يدي ، هتف بي هاتف ، وقال :

«يا فاطمة ! سمّيه علياً ، فأنا العليّ الأعلى ، وأني خلقتة من قدرتي ، وعزتي وجلالي ، واشتقت اسمه من إسمي ، وأدبته بأدبي ، وفوضت إليه أمري ، ووقفته على غامض علمي ، وولد في بيتي ، وهو أول من يؤذن فوق بيتي ، ويكسر الأصنام ، ويرميها على وجهها ، ويعظمني ، ويمجدني ، ويهللني ، وهو الإمام بعد حبيبي ، ونبيي ، وخيرتي من خلقي ، محمد رسولي ، ووصيه ، فطوبى لمن أحبه ونصره ، والويل لمن عصاه وخذله ، وجحد حقه !

«قال : فلما رآه أبو طالب سُرّاً ، فقال علي : السلام عليك يا أبة ، ورحمة الله وبركاته !!

«قال : «ثم دخل رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما دخل ، اهتز له أمير المؤمنين ، وضحك في وجهه ، وقال : السلام عليك يا رسول الله ، ورحمة الله ، وبركاته .

«قال : ثم تنحج بإذن الله تعالى ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(١) ، إلى آخر الآيات .

«فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله : قد أفلحوا بك .

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١ .

وقرأ تمام الآيات إلى قوله : ﴿أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون﴾^(١) .

«فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله : أنت والله أميرهم ، تديرهم من علومك فيمتارون ، وأنت والله دليلهم ، وبك يهتدون .

»ثم قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، لفاطمة : إذهبي إلى عمه حمزة ، فبشره به . فقالت : فإذا خرجت أنا ، فمن يرويه ؟ قال : أنا أرويه . فقالت فاطمة : أنت ترويه ؟! قال : نعم ، فوضع رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، لسانه في فيه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، قال : فسمي ذلك يوم التروية .

«فلما أن رجعت فاطمة بنت أسد ، رأت نوراً قد ارتفع من علي إلى عنان السماء . قال : ثم شدته ، وقمطته بقمط ، فبتر القمط ! قال : فأخذت فاطمة قمطاً جيداً ، فشدته به ، فبتر القمط ، ثم جعلته قمطين فبترهما ، فجعلته ثلاثة ، فبترها ، فجعلت أربعة أقمطة من رق مصر ، لصلابته ، فبترها ، فجعلته خمسة أقمط ديباج ، لصلابته ، فبترها كلها ، فجعلته ستة من ديباج ، وواحد من الأدم ، فتمطى فيها ، فقطعها كلها بإذن الله ، ثم قال بعد ذلك : يا أمه ، لا تشدي يدي ، فإني أحتاج إلى أن أبصص لربي بإصبعي !

»قال : فقال أبو طالب عند ذلك : إنه سيكون له شأن ونبا .

«فلما كان من غد ، دخل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، على فاطمة ، فلما بصر علي ، عليه السلام ، برسول الله ، صلى

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١ .

الله عليه وآله وسلم ، سلم عليه ، وضحك في وجهه ، وأشار إليه أن خذني إليك واسقني مما سقيتني بالأمس .

«قال : فأخذه رسول الله ، صلى الله عليه وآله . فقالت فاطمة : عرفه ورب الكعبة ! قال : فلكلام فاطمة ، سمي ذلك اليوم ، يوم عرفة - تعني أن أمير المؤمنين ، عليه السلام ، عرف رسول الله ، صلى الله عليه وآله .»

«فلما كان اليوم الثالث ، وكان العاشر من ذي الحجة ، أذن أبو طالب في الناس ، أذاناً جامعاً ، وقال : هلموا إلى وليمة إبني علي ! قال : ونحر ثلاثمئة من الإبل ، وألف رأس من البقر ، والغنم ، واتخذ وليمة عظيمة ، وقال :

«معاشر الناس ! ألا من أراد من طعام علي ولدي ، فهلموا وطوفوا بالبيت سبعاً ، وادخلوا وسلموا على ولدي علي ، فإن الله شرفه ، ولفعل أبي طالب شرف يوم النحر»^(١) .

٢ - (مناقب ابن المغازلي الشافعي) : نقل هذا الحديث ، على صورة أخرى ، وقد أشار فيه إلى ولادة أمير المؤمنين علي (ع) في الكعبة^(٢) .

٣ - (فضائل ابن شاذان) : ورد الحديث في كتاب ابن شاذان ، على نحو آخر ، وأشار فيه إلى ولادة أمير المؤمنين علي (ع) في الكعبة المقدسة^(٣) .

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ص ٧١٥ - (مجلس يوم الجمعة) - صحيفة

الأبرار : ١٤٨/١ - ح ٢٢ - حلية الأبرار : ١/٢٢٦ .

(٢) مناقب ابن المغازلي : ص ٧ . (باب مولده ، عليه السلام) .

(٣) كتاب الفضائل : ص ٥٤ .

٤ - (الشيعة والتشيع) : الشيخ محمد جواد مغنية يشير في كتابه المذكور ، إلى ولادة أمير المؤمنين (ع) في الكعبة^(١) .

٥ - (تجارب السلف) : ذكر هندوشاه بن عبدالله الصاحبى ، الذي عاش في القرن السابع ، والثامن الهجري ، وهومن السنة ، في كتابه المذكور ، ولادة الإمام علي (ع) في الكعبة^(٢)

٦ - (حبيب السير من أخبار أفراد البشر) : ذكر غياث الدين بن همام الدين الحسيني ، المشهور بـ (خواندمير) ، في الجزء الأول من الكتاب المذكور : ولادة علي (ع) في الكعبة الشريفة^(٣) ، وقد كان خواندمير هذا من المؤرخين في القرن العاشر الهجري ، وهو سني المذهب ، وإن كان شيعياً ، فكلامه في تاريخه ، يشبه كلام السنة .

٧ - (المستدرك) : يذكر الحاكم النيسابوري ، وهو من أهل السنة ، وكتابه أحد منابعهم ومنهل لشريعتهم ، في الجزء الثالث ، ولادة الإمام (ع) في الكعبة ، صراحة^(٤) .

(١) قال الشيخ المرحوم محمد جواد مغنية (ره) عن أمير المؤمنين (ع) : «ولد (ع) بمكة في البيت الحرام ، يوم الجمعة (١٣ رجب) ، بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، ولم يولد قط ، في بيت الله ، مولود سواه ، لا قبله ، ولا بعده ، وهذه فضيلة ، خصّه بها الله ، إجلالاً لمحلّه ومنزلته ، وإعلاء لقدره» (راجع الشيعة والتشيع : ص ٢١٤ - ط . دار الجواد - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(٢) تجارب السلف .

(٣) حبيب السير .

(٤) المستدرك على الصحيحين : ٤٨٣/٣ .

٨ - (مروج الذهب) : يذكر المسعودي ، وهو من أجلة العلماء والمؤرخين عند أهل السنة ، في الكتاب المذكور ، ولادة أمير المؤمنين (ع) في الكعبة (١) .

٩ - (الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ، عليهم السلام) : يذكر علي بن محمد المالكي المشهور بـ (ابن الصباغ المالكي) (ت سنة ٨٥٥ هـ) ، وهو من أجلة العلماء والمؤرخين عند السنة ، وهو مالكي المذهب ، يقول في كتابه المذكور ، الذي هو من أشهر كتب العامة : «ولد عليّ ، عليه السلام ، بمكة المشرفة ، بداخل البيت الحرام . . . ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها ، إجلالاً له ، وإعلاء لمرتبته ، وإظهاراً لتكريمته . . . » (٢) .

١٠ - (كشف الغمة في معرفة الأئمة) : ذكر أبو الفتح الإربلي ، وهو من علماء أهل السنة في كتابه المذكور ، مولد أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، في الكعبة المشرفة ، بعدما ذكر الحديث السابق ، عن يزيد بن قعنب : «ثم خرجت في اليوم الرابع ، وعلى يدها أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) . . . » (٣) .

١١ - (صوت العدالة الإنسانية) : قال جورج جرداق ، مؤلف

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٩٣/٣ . (في ذكر خلافة علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه) .

(٢) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ، عليهم السلام : ص ٣٠ (باب مولده) .

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة : ٦٠/١ .

الكتاب المذكور : «منها إن علياً ولد في الكعبة ، التي أصبحت قبله أشواق المسلمين ، وكان مولده فيها ، بعد أن أصبحت الدعوة الإسلامية شيئاً موجوداً بذات محمد (ص) ، وإن لم يكن قد أفصح عنها بعد . . . » (١) .

١٢ - (جنة المأوى) : قال العلامة الكبير ، والعالم الشهير ، المرحوم آية الله كاشف الغطاء ، أعلى الله مقامه : «وإنما نتعرض لشأن واحد من شؤون ولادته ، سلام الله عليه ، وهو ولادته في الكعبة ، على أشهر الروايات (٢) . . . وولادته في الكعبة طفحت بها الكتب ، ونظمتها الشعراء ، حديثاً ، وقديماً ، وآخرهم عبد الباقي الشهير (٣) ، في مستهل قصيدة له :

أنت العلي الذي فوق العلي رفعا ببطن مكة وسط البيت قد وضعنا

(١) الإمام علي (ع) صوت العدالة الإنسانية : ٤٨/١ - وقد نقل المجلد الأول بكامله ، الشيخ محمد حسن قبيسي في كتابه (ماذا في التاريخ : ٥٨ م ط . ١٩٩١ م .

(٢) قال الحاكم في (المستدرک : ٤٨٣/٣) : «وقد تواترت الأخبار ، أن فاطمة بنت أسد ، ولدت أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، في جوف الكعبة» .

وقال أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ، الشهير بـ (شاه ولي الله) ، والد عبد العزيز الدهلوي ، مصنف (التحفة الإثني عشرية في الرد على الشيعة) ، في كتابه (إزالة الخفاء) : «تواترت الأخبار ، أن فاطمة بنت أسد ، ولدت أمير المؤمنين علياً ، في جوف الكعبة ، فإنه ولد في يوم الجمعة ، ثالث عشر من شهر رجب ، بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، في الكعبة ، ولم يولد فيها ، أحد سواه ، قبله ، ولا بعده» .

(٣) هو عبد الباقي ، بن سليمان ، بن أحمد العمري ، الفاروقي ، شاعر =

«وهي منقبة لم يشاركه فيها أحد في الإسلام ، وقد ذكروا أن مريم لما جاءها المخاض بعيسى (ع) ، آوت إلى بيت المقدس ، لتضعه فيه ، فنوديت : أخرجي يا مريم ، فهذا بيت العبادة لا بيت الولادة !

«وفاطمة بنت أسد ، لما أحسَّت بالطلق ، وهي في الكعبة ، انسدت أبوابها ، ولم تقدر على الخروج حتى وضعت علياً ، سلام الله عليه . . . » (١) .

أقول : إن مسألة مولد الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكعبة الشريفة ، موضوع قبل به واعترف جميع علماء الفريقين ، وفي جميع القرون ، منذ بداية العصر الإسلامي ، وهذه المسألة وصلت إلى حد التواتر ، حتى تناولها الخطباء في خطبهم ، والشعراء في قصائدهم :

قال السيد الحميري :

ولدته في حرم الإله ، وأمنه ،
والبيت حيث فناؤه ، والمسجدُ

= كبير ، ومؤرخ ولد بـ (الموصل) في بيت علم وأدب سنة (١٢٠٤ هـ) ، وانتقل إلى (بغداد) ، فاستمر فيها إلى أن توفي سنة (١٢٧٨ هـ) ، وله أشعار وقصائد في مدح أهل البيت ، وبيت الوحي (ع) ، ولا سيما أمير المؤمنين (ع) .

(١) جنة المأوى : ص ١٠٦ . والمؤلف هو : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ابن سيف الدين الجانجي النجفي ، أشهر مشاهير علماء الإسلام في الشرق ، وأبعدهم صيتاً ، وأغزرهم علماً ، له مؤلفات كثيرة ، أشهرها : (أصل الشيعة وأصولها) ، و(الفردوس الأعلى) . توفي سنة (١٣٧٣ هـ) ، ودفن في النجف الأشرف .

بيضاء طاهرة الثياب، نقية،
في ليلة غابت نحوس نجومها،
مألف في خرق القوابل مثله،
طابت، وطاب وليدها، والمولدُ
وبدامع القمر، المنيرُ الأسعدُ
إلا ابن آمنه، النبي محمد

وقال محمد بن منصور السرخسي :

ولدته منجبة، وكان ولادها
وسقاه ريقته النبي، وبالهها
حتى ترعرع سيداً، سنداً، رضى،
عبد الإله مع النبي، وإنه
فلذا كزوج الرسول بتولة
شهدت له آيات سورة (هل أتى)
في جوف كعبة أفضل الأكنان^(١)
من شربة تغني عن الألبان
أسداً، شديد القلب، غير جبان
قد كان بعد، يُعد في الصبيان
وغدا وصي الإنس ثم الجان
بمناقب جلت عن التبيان^(٢)

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي :

هو الذي كان بيت الله مولده
مطهر البيت من رجس وأوثان
وهناك أخبار أخرى مشهورة ومتواترة عند العامة والخاصة ،
وتدل دلالة صريحة وواضحة على طهارة الإمام أمير المؤمنين
(ع) ، وأهل بيت النبوة (ع) ومنها :

١ - (مناقب ابن المغازلي الشافعي) : «عن حذيفة بن أسيد
الغفاري ، قال : لما قدم أصحاب النبي ، صلى الله عليه وآله ،
المدينة ، لم يكن لهم بيوت يبيتون فيها ، فكانوا يبيتون في
المسجد ، فقال لهم النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : لا تبيتوا
في المسجد فتحتلموا !

(١) الكِن - بالكسر - : البيت ، والجمع : أكنة وأكنان .

(٢) راجع مناقب آل أبي طالب : ١٧٥/٢ .

«ثم إنَّ القوم بنوا بيوتاً حول المسجد ، وجعلوا أبوابها إلى المسجد ، وإنَّ النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بعث إليهم معاذ بن جبل ، فنادى أبا بكر ، فقال : إنَّ رسول الله يأمرك أن تخرج من المسجد ! فقال : سمعاً وطاعة ، فسدَّ بابه ، وخرج من المسجد ، ثم أرسل إلى عمر ، فقال : إنَّ رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يأمرك أن تسدَّ بابك الذي في المسجد ، وتخرج منه ! فقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، غير أنني أرغب إلى الله في خوخة في المسجد . فأبلغه معاذ ما قال عمر ، ثم أرسل إلى عثمان ، وعنده رقية ، فقال : سمعاً وطاعة ، فسدَّ بابه وخرج من المسجد ، ثم أرسل إلى حمزة ، فسدَّ بابه وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، وعليّ على ذلك يتردد ، لا يدري ، أهو فيمن يقيم ، أو فيمن يخرج ، وكان النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قد بنى له بيتاً في المسجد بين أبياته ، فقال له النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : أسكن طاهراً مطهراً !

فبلغ حمزة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لعلي ، فقال : يا محمد ! تخرجنا ، وتمسك غلمان بني عبد المطلب ؟

فقال له نبي الله : لا ، لو كان الأمر لي ، ما جعلت من دونكم من أحد ، والله ما أعطاه إياه إلا الله ، وإنك لعلي خير من الله ورسوله ، أبشر ! فبشره النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فقتل يوم (أحد) شهيداً .

ونفس ذلك رجال على عليّ ، فوجدوا في أنفسهم ، وتبين فضله عليهم ، وعلى غيرهم من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام وآله وسلم ، فبلغ ذلك النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام

خطيباً فقال :

إنَّ رجالاً يجدون في أنفسهم ، في أني أسكنت علياً في المسجد ، والله ما أخرجتهم ، ولا أسكنته ، إنَّ الله ، عز وجل ، أوحى إلى موسى وأخيه : ﴿أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بَيْوتاً ، واجعلوا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة﴾^(١) ، وأمر موسى أن لا يسكن مسجده ، ولا ينكح فيه ، ولا يدخله ، إلا هارون وذريته ، وإنَّ علياً مني بمنزلة هارون من موسى ، وهو أخي دون أهلي ، ولا يحلُّ مسجدي لأحد ينكح فيه النساء إلا علي (ع) ، وذريته ، فمن ساءه ، فها هنا - وأوماً بيده نحو الشام -^(٢) .

٢ - (مسند أحمد بن حنبل) : «عن عبد الله بن الرقيم الكناني ، قال : خرجنا إلى المدينة زمن الجمل ، فلقينا سعد بن مالك بها ، فقال : أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب الشارعة في المسجد ، وترك باب علي ، رضي الله عنه»^(٣) .

٣ - (فرائد السمطين) : «عن بريدة الأسلمي ، قال : أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب ، فشق ذلك على أصحابه ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) ، دعا الصلاة جامعة ، حتى إذا اجتمعوا

(١) سورة يونس ، الآية : ٨٧ .

(٢) أخرجه من أعلام الإمامية الشيخ الصدوق ، ابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) في كتابه (علل الشرائع : ١/١٩٢) و(العمدة لابن البطريق : ص ٩١) و(الطرائف لابن طاوس : ص ١٦) و(كشف الغمة للإربلي : ١/٤٥) ، و(مناقب آل أبي طالب : ٢/١٧٤) . وقد نقل سماحة المؤلف النص في المتن من (مناقب ابن المغازلي : ص ٢٥٣) .

(٣) مسند أحمد : ١/١٧٥ - مناقب ابن المغازلي : ص ٢٥٨ .

صعد المنبر ، وخطبهم ، فلم يسمع لرسول الله (ص) تحميداً ،
وتعظيماً ، في خطبة مثل يومئذ ، فقال :

«يا أيها الناس ! ما أنا سددها ، ولا أنا فتحتها ، بل الله ،
عز وجل ، سدّها ، ثم قرأ رسول الله : ﴿والنجم إذا هوى * ما
ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي
يوحى﴾ .

«فقال رجل : دع لي كوة تكون في المسجد ! فأبى النبي
(ص) ، وترك باب علي مفتوحاً ، فكان يدخل ، ويخرج منه ،
وهو جنب»^(١) .

٤ - (أمالي الصدوق) : «عن زيد بن أرقم ، قال : كان لنفر
من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أبواب
شارعة في المسجد ، فقال يوماً : سدّوا هذه الأبواب إلا باب
علي ، فتكلم في ذلك الناس ، قال : فقام رسول الله ، صلى الله
عليه وآله ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فإنني
أمرت بسد هذه الأبواب ، غير باب علي ، فقال فيه قائلكم ، وإني
والله ما سدّدت شيئاً ، ولا فتحتّه ، ولكنني أمرت بشيء
فاتبعته !»^(٢) .

وفي المصدر نفسه ، «عن علي بن أبي طالب (ع) ، قال :
قال رسول الله (ص) : لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد ،
إلا أنا ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، ومن كان من
أهلي ، فإنهم مني»^(٣) .

(١) فرائد السمطين : ٢٠٦/١ .

(٢) أمالي الصدوق : ص ٢٧٤ - ح ٤ .

(٣) أمالي الصدوق : ص ٢٧٤ .

وفي المصدر نفسه : «عن أبي عمران ، عن النبي (ص) ،
قال : سدوا الأبواب إلى المسجد ، إلا باب علي ، عليه
السلام»^(١) ، وفي لفظ : «سدوا الأبواب الشارعة في المسجد إلا
باب علي»^(٢) .

أقول : إن هذه الروايات ، ومئات من الروايات الأخرى ،
تدل ، وتثبت جميعها ، طهارة علي (ع) ، وأهل بيت النبوة ، ولا
يبقى من المنكرين لهذا الموضوع إلا الجاهل المعاند الذي يفحمه
النص بقول الله تبارك وتعالى : ﴿إنما يريد الله ، ليذهب عنكم
الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا﴾^(٣) .

وإلى هنا ينتهي (الجزء الأول) من
هذا الكتاب الذي يشتمل على فضائل
ومقامات أهل بيت العصمة (ع) ، وهم
محمد (ص) ، وآل محمد (ع) وأسأل الله ،
عز وجل ، أن يوفقني في طبع ، ونشر
الأجزاء الأخرى من هذا الكتاب ، إنه سميع
مجيب والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله
على محمد وآله الطاهرين .

خَادِمُ الشَّرِيعَةِ الْفَرَّاءِ
مِيرزا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَايَرِي إِيْرَاهْمَقَانِي

(١) المصدر نفسه : ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه : ح ٦ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

مَصَادِرُ الْكِتَابِ

(أ)

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الإحتجاج : أبو منصور ، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ،
من علماء القرن السادس - تح . السيد محمد باقر خراسان - ط .
مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٣ - الأعلام : خير الدين الزركلي - ط / ٥ - دار العلم للملايين - بيروت
١٩٨٠ م .
- ٤ - الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة : السيد عبد الله شبر -
ط . مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٥ - إحياء الميت بفضائل أهل البيت : أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبي
بكر السيوطي الشافعي (ت ٩١٠ هـ) - ط . مؤسسة الوفاء - بيروت
١٩٨٣ م .
- ٦ - أسباب النزول : أبو الحسن ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري
(ت ٤٦٨ هـ) - ط / ٢ - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .

٧- أمالي الشيخ الطوسي : أبو جعفر ، محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بـ (شيخ الطائفة) (ت ٤٦٠ هـ) - ط/٢ - مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٨- أمالي الصدوق : أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط/٥ - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٩- الإختصاص : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ) - ط . مكتبة الصدوق - طهران ١٣٧٩ هـ .

١٠- الأنوار النعمانية : السيد نعمة الله بن عبد الله بن محمد الجزائري (ت ١١١٢ هـ) - ط/٤ - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١١- الإقتان في علوم القرآن : جلال الدين ، عبد الرحمن السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ) - ط . المكتبة الثقافية - بيروت ١٩٧٣ م .

١٢- الإرشاد : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ) - ط/٣ - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٣- إرشاد القلوب : أبو محمد ، الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي (ت ٤٤٨ هـ) - ط . مكتبة التعاون - بيروت - دون تاريخ .

١٤- إحقاق الحق وإزهاق الباطل : السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري (الشهيد سنة ١٠١٩ هـ) - ط . المطبعة الإسلامية - طهران - دون تاريخ .

١٥- إنباه الرواة على إنباه النحاة : الوزير جمال الدين ، أبو الحسن ،

علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ) - تح . محمد أبو الفضل
إبراهيم - ط . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

١٦ - أوائل المقالات : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان
العكبري البغدادي ، الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ) -
ط . تبريز ١٣٧٠ هـ .

١٧ - إقبال الأعمال : رضي الدين ، أبو القاسم ، علي بن موسى بن
جعفر بن طاوس (ت ٦٦٤/٦٦٨ هـ) - ط . حجرية - دار الكتب
الإسلامية - طهران ١٣٣٠ هـ .

١٨ - إعلام الوري بأعلام الهدى : أبو علي ، الفضل بن الحسن
الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) - ط . دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ هـ -
١٩٧٩ م .

(ب)

١٩ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : المولى الشيخ
محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠/١١١١ هـ) - ط/٢ - مؤسسة
الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٠ - بصائر الدرجات : أبو جعفر ، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار
(ت ٢٩٠ هـ) - ط . مطبعة الأحمدية - طهران ١٤٠٤ هـ .

(ت)

٢١ - تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) : أبو الحسن ، علي ابن
عبد الواحد الشيباني ، المعروف بـ (ابن الأثير) (ت ٦٠٦ هـ)
- ط . دار صادر - بيروت ١٣٨٥ هـ .

٢٢ - تاريخ بغداد : أبو بكر ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي
(ت ٤٦٣ هـ) - ط . دار الكتب العلمية - بيروت - دون تاريخ .

٢٣ - تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٦٦ هـ) - ط . مؤسسة شعبان - بيروت - دون تاريخ .

٢٤ - تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) : أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) - تح . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط/٢ - دار المعارف - مصر ١٩٧٦ م .

٢٥ - تاريخ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) : أبو الحسن ، علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) - تح . شارل بلا - منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٧٩ م .

٢٦ - تاريخ مختصر الدول : غريغوريوس الملطي ، المعروف بـ (ابن العبري) (ت ٦٨٥ هـ) - ط . دار المسيرة - بيروت - دون تاريخ .

٢٧ - تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان - تعريب عبد الحلیم النجار - ط . دار المعارف - القاهرة ١٩٥٩ م .

٢٨ - تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) : أبو الفداء ، عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) - ط . دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢٩ - تاج العروس من جواهر القاموس : السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) - تح . عبد الستار فراج - ط . وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

٣٠ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة : السيد شرف الدين ، علي الحسيني الأسترآبادي النجفي (من أعلام القرن العاشر) - ط . مدرسة الإمام المهدي (ع) - قم ١٤٠٧ هـ .

٣١ - تطهير الجنان واللسان : أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ) - ط/٢ - القاهرة ١٣٨٥ هـ .

٣٢- تفسير البرهان (البرهان في تفسير القرآن) : السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني البحراني الثوبلي الكتكاني (ت ١١٠٩ هـ) - ط . مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٣٣- تفسير فرات الكوفي : فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (من علماء القرن الثالث) - ط . المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف - دون تاريخ .

٣٤- تفسير القمي : أبو الحسن ، علس بن إبراهيم القمي (من أعلام القرنين الثالث والرابع) - ط/٣ - مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم ١٤٠٤ هـ .

٣٥- تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) : أبو القاسم ، جار الله ، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) - ط . الدار العالمية - بيروت - دون تاريخ .

٣٦- تفسير العياشي : أبو النصر ، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي ، المعروف بـ (العياشي) (من أعلام القرن الثالث والرابع) - ط . المكتبة العلمية الإسلامية - طهران ١٣٨٠ هـ .

٣٧- تفسير العسكري : الإمام أبو محمد ، الحسن بن علي العسكري ، (ع) (ت ٢٦٠ هـ) - ط . مدرسة الإمام المهدي (ع) - قم ١٤٠٩ هـ .

٣٨- تفسير التبيان (التبيان في تفسير القرآن) : أبو جعفر ، محمد بن الحسن الطوسي المعروف بـ (شيخ الطائفة) (ت ٤٦٠ هـ) - ط . المطبعة العلمية في النجف الأشرف ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

٣٩- تلخيص الشافي : أبو جعفر ، محمد بن الحسن الطوسي ،

المعروف بـ (شيخ الطائفة) (ت ٤٦٠ هـ) - تحـ . السيد حسين
بحر العلوم - ط/٣ - منشورات العزيزي - قم ١٣٩٤ هـ -
١٩٧٤ م .

٤٠ - تنقيح المقال في علم الرجال : الشيخ عبد الله المامقاني - ط .
حجرية - طهران ١٣٤٩ هـ .

٤١ - تفسير الصافي : محمد محسن بن مرتضى بن محمود ، المعروف
بـ (الفيض الكاشاني) (ت ١٠٩١ هـ) - ط . مؤسسة الأعلمي -
بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤٢ - التفسير الكبير : أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسن بن
الحسين التيمي البكري ، المعروف بـ (فخر الدين الرازي)
(ت ٦٠٦ هـ) - ط . قم - دون تاريخ .

٤٣ - التوحيد : أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه
القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - نشر دار
المعرفة - دون تاريخ .

(ج)

٤٤ - جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة : أحمد زكي
صفوت - دار الكتب العلمية - بيروت - مصورة الطبعة المصرية
١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

٤٥ - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : محمد حسن النجفي
(ت ١٢٦٦ هـ) - ط . دار المؤرخ العربي - بيروت ١٤١٢ هـ -
١٩٩٢ م .

(ح)

٤٦ - حياة الحيوان الكبرى : الشيخ محمد بن موسى بن عيسى ، كمال

الدين ، الدميري ، (ت ٨٠٨ هـ) - ط . دار الفكر - بيروت - دون تاريخ .

٤٧ - حياة مُحمد (ص) : محمد بن حسين بن سالم هيكَل (ت ١٣٧٦ هـ) - ط . أولى - دار الكتب المصرية ١٩٣٦ م .

(خ)

٤٨ - الخصال : أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط . مكتبة الصدوق - طهران ١٣٨٩ هـ .

٤٩ - الخرائج والجرائح : أبو الحسين ، سعيد بن هبة الله ، المشهور بـ (قطب الدين الراوندي) (ت ٥٧٣ هـ) - ط . المطبعة العلمية - قم ١٤٠٩ هـ .

(د)

٥٠ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : شهاب الدين ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ، الشهير بـ (ابن حجر العسقلاني) (ت ٨٥٢ هـ) - ط . دار الجيل - بيروت - دون تاريخ .

(ر)

٥١ - الرسالة المستطرفة في بيان مشهور كتب السنة المشرفة : محمد بن جعفر الكتاني - ط . دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٥٢ - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية : أبو القاسم ، عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١ هـ) - ط . مصر ١٩٧٣ م .

٥٣ - الرياض النضرة في مناقب العشرة : أبو العباس ، أحمد بن

عبد الله بن محمد ، الشهير بـ (المحب الطبري) (ت ٦٩٤ هـ) - ط . دار الكتب العلمية - بيروت - دون تاريخ .

٥٤ - رسالة الإنسانية : الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن الحائري الإحفاقي - ط . أولى - مؤسسة البلاغ - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٥٥ - الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة : أبو القاسم ، الكاظم ، الملقب بـ (علم الهدى) (ت ٤٣٦ هـ) - ضمن مجموعة (رسائل الشريف المرتضى) - المجموعة الثانية - منشورات دار القرآن الكريم - مطبعة الخيام - قُم ١٤٠٥ هـ . .

(س)

٥٦ - سنن النبي (ص) : السيد محمد حسين الطباطبائي - ط . أولى - مؤسسة البلاغ - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

٥٧ - سفينة البحار : الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي (ت ١٣٥٩ هـ) - ط . دار المرتضى - بيروت - دون تاريخ .

٥٨ - السيرة النبوية : أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣ هـ) - تح . السُّقا . الإبياري . شلبي - ط . مصر - دون تاريخ .

(ش)

٥٩ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى : أبو الفضل ، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) - تح . علي محمد البجاوي دار الكتاب العربي - بيروت - دون تاريخ .

٦٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح ، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) - ط/٢ - دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- ٦١- شرح عقائد الصدوق (تصحیح الاعتقاد) : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ) - ط/٢ - تبريز ١٣٧١ هـ .
- ٦٢- شرح المقامات الحريرية : أبو العباس ، أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (ت ٦١٩ هـ) - ط . أولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٦٣- شرح نهج البلاغة : عز الدين ، أبو حامد بن هبة الله ابن أبي الحديد المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦/٦٥٥ هـ) - تح . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط/٢ - القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٦٤- شرح نهج البلاغة : الشيخ محمد عبده - ط . مؤسسة الأعلمي بيروت - دون تاريخ .
- ٦٥- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل : عبيد الله بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ (الحاكم الحسكاني) (من أعلام القرن الخامس) - تح . محمد باقر المحمودي - ط . أولى - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٦٦- الشيعة والتشيع : محمد جواد مغنية - ط . دار الجواد - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(ص)

- ٦٧- صحيح البخاري : أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل ، ابن الأحنف الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - ط . بـ (الأوفست) - دار الكتب العلمية - بيروت - دون تاريخ .
- ٦٨- صحيح مسلم بشرح النووي : الأصل لمسلم بن الحجاج ، أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) - والشرح : لمحي الدين ، أبي زكريا ، يحيى بن شرف النووي الشافعي

(ت ٦٧٦ هـ) - ط . أولى - دار القلم - بيروت ١٤٠٧ هـ -
١٩٦٥ م .

٦٩ - صحيفة الأبرار : الميرزا محمد تقي ، الملقب بـ (حجة الإسلام)
(ت ١٣١٢ هـ) - إعتناء وتصحيح حجة الإسلام ، ميرزا عبد
الرسول الإحقاقي الحائري - ط . دار الجيل - بيروت ١٤٠٦ هـ -
١٩٨٦ م .

٧٠ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : أحمد بن
حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ) - ط/٢ - القاهرة ١٣٨٥ هـ -
١٩٦٥ م .

٧١ - الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : أبو محمد ، علي بن
يونس النباطي البياضي العاملي (ت ٨٧٧ هـ) - ط . مطبعة
الحيدري - النجف الأشرف - دون تاريخ .

(ض)

٧٢ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين ، أبو الخير ،
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد
السخاوي الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) - ط . دار مكتبة الحياة -
بيروت - دون تاريخ .

(ط)

٧٣ - طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين ، أبو النصر ، عبد الوهاب بن
تقي الدين ، علي بن عبد الكافي بن تمام الأنصاري السبكي
الشافعي (ت ٧٧١ هـ) - ط/٢ - (الأوفست) - دار المعرفة -
بيروت - دون تاريخ .

٧٤ - طبقات الشافعية : جمال الدين ، عبد الرحيم الأسنوي
(ت ٧٧٢ هـ) - تح . كمال يوسف الحوت - ط . أولى - دار

الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٧٥ - طبقات ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ) - ط . دار بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٦٥ م .

(ع)

٧٦ - العبر في خبر من غير : شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمان بن عبد الله التركماني الفارقي الدمشقي ، المعروف بـ (الحافظ الذهبي) (ت ٧٤٨ هـ) - تح . محمد زغلول - ط . أولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٧٧ - علل الشرائع : أبو جعفر ، محمد بن علي ، ابن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط . المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - دون تاريخ .

٧٨ - عمدة الزائر : السيد حيدر الحسيني الكاظمي (ت ١٢٦٥ هـ) - ط/٣ - دار التعارف - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٧٩ - عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال : الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني الأصفهاني - تح . مؤسسة الإمام المهدي (ع) - ط/٢ - قم المقدسة ١٤١١ هـ - (سيده النساء فاطمة الزهراء ((ع)).

٨٠ - عوالم العلوم والمعارف : (الإمام الرضا (ع) .

٨١ - عيون أخبار الرضا (ع) : أبو جعفر ، محمد بن علي ، ابن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط . المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

٨٢ - عيون المعجزات : الشيخ حسين بن عبد الوهاب (من علماء القرن

(الخامس) - نشر المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - دون تاريخ .

(غ)

٨٣ - الغارات : أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال ، المعروف بـ (ابن هلال الثقفي) (ت ٢٨٣ هـ) - ط . أولى - دار الأضواء بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٨٤ - الغدير في الكتاب ، والسنة ، والأدب : الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي - ط/٢ - دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٨٥ - غرر الحكم ودرر الكلم : ناصح الدين ، أبو الفتح ، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي الأمدي (ت ٥٥٠ هـ) - تح . محمد سعيد الطريحي - ط . أولى - دار القارئ - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(ف)

٨٦ - الفردوس بمأثور الخطاب : ابن شيرويه الديلمي (ت ٥٠٩ هـ) - ط . أولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦ م .

٨٧ - فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين : الشيخ إبراهيم بن محمد ، ابن محمد الجويني الخراساني (ت ٧٣٠ هـ) - تح . المحمودي - ط . أولى - مؤسسة المحمودي - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٨٨ - الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة : علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي ، الشهير بـ (ابن الصباغ) (ت ٨٥٥ هـ) - ط . مطبعة العدل - النجف الأشرف - دون تاريخ .

٨٩ - فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي : أحمد بن

محمد بن الصديق المغربي المصري (ت ١٣٨٠ هـ) - تح. محمد هادي الأميني - صور في بيروت عن طبعة الأزهر ١٣٥٤ هـ . دار الكتاب الإسلامي .

٩٠- الفضائل : أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي ، المعروف بـ (ابن شاذان) (ت حوالي ٦٦٠ هـ) - ط . مكتبة العرفان - بيروت - دون تاريخ .

٩١- فضائل الخمسة من الصحاح الستة : السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي - ط/٣ - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٩٢- فتوح البلدان : أبو الحسن ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) - ط . دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(ق)

٩٣- القاموس المحيط : مجد الدين ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) - ط . أولى - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٩٤- قصص الأنبياء (عرائس المجالس) : أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، المعروف بـ (الثعالبي) (ت ٤٢٧ هـ) - ط . المكتبة الثقافية - بيروت - دون تاريخ .

٩٥- قصص الأنبياء : أبو الحسين ، سعيد بن هبة الله ، المشهور بـ (قطب الدين الراوندي) (ت ٥٧٣ هـ) - تح. غلام رضا إسماعيليان - ط . أولى - مؤسسة المفيد - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(ك)

- ٩٦- كامل الزيارات : جعفر بن قولويه القمي (ت ٣٦٧ هـ) -
تح. الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي التبريزي - ط . المطبعة
المرتضوية في النجف الأشرف ١٣٥٦ هـ .
- ٩٧- كتاب الكافي : أبو جعفر ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني
الرازي (ت ٣٢٩/٣٢٨ هـ) - ط . دار الكتب الإسلامية - طهران
١٣٨٨ هـ .
- ٩٨- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (ع) : أبو عبد الله ،
محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (قتل سنة ٦٥٨ هـ) - تح .
محمد هادي الأميني - ط/٣ - دار إحياء تراث أهل البيت (ع) -
طهران ١٤٠٤ هـ .
- ٩٩- كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر : أبو القاسم ،
علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي (من أعلام القرن
الرابع) - تح . السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمرى
الخوئي - ط . مطبعة الخيام - قم ١٤٠١ هـ .
- ١٠٠- الكنى والألقاب : الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم
القمي (ت ١٣٥٩ هـ) - ط/٤ - طهران ١٣٧٩ هـ .
- ١٠١- كمال الدين وتمام النعمة : أبو جعفر ، محمد بن غلي بن
الحسين بن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق)
(ت ٣٨١ هـ) - ط . مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٤٠٥ هـ .
- ١٠٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي
الفتح الإربلي - ط . المطبعة العلمية - قم ١٣٨١ هـ .

(ل)

- ١٠٣- اللباب في تهذيب الأنساب : عز الدين ، أبو الحسن ، علي بن

أبي الكرم ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بـ (ابن الأثير الجزري) (ت ٦٣٠ هـ) - ط . دار صادر - بيروت - دون تاريخ .

١٠٤ - لسان العرب : جمال الدين ، أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة بن منظور الأفرقي (ت ٧١١ هـ) - ط . دار المعارف المصرية - دون تاريخ .

١٠٥ - لسان الميزان : شهاب الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) - ط . مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(م)

١٠٦ - المعجم الوسيط : الطبعة الثانية - دار الأمواج - بيروت ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

١٠٧ - معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) - تح . عبد السلام هارون - ط . مكتب الإعلام الإسلامي - طهران ١٤٠٤ هـ .

١٠٨ - مشارق أنوار اليقين في أسرار المؤمنين : الحافظ رجب البرسي - ط / ١٠ - مؤسسة الأعلمي - بيروت - دون تاريخ .

١٠٩ - مجمع البحرين : فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) - تح . أحمد الحسيني - ط . مؤسسة إوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١١٠ - مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي ، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) - نشر المكتبة العلمية الإسلامية - طهران - دون تاريخ .

- ١١١ - معجم البلدان : أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) - ط . دار صادر - بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ١١٢ - المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : كاظم محمدي ومحمد دشتي - ط . دار الأضواء - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١١٣ - معاني الأخبار : أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط . مكتبة الصدوق - طهران ١٣٧٩ هـ .
- ١١٤ - معجم المطبوعات العربية والمعربة : يوسف اليان سركيس - مطبعة سركيس/مصر ١٣٤٦ هـ .
- ١١٥ - معجم الفرق الإسلامية ؛ شريف يحيى الأمين - ط . أولى - دار الأضواء - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١١٦ - مجمع الرجال : زكي الدين ، المولى عناية الله ، علي القهبائي - ط . مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان - قم - دون تاريخ .
- ١١٧ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : أبو محمد ، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ) - ط/٢ - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م - مصورة الطبعة الأولى حيدرآباد الدكن ١٣٧٧ هـ .
- ١١٨ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) - تح . عبد العظيم الشناوي - ط . دار المعارف المصرية ١٩٧٧ م .
- ١١٩ - المراجعات : السيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧ هـ) - دار ومكتبة الرسول الأكرم (ص) - بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٢٠ - المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث : أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله ، المعروف بـ (الحاكم النيسابوري) (ت ٤٠٥ هـ) - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض / المملكة العربية السعودية - دون تاريخ .

١٢١ - المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم ، الحسن بن محمد ، المعروف بـ (الراغب الأصفهاني) (ت ٥٠٢ هـ) - ط . دار المعرفة - بيروت - دون تاريخ .

١٢٢ - مفاتيح الجنان : الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي (ت ١٣٥٩ هـ) - ط . دار الأضواء - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٢٣ - مصباح الكفعمي (جُنة الأمان الواقية ، وجنة الإيمان الباقية) : تقي الدين ، إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي - ط . مؤسسة النعمان - بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

١٢٤ - مسند أحمد : أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي (ت ٢٤١ هـ) - ط . دار الفكر - بيروت - دون تاريخ .

١٢٥ - مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ، ودلائل الحجج على البشر : السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد البحراني التويلي الكتكاني (ت ١١٠٩ هـ) - ط . حجرية - طهران ١٢٩١ هـ .

١٢٦ - مناقب آل أبي طالب : رشيد الدين ، أبو جعفر ، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السروي (ت ٥٨٨ هـ) - ط . دار الأضواء - بيروت ١٤٩٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٢٧ - المناقب (مائة منقبة) : أبو الحسن . محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي ، المعروف بـ (ابن شاذان) (من أعلام القرنين الرابع والخامس) - ط . مدرسة الإمام المهدي (ع) - قم ١٤٠٧ هـ .

١٢٨ - مناقب علي بن أبي طالب (ع) : أبو الحسن ، علي بن محمد الشافعي ، الشهير بـ (ابن المغازلي) (ت ٤٨٣ هـ) - تح . اليهودي - منشورات دار الأضواء - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٢٩ - المناقب : أبو المؤيد ، الموفق بن أحمد بن محمد البكري الحنفي المكي ، المعروف بـ (أخطب خوارزم) (ت ٥٦٨ هـ) - ط . مكتبة نينوى الحديثة - طهران - دون تاريخ .

١٣٠ - من لا يحضره الفقيه : أبو جعفر ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) - ط . دار صعب - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٣٨ - منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : (على هامش المسند) : علي بن حسام الدين ، الشهير بـ (المتقي الهندي) - ط . دار الفكر - بيروت - دون تاريخ .

١٣٢ - ميزان الاعتدال : محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) - تح . البجاوي - ط . دار المعرفة - بيروت - دون تاريخ .

١٣٣ - الملل والنحل : أبو الفتح ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) - على هامش (الفصل) لابن حزم الظاهري - ط/٢ - بـ (الأوفست) - دار المعرفة - بيروت - دون تاريخ .

١٣٤ - الموسوعة العربية الميسرة : طبعة دار الشعب في مصر ، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - بإشراف محمد غربال ١٩٥٩ م .

(ن)

- ١٣٥ - نسب قریش : أبو عبد الله ، المصعب الزبيري (ت ١٥٦ هـ) -
تح . ليفي بروفنسال - دار المعارف - مصر ١٩٥٣ م .
- ١٣٦ - النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين ، أبو السعادات ،
المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبياني الجزري الموصلبي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) - تح .
الزاوي والطناجي - ط . مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان - قم - دون
تاريخ .

(و)

- ١٣٧ - وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس ، شمس
الدين ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) -
تح . إحسان عباس - ط . دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ -
١٩٧٨ م .

(ي)

- ١٣٨ - ينابيع المودة : الشيخ سليمان بن إبراهيم بن محمد القندوزي
(ت ١٢٧٠ هـ) - مصورة الطبعة الأولى ب (استانبول) - منشورات
مؤسسة الأعلمي - بيروت - دون تاريخ .

محتويات الكتاب

- الإهداء ١١
- مقدمة المؤلف ١٣
- تفسير الآية المباركة : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ...﴾ ١٩
- حديث الغدير ٢٦
- نص خطبة الغدير ٣٣
- تفسير الآية المباركة : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ...﴾ ٦٥
- كمال الدين بولاية علي (ع) ٦٧
- تفسير الآية المباركة : ﴿إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا ...﴾ ٨٥
- تحقيق في معنى (الولي) ٨٩
- ولاية الأربعة عشر معصوماً على الملائكة ٩٥
- ولاية الأربعة عشر معصوماً على الأنبياء ٩٦
- توضيحات في شأن الآية : ﴿إنما وليكم الله ...﴾ ١٠٥
- الإجابة على الاعتراضات في خصوص الولاية الكلية

١٠٧	للمعصومين (ع)
١٠٨	الإعتراض الأول
١١٨	الإعتراض الثاني
١٢٢	الإعتراض الثالث
١٢٨	الإعتراض الرابع
١٣١	الإعتراض الخامس
١٣٦	الإعتراض السادس
١٣٨	الإعتراض السابع
١٥٣	- قصة النبي سليمان (ع)
١٧١	الإعتراض الثامن
١٧٣	- المعراج
١٨٢	١ - المقام الحقي
١٨٣	٢ - المقام الملكي
١٨٣	٣ - المقام البشري
١٨٩	● تفسير الآية : ﴿ويقول الذين كفروا...﴾
٢٠٤	- إيضاح خبر سدير
٢١١	● تفسير الآية المباركة : ﴿يا أيها الذين آمنوا! اتقوا الله...﴾
٢٢٩	● تفسير الآية المباركة : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات...﴾
٢٤٢	- أقوال العلماء الأعلام ، في فضل الأئمة (ع)
٢٤٩	● تفسير الآية المباركة : ﴿عالم الغيب...﴾
٢٦٥	- محمد (ص) وآل محمد (ع) ، كنوز علم الله تعالى
٢٦٧	- علوم الأولين والآخرين ، عند محمد (ص) وآله (ع)
	- محمد (ص) وآل محمد (ع) ، كانوا يعلمون زمان
٢٧٣	وفاتهم ، ووفاة غيرهم

- ٢٧٤ - أمير المؤمنين (ع) يخبر عن شهادته وقته
- ٢٨٤ - إخبار الإمام الرضا (ع) عن شهادته
- ٢٩٠ - إخبار الأئمة الأطهار (ع) ، عن ساعة وفاة غيرهم
- ٢٩٢ - إخبار أمير المؤمنين (ع) عن المغيبات
- ٣٠٣ - أصحاب أمير المؤمنين ، يخبرون عن الغيب
- ٣٠٥ - الطريق إلى المجهولات
- ٣٠٨ - تبدل المغيبات إلى مشهودات
- ٣٣٤ - الماضي ، والحاضر ، والمستقبل
- ٣٤٥ - بحث في العلوم الخمسة
- ٣٦٣ - علم ما في الأرحام والأصلاب
- ٣٦٧ - كهنة بلاط نمرود ، وفرعون
- ٣٦٩ - ولادة إبراهيم (ع)
- ٣٧٣ - ولادة موسى (ع)
- ٣٧٦ - ماذا يقول نظام الطب الحديث

● تفسير الآية المباركة : ﴿إنما يريد الله ، ليذهب عنكم

الرجس ...﴾ ٣٧٩

- تحقيق معنى (الرجس) ٣٨١

- التحقيق في معنى (الطهارة) ٣٨٤

- توضيحات حول آية التطهير المباركة ٣٨٧

- روايات تفسير نزول آية التطهير ، من طرق العامة ٣٨٨

- روايات تفسير نزول آية التطهير من طرق الخاصة ٣٩٠

● حديث الكساء ٣٩٤

- عدة أدلة في تأييد طهارة المعصومين (ع) ٣٩٨

- ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ٤٠٢

٤١٧	● مصادر التحقيق
٤٣٧	● محتويات الكتاب

